الطائفية والتقسيم

أخطار الصراع الطائفي بمصر والعالم العربي

طبعة منقحة ومزيدة

د. صلاح شعير

الكتاب: الطائفية والتقسيم.. أخطار الصراع الطائفي بمصر والعالم العربي
الكاتب: د. صلاح شعير
الطبعة: ٢٠٢٣

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)
٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية
هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

شعير، صلاح
الطائفية والتقسيم.. أخطار الصراع الطائفي بمصر والعالم العربي / د. صلاح شعير
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
٣٤٩ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٥ – ٦٤١ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع: ٢٦٨٨٦ / ٢٠٢٢

الطائفية والتقسيم

أخطار الصراع الطائفي بمصر والعالم العربي

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

الإهداء

إلى كل العقلاء في هذا الوطن

إلى كل الحكماء فيه

لكي تعم العدالة فوق ظهر هذه الأرض الطيبة

وحتى تشرق، شمس الحرية

على ربوعِ أرضنا الحبيبة، ووطننا الغالي العزيز

خذوا وشدوا علي يد كل متعصب

من كل دين وملة وجنس ولون

تمهيد

لقد هالني ما يحدث في مصر، من بوادر للطائفية يمكن أن تهدد الاستقرار بسبب التعصب الأعمى، فالانزلاق نحو هذا الفخ من أحد أخطر أبواب الدمار التي يسعي الأعداء لجرنا نحوها، لتحقيق أهداف الإضرار بالوطن وتفتيته لدويلات صغيرة.

ولذ بادرت نحو انجاز هذا الكتاب لعرض القضية، معتمداً في ذلك علي العديد من الأفكار والشهادات المتنوعة التي نشرت في الكتب أو الصحف أو المواقع الكترونية، مع قرأة تاريخية وسياسية للأحداث الحالية لعلها تكون موفقة وملائمة للبناء عليها.

لندق سوياً ناقوس الخطر حتى يعود كل متعصب إلي رشده طوعاً بمنطق الفكر، والإقناع، والتعقل، أو كرها بقوة القانون قبل فوات الأوان، لنتلاشي بوادر الفتنة، والصراع الطائفي، الذي دمر حياة ملايين البشر حول العالم ناهيك عما يحدثه من الخسائر، الاقتصادية، والاجتماعية

د. صلاح شعير

مقدمة

الحديث عن الطائفية أو التعرض للمتعصبين هو بالتأكيد مغامرة غير محسوبة العواقب، الباحث في هذا الشأن إذا أراد أن يكون منطقياً، سوف تكون تعرية أي من الطرفين دافعاً قوياً لإطلاق وابل من السهام عليه، لأن العنف لدي المتعصبين عادة ما يكون جزء من تكوينهم النفسي، وأنا لا ألقي لهذا بال على الإطلاق، ولكني سأكون حزيناً جداً أذا جاء العرض دون قصد مني غير محايد أو متسرع.

أعلم مسبقاً أن منطق مثيري الفتنة يعتمد علي الجدل و تضخيم صغائر الأمور للبناء عليها لاستخلاص نتائج واحكما لا يجانبها الصواب في أحيان كثيرة،بل سيلتقطون ذلة لسان من هنا أو هناك لينطلقون خلفها للحشد لأفكارهم حتى لو تأكدوا من أن القول الذي يستندون عليه لا يمثل رأياً أو منهجاً لدي قائله، و علينا أن نعلم إن منهم من يتحرك بحسن نية ولكن ضيق الأفق و الجهل يجعل تلك التحركات معول هدم للدين و الوطن في آن واحد، و منهم من يتحرك من أجل مصالح مادية أو اجتماعية أو سياسية،أو نفسية متمثلة بالرغبة في الظهور علي الساحة أو لسد خلل لديه أو الظهور بشكل المحايد أو المنصف للحق في حين أن تصنع الحياد هو أحد أوجه التعصب الذي يتخذ شكلاً سينمائيا، وهناك المتعصب القبيح الذي يعمل بالمال كعميل مباشر، كل هذه الأطياف في الحقيقة لا تمثل رقماً يذكر داخل الوطن ولا يجب القياس عليها أنما ممكن الخطورة في قيام هؤلاء بإقناع بعض الشرائح أن حسن الدين هو بمقدار النيل من حقوق الآخر أو الكيد للإيقاع به.

وتعاني مصر من التطرف الذاتي وهو خلاف في الراي يحدث داخل الدين الواحد أو المذهب الواحد يظهر أمامنا صورة و مثال لنوع من التطرف داخل الجانب المسلم أضر

بالمسلمين أنفسهم قبل غيرهم، فالجماعة الإسلامية التي قتلت السادات في يوم الثلاثاء في ٦ أكتوبر ١٩٨١ ورغم بقاء شريحة منهم مازالت تبرر قتل السادات إلا أنه بعد ثلاثين عاماً من الحدث وفي عام ٢٠١١ اعتذر ناجح إبراهيم ومعه كثيرين عن هذا الخطأ ربما كانت الجماعات الإسلامية أفضل من غيرها لأنها أقرت بالخطأ وعادت إلي الصواب ولكن هناك قوي أخري ستظل منغلقة علي أنفسها ولن تستوعب أي شيء حتى لو مرت عليها عشرات القرون و سوف يتركون تراثاً من الفكر المنغلق لورثة اشد انغلاقاً منهم مع التشدق بالدين و زوراً و بهتاناً .

وتسبب تنظيم القاعدة علي الصعيد الدولي بغزو أفغانستان ٢٠٠٢ ثم العرق في أبريل ٢٠٠٣، وخسرت الأمة وطنيين تم تدميرهما بالكامل مقابل قتل عدة آلاف من المدنين الأبرياء، وتشير بعض التقديرات أن القتلى في البلدين يقتربون من المليونين مسلم، علاوة علي ما خلفته العمليات الحربية من ملايين المعاقين والجرحى والمتشردين، لقد دمرت مقدرات الأمة بسبب التعصب والجهل بطبيعة موازين القوي.

ولم يسلم الجانب المسيحي نفسه من قوى التعصب الذاتية ومحاولات فرض الرأي بالقوة ومثال ذلك (ما قام به إبراهيم جلال المحامي القبطي عام ١٩٥٤ مع خمسة شباب أقباط بالهجوم المسلح على الكاتدرائية بقوة السلاح ودخول المقر البابوي على الأنبا يوساب؟ حتى غرفة نومه وإجباره على التوقيع على وثيقة التنازل عن العرش البطريكي ووثيقة أخري لدعوة المجمع المقدس والمجلس المحلي لإجراء انتخابات جديدة. [١] وتدخلت الدولة وكشفت المؤامرة و حررت الأنبا يوساب ، هذه صورة أخري لفرض الفكر بالقوة في حين أن المنطق يتطلب مقارنة الرأي بالرأي و الحجة بالحجة، لا تكمن خطورة الانسياق نحو الطائفية في الخوف من التدخل الخارجي لأن الخارج لن يعجز عن إيجاد مبرراته الوحدة تلو الأخرى أذا أتيحت له الفرصة، لن يتردد في اقتناص ما يتاح لتحقيق إغراضه، أن مكمن الخطورة أن يتصور بعض الواهمين من متعصبي الأقباط أن

[١] راجع، محمد حسنين هيكل بيروت ، خريف الغضب، محمد حسنين هيكل بيروت ،١٩٨٣.

جيوش أمريكا سوف تتحرك من اجلهم بل من اجل مصالح سياسية واقتصادية سوف يستغل الدم المسيحي لتحقيق هذا الفرض فقط بل أن الكنيسة المصرية الأرثوذكسية نفسها لم تسلم من الغرب فقد كانت هدفاً للتبشير الكاثوليكي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والغرب مازالت تقع ضمن هذا المرمي، يعد اخطر ما يحذر منه أصحاب الفكر والدين أن تقود الأقلية المتعصبة في الطرفين السود الأعظم نحو هذا المنحدر السحيق

تتنوع اسباب الخلافات الطائفية بمصر بين المسلميين والمسحيين فمنها ما هو بسبب مشاكل يومية أو أعتداء جنسي أو بناء كنائس أو أعتداء على الكنائس أو أعتداء على الدين الإسلامي أو إسلام مسيحيات وهي رغم كثرتها تبقي في إطار الخلافات ولا ترقي للصراعات الطائفية وهذا ما يجب التحذير منه.

وعلى صعيد دول تعاني حوض النيل ودول القرن الإفريقي من خطر الطائفية وتنزلق لحروب أهلية وهذا ضد مصالح مصر المائية فالإنقسامات تضعف تلك الدول وتحول كل عرقية أو أثنية إلي دول وبدل من أن تتعامل مصر مع ٩ دول أو عشرة بعد أنفصال جنوب السودان ستجد نفسها تتعامل مع عشرات الدول علي ضفاف حوض النيل وهذا يجعل عملية التوافق مع الكيانات الصغيرة والضعيفة أمرا في منتهي الصعوبة لأنه يمكن التآثير علي الكيانات الهشة بسهولة

وعلى الصعيد العربي تهدد مشكلة الصراع المذهبي السني الشيعي مصر نظرا لكونها طرفا في المعسكر السني وفي حال تطور تلك الصراعات إلي مواجهات عسكرية ستكون الطائفية العربية هي الوقود الذي يأكل البشر والزرع والضرع، أضف إلي ذلك الصراعات الأثنية والعرقية الآخري في دول شمال إفريقا العربية، ومن ثم يمكن أن تتشرذم الدول العربية إلي عدد من الدول لا يعلمه إلا الله مما يضعف العرب ومصر في آن واحد ويقضي علي حلم التكامل العربي أو فكرة القومية العربية أو حتي الإسلامية.

وفي جميع الحالات تقف الموساد وإسرائيل والدول الغربية خلف صناعة أو إشعال تلك الصراعات في دول حوض النيل أو في المنطقة العربية لتحقيق مصالح اقتصادية

وسياسية علي حساب أرواح البشر، في حين أن تلك الدول الداعمة للطائفية يمكن أن تنفجر فيها مثل تلك الصراعات ومن ثم تكون مشكلة الطائفية هي أحد أهم التحديات أمام مصر والعرب والعالم بأثره وسوف نعرض ذلك بوضوع فيما يلي:

الفصل الأول: تاريخ الوحدة الوطنية في مصر

الفصل الثاني: بعض الأحداث الطائفية بمصر

الفصل الثالث: السلفية المتعصبة تؤسس للطائفية

الفصل الرابع: المخططات الطائفية للتفتيت مصر والدول العربية

الفصل الخامس: وسائل الغرب وإسرائيل لتدمير مصر وسبل الرد

الفصل الأول

تاريخ الوحدة الوطنية في مصر

تعلو مصر دائما فوق الأحداث فهي كنانة الله في الأرض وشعبها في رباط ومحبه إلى يوم الدين، فعلى الرغم ما يحاك بها من مكائد، تتحطم الأرواح الشريرة علة صخرة الإرادة الوطنية، التي دائما ما تبرز وحدة الوطن في الملا حم الكبرى التي يخط على أثرها إشرافات حضارية تقود من يعيش فوق تلك الأرض ليكون ملهما ومصلحا ومسطرا للتاريخ الإنساني .

وهب النيل الحياة للبشر فوق ربوع تلك البلاد الفتية، فكانت المصريون وقت الخطر صفاً واحداً في مواجهة موجات الموت التي كان يتزامن قدومها مع الفيضان، لقد صنع أجدادنا فوق هذه الأرض أسطورة البناء الحضاري الشامخ في إطار معركة الوجود على أنقاض الدمار الناجم عن الفيضان الجامح ، وكان مخاض الحياة دائما ما يتم على إطلال هدير الماء الجارف الذي دفع المصريين دفعا نحو تحويل هذا الخطر المنبثق من الخير إلى حضارة عظمى تمثلت في شق الترع والقنوات واستحداث الآلات الزراعية وطرق الحصاد والصيد والصناعة كانت العقول المصرية على محفة الموت القادم مع الفيضان تواجه التحدي بالبحث والتنقيب والابتكار العلمي فاستطاعت أن تتفوق في الفلك وابتكرت التقويم لكي تستعد لمواجهه أخطار الفيضان فكان دائما ميلاد التقدم والتطور يأتي من رحم الآلام المحدقة بالوطن ، لقد كان المصري القديم يعلم أن الحياة على هذه البقعة العبقرية مرهون بالتحدي والصمود لقد أقترن قدوم الماء ملهم الحياة بخطر الدمار والموت، وصنعت ازهي الحضارات البشرية علي وتيرة المتناقضات الحياتية.

نجح المصريون في إخضاع الطبيعة القاسية في الصحاري والفيافي وتحويلها إلى مركز

للإنتاج والنماء واستطاعوا ترويض الخطر والتعايش في نسيج واحد في فترات الضعف وأثناء الاحتلال دون فقدان للهوية أو الذوبان في الأخر بل أذب المصريون الأخر فيهم، ثم ما تلبث قوهم في أن تتجمع لينقضوا على الغزاة يداً واحدة لطردهم عندما يظنوا كل الظن إن الشعب أصبح جثة بلا حراك.

تميزت مكونات الشخصية المصرية بأنها بعيدة كل البعد عن إدراك المستعمرين والمستبدين لان الله ميز هذه الأمة بالصلابة وقوه التحدي الذي كفل لها التعايش والاستمرارية رغم ما لحق بالأمة من أخطار، فما زالت مصر له خصوصية أجبرت كل من جاء إليها على التكييف معها والاندماج فيها ، فحملت كل الأجيال المتعاقبة الخصائص المصرية الأصلية التي طوعت كل اللغات والحضارات وفقا للمفاهيم المصرية المتوارثة وأصبح عشقها روحا تسرى في الضمير الإنساني لتؤكد تلك الخصوصية المتفردة ، إن شعب مصر سوف ينتصر على خطر الطائفية في الداخل وسوف تفشل كل المحاولات التي تسعى إلى تفتيت البلاد من الخارج

تجلت صور الوحدة الوطنية فى مصر عبر التاريخ منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، حين أقام المصريون– رغم تعدد معتقداتهم – أول دولة موحدة فى التاريخ الإنسانى على يد الملك (مينا) عام ٣٢٠٠ ق.م. وأن قبول واحترام الآخر– المختلف دينياً – كان ركيزة الوحدة بين الصعيد والدلتا وهو المعروف تاريخياً باسم « وحدة القطرين « وسُمح ببناء المعابد المتنوعة قبل ظهور التوحيد في مصر الأولى فى التاريخ الإنسانى، وبزغ الضمير البشرى على حد قول المؤرخ المعاصر الكبير «جون برستيد» فى كتابه السفر عن مصر «فجر الضمير» ومع مطلع الرسالات السماوية كانت مصر طرفاً دائماً فى قصة التوحيد بفصولها الثلاثة – وحسب جمال حمدان – كانت لموسى قاعدة ومنطلقاً، ولعيسى ملجأ وملاذاً، بينما كانت مع النبى مُحَمَّد هدية ونسباً.

تميزت مصر بأنها دائما نسج واحد ففي عام ٧٢٢ قبل الميلاد انتصر المصريون على جحافل الآشوريين تحت مظلة الوحدة الوطنية فبعد أن اطمئن المصريون بنصرهم عاود الغزاة الكره مرة أخرى وسيطروا على الدلتا وبدأت حركة التحرير الوطني السرية

تتنامى بين المصريين على مختلف انتمائهم وتناسوا كل الأحقاد والانقسامات حتى ظهر ابسماتيك الأول من أسرة معروفة بالجهاد والوطنية وتمكن من إعداد جيش قوي وهزم الأشوريين وطهر البلاد من الغزاة

بسط الفرس سيطرتهم على مصر عام ٥٢٥ قبل الميلاد على يد قمبيز بعد سقوطها ولكن الحركة الوطنية تحولت نحو العمل لتحرير البلاد وكانت أول ثورة في وجه المستعمر الفارسي عام ٤٨٦ق.م وبعدها استمرت عمليات المقاومة حتى تم الاستقلال عام ٤٠٤ق.م لمدة ٧٠ عام إلى أن ظهر الأسكندر الأكبر وقام بغزو الشرق تنوعت أساليب المقاومة على مر التاريخ إلى أن انتهى حكم البطالمة. [١]

يخرج من عبق التاريخ نورا من بعد نور ليؤكد أن من يسكن تلك البقعة من العالم في مصر المباركة يمتزج في ثنايا المكان وتصبح الروح السمحة أحد أهم ملامح الشخصية المصرية، فعلى الرغم من كثرة الإحداث الدموية وقسوة الحروب نتيجة تعاقب الغزاة إلا أن الإنسان المصري اكتسب صلابة في مواجهة الأخطار لا تظهر إلا في الشدائد وتلك الخاصية عادة ما تربك المتربصين بالبلاد ، ولم يفلح القادم من الخارج في مجمل الأحداث التاريخية تفتيت عضد هذه الأمة على الرغم من المتناقضات القائمة التي تذوب في أوقات الخطر وتصبح الإرادة الوطنية هدفا واحدا لكل المصريين

استقبلت مصر إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام، وجاءها يوسف الصديق ومن بعده الأسباط اليهود الأثنى عشر، وولد على أرضها موسى عليه السلام نبى اليهودية، ثم جاءتها العائلة المقدسة وقت أن كان عمر السيد المسيح (عامان)، وقد مرت العائلة بثلاثة مواقع فى شمال سيناء وثمانية عشر موقعاً فى وادي النيل ودلتاه، وزارت وادي النطرون فى الصحراء الغربية، وجبل الطير فى الصحراء الشرقية، وعبرت المجرى الرئيسى لنهر النيل أربع مرات.

---

[١] دكتور عبد العزيز الرافعي، حسين عبد الواحد الشاعر، الوحدة الوطنية عبر التاريخ، الناشر عالم الكتب القاهرة، د.ت

لقد حمل المسيحية إلي مصر القديس مرقص فالمصادر التاريخية تشير إلي انه كان مصرياً من الصحراء الغربية وقد واجه المسيحيون في مصر موجات متتالية من الاضطهاد في العصر الروماني في فترات حكم ديسيوس وفاليريان و ديوكليتيان طوال القرن الثالث الميلادي حتى بداية القرن الرابع عندما اصدر الإمبراطور قسطنطين مرسوم التسامح الديني عام ٣١٣ م ومرت السنوات إلي حدث خلاف بين هرقل بسبب الخلاف حول طبيعة المسيح هل هو ذو طبيعتين أله و رجل كما تدعوا كنيسة بيزنطة أو ذو طبيعة وحدة (حلول الإله في الرجل) كما تري الكنيسة المصرية، تلك القضية عرضت المسيحيون في مصر للاضطهاد الدموي حتى دخل عمر ابن العاص بقوة صغيرة تراوحت ما بين ٣ و ٤ آلاف جندي مصر

تميز الحكم الإسلامي باحترام الأديان و حقوق البشر والعقائد دون تدخل وكان خطاب عمرو بن العاص في الجمعة الحزينة ٦٤٤ م وهو يوحي للمصريين بقوله (حافظو علي عهد جيرانكم الأقباط أن أمير المؤمنين قال انه سمع رسول الله يقول أن الله سيفتح عليكم مصر بعدي فأحفظوا عهد أقباطكم فهم أهلكم وهم في حمايتكم) وخلال الحروب الصليبية فأن الأقباط مصر لم ينحازوا إلي أقرانهم في المسيحية لسبين الأول هو تأكدهم أن الغزاة لم يحملون لهم خيراً كما ان الاختلاف المذهبي للصليبين الكاثوليك جعلهم يعتبرون عقيدة الأقباط المصريين هرطقة ولم يسمحوا لهم بزيارة القدس عندما كانت في أيديهم و تعرض المصريين للقتل المباح في دمياط عام ١٣٦٥ و لم يفرق الغزاة في ذلك بين مسلم و مسيحي و يهودي.[١]

قدمت مصر «الرهبنة» هدية منها إلى العالم المسيحي، فالرهبنة تقليد مصري أصيل ويعد الأنبا أنطونيوس –المصري الجنسية – أبو الرهبنة في العالم، وقد ولد عام ٢٥١م بقرية قمن العروس مركز الواسطة أسيوط. بعدها انتقلت الرهبنة من مصر إلى فلسطين وبلاد ما بين النهرين وسوريا وإيطاليا وفرنسا وآسيا الوسطى واليونان ثم العالم أجمع.

---

[١] محمد حسنين هيكل، مرجع سابق

وفى عام ٦٤٢م فتحت مصر أبوابها أمام الدين الإسلامي الحنيف الذي أمن الديار والأملاك ودور العبادة وكفل حرية العقيدة وحرمة الدين. وقد أجمع كل المؤرخين المصريين المسلمين الأوائل مثل ابن عبد الحكم والمقريزي والسخاوى وابن تعزى بروي، والكندى، وابن زولاق، والنويرى، وابن إياس، وجلال الدين السيوطى، وغيرهم الكثير، أجمعوا على وحدة النسيج المصري الواحد، وأرّخوا جميعاً لوحدة الأمة المصرية ووصفوا أقباط مصر بأنهم أكرم الأعاجم وأسمحهم يداً وأفضلهم، عنصراً.

ويمضي بنا تاريخ الوحدة الوطنية المصرية وأرثها الحضاري العظيم حتى نصل إلى الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ م حيث فشل نابليون بونابرت فى إثارة النزعة الدينية لدى الأقباط وجعلهم طائفة مختلفة.[١]

الأقباط والدولة الحديثة فى مصر: ومع تولى مُحَمَّد على الحكم عام ١٨٠٥م كان الميلاد الحقيقى لمبدأ «المواطنة» فى تاريخ مصر الحديث، حيث دحضت الفتنة الطائفية بإلغاء الجزية المفروضة على أهل الذمة (أقباط ويهود) عام ١٨٥٥م، وصدر قرار بتجنيدهم ودخولهم الجيش أسوة بالمسلمين دون تمييز ديني أو اجتماعي بين كافة المصريين.

تميزت مصر في عهد مُحَمَّد علي باشا بنوع من التنوير فى التعامل مع الأقباط واحترام عنصري الأمة ونشر روح التسامح على الرغم من نمو العنصرية والتعصب فى الغرب ضد العالم الإسلامي، ويذكر أن الأقباط في عصر مُحَمَّد علي الكبير –مؤسس مصر الحديثة– تمتعوا بسياسة التسامح وروح المساواة بين جميع المصريين منذ توليه حكم مصر سنة ١٨٠٥، عندما نركز على هذا التسامح إنما نقف تجاه التاريخ فننظر إلى ما قبل عصر مُحَمَّد علي حيث نجد التحدي السافر لشعور الأقباط في كل أرض مصر. ولكن ها نحن نرى عند وصول مُحَمَّد علي للسلطة التي تولاها في عصر مضطرب غاية الاضطراب حيث كانت خزينة الدولة خاوية من المال، نجد مُحَمَّد علي بدأ في إتباع سياسة تسامح فقضى

[١] تقرير شعيب عبد الفتاح، الهيئة العامة للاستعلامات

على التفرقة بين القبطي والمسلم لأن كلاهما يستطيعان أن يقدما للبلاد أحسن الخدمات. كما اتجهت سياسة مُحَمَّد علي إلى مساواة تامة بين المسلمين والأقباط في الحقوق والواجبات فعين أقباطا مأمورين لمراكز برديس والفشن بالوجه القبلي وديرمواس وبهجورة والشرقية. لقد اتبع مُحَمَّد علي هذه السياسة لسعة أفقه وهذا هو سر تفوقه وتوفيقه. وتجدر الملاحظة هنا أن تعيين أقباط مأمورين مراكز هو بمثابة تعيين محافظين للمحافظات الآن.

لم تلبث هذه السياسة التي اتبعها مُحَمَّد علي تجاه الأقباط أن أتت ثمارها فانتشرت روح المساواة بين جميع المصريين في جميع القرى المصرية وتعاون المسلمون والمسيحيون تعاونا صادقا من أجل مجد الوطن. وهكذا ظل الأقباط طوال عصر مُحَمَّد علي عنصرا في بحر الأمة المصرية التي تعيش في سلام ولم تقع بهم إلا اضطهادات خفيفة جدا لا تذكر.[١]

ولا ينسى الأقباط أنه في عهده الزاهر ألغى مُحَمَّد علي قيد الزي الذي كان مفروضا على الأقباط في العصور السابقة. كما لا ننسى أيضا أن عصر مُحَمَّد علي يعتبر من أزهى العصور التي مرت بالكنيسة القبطية حيث ألغى كل القيود التي كانت تفرض على الأقباط لممارسة طقوسهم الدينية ولم يرفض للأقباط أي طلب تقدموا به لبناء أو إصلاح الكنائس. وتحدى قصر عابدين عددا كبيرا من الأوامر الخاصة بالكنائس سواء لتعمير الكنائس أو مساعدتهم في ذلك أو الاستعجال في تنفيذها. وقد تعددت هذه الأوامر لبناء الكنائس في عهود سعيد باشا والخديوي إسماعيل باشا.[٢] كان مُحَمَّد علي أول حاكم مسلم منح الموظفين الأقباط رتبة البكوية واتخذ له مستشارين من المسيحيين، وفي عصر سعيد باشا (١٨٥٤–١٨٦٣) عمل على استمرار روح التسامح الديني والمساواة بين المسلمين والأقباط فقام بتطبيق قانون الخدمة العسكرية على الأقباط وألغى الجزية التي مفروضة على الأقباط في مقابل الدفاع عنهم لأنهم لم يكون مسموحا بالتحاقهم بالجيش. ودخل الأقباط لأول مرة في سلك الجيش والقضاء وسافر بعضهم إلى أوروبا كانت النهضة التعليمية لها نصيب الأسد فيها. ولا ننسى أن سعيد باشا عين حاكما مسيحيا

---

[١] الراهب القمص أنطونيوس الأنطوني، وطنية الكنيسة القبطية ص ٣٦٧٣٦٨.

[٢] الدكتورجاك تاجر، كتاب أقباط ومسلمون، ص ٢٣٢٢٣٣، ص٢٤١

على مصوع بالسودان وهو إجراء يميز عهده أحسن تمييز ويهدف إلى إفادة البلاد لكل الكفاءات مهما كانت الديانة التي تنتمي إليها.

أما الخديوي إسماعيل باشا (١٨٦٣–١٨٧٨) الذي تلقى علومه في فيينا ثم باريس فقد وجد عند عودته إلى بلاده أن الجو يصلح لاتباع سياسة من التسامح والمساواة على أوسع نطاق ونجده يقرر علانية ورسميا المساواة بين الأقباط والمسلمين وذلك بترشيح الأقباط لانتخابات أعضاء مجلس الشورى ثم بتعيين قضاة من الأقباط في المحاكم، كما يجب ألا ننسى أن الخديوي إسماعيل هو أول حاكم طلب رتبة الباشوية لرجل مسيحي وقد شغل كثير من الأقباط في عصره مناصب عالية فقد شغل واصف باشا وظيفة كبير التشريفات وآخرون.[١]

وباختصار نستطيع أن نؤكد أن العلاقات بين الأقباط والمسلمين في عصر الخديوي إسماعيل تحسنت تحسنا ملحوظا وأن مبدأ المساواة السياسية والاجتماعية أصبح أمرا مألوفا في البلاد، فقد كان يشجع أدبيا ويدعم ماديا التعليم الطائفي القبطي لأن الخديوي إسماعيل كان يؤمن بأن القبطي مصري كالمسلم على حد سواء هكذا كان الأقباط يتمتعون بالمواطنة الكاملة المتساوية مع اخوتهم المسلمين وذلك في القرن التاسع عشر، وكانت كتابات الطهطاوى التنويرية وتلاميذه هى بدايات مفهوم المواطنة فى مصر، وعليها سار مفكرو الثورة العرابية وعلى رأسهم عبد الله النديم – خطيب الثورة – حيث قال بوضوح «إن العيش الكريم فى ظل الاستقلال والانتشار الشامل للوطنية، هو أفضل من العيش المهين ولو كان فى ظل "وحدة العقيدة» وأبرز النديم فى العديد من المقالات والخطب أن الروابط القومية أقوى من الاختلاف فى العقيدة الدينية، وهكذا تحدث النديم عن مصر «الدولة الأمة».

ومن المعروف أن الاحتلال الانجليزى لمصر عام ١٨٨٢م اتبع ما يسمى سياسة «فرق تسُد» بين المسلمين والأقباط، وبدأت بالفعل إرهاصات تحويل الأقباط من (ملة

---

[١] د. جاك تاجر، مرجع سابق

دينية) إلى أقلية دينية وسياسية، وحاول الانجليز إدخال «الطائفية» إلى مصر على غرار ما تم ممارسته فى الهند وكان الهدف أن يشعر الأقباط بأن الرابطة الدينية بينهم وبين الانجليز وأوروبا هى أقوى من الرابطة الوطنية بينهم وبين إخوانهم المسلمين شركاء الوطن. وفشل الانجليز فى تحقيق ذلك كما فشل الفرنسيون من قبل، وصارت «المواطنة» قرين الدولة المدنية فى مصر الحديثة، حيث التف المصريون حول قادتهم الوطنيين بعد قرون من الانطواء تحت القيادات الدينية.

ودحض الزعيم مصطفى كامل – مؤسس الحزب الوطنى عام ١٩٠٧– الفتنة الطائفية حين قال « وما المسلمون المصريون إلا أقباطاً غيروا عقيدتهم.. إذن هل يا ترى تغيير العقيدة يكون بالضرورة تغييراً للدماء»؟ ، وجاءت ثورة ١٩١٩ م ضد الاحتلال الانجليزى لتمثل أزهى أحقاب الوحدة الوطنية والمواطنة والدولة المدنية ودولة الأمة المصرية، أمة عمادها أن الاختلاف فى العقيدة لا يتغير من وحدة العنصر والدم والوجدان المشترك، أمة أسلم فيها من أسلم، وبقى على مسيحيته من بقى، وقد تجلت الوحدة الوطنية فى أروع صورها عندما رفعت الثورة شعار «الدين لله والوطن للجميع» وشعار «يحيا الهلال مع الصليب» كذلك عندما وقف الأب سرجيوس خطيباً على منبر الأزهر الشريف ليقول «ليمت الأقباط وليحي المسلمون أحرارا» وعندما بادله رفيقه الشيخ القاياتى ووقف خطيباً فى الكنائس المصرية.

وتستمر تجليات ثورة ١٩١٩م فى كشف المعدن الذهبى لهذه الأمة، فعندما قرر الانجليز نفى سعد زغلول عام ١٩٢١ إلى جزيرة سيشل كان البيان الذي أصدره حزب الوفد–احتجاجاً على هذا النفى–، موقعاً من خمسة أفراد (مسلم واحد وأربعة أقباط). وكان أعضاء الوفد المنفيين ستة أفراد (أربعة مسلمين واثنان من الأقباط وهما سينوت حنا، ومكرم عبيد، كما كان أعضاء الوفد الذين حكم عليهم الانجليز بالإعدام سبعة أفراد منهم ٣ مسلمين و ٤ أقباط.

ولا ينسى التاريخ أن الأقباط أنفسهم هم الذين رفضوا مبدأ التمثيل النسبى فى دستور ١٩٢٣ مثلما رفضوا من قبل حماية قيصر روسيا لهم وحماية اللورد كرومر، وأن

قبطياً مصرياً وهو «عريان يوسف» تطوع لاغتيال رئيس الوزراء القبطى المرشح يوسف وهبة عندما خرج عن الجماعة الوطنية وإجماع الأمة المصرية، وقبل رئاسة الحكومة بوازع من الانجليز بينما كان سعد زغلول ورفاقه فى المنفى، خاصة وأن الكنيسة المصرية كانت قد اجتمعت وطالبت يوسف وهبه بعدم قبول رئاسة الحكومة وعدم التفاوض مع لجنة ملنر المعادية للوفد ولشعب مصر.

ورسخ الأستاذ الإمام مُحَمَّد عبده فكرة دولة المواطنة المدنية حين أصدر فتواه الفاصلة، والتى تعد من أهم أحكامه على الإطلاق حين قال «علمت أن ليس فى الإسلام سلطة دينية سوى الموعظة الحسنة والتغيير من الشر» وكانت هذه الفتوى بمثابة الحصار المبكر للفكر الطائفى والتيار التكفيرى، وكما كانت السلاح الأساسى فى المعركة التى بدأها الشيخ على عبد الرازق فى كتابه (الإسلام وأصول الحكم) الصادر عام ١٩٢٥ ضد محاولة الملك فؤاد بدعم من هيئة العلماء والانجليز لنقل الخلافة إلى مصر بعد سقوطها فى تركيا على يد كمال أتاتورك. كما لا تنسى أيضا، فى هذه الفترة الشعار الوطنى الكبير الذى أطلقه أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد وهو أن (مصر للمصريين).

وجاء العصر الحديث بمفكريه العظام رواد حركة الاستنارة والتنوير والداعية إلى حفظ السلم الاجتماعى وقوام الأمة المصرية الواحدة ذات النسيج الواحد من خلال قيام الدولة المدنية، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر النديم وأحمد لطفى السيد وطه حسين وأحمد شوقى والعقاد وسلامة موسى ووليم سليمان قلادة ومكرم عبيد وأحمد عزت عبد الكريم وجمال حمدان وغيرهم الكثير.. فما أروع من قول المؤرخ والجغرافى الكبير جمال حمدان فى كتابه الفذ «شخصية مصر» بأنه جنس المصريين سابق لتميزهم الدينى، ويقول طه حسين فى كتابه الشهير «مستقبل الثقافة فى مصر» الصادر عام ١٩٣٨ أن الكنيسة الأرثوذكسية هى مجد مصرى قديم ومقوم من مقومات الوطن المصرى.. وكما يذكر التاريخ بأنها كانت فى فترة الاحتلال الرومانى لمصر (٣١ ق.م. — ٦٤٠م) رمزاً للاستقلال القومي المصري ورمزاً للحفاظ على الشخصية المصرية فى مقابل غياب الاستقلال السياسي الذي كان فى أيدي الرومان.

كذلك فإن الأقباط لا يشكلون أقلية عرقية أو سلالية أثنية أو لغوية بالمعني المتعارف دولياً فهم من نسيج الوطن وهو الأمر الذى ميز الشعب المصري بدرجة عالية من التماسك أو التكامل أو الاندماج الاجتماعي، ويقول طارق البشرى فى كتاب «المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية» إن الاقتراح الحضارى بين المسلمين والأقباط فى مصر كان المكون الأصيل للمناخ التاريخى والحضارى والاجتماعى والثقافى والنفسى لتبلور المفهوم القومى للجماعة السياسية المصرية، فالمسلمون المصريون ما هم إلا أقباطاً أسلم أجدادهم منذ قرون». وقوله «أن مصر تملك من وحدة الدم والأصل أقصى درجة يمكن أن تحوزها أو تحرزها دولة فى مثل مساحتها وعددها.. فمن الوحدة اللغوية إلى الوحدة الثقافية إلى الوحدة السيكولوجية، جاء تطور مصر الوطنية.. ووحدة الأصل بين المسلمين والأقباط ليست عملياً إلا تحصيل حاصل ومجرد بديهية، من منطلق أن تكوين مصر العرقى سابق على تكوينها الدينى فالأساس القاعدى لسكان مصر أسبق من المسلمين بأكثر من ٣٢٠٠ سنة ومن المسيحيين بأكثر من ٤٠٠٠ سنة على أقل تقدير، ويعد الأقباط من صميم الكيان الوطنى المصرى وكتلة رصينة رصيفه من جسم الأمة المصرية شديدة التماسك فيه والالتحام به، والواقع أن مصر لم تنقسم قط داخلياً ولا عرفت التقسيم ولا هى قابلة للقسمة تحت أية ظروف أو ضغوط، وفى نفس السياق يأتى المفكر الكبير مكرم عبيد أحد رواد الوحدة الوطنية المصرية ليقول أن الأقباط «مسلمون وطناً ومسيحيون ديانة».

ويرى الفيلسوف الكبير زكى نجيب محمود أن الأمة المصرية مرت بأربع حضارات وهى الآن تعيش الحضارة الخامسة أما الحضارات الأربع فتمثلها المتاحف الأربعة الفرعونى بالقاهرة والرومانى اليونانى بالإسكندرية والمتحف القبطى بالقاهرة، ثم المتحف الإسلامى بالقاهرة.. أما الحضارة الخامسة فهى الحضارة المعاصرة القائمة على الدولة المدنية الحديثة.وعندما يأتى الحديث عن المفكر البارز دكتور «وليم سليمان قلادة» الملقب بفقيه نظرية المواطنة، نراه قد استطاع أن يحدد بامتياز ملامح نظريته المتكاملة عن المواطنة وذلك فى كتابه الرائع «المواطنة» الصادر عام ١٩٩٩، حيث ترتكز نظريته على أهمية

وعى الإنسان مجرد مقيم، يخضع لنظام معين دون أن يشارك فى صنع القرارات داخل هذا النظام، أى أن المواطنة عند قلادة «مشاركة» يرى أن هناك علاقة طردية بين الشعور بالانتماء وبين تمتع المواطن بجميع حقوق المواطنة سواء كانت هذه الحقوق مدنية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.

وتأتى كلمة البابا شنودة «أن مصر ليست وطناً نعيش فيه، بل وطن يعيش فينا» كأيقونة مسيحية تجسد فى مثال مبهر نسيج مصر الواحد وعنصرها النقى الأصيل. كما كان الإمام الأكبر الشيخ أحمد الطيب معبراً بنقاء خالص عن تلك الروح المصرية السامية فى قوله إن على المسلمين المصريين حماية الكنائس مثلما يحمون المساجد ويدافعون عنها. (١)

تنوعت البطولات من الأخوة المسحيين خلال صراعات مصر الدولية وخاصة مع أسرائيل ومن القادة الأقباط الذين شارك وفى حروب مصر المقدسة لتحرير الأرض عام ١٩٧٣ اللواء أ.ح. شفيق متري سدراك.. العبقري الأكاديمي نال شرف الاستشهاد في الميدان وقلده الرئيس السادات وسام النصر ضمن أبطال القوات المسلحة الشهداء والأحياء الذين نالو شرف الشهادة وحصلو على أوسمة النصر فى مجلس الشعب يوم ١٩ فبراير ١٩٧٤ م وهو من مواليد عام ١٩٢١ م بقرية المطيعة مركز أسيوط الأب كان يعمل مدرس ثانوى والابن الطموح قضى عامين فى كلية التجارة ولكنه اختار في النهاية أن يلتحق بالكلية الحربية ليتخرج منها عام ١٩٤٨م مقاتلا بسلاح المشاة وخدم فى السودان مرتين خلال حياته العسكرية

واظهر (شفيق مترى) تفوقا ملحوظاً لدرجة انه كان من الضباط القلائل الذين حصلوا على شهادة أركان حرب وهو برتبة رائد، واختير للعمل كمدرس لمادة التكتيك بالكلية الحربية، ثم أصبح كبيراً للمعلمين بها. وخاض معارك مصر قبل ١٩٧٣م فاشترك فى حرب ١٩٥٦م وفى حرب ١٩٦٧م كان (شفيق مترى) قائدا لكتيبة مشاة حاربت فى

---

(١) تقرير شعيب عبد الفتاح، الهيئة العامة للاستعلامات

منطقة أبي عجيلة وكبد العدو خسائر كبيرة، وحصل على ترقية استثنائية بسبب هذه المعركة

بعد حرب ١٩٦٧م تمركز مع قواته بالقطاع الأوسط، وشارك معها فى معارك حرب الاستنزاف، وسجل بطولات متعددة فى بورسعيد والدفرسوار والفردان وجنوب البلاج. وقتل اللواء (شفيق مترى سدراك) في (اليوم الرابع للحرب) ١٠ اكتوبر ١٩٧٣م وهو يقود أحد ألوية المشاة المدرعة التابعة للفرقة ١٦ بالقطاع الأوسط فى سيناء وكان حال مقتله يتقدم قواته بمسافة كيلو متر كامل فى عمق سيناء.

تنوعت البطولات وكان هناك عشرات لآلاف من قصص البطولة لمسلمين شاركو وفى صنع النصر وخططوا له ولكن جاء التركيز على بعض النماذج المسيحية للتدليل على وطنيتهم وهذا وليس انتقاصا من قدر الأبطال المسلمين الكل شارك فى رسم ملامح النصر، فالمرحلة تستوجب نشر كل ما يؤكد الثقة والتقدير المتبادل

تمثل تلك المقدمة رسالة إلى كل ذى لب يعي ولتحمله أمانة الحفاظ على وحدة الأمة وعدم الانسياق وراء النزاعات التعصبية التى يراد بها تدمير الأمن والاستقرار داخل الوطن فالأغلبية المسلمة منوط بها تهدئة روع الأقلية وتغليب دولة القانون فوق كل اعتبار مع تغليظ العقوبة دون هوادة أو رحمة والضرب بيد من حديد على من يعبث بأمن الوطن، وهذا النهج فى العرض لايعد تدليلا للأقباط بقدر ما هو تصوير لفترات تاريخية كان المجتمع المسيحي فيها مثالا يحتذي فى الوطنية والتوحد، مع العلم أنه لن تكون هناك مجاملة لأحد على حساب الوطن بل سيطال النقد القاسي كل من يسهم فى تدمير الوحدة الوطنية وتغذية التعصب داخل البلاد من أجل تصويب الأداء ونزع فتيل التوتر فهناك تيارا من التعصب بدأ فى الظهور لدى تيارات مسيحية بالتزامن مع التعصب الإسلامي وقد يكون أشد خطورة منه، ولم تظهر بوادر التعصب إلا في فترة السبعينات بالتزامن مع انتشار الفقر والبطالة والانغلاق الفكري

الفصل الثاني

بعض الأحداث الطائفية بمصر

أولا: التطرف الذاتي: وهو خلاف في الراي يحدث داخل الدين الواحد أو المذهب الواحد يظهر أمامنا صورة و مثال لنوع من التطرف داخل الجانب المسلم أضر بالمسلمين أنفسهم قبل غيرهم، فالجماعة الإسلامية التي قتلت السادات في يوم الثلاثاء في ٦ أكتوبر ١٩٨١ ورغم بقاء شريحة منهم مازالت تبر قتل السادات إلا أنه بعد ثلاثين عاماً من الحدث وفي عام ٢٠١١ اعتذر ناجح إبراهيم ومعه كثيرين عن هذا الخطأ، هل كان من الممكن أن يتوقف التاريخ بقدر هذه المدة حتى يتفهم هؤلاء حقيقة خطئهم وتحرم مصر من وضع دولي كان سائدا ساهم بقدر ما في عودة سيناء إلي مصر بهدف استقطابها إلي المعسكر الغربي، لقد تأخر لدي هؤلاء أدرك جوانب الصراع و حجم التأثير الخارجي فيه و بنو إحكاما تجاهلت القوي الحقيقية للمعسكر الآخر الذي يضم الغرب علي اختلاف مذاهبه في معسكرا واحد مع إسرائيل، أضف إلي ذلك التأثر برأي فيلق كان يهاجم السادات في إطار حلبة الصراع علي السلطة،لم يدركوا إن البعد الاستراتيجي في الصراع لن ينتهي بمعركة أو معاهدة ولكنه سيبقي مشتعلاً لتظل النيران تحت الرماد مهما طال الأمد حتى أن يتم تصحيح المعادلة بعودة كامل الأراضي العربية بعد حسم الصراع التاريخي عبر جيل أو عدة أجيال قادمة ،ولقد كان من الصائب أن تعود سيناء حتى يتم صياغة الموقف العسكري والاقتصادي والعلمي من جديد بصورة تسمح لمصر بالقدرة علي فرض سياستها بالقوة وذلك ضمن الأهداف الإستراتيجية طويلة الأمد، وبدلاً من أن تظل سيناء طوال تلك المدة تحت أيد الغزاة، ليسلبوها خيراتها

، كان من البديهي أن تعود بشكل أو بأخر، فالحرب خدعة و مناورة وحين تأتي اللحظة المناسبة سيتم الانقضاض ،هكذا يروي التاريخ ويقول المنطق ، و لقد مرت فترة ليست بالقليلة حتى يعي من نصبو أنفسهم دون توكيل من احد أوصياء علي الأمة، فلكي يقتنعوا أن السلام كان خيار تكتيكياً حتى و أن أعلن السادات عكس ذلك لان الحلبة السياسية تعتمد علي التمويه للصعود لقمة الهدف عبر شتي الطرق.

وللتدليل علي فساد المنهج عند بعض قتلة السادات أن قال عبد السلام فرج أحد مخططي اغتيال السادات في التحقيقات أنه أعطي رخصة لخالد في الهجوم علي بعض محلات الصياغ المسحيين وقد قاموا بغارات من هذا النوع وتمكنوا من الحصول علي نصف كيلو مصوغات ذهبية.[١] هذا ما حدث باسم الدين والدين منه براء فلم تكن الدولة الإسلامية في يوما ما تستحل أموال الذميين بداخلها بل أن الشرع يضمن لغير المسلم حماية المال والعرض والنفس.

ربما كانت الجماعات الإسلامية أفضل من غيرها لأنها أقرت بالخطأ وعادت إلي الصواب ولكن هناك قوي أخري ستظل منغلقة علي أنفسها ولن تستوعب أي شيء حتى لو مرت عليها عشرات القرون و سوف يتركون تراثاً من الفكر المنغلق لورثة اشد انغلاقاً منهم مع التشدق بالدين و زوراً و بهتاناً .

وسوف نري أن تنظيم القاعدة علي الصعيد الدولي استغل من جراء قيامه ببعض أعمال العنف والتفجيرات الانتحارية، فأعطي أمريكا مبررات قوية لاحتلال أفغانستان بعد أن ألصقت به تهم تفجيرات أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وشنت حملة عدوانية أنتهت بغزو أفغانستان ٢٠٠٢ ثم العرق في أبريل ٢٠٠٣، وخسرت الأمة وطنيين تم تدميرهما بالكامل مقابل قتل عدة آلاف من المدنين الأبرياء، وتشير بعض التقديرات أن القتلى في البلدين يقتربون من المليونين مسلم، علاوة علي ما خلفته العمليات الحربية من ملايين

---

[١] راجع، محمد حسنين هيكل بيروت ، خريف الغضب، محمد حسنين هيكل بيروت ،١٩٨٣

المعاقين والجرحى والمتشردين، لقد دمرت مقدرات الأمة بسبب التعصب والجهل بطبيعة موازين القوي.

ولم يسلم الجانب المسيحي نفسه من قوى التعصب ومحاولات فرض الرأي بالقوة ومثال ذلك (ما قام به إبراهيم جلال المحامي القبطي عام **١٩٥٤** مع خمسة شباب أقباط بالهجوم المسلح علي الكاتدرائية بقوة السلاح ودخول المقر البابوي علي الأنبا يوساب؟ حتى غرفة نومه وإجباره علي التوقيع علي وثيقة التنازل عن العرش البطريكي ووثيقة أخري لدعوة المجمع المقدس والمجلس المحلي لإجراء انتخابات جديدة. [١]

لقد كان إيداع يوساب بدير وادي النطرون بقوة السلاح يعكس مدي التطرف داخل أتباع المسيحية نفسها من قبل شباب متطرف، لقد تدخلت الدولة وكشفت المؤامرة و حررت الأنبا يوساب ، هذه صورة أخري لفرض الفكر بالقوة في حين أن المنطق يتطلب مقارنة الرأي بالرأي و الحجة بالحجة، لا تكمن خطورة الانسياق نحو الطائفية في الخوف من التدخل الخارجي لأن الخارج لن يعجز عن إيجاد مبرراته الوحدة تلو الأخرى أذا أتيحت له الفرصة، لن يتردد في اقتناص ما يتاح لتحقيق إغراضه، أن مكمن الخطورة أن يتصور بعض الواهمين من متعصبي الأقباط أن جيوش أمريكا سوف تتحرك من اجلهم بل من اجل مصالح سياسية واقتصادية سوف يستغل الدم المسيحي لتحقيق هذا الفرض فقط بل أن الكنيسة المصرية الأرثوذكسية نفسها لم تسلم من الغرب فقد كانت هدفاً للتبشير الكاثوليكي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والغرب مازالت تقع ضمن هذا المرمي، يعد اخطر ما يحذر منه أصحاب الفكر والدين أن تقود الأقلية المتعصبة في الطرفين السود الأعظم نحو هذا المنحدر السحيق.

ثانيا : بداية الطائفية: عندما نزل نابليون مصر في ١٧٩٨ واحتل القاهرة لم يتعاون معه سوي جرجس القبطي، وعين مفتشا إداريا عام لمصر و الجنرال يعقوب الذي كون لواء قبطي لمساعدة الجنرال دوسيه الفرنسي و كان في طلائع القوة التي كانت

---

[١] محمد حسنين هيكل، مرجع سابق

تهاجم المماليك في صعيد مصر وكان من الدور الوطني لبطريرك الأقباط وقتها أنه أعلن الرضا التام عن دور جرجس الايجابي في تنظيم الإدارة في مرافق الدولة وعارض الدور العسكري الذي قام به يعقوب الذي حاول اقتحام الكنيسة نتيجة الخلاف معها ولكن الجنود لم يتبعوه، ويقال أنه بعد فشل الحملة الفرنسية أنسحب معهم وتشير روايات أخري أنه مات علي الباخرة التي كانت تقله إلي فرنسا وظهرت بداية الطائفية في مطلع القرن العشرين بعد عام ١٩٠٦ حينما قام المواطن إبراهيم الورداني بقتل بطرس باشا نظرا لكونه كان قائد المحكمة التي أصدرت أحكاماً ظالمة وباطلة بالإعدام علي أهالي دنشواي وذلك عام ١٩١٠ وطبقا للنهج الاستعماري قام الأقباط بعقد مؤتمر قبطي عام ١٩١٠لوضع ما سمى وقتها بحق الرد وطبقا لساسة فرق تسد تم المطالبة بحقوق الأقباط وكان الرد من الطرف المسلم هو عقد مؤتمر إسلامي بالقاهرة في العام التالي.[1]

في حين أن مقتل بطرس باشا جاء لكونه رئيس محكمة الظلم وليس بوصفه مسيحيا ويبدو أن الاحتلال حول الأمر إلي اتجاه طائفي، ولكن المصريين تنبهوا للفخ وكانت ثورة الشعب ١٩١٩ هي السبيل لعودة اللحمة من جديد حينما تعانق الهلال مع الصليب ، لقد عاشت مصر أزهى فترات الوفاق الوطني حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ , وكانت الأحداث التي مرت بها الدولة في سلسلة من الحروب المتعاقبة هي الشغل الشاغل للمجتمع المصري،ففي المجال العسكري كانت قلوب المصريين تجتمع على هدف واحد تمثل في رد الاعتبار والكرامة والوطنية وفى المجال الاقتصادي كانت المشاريع الكبرى مثل السد العالي والصناعات الثقيلة بوابة أمل المصريين للعبور نحو المستقبل.

استطاعت مصر أن تقترب من الدول الحديثة وأصبحت على بعد خطوات من الصحوة من غفوتها وأعلن عن برامج كبرى في الصناعات العسكرية والبرامج النووية عام ١٩٦١، انتاب الدول الكبرى القلق من عودة المارد المصري إلى الساحة الدولية وخاصة

[1] محمد حسنين هيكل، مرجع سابق

بعد أن أصبح المد العربي قاب قوسين أو أدنى من توحيد الشعوب العربية واستطاعت مصر أن تلهم الشعوب الأفريقية والأسيوية في ثورات التحرر وتصفية ذيول الاستعمار، بل كانت مصر هي الداعم الأول لتلك الشعوب وهو ما أسهم في التسريع بسقوط الهيمنة الغربية في تلك الفترة، كان لابد لإسرائيل أن تمارس دورها التي أنشئت من أجله ألا وهو استنزاف الدول العربية في حروب دامية تعرقل من النهضة أو صعود مصر كلاعب أساسي على الساحة الدولية.

جاءت حرب ١٩٦٧ لتحقق هذا الغرض بدعم كامل من الغرب وعندما ظهرت القوى الكامنة التي يمتلكها الشعب المصري عام ١٩٧٣ وارتفاع التكاليف التي صاحبت الحرب، تحول الأمر وقتها إلي مناورة غير مباشرة بين المعسكر الشرقي بقيادة روسيا والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة، تخطت أثار الموجهة حدود الإقليم وخاصة بعد استخدام العرب لسلاح البترول في الموجهة، كما أن عدد اليهود في العالم لا يسمح بمزيد من الخسائر البشرية وأصبح من الضرورى تفعيل عوامل أخري تحقق نفس أغراض الخيار العسكري، حتى يتحقق التدمير الذاتي لمصر والدول الغنية داخل منطقة الشرق الأوسط، أضف إلي ذلك تحقيق الإستراتيجية الغربية التي تسعي إلي تدمير الدول الإسلامية، ولكن هذا الهدف يتسم بالمرونة والتنوع، تارة يتم التسريع وتارة يتم والتأجيل والمناورة وفقا للظروف الراهنة والمستجدات التي تؤدى إلى فتح ثغرات يمكن النفاذ منها، لا يتطلب الأمر أكثر من إثارة عوامل الخلاف على أسس مذهبية أو طائفية مع دعم كل ما يؤدى إلى الحروب الأهلية الإقليمية وكان ملف الفتنة الطائفية في مصر من أحد العوامل التي يمكن للقوى الغربية إزكائه داخل المجتمع المصري بهدف تدمير مصر وعرقلة النهضة الشاملة بجانب العديد من الملفات الأخرى التي يمكن أن تحقق ذات الهدف .

لم تكن الطائفية هي المدخل الوحيد، فلقد كانت هناك حجج وأساليب متنوعة تسير في نفس الاتجاه من استنزاف ثروات الشعوب ودعم الأنظمة الدكتاتورية فى الخفاء ونقدها في العلن بهدف خلق توتر داخلي يؤدى إلي صراع علي السلطة تستخدم فيه الوسائل الإجرامية وهو ما يعوق عمليات البناء , في السابق كانت الحملات الصليبية على العالم

العربي تتخذ من شعار حماية المسيحيين في الشرق الأوسط وسيلة لخوض موجة استعمارية ضد هذه المنطقة من العالم، والآن في حال توتر الوضع الداخلي سيكون حماية المسحيين هو المدخل الجديد لتحقيق الرغبة الكامنة لدى الغرب بهدف الاستحواذ علي المنطقة .

تأتى أهمية ربط ما يحدث الآن في مصر من تنامي للعنف الطائفي من قبل مجموعة محددة وضالة تحاول جر المجموع الكلى للسكان نحو مواجهة لا يحمد عقباها وما حدث في الماضي من استغلال قضايا داخلية بهدف التدخل إلي التذكير بخطورة الموقف من أجل الوصول إلي حلول عملية وعادلة تحقق التعايش المشترك على تراب هذه الأرض، وحتى وأن لم يكن هناك خطر التدخل الخارجي فمن العار التعامل بغطرسة مع الأقلية فلن يغفر الضمير الإنساني لدى المصريين كشعب تميز بالتسامح،أن تاستأسد الأغلبية المسلمة على أخوتهم في الوطن، ومن هنا آن لكل الرموز في آن واحد أن تسرع الخطي نحو لملمة نتائج أي حدث طائفي بغض النظر عن العوامل الخارجية حتى لا تتحول حالات الغضب إلى درجة يصعب التحكم فيها،عند اندلا ع أي شرارة للفتنة، وخاصة أن المدخل الذي يحرك تلك الجموع هي الغيرة الزائفة على الدين من قبل كل الجهلاء أو المتعصبين من الطرفين.

ولكن ما يحمد أن كل ضحايا الطائفية في مصر منذ اندلا ع شرارتها في بداية الثمانينات حتى الآن لا تتجاوز بضع عشرات من القتلى أو ما لا يزيد عن مأتيين تقريباً وبضع مئات من الجرحى، وهو رقم لا يتجاوز حادث تصادم أتوبيسين أو بعض الحوادث المتوسط التي يمكن أن تقع في ثواني معدودة، ولكن التصعيد الإعلامي من القنوات الفضائية التي تسعى للإثارة من أجل جذب المعلن تحت شعار الشفافية أوسوء القصد في العديد من المواقع الإلكترونية المشبوهة التي تعمل على تضخيم الأمور إلى درجة لا يمكن معها ضبط النفس وذلك من خلال أعداء الوطن أو المتعصبين هى المحرك الأكبر نحو التصعيد والتضخيم.

يشير البعض أن بدايات الفتنة الطائفية في مصر كانت عند دخول الحملة الفرنسية؛ إذ تعاون أحد التجار المسيحيين واسمه المعلم يعقوب بن حنا مع الحملة الفرنسية، وقام بتشكيل قوة عسكرية من مسيحيي مصر قوامها ألفا جندي، وشارك في

قتل المصريين، وقمع ثورات التحرير، ورغم هذه الخيانة فإن الخلافة العثمانية بعد جلاء الحملة الفرنسية قامت بالعفو عن الخونة الذين قاتلوا المصريين؛ وذلك بهدف احتواء ما يمكن أن يحدث من فتنة طائفية لو تم القصاص من ألفي مسيحي خانوا الوطن.

وبعد جلاء الحملة الفرنسية وضعت إنجلترا عينها على احتلال مصر، لذا دبرت حادث العربجي والمالطي الشهير في التاريخ؛ ليتطور الأمر من شجار على أجرة توصيل إلى قيام المالطي بقتل المصري، وحدوث اشتباكات بين المصريين والأجانب، وهنا تدخلت إنجلترا بحجة حماية الأجانب، وقامت باحتلال مصر لمدة سبعين سنة، وحاولت خلالها إثارة الفتنة الطائفية، ولكن الشعب المصري تنبَّه لمؤامرتهم، وفوَّت الفرصة عليهم وتمسك المصريين في مواجهة الاحتلال بالمواطنة كدستور وسلوك وطريقة حياة للتعايش السلمي وفى الثلاثينات من القرن العشرين تزامن مع قيام تنظيم الإخوان المسلمين، مع نشأت تنظم الأمة القبطية قبل الثورة، ويري فيلق من الباحثين إن التوتر تأريخا يرجع إلى بدايات تأسيس جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ وصفت أدبيات الإخوان المسلمين أقباط مصر (بالذمّيين) وإن (عليهم دفع الجزية)وإن مرشد الأخوان السابق مصطفى مشهور قال (أنه يقبل بمسلم من ماليزيا بحكم مصر ولا يقبل بقبطي مصري أن يحكم مصر)ولكن من حسن الطالع أن منهج الأخوان تغير وأصبح ينظر إلى المواطنة كحق أصيل للمسحيين وتوج ذلك بوجود ئائب مسيحي لحزب الحرية والعدالة المنبثق من الجماعة عقب الثورة وهو المفكر الدكتور رفيق حبيب في انتخابات ٢٠١١ ونواب آخرين علي قائمة الحزب وهو ما يعد تصحيحا لمفهوم المواطنة.

ويرى باحثين إلى أن بداية وجود الفتنة الطائفية بمصر ظهر مع وصول البابا شنودة لكرسي البابوية؛ حيث سعى لإنشاء تنظيم مسيحي سري يسمى الأمة القبطية، وكان من أهدافه إنشاء دولة مسيحية في مصر، وسعى منذ توليه البابوية إلى تحقيق حلمه هذا ، و أن من إرهاصات مشروع البابا بإقامة دولة مسيحية في مصر هو تسييس الكنيسة، وهو ما يتنافى مع مبادئ المسيحية، وكذلك قام بتنظيم أقباط المهجر ليصيروا عنصر هجوم على الدولة المسلمة والإسلام من خارج مصر، وبعد تولي البابا شنودة البابوية بعام واحد

(أي في ١٩٧٢م)، ظهرت الفتنة الطائفية بأحداث الخانكة.

وبعد قيام الثورة ونظراً إلى أن حركة الضباط الأحرار لم يكن بها مسلمين حاول الرئيس جمال عبد الناصر إزالة هواجس الطائفية لدى المسيحيين وذلك من خلال تحقيق حلم البطريق كيرلس السادس الذي كان يسعى من خلاله لإقامة كاتدرائية لأقباط المرقصية بتكلفة وصلت وقتها إلى ٢ مليون جنيه وهو ما يؤكد أن الميراث الطيب الذي ترسخ عند المصريين استمر بعد الثورة وحتى عام ١٩٧٠ لم تحدث أي شائبة، الدولة ساهمت في بناء الكاتدرائية بمبلغ نصف مليون جنيه ، نصفها دفع نقدا والنصف الآخر عبارة عن قيام شركات القطاع العام بالبناء وتم وضع حجر الأساس لها فى ٤ مايو ١٩٦٥ وتم الانتهاء من البناء فى ٢٥يوليو ١٩٦٨ .[١]

أكد المفكر سمير مرقص أن حادثة إخميم عام ١٩٧٠ كانت هي بداية اشتعال شرارة الطائفية في مصر وهو ما أدى إلى حالة من الاحتقان بين الطرفين، ولكن اللافت للنظر ان بوادر الطائفية تزامنة مع تصاعد حرب الاستنزاف وارتفاع تكلفة العمليات الفدائية على الجبهة الإسرائيلية وهو ما يشي بنوايا صهيونية لبث المزيد من التعصب لمنع صحوة العملاق المصري من جديد والاستئثار بسيناء.

اشتعلت الشرارة الساخنة لتلك الفتنة في ٦ / ١١ / ١٩٧٢ وذلك بسبب قيام جمعية الكتاب المقدس ببدء الصلاة بمقر الجمعية التي أنشأتها تمهيدا لتحويلها إلى كنيسة على الرغم من عدم حصولها على ترخيص وهو ما أدى إلى حدوث مواجهات اشتعلت بين الجانبين عندما قام أحد الأقباط بإطلاق النيران على المتظاهرين المسلمين الذين قاموا بالتوجه إلى منزله وأماكن التجمعات التي يقطنها المسيحيين بالخانكة وأحرقوها وأتلفوها.[٢]

ولكن البعض يرجع سبب تحرك تلك التجمعات إلى قيام عدد كبير من القساوسة

---

[١] محمد حسنين هيكل، مرجع سابق

[٢] الأقباط متحدون،١٢/١٠/٢٠١٠، ومصادر أخري

وما يزيد عن ألف كاهن بمسيرة لاستعراض القوة وساروا حتى قصر الجمعية وأقاموا الصلاة فيها وكان رد الفعل هو التوجه إلى الخانكة، وباستعراض ما سبق سوف نجد أن المشكلة هي قيام المسيحيين نتيجة لعدم أو صعوبة الحصول على تراخيص ببناء كنيسة باللجوء إلى طرق غير قانونية لبناء كنيسة ولكن يجب أن ألا ننسى أن عمليات التضييق على بناء كنائس كانت من الأخطاء التي وقعت فيها الحكومات المصرية المتعاقبة فطالما أنهم سوف يقومون تلك الكنائس على أراضى مملوكة لهم وبأموالهم لا يجب الوقوف ضد ذلك، ولكن حسب القانون الذي يحكم البلاد كان الوضع خطأ ومخالفة من قبل المسيحيين، وربما كان هناك من ينفخ فى النيران تحت الهشيم لتبرز مرحلة جديدة من الموجهات الطائفية.

وكان أيضا رد الفعل من تجاه المسلمين أكثر خطورة ومخالف للقانون والدستور الأخلاقي غير المكتوب فالدين الإسلامي لن يتضرر من بناء كنيسة أو أكثر، ولكن اللافت للنظر هو خروج ما يزيد عن ألف كاهن وقسيس، كيف تم الترتيب لهذا التجمع تحت راية تنظيم الأمة القبطية يبدوا أن تحت النار رماد فهذا التنظيم الذي تزامنت نشأته مع قيام تنظيم الإخوان المسلمين فيما يبدوا أنه كان يكرس للطائفية والدليل هذا الخروج الكثيف لقد صمموا على الصلاة في الجمعية وتم ذلك بالفعل رغم علمهم بأن فرضية المواجهة من الناحية العملية قائمة، لقد نجحت فكرتهم فى تحويل الجمعية إلي كنيسة ، السؤال لماذا تم هذا الحشد، طالما ان الهدف قد تحقق ما جدوي هذه المظاهرة، بالتاكيد أن هناك من كان يحاول زعزعة الجبهة الداخلية وهناك من أستجاب لذلك.

لا يوجد أي اعتراض من عاقل على ممارسة حق العبادة ولكن الأمر مثار شك ليس فيما يتعلق بالحقوق الدينية، إنما في الرد على التعصب بالتعصب وأن التنظيم لم يقرأ الأحداث جيدا فجماعة الإخوان المسلمين تم التضييق عليها حتى فيما بعد الثورة وفى حادثة المنشية ثم ممارسة كل صنوف القمع ضدها وهذا يؤكد لأي صاحب فكر أن القيادة السياسية لم تكن تكرس للطائفية بالتميز لطرف على حساب الطرف الأخر، يتضح أن تحريك أحداث عام ١٩٧٢ كان بدعم من مؤسسي منظمة الأمة القبطية

المتشددة، والتي قامت عام ١٩٥٤ باختطاف البطريرك الأنبا يوسف الثاني وإجباره على توقيع الاستقالة في ظروف غامضة وكان من أهداف هذا التنظيم هو إقامة دولة قبطية باستعمال القوة المسلحة وتم حل الجماعة.

استمرت محاولات التهدئة عقب كنيسة الخانكة وتم الاكتفاء بإجراء المصلحة ولم يتم تقديم مثيري الفتنة إلى المحاكمة وكان هذا الأمر خطأ كبير وهو ما جعل هيبة الدولة غائبة عن المشهد، انتقلت الأحداث الطائفية إلى محافظة المنيا شمال مصر وتم اغتيال القس غبريال عبد المتجلي كاهن الكنيسة التوفيقية بسمالوط بالمنيا وارتفعت وتيرة العنف والمنشورات التي تكفر المسيحيين في عام١٩٧٩ وتطالب بقتلهم وترحيلهم من مصر، كفكر متعصب في مواجهة أطروحة الأمة القبطية، وكلا الفريقين في هذا الصدد لم يكونوا على صواب، وأحرقت كنيسة أثرية بمصر القديمة وفى عام ١٩٨٠ , اعتدى بعض الأفراد من الطلاب المنتمين للجماعات الإسلامية على بعض الطلاب المسيحيين المقيمين داخل المدينة الجامعية بالإسكندرية في يونيو ١٩٨١ م [١] وهو ما كان بمثابة تحدى للدولة التي كفلت حقوق المصريين على حد السواء في أحقية الإقامة بالمدن الجامعية، الحادث كان نقطة تحول نحو تنامي التعصب وارتفاع مؤشر التعصب في شرائح الشباب وهو ما يؤسس للتطرف الذي عادة ما تكون بذوره الفاعلة لدى قطاعات الشباب في سن مبكرة وتنمو معهم في الكبر، ولم تكن هناك حلول ناجحة فى مواجهة التطرف الديني في مصر وهو ما يمهد لنجاح عمليات الاختراق التي تسعى إليها أجهزة المخابرات بهدف ضرب العمق المصري بسلاح الطائفية، وسوف نسرد فيما يلي نموذج من الأحداث الطائفية وفقاً لتصنيف نوعى لعل ذلك يسهم في اجتثاث بذور التعصب من شأفتها حتى تنعم الأمة المصرية بالاستقرار والسلام الاجتماعي

ثالثا : حوادث بسبب المعاملات اليومية: تقترن الحياة وأمورها بمشاكل لن تنتهى وسوف تكرر ولكن مكمن الخطورة في أن تلبس هذه الصراعات الحياتية ثوب الطائفية لمجرد

---

[١] راجع تقرير سليمان نجيب، الحوار المتمدين، العدد ٥٢٧، ٢٠٠٣/٦/٢٨

أن أحد طرفيها مسلم والأخر مسيحي فى حين أنها بعيدة كل البعد عن أمور الدين ، وتدلل الأحداث المؤسفة في الكشح علي ذلك فتلك القرية البائسة تتبع مركز دار السلام بمحافظة سوهاج وتبلغ مساحتها نحو ٦ كليو مترات وتتكون القرية من ١٨ عائلة منها ٤ عائلات مسلمة وتضم نحو ٥ كنائس وأربع مساجد.[١] والقرية تتميز بكونها تجارية ويوجد بها نحو ٥٣٢ محالا وورشة صغيرة يمتلك القباط منها نحو ٥١٧ منشأة. [٢]

١- **فى حادثةالكشح الأولي:** كانت الفاجعة الكبرى عندما اكتشفت أسرتي سمير عويضة وكرم تامر جثتيهما ليلة الرابع عشر من أغسطس ١٩٩٨ م ملقيتان علي مشارف القرية، وهناك رواية مفادها أن الحادث كان رد بالثأر على وفاة المدعو " حارس الدسوقى حسن " من عائلة الكراشوة , مع أن حارس الدسوقى حسن توفى فى منزله حيث وجدوه صباحاً ميتاً فى فراشة ,إلا أن عائلة الكراشوة ظنت أن سمير عويضة وكرم تامر القتيلين وراء وفاته بالسم نظراً لعلاقتهما السابقةحسب المصادر المسيحية، توسع مدى الحادث ليصبح عويل لعشرات الأسر المسيحية التي اعتقلت الشرطة أبنائها للوصول الي قاتل الشابين القبطيين. وقتها تعرض المسيحيون المحتجزون لتعذيب بالغ من الأمن الذي أصر علي أن القاتل قبطي وأصبحت الحادثة مصدراً ثريا للصحافة الدولية أياما عديدة.[٣]

وهناك مزاعم من قبل المحتجزين في القضية تؤكد بأنهم تعرضوا للتعذيب أثناء الاستجواب بتعليقهم من السقف بصورة معكوسة أو تعرضهم إلى صعقات كهربائية أو إجبارهم الوقوف ساعات طويلة في وضع الصليب، وكان العلاج الأمني ينم عن ضعف في الإمساك بخيوط الجريمة لمحاكمة الجناة، وبدلا من بذل العناية المهنية في التحري

---

[١] جريدة العربي، العدد ٦٢٣، ٢٠٠٠/٢/٢٤

[٢] مجلة المصور، ٢٠٠٢/١/١٤

[٣] موقع جهاد عودة .www.gehadauoda، وجريدة العربي، العدد ٦٢٣، ٢٠٠٠/٢/٢٢، ومصادر أخري

والحصول على أدلة أثبات قاطعة، لجيء المحققون إلى التعذيب لسلب الاعتراف من المقبوض عليهم بالتعذيب وهو ما قوض الأمر برمته أمام القضاء لضعف الأدلة وثبوت عمليات التعذيب وهو ما جعل الأحكام غير رادعة في حين أن الخطأ الجسيم كان في غياب الصياغة القانونية المحترفة للجريمة، وهذا النهج كان أسلوباً متبعا من الشرطة المصرية فى التعامل فى معظم القضايا المختلفة وهو ما أدى إلي إفشال القصاص العادل وشجع على عدم احترام القانون لضعف القائمين عليه وعدم قدرتهم على تقديم قضية مستوفاة من حيث كامل الزوايا القانونية ، كانت بعض أساليب الشرطة في استجواب ١٠٠٠ محتجز في قضية الكشح ١٩٩٨ غير قانونية وقد اضطر هذا الحكومة المصرية إلى تحويل ٤ من جهاز الشرطة إلى القضاء إلا أنه تم تبرئتهم لاحقا، أوضح حادث الكشح مدى الجهل الطائفي والغيرة الزائفة من قبل البعض باسم الدين فالمجتمع الصعيدي بطبعه متعصب للعائلة والقرية والمحافظة والدين وهذا التعصب باطل لأنه يؤدى إلى انتهاك حرمات النفس البشرية فى وقت الغضب بما يفوق التصور

٢- **الكشح الثانية**: وقعت أعمال عنف واضطرابات في منطقة الكشح مرة أخري، أدت إلى مقتل ٢٠ شخصا كان ١٩ منهم من أتباع الكنيسة القبطية وأصيب ٣٣ آخرون بجروح، استنادا إلى إفادات رسمية عن الحادث فإن خلافا وقع بين تاجر قبطي وأحد الزبائن المسلمين عشية رأس السنة في ٣١ ديسمبر ١٩٩٩ كان السبب وراء اندلا ع المواجهات نزاع بين صاحب متجر مسيحي واسمه راشد فاهم مع سيدة وتدخل مسلم وطلب الأعتذار ولمن المسيحي رفض الاعتذار لزبون مسلم، فتطور الأمر إلى أن أطلق عليه الأخير النار، وأصاب ثلاثة من المارة واستنادا إلى تصريحات الأسقف ويصا فإن البنادق استخدمت، لمهاجمة مساكن ومتاجر المسيحيين، بعد صلاة يوم الأحد وتم إحراق عدد من المتاجر والمكاتب المملوكة لمسيحيين وتم إضرام النار في ٢١ مبنى على الأقل وعدداً من السيارات واستنادا إلى القس ويصا من قرية البلينا المجاورة فإن عمليات نهب وحرق مساكن ومتاجر المسيحيين قد انتشرت إلى ٤ قرى أخرى بحلول يوم الاثنين، قامت قوات

الشرطة المصرية بفرض حظر التجول على المنطقة وبدأت بإجراء تحقيق في الأحداث

وهناك رواية أخرى مفاده إن بائع فواكه مسلم اسمه فائز عواد حاول أن يشتري بعض الأقمشة من تاجر أقمشة قبطي على أن يدفع الثمن لاحقا واسم تاجر الأقمشة كان راشد فاهم إلا أن فاهم رفض العرض وحسب بعض المزاعم قام بإهانة بائع الفواكه الذي عاد بعد يومين مع اثنين من إخوته مطالبا تاجر الأقمشة بتقديم اعتذار وعند رفض فاهم الاعتذار نشب شجار وانتهى بطلاقات نارية وحسب الرواية فإن شخصا مجهولا قام بطلب النجدة من أهالي الحي الذين هب بعضهم للنجدة مع بنادقهم، وانتهيت الحداث في ٢/١/٢٠٠٠ بتدخل قوات المن المركزي للفصل بين الطرفين.[١]

وقد استمر التوتر في الكشح لشهور بعد هذه الحادثة وشهدت فترة التحقيقات أعمال عنف أخرى أقل حدة إلا أنها كانت مؤشرا على الجو المشحون في القرية فبعد ٣ أشهر من حادثة الكشح نقل مدرس مسلم إلى المستشفي مصابا بجروح خطيرة في رأسه بعد أن اعتدى عليه بالضرب طالبان مسيحيان رفضا حضور فصله الدراسي، وقد اعتقل الطالبان وباشرت الشرطة التحقيق معهما إلا أن الأنبا ويصا أسقف الكنيسة القبطية في مركز البلينا الذي تتبعه قرية الكشح صرح بأن «المدرسين المسلمين هم الذين يسيئون معاملة تلاميذهم الأقباط.

تجلى الفشل الحكومي فى أبرز صوره لحل هذه المشكلة وجاء الحل العبقري بعد يومين من اندلا ع المواجهات الطائفية في الكشح في ٣١ ديسمبر ١٩٩٩، بتغير اسم المدينة إلى دار السلام ويرجع سبب تغيير الاسم إلى كون كلمة الكشح قد تعني في لغة صعيد مصر إضمار العداوة، وبرر المسئولون ذلك بأن تغيير الاسم يعطي إيحاء بشيوع روح جديدة، تلك الحكومة العقيمة تصورت أن المشكلة في تغير الاسم، تمخض الجبل فولد فأر، هناك أسماء كثيرة وألقاب عائلات لها معاني سيئة ورغم ذلك يعتز بها مثل لقب

[١] راجع موقع جهاد عودة www.gehadauoda.، ومصطفي عبد الرازق، بو ابة الوفد.

عائلة الجحش والطور والحيوان والنتن والجربوع وغيرها ولم يشعر ذويها بأي أهانه، الحكومة غيرت الاسم.. هل هذا هو الحل!!

تركت الحكومة للقضاء المصري حرية معالجة ما جري، وتأثر القضاء في أحكامه بحساسية الموقف، فأصدر أحكاما مخففه أملا في عودة العلاقات كما كانت عليه، وتاركا الأمل في لم الشمل بين المسلمين والمسيحيين في صعيد مصر إلي مبادرات التصالح الذاتي، ولكن الأقباط اعتبروا الأحكام المخففة تعاونا من أجهزة الدولة مع بعض العناصر ضد الهوية القبطية، وتم تقديم ٩٦ شخص للمحاكمة في هذه القضية وبعد فحص دقيق أصدرت محكمة الاستئناف المصرية حكمها بالإفراج عن ٩٢ منهم وتم إدانة ٤ متهمين، صدرت أحكاماً الحبس لمدد تتراوح ما بين ١٠ سنوات وسنتين وسنة واحدة، فقد أصدرت المحكمة أحكاما على أربعة أشخاص فقط من بين ستة وتسعين متهما وكانت أقسى العقوبات هي الحكم بالسجن لمدة عشر سنوات على أحد المتهمين بالقتل غير المتعمد وحيازته على أحد الأسلحة وحكمت المحكمة على ثلاثة آخرين بالسجن لمدة عام أو عامين .[١]

ألقى باللوم على ثلاثة رجال دين أقباط الذين وحسب رأي القاضي كانوا عاملا في ازدياد حدة التوتر، وطلب القاضي من بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقصية شنودة الثالث اتخاذ إجراءات بحقهم مما اعتبره بعض الأقباط تدخلا من الدولة في الشؤون الدينية للكنيسة ومحاولة للضغط على قيادات الكنيسة التي يعتبرها الأقباط مكانا للعبادة فقط ، كما كان هذا الطلب بمثابة تنازل من قبل القضاء عن دوره في محاكمة كل المصرين أمام جهة وحدة تساوي بين رعايا الوطن في الحقوق والواجبات ، ومن الجدير بالذكر أن الشرطة المصرية أصدرت أمرا بإلقاء القبض على القس جبرائيل عبد المسيح بتهمة إطلاق النار على سكان قرية الكشح من المسلمين وكان مكتب المدعي العام قد اتهم القس عبد المسيح بتشكيل عصابة هاجمت السكان، وبالتأمر وتخريب الممتلكات، والشروع في

[١] بوابة تقارير العرب والغرب، ٢٠٠١/٣/٥

القتل، وبحيازة أسلحة ممنوعة إلا أن مكتب المدعي العام برأ ساحة عبد المسيح لاحقا، ربما حدث ذلك من باب الاحتواء أو تهدئة الأمور، القضاء والقصاص تحول إلي سجال فغابت عن المشهد قوة القانون وهيبة الردع وهو ما أدى إلى التمادي في هذا الهراء والعبث بمقدرات الوطن

أشرف علي التحقيقات ستة عشر رئيسا لنيابة أمن الدولة تحت إشراف المحامي العام الأول وكان نتيجة الحكم مخيبا لآمال العديد من الأقباط ومنهم الأنبا بسنتي أسقف حلوان الذي صرح وقتها أن الحكم لم يكن مناسبا مع حجم الحادثة وصرح الأنبا ويصا أسقف البليانة التي تتبعها بلدة الكشح «لقد قتل ٢٠ مسيحيا ولم ينتحروا، ومع ذلك تمت تبرئة القتلة ورفض الأنبا شنودة الثالث القرارات التي أصدرتها المحكمة وقال «إن هذه الأحكام غير مقبولة». وكانت هناك بعض المزاعم إنه كانت بين الضحايا طفلة بعمر ١١ سنة ورجل كهل بعمر ٨٥ سنة وهذه المزاعم ينفيها البعض، وهنا يجب ألا يستوقفنا رفض هذا أو رضاء ذاك، ما يجب أن يستوقفنا هو سرعة الحسم والتواجد الأمني السريع والتعامل بالذخيرة الحية مباشرة دون أي تردد وإرغام المعتدى على الانصياع مهما كان الثمن أو عدد من يسقط من مثيري الفتنة.[(١)]

قامت الحكومة المصرية بدفع تعويضات لأسر ضحايا حادثة الكشح واستنادا إلى أمينة الجندي وزيرة الشؤون الاجتماعية الحكومة المصرية آنذاك فإن الحكومة قررت دفع تعويض مالي بقيمة ٩٠٠ دولار (٥٠٠٠ جنيه تقريبا) لكل أسرة فقدت أحدا من ذويها في أعمال العنف وتم دفع٣٠٠ دولار (١٥٠٠ جنيه تقريبا) للجرحى أو الذين تضررت ممتلكاتهم من جراء حادثة الكشح ولكن بعض سكان القرية اعتبروا المعونات التي قدمتها الحكومة المصرية «ليست مناسبة».[(٢)]

وبعد شهور من أحداث الكشح غيرت المنظمة المصرية لحقوق الإنسان رأيها في

---

(١) موقع جهاد عودة، مرجع سابق

(٢) بي بيس ي أونلاين، ٢٠٠٠/١/١٨

الحادثة وقالت في مؤتمر صحفي عقدته في القاهرة وإن إحداث العنف تلك كانت تلقائية لا بتخطيط مسبق وأنها كانت نتيجة لعوامل اجتماعية واقتصادية وليست لأسباب دينية ولكن الأقباط اتهموا الصحفيين الذين شاركوا في المؤتمر الصحفي المنظمة بالخضوع لضغوط من الحكومة،ولكن الحقيقة تؤكد أن الجهل والتعصب هما السبب،و تحاول بعض التيارات في مصر التقليل من أهمية حادثة الكشح وحوادث مماثلة تشير إلى نوع من توتر العلاقات بين بعض الأقباط والمسلمين وقام البعض بإجراء دراسات للوصول إلى الجذور العميقة للتوتر بين الفئتين في بعض مناطق مصر وأستخلص البعض إلى هذه العوامل.

لقد تحولت الكنيسة إلي وسيط بين المواطن المسيحي وبين الدولة، وحسب اعتقاد البعض فإن المواطن يذهب إلي الكنيسة أولا لتقديم طلبه أو شكواه والذي يتم تمريره ومتابعته عن طريق «مكاتب الاتصال» مع أجهزة الدولة. ومن ثم انعزال المواطن المسيحي في كنيسته لاعتقاده إنه لن يجد الحماية في أجهزة الدولة؛ مما يؤدي حسب اعتقاد البعض إلى تحول ولاء المواطن إلي كنيسته قبل أن يكون لحكومة دولته، وفي ذات الوقت تولد اعتقاد لدى المواطنين المسلمين بأن بعض الأقباط داخل مصر يتلقون أموالاً من أقباط المهجر، و من حكومات غربية بهدف نشر فكرة حرية الأديان وحقوق الإنسان، كما ساد اعتقاد لدى البعض بان هناك تفرقة شديدة في المعاملة من قبل أجهزة الدولة لصالح المسيحيين،مع وجود قناعة سيطرت على بعض المسلمين مفادها بإن الحالة الاجتماعية للمسلمين المصريين في تردي بسبب انتشار الفقر والمرض، في الوقت الذي يزعمون إن الأقباط يسيطرون على ٤٠% من حجم الأعمال في مصر رغم أنهم لا يمثلون سوي ١٠% من تعداد السكان، ومن جهة أخرى يعتقد بعض الأقباط أن هناك حملة شبه منظمة تحاول مسح الهوية القبطية، ويورد هذا التيار هذه الأمثلة فمنها ما يعتبره بعض الأقباط سياسة الكيل بمكيالين من ناحية تعامل القضاء المصري في التعامل مع العنف الموجه إلى بعض الأقباط، أو عمليات تخريبية من قبل البعض تجاه الكنائس، أو الرموز القبطية أضف إلي ذلك غياب التمثيل النسبي العادل للأقباط في مؤسسات الدولة، والمجالس المنتخبة والبعض منهم يطالب بنسبة تمثيل قدرها ١٥% – ٢٠% وهو ما

يرفضه البعض بحجة أن المسحيين لايمثلون سوي ٥% من السكان، وأن كانت المشكلة السياسية في ضعف كفاءة ممثلي الشعب في المجالس النيابية المتعاقبة وليس في طائفية التمثيل، وتشير احصائيات أخري أن الأقباط يسيطرون علي ٤٠% من صيدليات مصر ومعظم شركات الدوية و٤٥% من محلات الذهب.[1] وفي الحقيقة لايمكن أن تكون كفاءة المسحيين الاقتصادية مصدراً للنقد؛ فالاقتصاد دائما ملك الأكثر كفاءة، أو من يفهم طبيعة السوق ويستطيع السيطرة عليه، وتلك هي أليات الاقتصاد الحر، وهم أحق بالسوق المصري من الأجانب، ولا يمكن أن يبرر بعض المسلمين وهنهم وتكاسلهم بسيطرة المسحيين علي الاقتصاد فمن يعمل ويجتهد يسيطر.

يتضح من حادثي الكشح أن الأمر في بدايته كان حادثاً ماديا وخلاف على البيع والشراء، ولكنه تحول مع بالغ الأسف إلى أجرام وغباء في الفعل ورد الفعل، فمن حق البائع أن يضع شروط البيع سواء كان ذلك بيعاً أجلاً أو نقدياً، فهل قدر مصر أن تتحمل هذا العته؟ كفعل ورد فعل في آن واحد ؟فمن المؤسف أن جرائم القتل في المشاجرات بصفة عامة يستطيع المحامون بمهارة الوصول إلى العديد من الثغرات التي تكون تجهضالحقيقة، وبالتالي تكون الأحكام أقل من المستوى المرضى والعادل، وهو ما يكون غير مقبول في الطائفية، وقد يتصوره البعض انحيازاً، علينا أن ننظر إلى كل الأحكام التي تصدر في الجنايات وأحدث القتل التي تقع على أرض الدولة المصرية، سوف نجد بلا مبالغة أنها تسير في نفس المستوي، بيد أن هذا الأمر يجب أن يتغير في الحوادث الطائفية لتحقيق الردع الكامل لمنع الاعتداء على النفس البشرية.

سرقة التليفون المحمول: تطل علينا حادثة أخري عندما سرق التليفون المحمول الخاص بجوزيف جرجس من محله بمركز أسنا بمحافظة المنيا ، ولكون السيدة محل الشك منتقبة، فما كان منه ألا أن أخفي ديانته المسيحية عنها منتحلا صفة ضابط شرطة ليؤكد شكه أو ينفيه، وطلب من السيدة رفع النقاب ليتحقق من شخصيتها الأمر

---

[1] مصطفي الكومي، الحوار المتمدين، العدد ٢٨٩٦، ٢٠١٠/١/٢٢.

الذي رفضته فحاول بالقوة تنفيذ ما يريد؛ وأدي ذلك لتدخل عدد من المسلمين الذين اصطحبوه إلي قسم الشرطة الذي أحال جوزيف جرجس إلي النيابة بتهمة انتحال صفة ضابط شرطة، ورغم ذلك وجد عدد من مسلمي إسنا بمحافظة قنا التي وقع بها الحادث أن ذلك لا يكفي فكانت أحداث ١٦و ١٧ديسمبر٢٠٠٧ التي تمثلت في الاعتداء علي كنيسة العذراء وثمانية وعشرين محلا مملوكاً لأقباط. [1]

تبدو لنا أن الحادثة عبارة عن معاملات عادية، بني على تصرف جوزيف الخاطئ موقف أكثر خطورة ورد فعل جنوني ، كان عليه استدعاء أي سيدة لتفتيشها كحل ودي بالتوافق أو طلب الشرطة، أخيراً استقر الأمر في قبضة الشرطة وهنا كان على الجميع ترك الواقعة للقانون، المشكلة التي تعزف عليها وتستغلها القوى الخارجية المحرضة هي الجهل والتعصب، لم يكن للكنيسة أي ذنب حتى يعتدي عليها، مساحة الجهل والتعصب المرضى حتى فيما بين المصريين وبعضهم البعض داخل الطائفة الواحدة هو محور الاختراق لبث الطائفية، الاعتداء على المال والكنيسة خارج نطاق المشكلة

تسابق سائقين: شهدت أيضا قريتي حجدم والعزبة بوادر توتر وذلك بسبب تنافس سائقين تابعان للقريتين على أسبقية المرور في الطريق بينهما؛ مما تسبب في خلاف بينهما أدى إلى تبادل إطلاق النار، نوعا من السلوك العشوائي بين سائقين لم يلتزما بقواعد المرور وكل المشكلة أن أحدهما مسلم والأخر مسيحي، كان من الممكن أن يتطور الخلاف بينهما إلى فتنة طائفية دون دخل للدين في القضية، هل تحول المجتمع إلى قطيع تهدده أقل الطبقات ثقافة وعلما ودينا وأخلاقا؛ لتجره نحو منزلق التناحر؛ لو أن رصاصة واحدة أصابت أي شخص أو طفل أو امرأة من الرصاص الطائش؛ عندها المشكلة كانت ستتحول إلى صراع ديني والدين منها براء، كاد مرور جرار زراعي أن يشعل فتنة طائفية أخرى في أسيوط وأن أغرب ما يدعو للسخرية أن ذلك بسبب تصاعد بعض الأتربة عند مرور الجرار مسرعا من أمام أحد المنازل.

[1] موسوعة اقباط مصر، ومصادر أخرى.

الخلاف على سعر كليو سكر: مشاجرة أخرى بين مسلم ومسيحي بسبب الخلاف على سعر كيلو سكر بقرية بجهورة بنجع حمادي؛ خلال شهر مايو ٢٠١١، ورغم الفراغ الأمني تحركت قوة من الجيش والشرطة لمنع المصادمات فكان الخلاف الذي حرك المشكلة هو قيام مزارع مسلم بالشراء من بقال مسيحي، وبسبب الخلاف على سعر الكيلو تطور الأمر إلى مشاجرة بالزجاجات الفارغة، أسفرت عن إصابة المسلم بقطع شريان الرقبة انتقل على إثرها إلى مستشفى أسيوط الجامعي، والثاني أصيب بإصابات متفرقة نقل على إثرها إلى مستشفى أسيوط العام [١]

قطع أذن مسيحي بسبب خلافات: تعد حادثة قطع أذن مواطن مسيحي في محافظة قنا من الحوادث التي تشير إلى غياب يد القانون في مصر، لقد تعرض أيمن ديمتري لعملية قطع الأذن داخل محافظة قنا وذلك عن طريق ٨ أفراد وتطور الأمر إلى إحراق مسكن هذا المواطن والحادثة لها أكثر من رواية.

جاءت الرواية الأولى على يد بعض السلفيين ذلك بدعوى إقامة الحد نتيجة قيام أيمن ديمتري بإقامة علاقة آثمة مع سيدة مسلمة أعقبها الهجوم على شقته وتكسير محتوياتها وإحراقها وإحراق سيارته، على عكس ذلك جاءت الرواية الثانية من خلال محضر رسمي بالشرطة يحمل رقم ٩٩٣ لسنة ٢٠١١ قسم شرطة قنا قام أيمن ديمتري فيه باتهام حسين علاء وآخرين بالاعتداء عليه وحرق شقته وقطع أذنه وذلك نتيجة قيامه بالمطالبة بتحصيل الإيجار من طلبة مسلمين لم يقوموا بدفع الإيجار منذ ٩ شهور.[٢]

تضارب الآراء فيما تم عرضه، فحسب الرواية الأولى التي جاءت عن طريق بعض السلفيين، لا يجوز لأحد القيام بالقصاص وتلك هي سلطة ولى الأمر حسب ما تقضي الشريعة الإسلامية التي يدعون الالتزام بها، كما أن عقوبة الزنا ليست قطع أذن وهى تتأرجح بين الجلد للأعزب والرجم للمتزوج؛ أيضا التثبيت من وقوع جريمة الزنا يستدعى

---

[١] حسان عبد اللطيف، بو ابة مصراوي، ٢٠١١/١٠/٥

[٢] هاني سمير، القباط متحدون،٢٠١١/٣/٢٢

وجود أربعة شهود على الواقعة شاهدوا ذلك على أن يكون الإيلاج كاملا كما يغمس القلم في المحبرة والريشة في المكحلة، وهذا من الصعب إن لم يكن مستحيل أن يحدث على أرض الواقع؛ ويعد الشرط الثاني هو اعتراف صريح أو الإقرار باقتراف ذلك الجرم من السيدة التي ارتكبت ذلك وفقا للشريعة الإسلامية وهذا لم يحدث.

إذن لو أن الأمر كذلك يعد التصرف بقطع الأذن مخالف لحكم الشريعة في حالة الزنا التي لم تتأكد، ولا يحق لأي فرد أن يقوم بذلك من تلقاء نفسه أن حدث، كما أن الجريمة لم تثبت سواء سواء بالإقرار أو الشهود، هناك سبب أخر أثير حول سبب قطع الأذن وهو قيام أيمن ديمتري بالتصنت على بعض المسلمين ولو صحت هذه الرواية أيضا فإن عقوبتها التعزيز وليس قطع الأذن وهي سلطة ولى الأمر في الإسلام، إذن ما يحدث هو خروج عن روح الإسلام وأحكامه وعادة تعد عملية التصنت هي الأقرب للتصديق

وتأتى رواية أيمن ديمتري المجني عليه أن سبب الحادثة هو عدم دفع الإيجار لمدة تسعة أشهر لتضيف سببا مختلفا عما سبق، أيا كان السبب المشكلة في المعالجة للحادث التي انتهت إلى تصالح، تم بمقتضاه الالتزام من قبل الجناة بإعادة الشقة إلى أصلها وتعويض المجني عليه بقيمة الأضرار، هذا فقط جزء من الحل ويكمن الحل الأمثل هو تقديم أطراف الحادث إلى المحاكمة من خلال قضاء سريع حتى ينال المخطئ عقابه، لا يجوز أن تمر تلك الحوادث مرور الكرام حتى لا تتكرر مرة أخرى لأن عدم وجود الحسم يعد مدعاة للتكرار.

استنكر مفتى الجمهورية فضيلة الشيخ على جمعة الحادث ونشر على لسانه في جريدة الأهرام، أن الحادث جريمة بكل المقاييس والدين والشريعة الإسلامية منها براء، فهذه الجريمة بنيت على خطأ جسيم في تطبيق آليات القانون كما طالب فضيلته بضرورة اتخاذ جميع الإجراءات القانونية وإبلاغ السلطات القضائية المختصة، كما أكد الدكتور مُحَّد المختار المهدي الرئيس العام للجمعيات الشرعية أن القصاص في الإسلام واستيراد الحقوق لابد أن يكون عن طريق القاضي أو من يحل محله وليس للمجني عليه أن يقتص لنفسه، هنا نجد أن الدين الإسلامي والقانون ضد هذا التصرف وبالتالي يجب التصدي بكل قوة لمثل تلك الحوادث.[١]

---

[١] محمد علي عتروأخرين، جريدة الأهرام، ٢٠١١/٣/٢٥

الطائفية بسبب مطب صناعي: شهدت محافظة المنيا خلال شهر إبريل عام ٢٠١١ حادثا أخر في أبو قرقاص وذلك عندما اعترض الركاب بقرية أبو قرقاص على وجود مطب صناعي أمام منزل علاء رشدي المسيحي عضو الحزب الوطني , وعلى أثر ذلك قام رشدي باستخدام السلاح الألى في المشاجرة وهو ما أسفر عن مقتل اثنين وإصابة ثلاثة من المسلمين وكان القتيلين هما عبد القادر على فران ومعيد أبو زيد محمد سائق تم تصعيد المشكلة، وتجمع المسلمين في القرية على اعتبار أن المسألة ثأر وتم إحراق ٦ منازل تابعة للأقباط... وتدخل المجلس العسكري وقام بفرض حظر التجول، يتضح أن المشكلة أيضا لم تكن بسبب الدين هي أيضا مشاجرة عادية تحدث بين أفراد العائلة الواحدة داخل الصعيد ولأسباب أقل من ذلك! ويضيع فيها عشرات القتلى والمصابين.[١]

تختلف تلك الحادثة في أن مرتكب جريمة القتل فيها كان قياديا بارزا في الحزب الوطني قبل حله وتلك الجريمة قد تثير الشك في الهدف منها هل أراد علاء رشدي أن يشعل نيران الطائفية من أجل الإطاحة بالثورة , اندلاع تلك الجريمة من الصعيد الذي يعد معقل التعصب والثأر كفيل بتأجيج الصراع والفتنة فلا يمكن لعاقل كان على قمة العمل السياسي أن يجهل نتيجة قتل مسلمين في صعيد مصر وسط هذه الأجواء الملتهبة، كما اتصف رد الفعل بالسرعة والتهور وتم إشعال ٦ منازل ولولا تدخل الجيش في الوقت المناسب لتطورت الكارثة بشكل لا يحمد عقباه.

تعين محافظ مسيحي: شهدت محافظة قنا فى ١٦إبريل ٢٠١١ تصاعد وتيرة المظاهرات الحاشدة بمحافظة قنا وذلك للاعتراض على تعيين اللواء عماد شحاتة ميخائيل محافظا لقنا [٢] ، وذلك بحجة أنه ينتمي إلى النظام السابق وعدم رضائهم عن أداء المحافظ السابق مجدي أيوب ورفض أن تكون قنا هي المحطة الرئيسية

---

(١) أمير الراوي، بوابة مصراوي، ٢٠١٣/٤/١٩

(٢) أكرم القصاص، بوابة اليوم السابع، ٢٠١١/٤/١٨، ومصادر أخري

لاستقبال المحافظين الأقباط وأن كان الحادث لم يسفر عن سقوط ضحايا أقباط أوحتى مصادمات من أي نوع وكان المسيحيون أكثر منطقية فما فائدة وجود محافظ مسيحى لن يقدم أو يأخر، ولكن مما لاشك فيه لابد أن يكون الحادث قد ترك أثاراً معنوية بالغة السوء تتناقض مع حق المواطنة.

اقترن التظاهر بتصرفات خطيرة منها قطع الطريق الرئيسي لسكك حديد مصر ومنع حركة القطارات من المرور داخل الإقليم والإصرار على قدوم رئيس الوزراء إليهم، تلك الواقعة مثيرة للدهشة ، أولا لا يحق لأي مواطن أن يعترض على تعيين محافظ لأنه في النهاية موظف إداري داخل إقليم الدولة وينفذ ما استقرت عليه الحكومة من خطط في نطاق محافظته، وحريته في الإدارة محدودة بقوانين حددتها السلطة المركزية ولا يوجد ما يمنع من وجود موظف مسيحي طالما تمتع بالقدرة والكفاءة على تولى المهمة، تصاعد الأحداث جعل تلك الواقعة محل الانتباه والرصد من قبل وسائل الإعلام العالمية وهو ما أعطى إيحاء أن مصر ضد المسيحيين والأقليات وخاصة أن هذا الطرح يتم تغذيته من قبل المخابرات الإسرائيلية واليمين المسيحي المتطرف في الغرب.

دون إدراك للموقف تم الحشد والتصميم على ذلك الطلب الذي وضع المجلس العسكري في مأزق ما بين تلبية رغبة المتظاهرين، أو تأكيد تهميش الأقباط في حال عزل المحافظ ، لم يدرك بعض الذين أشعلوا تلك المظاهرات إن هذا ليس في صالح مصر دوليا وخارجيا، لأن القوى المتربصة بالبلاد تحاول دائما تصوير المصريين على أنهم يضطهدون الأقباط ويتم التأسيس لذلك القصد عبر العديد من المنظمات الدولية ذات الأغراض الخبيثة ، والمظاهرات دخل قنا كانت تؤسس لتغذية ذلك المفهوم في حين أن تدارك هذا الموقف كان سيتم في حركة المحافظين الجدد عقب الانتخابات التي سوف تجرى في مصر بعد ٦ شهور تقريبا بعد سبتمبر ٢٠١١، وبالتالي سوف يظهر أن إقالة أو نقل اللواء عماد شحاتة كأنه صورة طبيعية وسوف يتم اختيار شخصية أخرى تتمتع بتاريخ وطني مشرف ، لكن التصميم على هذا الموقف وضع متخذي القرار في موقف حرج وخاصة في ظل عشوائيات التظاهر على هامش ثورة ٢٥ يناير العظيمة.

حاولت العديد من القوى السياسية إقناع المتظاهرين بالعدول عن هذا المطلب لأن تلك الواقعة قد تؤسس لمواجهة أي محافظ مسيحي في المحافظات الأخرى بنفس الموقف دون جدوى، تحول الأمر إلى عناد غير مبرر على أي مستوى فالمحافظ ليس ولى أمر أو حاكم وإنما هو مجرد موظف يتابع تنفيذ السياسات المقررة سلفا من قبل الحكومة.

أثرت حركة توقف القطارات على حركة السياحة وهددت العديد من الأسر نتيجة فقدان الدخل، البعض كان يعتبر وقف السياحة مكسب لأنها حرام، ولكن علينا أن ندرك إذا كانت هناك عوامل اختلاف بين الثقافة الغربية للسائحين وطبيعة الإسلام، يمكن الاتفاق على حل وسط يتم فيه شرح خصوصية البلاد، وإفهام الغربيين بذلك وسوف يقتنعون لأنهم جاءوا إلى مصر بغرض السياحة، وما عدا ذلك من أمور فهي مباحة عندهم في الغرب غير واردة ضمن أسباب الزيارة، عبقرية المكان وثراء مصر بالمناظر الطبيعية والتاريخ القديم هو من أسباب قدوم ملايين السياح إلى مصر وليس أي سبب أخر، السياحية تضخ مليارات الدولارات داخل منظومة الاقتصاد القومي وتسهم في تحريك عجلة النمو.

لم يفهم المتظاهرين ذلك وكان الموقف متعنت وظلت حركة القطارات متوقفة؛ وكان المطلب الرئيسي بعد ذلك هو ضرورة قدوم عصام شرف رئيس الوزراء إليهم، فهو مشغول بمهمة لملمة الأوصال المتقطعة خارجيا لجلب الدعم الخليجي؛ والتصدي لمحاولات الإضرار بالأمن المائي لمصر، وداخليا بعشرات القضايا الاقتصادية والأمنية، ومع كل ذلك تجد أن المتظاهرين مصممون على حضور رئيس الوزراء، وفشلت كل القوى في إقناعهم بفض التظاهر حتى صدر قرار تجميد عمل المحافظ وحضر رئيس الوزراء إليهم على حساب جدول أعمال في ظرف أخطر، وكأنهم أرادوا أن يسمعوا كلمات الإشادة والتقدير من أجل التهدئة .

تعد الآثار المعنوية لتلك الحادثة في منتهى الخطورة؛ لأنها سوف تسهم في تعميق شعور ما لدي الأقباط يشعرهم بسقوط فرضية المساواة في حين أن وظيفة المحافظ هي وظيفة تأتى في نهاية السلم الإداري للدولة فيما يخص وظائف الإدارة العليا؛ ويسبقها مجلس الوزراء ومؤسسة الرئاسة، فى ظل النظم الحديثة لإدارة الدولة يعد البرلمان هو الحاكم الفعلي للبلاد،

وهذا يجعل مسألة وجود وزير أو محافظ أو أكثر ضمن مؤسسات الدولة، لا يبدوا إلا كونه ناحية نفسية تعطى دلالات على المشاركة، وعمليا مازالت وظيفة المحافظ لا تقدم ولا تأخر، فهى عملا إداريا سوف يعطى نوعا من الاستقرار النفسي للأقباط داخل البلاد وهو ما يؤسس للوحدة الوطنية الحقيقية على أساس أن الدين لله والوطن للجميع

أظهرت مشكلة قنا أن غياب العمق الثقافي هو أخطر تحدى يمكن أن يوجه مستقبل الدولة ففي ظل هذه الأحداث يمكن أن يصل الاختراق المخابراتى لأمن الوطن إلى ذروته لتغذية الخلاف الطائفي، فطن المسيحيين إلى حقيقة الأمر وكان رد فعلهم في قنا لا يمانع في تغيير المحافظ لأن الأمن الاجتماعي أهم من شخص المحافظ فهو لن يقدم أو يؤخر وهو ما لمسوه من وجود محافظ سابق مسيحي على رأس المحافظة ,وبقى الوعي غائباً لدى المظاهرين كأن هدف كان أن يروا رئيس الوزراء عندهم، المشكلة لا تكمن في الأشخاص الذين يتولون المناصب العليا , حقيقة المشكلة هي ضرورة وجود الأمن الاجتماعي وحل مشاكل الفقر.

تصاعد وتيرة المظاهرات قد يعزى إلى وجود قوى داخلية ترغب في إفشال الثورة دون استبعاد عنصر التدخل الخارجي غير المباشر وهذان العنصران لا يتحققان إلا في ظل الغضب وفقدان الوعي ، صورت وكالات الأنباء العالمية هذه التظاهرات على أنها جاءت ليس ضد شخص المحافظ ولكن ضد ديانته فمصر بها **٢٥** محافظة ولن يضر الإسلام شيئا إذا وجد محافظ مسيحي أو اثنين المهم في شخصية المحافظ أن يكون ذو كفاءة إدارية عالية؛ ولكن ما حدث جعل وكالة رويترز الألمانية تسوق لمعنى التعصب الديني وانتقاص حقوق الأقباط فى مصر.

تتطلب الحكمة أن تكون التحركات الداخلية أو المظاهرات بعيدة عن المضمون الطائفي لقد أضر بعض المتظاهرين بالإسلام في تلك المظاهرات وهو ما يؤسس لثقافة مرفوضة مقدما لأن شغل الوظائف الإدارية للدولة هو حق متاح لكل مصري تتوفر فيه الكفاءة المهنية , لقد كانت الدولة الإسلامية في عصور الخلافة الأموية والعباسية حتى الخلافة العثمانية تستعين بالأطباء والمترجمين من غير المسلمين

رابعا : حوادث بسبب اعتداء مسيحيين على الدين الإسلامي: هى حوادث عادة ما تكون فردية، ولا تمثل اتجاه عام، فلا يمكن لأقلية أن تفتعل مواجهة مع الأغلبية وفقاً للمنطق؛ وتلك الحوادث لاتمثل إلا مرتكبيها إلا أذا كانت برعاية خارجية لفتح ملف للتوتر داخل البلاد.

١- **مسرحية تهاجم الإسلام**: ظهر فى الإسكندرية على ساحل المتوسط حادث من هذه الشاكلة عندما قام بعض الشباب المسيحيون بعمل مسرحية بعنوان (كنت أعمي وأصبحت الآن مبصراً) هذا هو الاسم الذي اتفق عليه مجموعة من الشباب المسيحيين ليكون عنوان مسرحيتهم التي تبرز قصة شاب مسيحي اعتنق الإسلام ثم عاد إلي المسيحية، يقصي مساوئ الاسلام وبعد عامين كاملين من انتهاء عرض المسرحية تناولت احدي الصحف قصتها مما أجج مشاعر الغضب داخل نفوس المسلمين الذين تظاهروا يوم١٤أكتوبر ٢٠٠٥أمام كنيسة مارجرس والأنبا انطونيوس بمحرم بك التي عرضت بها المسرحية كما ذكرت الصحيفة وكانت نهاية المشهد الدرامي اندلا ع اشتباكات دموية بين المسلمين والأقباط يوم ٢١من نفس الشهر، وقد سبق ذلك بيوم واحد حادث اعتداء شاب مسلم علي مسيحيين من رواد الكنيسة بسلاح أبيض.

وكانت الشرارة الأولي للغضب قد بدأت عندما فوجئ طلاب جامعتي القاهرة وعين شمس بقيام البعض بتوزيع C.D هدية رمضان وبفتح الاسطوانة وجدوا عليها المسرحية التي قام بتمثيلها عدد من الممثلين المسيحيين من كنيسة مارجرجس، وأن انتاجها واخراجها تم برعاية القساوسة القائمين علي الكنيسة ومنهم القس أوغسطينوس فؤاد والقس أنطونيوس فهمي، وذهب الطلاب الي الاسكندرية يحملون مجموعة من الـ C.D وقاموا بتدميرها أمام الكنيسة مرددين: بالروح بالدم نفديك يا اسلام، "بالروح بالدم نفديك يا مُحَمَّد" واستمرت المظاهرة ٤ ساعات قبل نجاح جهود انهائها. وأكد المتظاهرون أن المسرحية تسيء الي الشريعة الاسلامية، وتتهم الاسلام بالانتشار بحد السيف وتزعم أن الرسول كان مزواجاً، وأن آيات القرآن الكريم مغلوطة.

وذكرت تقارير صحفية أن المسرحية عرضت برعاية الانبا اوغسطينوس فؤاد، والانبا انطنيوس فهمي وأنها تسخر من الدين الاسلامي وتهاجم القرآن الكريم، وتبدأ مشاهدها بظهور رجل ملتح يرتدي جلبابا ابيض وعباءة سوداء يطلقون عليه الامير "امير الجماعة" وجاءت مجموعة من اتباع هذا الامير الذي يمثل الاسلام ليعرفوا منه الطريق الي الجنة.. فقال الامير: الطريق الي الجنة هو الجهاد.. وللجهاد طرق عدة، ففي السابق كان الجهاد في الهجرة وقتال المشركين اما الآن فالجهاد في اعلاء كلمة الاسلام.. والجهاد كما وصفه رسول الله مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام هو قتل كل شخص ليس علي دين الاسلام، او طردهم ونهب اموالهم وهدم معابدهم وكسر اصنامهم ..

فيسأله احد اتباعه.. يا أميرنا لم يعد الآن كفار بهذا الشكل يقومون بعبادة الاصنام فيرد عليه الامير قائلا: ان المشركين يملئون كنائسهم بالصور والتماثيل فهم يشركون بالله.. ويعبدون المخلوق دون الخالق، ويسجدون امام صور وتماثيل ويحلون شرب الخمر في كنائسهم، ونساؤهم متبرجات كاسيات عاريات .

ويرد احد اتباع الامير ويقول: والله اني اذكر قول رسول الله صلي الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتي يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله، فيرد عليه واحد آخر من الاتباع.. لكني اعلم ان الله تعالي قال في سورة البقرة لا إكراه في الدين، ويقول الرسول ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.

وهنا يأتي دور الامير ليرد علي السؤال قائلا: انكم مازلتم اطفالا لا تعرفون شيئا عن القرآن الكريم او قواعد الفقه او تعاليم الائمة الاربعة، فذلك يندرج تحت بند الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وطبعا هتسألوني ايه هو الناسخ والمنسوخ انهما اساس التشريع الاسلامي، فقد انزل الله تعالي علي رسوله تشريعا وهو في مكة وامره ان ينشر الدين بالمودة والموعظة الحسنة لانه كان ضعيفا ويمكن القضاء عليه بسهولة، ولكن بعد الهجرة انزل الله عليه آيات القتال لكي يقتل الكفار ومن وقتها وقف العمل بآيات السلم، فأصبحت آيات القتال ناسخة لآيات السلم. (١)

---

(١) فراج اسماعيل، بوابة العربية، دبي، ٢٠٠٥/١٠/١٨

تحول الفن من مصدراً للإلهام والرقى إلي باعث ومحرض على الطائفية، والسؤال من وقف وراء هذا العمل، هل هو جاء على غرار أن الفنون جنون كما يشاع وكانت النتائج على غير ما يرام، أم جهل بطبيعة الموقف الذي لا يحتمل أي توتر، أم أن هناك عدو ساهم فى بث الفتنة أو أستغل حالة المراهقة الثقافية لدى الطرفين واشتعل الموقف من جديد لقد كان مبعث الفتنة أن هذا العمل هاجم الدين الإسلامي.

٢- **مديرة مدرسة تسب الرسول**: شهدت في نفس السياق قرية مراغة بوادر فتنة عقب ثورة ٢٥يناير ٢٠١١وذلك بسبب قيام مدرس مسيحي بمدرسة إعدادية باتهام مديرة المدرسة نعيمة وهيب بسب النبي مُحَمَّد وتمزيق المصحف أمام التلاميذ تلك الحادثة على وجه التحديد قد تبدو بسيطة ولكنها من أخطر الحوادث التي تؤسس للطائفية وخاصة أن شاهد العيان فيها مسيحي يتهم مديرته المسيحية بهذا العمل، هذا الأمر لا يخرج عن أمرين الأول أن المدرس على خلاف معها وأراد بذلك أن ينتقم منها ولو أن روايته كانت جادة كان عليه الحذر من الفتنة والقيام بتقديم بلاغ فيها إلى الشرطة لأنها تؤسس لفتنة طائفية.[١]

والأمر الثاني هو أنه بالفعل يقصد إشعالالفتنة طائفية؟ وإلا ما هو الغرض من ذلك؟ ومن دفعه إلى هذا؟ وبالتالي كان يجب ألا تمر هذه الواقعة دون تحقيق ومعرفة السبب الحقيقي هل كان مجرد انتقام شخصي كان من الممكن أن يشعل الدنيا أم أنه مدفوع من أي جهة لإحداث الفتنة، هذا الأمر يختلف لأنه جاء على أساس ديني فسب الرسول وتمزيق المصحف أدى إلى خلافات سياسية كبرى مع الدنمارك وأقام الدنيا في العالم الإسلامي ولم يقعدها.

٣- **كتابة لفظ الجلالة علي جانبي حمار:** تطل علينا حادثة أخرى من ذات النوع بقرية شطب بمركز أسيوط، وذلك بسبب قيام قبطي بكتابة لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله على جانبي الحمار، فوجئ أهل القرية بذلك فقاموا بسحب الحمار إلى شيخ البلد أسامة محجوب؛ ثم انتقلوا به إلى منزل العمدة في الوقت، الذي تجمهر فيه

---

[١] صباح عطية، بوابة الهرام، ٢٠١١/٣/٢٣

العشرات من أهالي القرية، وحاولوا الاحتكاك بالأقباط، ولولا تدخل أجهزة الأمن وقتها لحدثت كارثة.[1]

حادث سب الرسول وحادثة الحمار هما من الحوادث التي تتعرض مباشرة للدين الإسلامي، ومن اللافت للنظر أنه تم احتوائهما، وهذا دليل على أن مجمل الشعب المصري غير متعصب، وإنما تكون معظم الحوادث التي تؤدى إلى احتقان هي تلك الحوادث التي تحدث بسبب المشاكل الحياتية، ويكون طرفيها أحدهما مسلم والأخر مسيحي، ولو أن أسباب الخلاف حدثت بين المسلمين بعضهم البعض لكانت نفس نتائج العنف متشابهة، ولكن وجود طرف من كل دين يكون له دورا في تهويل الأمر، أن الاستهانة بالقرآن وكتابة لفظ الجلالة على جانبي حمار من أخطر الأفعال التي ظهرت، فنادرا ما نسمع عن قيام المسيحيين بذلك، بل أن معظمهم من زملائنا في العمل يمتنعون عن الطعام والشراب في شهر رمضان احتراما لمشاعر المسلمين؛ في ذات الوقت الذي لا يتحرج فيه بعض المسلمين الذين يفطرون في رمضان من الإفطار جهارا، كما أن العديد من القساوسة عندما يتحاورون مع المسلمين يستشهدون بكلام القرآن في نقد بعض التصرفات الخاطئة من المسلمين، يتعذر وصف من قام بالفعلتين بالجهل لأن الجاهل لا يمكن أن يكون مدرسا أو يجيد الكتابة على جانبي الحمار.

يزكم الأنف هنا رائحة قصد تتجه نحو إشعال الطائفية ولكن من يقف وراء ذلك؟ وخاصة أن تلك الحادثتان تمتا في الصعيد وفى مكان تسهل فيه إثارة العصبية والخلاف والعنف، بالتأكيد هناك من يقف وراء ذلك ؟ سواء كان تنظيما متطرفا أو عملاء مخابرات بهدف إشعال الفتنة داخل البلاد.

خامسا: حوادث الجنس: وظهرت فتنة المعاكسة والجنس لتطل برأسها وتلبث ثوب الدين من الطرفين زورا وبهتانا، لقد بات على المجتمع رغماً عنه أن يدفع ثمن جرائم المنحرفين دون ذنب أو جريرة، لا علاقة للدين بمثل تلك الحوادث وإنزال العقاب

[1] محمد كمال، بوابة محيط، تحت عنوان مسيحي يستخدم حماره للتطاول علي الذات الإلهية والرسول، ٢٠٠٩/١٢/٢٦، ومنتدي فرسان السنة ٢٠٠٩

يجب أن يقتصر على المذنب، ولكن الانتقام الأعمى يتجه نحو الكنيسة والمسحيين وهم من تلك الجرائم براء ولكن الجهل بالدين والتعصب الأعمى لا منطق ولا عقل له، يجب يتوقف العقاب والقصاص عند المجرمين فقط وعن طريق سلطة الدولة وحدها .

١- **معاكسة فتاة مسيحية:** بعيدا عن كون من عاكس أخته مسلماً أو مسيحياً فقد غلي الدم في عروق يشوع جمال ناشد ذو السبعة وعشرين عاما ، وتطور الشجار بين الشاب المسلم الذي غازل الفتاة وبين يشوع لتتدخل عائلتا الشابين لأخذ حق ابنها ثم تزج قرية الطيبة التابعة لمركز سمالوط بالمنيا بأكملها يوم ٤ أكتوبر ٢٠٠٨ إلي دائرة الأحداث الطائفية بعد مقتل الشاب المسيحي خلال المشاجرة التي خلفت إصابة أربعة من أبناء القرية وحرق العديد من المنازل والمحال المسيحية والمسلمة لتعيش (الطيبة) أياما في أجواء حظر التجول التي لم يتعود عليها فلاحو القرية.[(١)] ، في حين الواقعة تؤكد الغباء في التعامل مع الحدث، فهناك من أخطئ وتعدى على فتاة مسيحية مصرية كان يجب التعامل مع الموقف من خلال القانون فقط والقصاص من الجاني لا دخل للدين في تلك الواقعة اللهم بخلاف هواية الطرفين .

٢- **اغتصاب طفلة مسلمة:** ظهر حادث أخر بفرشوط أحد مراكز محافظة قنا التي وقعت بها الإحداث في ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٩ وكان الجاني مسيحي هو جرجس برسوم وليم الذي اعتدي جنسيا علي طفلة مسلمة، كان الانتقام كان له مبرره القوي من وجهة أهل الطفلة المسلمة ... حرقوا منازل واقتحموا قسم الشرطة وحاولوا إحراق كنيسة ولكنهم لم يحققوا هدفهم الرئيسي وهو قتل الجاني لم تجد الشرطة حلاً سوي تفريق المتظاهرين من المسلمين بخراطيم المياه والقنابل المسيلة

---

(١) حسن عبد الغفار أ بوابة اليوم السابع، تحت عنوان: اشتعال الفتنة الطائفية بالمنيا والأمن يفرض حظر التجوال، ٢٠٠٨/١٠/٤.

للدموع ومنع الأقباط من الخروج لشوارع قرية الشقيقة، و لم يقبل أهل الفتاة المنتمون لقبيلة هوارة القلعة بأن تأخذ العدالة مجراها وطالبوا بالإفراج عن جرجس لأخذ ثأرهم بأنفسهم إلا أن رفض الأجهزة الأمنية لذلك دفعهم إلي لمحاولة قتله أكثر من مرة خلال ترحيله للمحاكمة، بالطبع هناك جريمة ولكن على الجميع التسليم بأن دولة القانون هي المنوط بها القصاص.(١)

لقد كانت هناك حوادث متفرقة داخل مصر، وكان أكثرها فى الصعيد، في محافظة أسيوط ظهرت بوادر الفتنة، عندما قام شاب مسيحي بتصوير فتاة مسلمة في صور جنسية أثناء علاقته بها، ونشر هذه الصور، وهو ما أدى إلى إشعال فتنة طائفية قام على أثرها أهالي الفتاة المسلمة بإحراق مجمع الكنائس، فشلت الجهات الأمنية والقانون في علاج الحالة، لأن القصور في الفهم وغباء هذا الشاب المستهتر ارتد على الكنيسة دون ذنب منها، وكان التحرك نحوها بهدف الانتقام تحرك خاطئ.

كان ينبغي أن يتم معاقبة الشاب والفتاة التي أقامت معه هذه العلاقة بكامل إرادتها، هنا نحن أمام حالة تم فيها ارتكاب جريمة زنا وتصوير مادة مخلة بالآداب، وكان يجب أن يتم التعامل في حدود هذا الإطار، ليس للكنيسة ذنب فيما فعله الشاب المسيحي المنحرف الذي لم يكتفي بفعلته؛ إنما نشر صورة لتلك العلاقة في مجتمع شرقي متعصب للدين والشرف، لقد كان هذا الاستفزاز غير مبرر ويستحق إلحاق العقوبة الرادعة بهذا المستهتر عديم المروءة كذلك الفتاة المنحرفة، المؤسف أن الانتقام الأعمى تحول إلى عائلة الشاب المسيحي، وتم قتل اثنين منهما ومن بينهم والده، تلك الحادثة المشينة دفعت أهالي الفتاة إلى الاعتقاد بأن الشاب مختبئ داخل إحدى الكنائس، وهو ما دفع الأهالي لحرقها، هذه الحالة لا علاقة لها بالدين أو التطرف، ولكن هي جريمة دفع ثمنها من رصيد الوحدة الوطنية، وقام هذا الشاب الأحمق بنشر صور فضح فيها أسرة، وتسبب في قتل والده والاعتداء على الكنيسة.

---

(١) هند المغربي، بوابة اليوم السابع، ٢٠٠٩/١١/٢١، ودعاء البادي، بوابة الوفد ٢٠١٣/٤/١٨، ومصادر اخري.

٣- علاقة حنسية مع مسلمة بقرية صول: انطلقت الشرارة هذه المرة من قرية بائسة تعاني أشد درجات الفقر والحرمان، على بوابة العاصمة المصرية من قرية صول بمركز أطفيح محافظة حلوان، التي ألغيت في ١٧ / ٤ /٢٠١١ وعادة تبعيتها إلى محافظة الجيزة، تسببت شبهات وجود علاقة آثمة بين شاب مسيحي وامرأة مسلمة في تلك الحادثة؛ ولكن القتلى هذه المرة مسلمين هما ابن عمة الفتاة ووالدها، وذلك بسبب قيام اثنين من أقارب الفتاة بمحاولة إقناع والدها وإجباره على ضرورة الانتقام من الشاب المسيحي، وعندما رفض ذلك حدثت مشاجرة بالأسلحة النارية، وعقب عمليات الدفن تحولت حالة الغضب نحو المسيحيين في إحراق كنيسة الشهيدين بالقرية، من خلال تحليل الحادث سوف يتضح لنا أن رفض والد الفتاة الاستجابة لطلب أقاربه بضرورة الانتقام من المسيحي؛ نتيجة تعديه على شرف بنته وكان السبب في ذلك؛ كان تصرفا راقيا أولا لأن الجريمة لم تكن مؤكدة وإن كانت احتمال حدوثها قائم، كما أن الأمر له توابع أخرى، تحتم البحث عن حلول قانونية، لأنه لو صحت هذه الجريمة فهي حدثت نتيجة رضاء تام من الفتاة المسلمة، وأصبحت هي أيضا محل للقصاص، لأن طرفي الجريمة خالفا الدين والشرع والقانون.[١]

تطور الأمر عقب الدفن وتحول الغضب نحو حرق دارا للعبادة أثناء العودة؟ لم يكن لهذا التصرف أي معنى على وجه الإطلاق، فلا علاقة للكنيسة بأي حال من الأحوال بما يقترفه أي مسيحي من جرم، ويجب أن ينصب العقاب فقط على من قام بالجرم وعن طريق السلطة المختصة، تحولت حالة الغضب الزائفة باسم الإسلام إلى بوادر فتنة طائفية، المذنب والمجرم في هذه الحالة إن صح الاتهام هو الشاب المستهتر والفتاة المنحرفة ولا يجب أن يتجاوز العقاب أحدا غيرهما.

توابع إحراق الكنيسة يكرر تأكيد صورة بغيضة تكونت عن المسلمين بالباطل،

---

[١] بو ابة البديل، تحت عنوان، النيابة تبدأ تحقيقات موسعة في أحداث كنيسة قرية صول وفتنة المقطم و الدويقة، ٢٠١١/٣/٩، ومصادر اخري

تسعي قوي الصهيونية إلي نشرها في العالم بأثره؛ لتصورهم بأنهم قوم همجيين ولا يتقبلون الأخر؛ ويتصرف العديد منهم على غرار تصرفات تنظيم القاعدة؛ على عكس الحقيقة، فالكنيسة التي تم الاعتداء عليها هي مكان صغير نسبيا بالنسبة للكنائس، وكانت في بداية الأمر مصممة على أنها دارا للمناسبات ثم تحولت إلى كنيسة على غرار كنيسة الخانكة عام ١٩٧٢ وكنيسة العمرانية عام ٢٠١٠، وعلى نفس المنوال، توقف العمل داخل الدولة، وتحول الأزهر ورجال الدين والإعلام الوطني إلى زجر الحادث، وتكثيف الجهود لاحتواء الأزمة، وأخذوا يشرحون الوضع والمتعصبين لا يتعظون، كأنهم أطفال يكررون نفس الخطأ في أماكن شتى، بجهلهم يضربون الإسلام في مقتل، فهم يزرعون في الفكر العالمي صور توحي بأن المسلمين يحرقون الكنائس، ويشردون الأقليات بصورة همجية، يلصقن بالإسلام صور جهلهم وضعفهم، والإسلام براء من كل ذلك، وجاء تلك الأحداث على حساب الحالة الأمنية التي كانت في أشد حالات التأزم؛ نتيجة الانفلات الذي أعقب الثورة، واستغراق الأمر في التهدئة ما يقرب من ثلاث أسابيع دون جدوى، ألتقى جناحي الجهل والتعصب لتعميق الخلاف، وانطلق المسيحيين للاعتصام أمام ماسبيرو للاعتراض على الحادث، وعلى الرغم من تعهد الجيش وصدق الدولة والرموز الدينية في التصدي لهذا الحادث، لايريد أحد أن يسمع وكأن المظاهرات عرس جديد.

المثير للدهشة هو عدم قيام المتظاهرين المسيحيين بالاستجابة لمناشدات فك الاعتصام؛ بل تطور الأمر إلى طلبات لا علاقة لها بالحادث، ومنها إقالة محافظ حلوان الذي لا ذنب له في الحادث، بل إن السيطرة الأمنية على البلاد بأكملها كانت شبه غائبة، استغل المعتصمين القضية وتم رفع سقف المطالب الأخرى للمسيحيين، ومنها قانون دور العبادة الموحد وغيرها، المتابع للوقائع يجد أن قوى الشعب المعتدلة على حد السواء من مسيحيين ومسلمين كان موقفهم استنكار تلك الجريمة، ولكن الاستمرار في التظاهر في اعتصام ماسبيرو الأول كان مثار استهجان، وخاصة أن أهل القرية تم التوفيق بينهم.

هل كان المقصود الوصول بالأحداث إلى الانفجار نتيجة الاختراق الخارجي، أوهو مجرد نوع من الانتهازية في المطالب وخاصة أن وضع الدولة كان في أصعب حالات

الضعف، أما أن الثورة المضادة وعدم إدراك حقيقة الأمر كانت هي السبب في ذلك، لقد كانت محاولة إقناع المتظاهرين وسياسة اللين من أفضل أساليب الجيش في التصدي للحادث الذي مر بسلام بعد أن احترقت أعصاب كل المصريين العقلاء المتخوفين على أمن ووحدة الوطن.

أعقب الحادث قيام الدولة بتجديد الكنيسة بصورة أفضل مما كانت عليها من الميزانية المهلهلة وفى ظل الوضع الاقتصادي المتردي، لم تقتصر الخسارة على تكاليف الإصلاح فقط، بل تجاوزت ذلك في التأثير على فرص قدوم الاستثمار إلى مصر، فرأس المال جبان ولا يأتي إلى أي بقعة في العالم تعاني من الاضطرابات، ناهيك عن السياحة وسمعة مصر الدولية، استنزفت جهود الاحتواء في حادثة كنيسة صول ما يقرب من شهر لاحتواء تداعياتها. وتلك مجرد نماذج من هذه الحوادث المشينة التي لاعلاقة للكنيسة او المسجد بها، فهي سلوك فردي وتخص من قاموا بها ولايجب ان تزيد قيد انملة عن ذلك.

سادسا: حوادث بسبب إسلام المسيحيات: لا يمكن تبرئة الكنيسة من التعصب والوقوف خلف قهر وتعذيب المسيحيات اللواتي تعتنقن الإسلام، وهذا التعصب غير مبرر فلا يمكن للحياة أن تتوقف نتيجة إسلام بضع مسيحيات، كما أن الأمر ليس مباراة فيها غالب ومغلوب، الدين علاقة بين الفرد وربه، عموما الفاسق أو الفاجر أو المنافق أو الكافر أمر هؤلاء بين يدي الله، التدين الحق هو الطاعة والحث على مكارم الأخلاق وحسن التعامل مع الآخر، من هنا تتجلى لنا صورة أخرى من نقاط الاختلاف المحتدمة بين المسلمين والمسيحيين.

١- **نموذج وفاء قسطنطين:** فهي من مواليد عام ١٩٥٦ مدينة شبين الكوم محافظة المنوفية، حاصلة على بكالوريوس زراعة وعلوم، وقد تزوجت من مجدي يوسف عوض الذي عين كاهن بكنيسة أبو المطامير بمحافظة البحيرة كانت بدايتها مع الإسلام عام ٢٠٠٤ عندما كانت تتابع البرنامج العلمي للدكتور زغلول النجار "الإعجاز العلمي للقرآن الكريم " وذلك عندما تأكدت أن القرآن يتكلم عن حقائق علمية، فهي

تمتلك في الأساس عقلية عملية، بعدها طلبت بعض الكتب من زميل لها يدعى مُحَمَّد السيد المرجون ونشر بعد ذلك أنها أسلمت وأخفت إسلامها وتمكنت من حفظ ١٧ جزء من القرآن الكريم، وقد قام الدكتور زغلول النجار بإهدائها كتاب بعنوان (أن الإيمان بالله الواحد الأحد هو أفضل منة في الوجود) إلى أن أعلنت إسلامها على الملأ وقالت في مؤتمر صحفي أنها أسلمت بسبب مقال للدكتور زغلول النجار وعقب هذا الحادث اختفت وفاء واتهم الأقباط المسئولين المحليين وأئمة المساجد في البحيرة والقاهرة وأسيوط بقيادة حملة لإدخال المسيحيات في الإسلام.[١]

تتصاعد حدة الاتهامات من جهة الكنيسة المصرية ضد الأمن على اعتبار أنه تسبب في هذه الأزمة ، ودفع المسيحيين أنه لو تم تطبيق مبدأ إسداء النصيحة ما تطور الأمر إلى ذلك، دفع توتر الأحداث الرئيس حسنى مبارك وقتها بالتدخل وأمر بتسليم وفاء قسطنطين للكنيسة لإسداء النصيحة، تطور الأمر إلى حالة غضب عامة بين المسلمين والأزهر واتهموا الحكومة بالتقصير في حماية امرأة مسلمة وتسليمها تحت ضغوط الكنيسة، تم احتجاز وفاء لعدة أيام في بيت الراهبات بمنطقة النعام شرق القاهرة قبل أن تنتقل إلى دير الأنبا بيشوى هي وأسرتها وحدث أن التقت بالبابا شنودة الذي قرر تعيينها مهندسة في الكاتدرائية وعدم عودتها مرة أخرى إلى بلدتها في أبو المطامير بمحافظة البحيرة وعقب تصريح الدكتور زغلول النجار لجريدة الخميس الذي اتهم الكنيسة بقتلها بسبب رفض الارتداد عن الإسلام.

تطور الأمر وأعلن المحامى القبطي نجيب جبرائيل لصحيفة الشرق الأوسط قوله (لا أعرف من أين أتى النجار بهذه التصريحات فأنا قد أجريت اتصالا هاتفيا بشقيق وفاء وتأكدت منه أنها بخير وأنها تعيش بمصر في سلام مع أسرتها وتمارس العقيدة المسيحية، وأعلن البابا أنه سوف يسمح بظهور وفاء على قناة أغابي المسيحية ثم تطورت الأحداث ونقلت تصريحات عن أحد رهبان دير الأنبا بيشوى أنها مريضة ومرضها يمنعها من الظهور، هكذا استمرت الأحداث في تصاعد دون حسم وهو ما أسس لاشتعال الموقف

---

[١] شبكة فلسطين للحوار، تحت عنوان: زعلول النجار يؤكد مقتل وفاء قسطنطين في دير وادي النطرون، ٢٠٠٩/٨/٢٥، نقلا عن محيط.

يتضح أن المشكلة سالفة الذكر لا علاقة لها بظهور أو عدم ظهور كاميليا، الخلل الأكبر الذي واكب الحدث هو رضوخ الرئيس مبارك لضغوط الكنيسة على حساب الدولة، فإذا كانت حقا وفاء قد أسلمت فلا يجوز أن تعاد مرة أخرى إلى كنيسة لسببين الأول هو حرية الاعتقاد التي هي حق لكل نفس بشرية والثاني أن توابع الأزمة سوف تستمر لأن المسلمين سوف ينظرون إلى الأمر علي أن الدولة لم تمد يد الحماية القانونية لمسلمة وهو يجعلها تقع تحت ضغط أخر من الجانب الإسلامي،فإذا تمكنت الحكومة من كبت القوى الإسلامية هذا سوف يولد في المستقبل عنفا أخر ضد الدولة والمسيحيين أنفسهم لأن الحل جاء نتيجة إرضاء الكنيسة دون مراعاة الطرف الأخر، هنا فقط يجب أن يكون القانون هو الفيصل ولا يحق لأي طرف أن يتخذ أي خطوة لإرضاء الأخر، لأن من يحصل على مكاسب نتيجة الضغط لن يتوقف عن طلب المزيد ولن يرضى إلا بالمزيد من الضغوط وسوف يلجأ إلى المناورة لكسب المزايا بدرجة تتخطى حجم الحقوق , لا مشكلة إذا كانت تلك الحقوق عادلة ولكن مكمن الخطورة أن تكون فوق العدالة أو على حساب أي طرف من الأطراف.

أسس قرار الحكومة نحو إغراء التعصب المسيحي للمطالبة بنفس المطالب في حالات تكرر فيها إسلام المسيحيات، أدى هذا إلي تنامي شعور بالغبن لدي الطرف المسلم الذي يرى أنه صاحب حق في هذه المسألة، أعمى التعصب التيار المسيحي الذي اختصر المسيحية في شخصية وفاء وتتصور أنه بالدفاع والاستماتة عن تلكالقضية سوف يثبت إخلاصه للدين وأيضا في المقابل أعمى الغضب جراء هذا الموقف القوى الإسلامية الأخرى بل تطور الأمر إلى منحنى خطير وانتقل إلى خارج مصر وكان رد الفعل على هذا الحادث قيام تنظيم القاعدة في العراق بتفجير كنيسة وأدى الحادث إلى مقتل خمسين مسيحيا بلا ذنب أوجريرة ، أدى الاحتقان والتعصب وقصر النظر أن تفقد المسيحية خمسون فردا مقابل واحدة ودفع هذا الموقف متعصبي إلى ارتكاب جريمة التصفية ضد أمنيين ليضعوا الإسلام في موقف هو منه براء .

لم تنجح الكنيسة في الدفاع عن مسيحيتها وفشل المسلمين في الحفاظ على الوجه

الأخلاقي للمسلم؛ تصاعدت التصرفات إلى حد الضغط والاستجابة، نتيجة للقصور في الرؤيا، تنام حجم الغليان بشكل غير مبرر لدى المتعصبين! حرية العقيدة يجب ألا تكون تحت الإذعان لأن ذلك يتناقض مع حق البشر في حرية الاختيار، إسلام وفاء ليس نهاية العالم بالنسبة للمسيحيين، أو الخلاص بالنسبة للمسلمين ولكن هناك حق مقدس للفرد في اعتناق ما يشاء من دين.

تم اختراع الأسباب الكاذبة، وفاء لم تكن مراهقة دفعها الجنس إلى إعلان إسلامها كما صور البعض مبررين أن تركها للمسيحية يرجع لهذا السبب، نتيجة مرض زوجها كما يدعون، فهي أم ناجحة أنجبت اثنين الأول مينا وهو مهندس والابنة كانت وقتها بكلية العلوم جامعة الإسكندرية ولا يمكن لأم أن تضحى بأبنائها تحت أي ظرف , إسلامها يعنى سقوط كافة حقوقها المادية فلا تواصل أو توريث لابد أن يكون هناك سبباً أكبر من الجنس فهذا القرار يجعلها علي الصعيد الاجتماعي منبوذة من المجتمع المسيحي، بل أن أهلها قد يستقبلون أي مسلم بكل ود وترحاب وكرم، ولكن عندها تتوقف تلك المعاني الإنسانية وتحرم منها حتى ولو من باب المجاملة ، هذا ينطبق على كل فرد مسيحي يدخل الإسلام داخل المجتمعات الشرقية التي مازال التعصب فيها يأخذ منحى تصاعدي.

أقترن هذا الموقف بسباق محموم بين المواقع الإلكترونية؛ لسرد أسباب متضاربة أو واهية حول قضية إسلام وفاء؛ فمثلا أشار بعض هذه المواقع أن سبب إسلام وفاء قسطنطين أن زوجها أصيب بمرض استمر خمس سنوات وهى سيدة في عنفوان شبابها ولم تستطع التحمل؛ وسرعان ما سقطت في براثين صديقها في العمل الذي دفعها لعلاقة آثمة في لحظة ضعف منها، ولم تفق من ذلك إلا عندما كلمها الكاهن؛ وذكرها بأنها بنت الرب وبعد أن ادعت أنها مسلمة عادت إلى المسيحية؛ ومضى الموقع يقول أن وفاء كانت صيد ثمين لهذه العصابات؛ لأن زوجات الكهنة يمثلون القيادات النسائية وكونها زوجة كاهن ومعزولة عن الكنيسة كما هو الحال في أغلب الكنائس الأرثوذكسية؛ فهذا يسهل عمليات نصب الشراك حولهم، يتضح مما سبق أن محاولات تبرير وفاء كانت تتسم بالسذاجة والجهل؛ فهذا التبرير جاء على لسان أحد المتعصبين الذين لا يعلمون شيئا عن

أي شيء؛ فالإسلام يحرم أن يقيم أي فرد علاقة آثمة مع أي امرأة غير زوجته؛ وهذا يعرض من يقترف تلك الآثام إلى عقوبة الرجم حتى الموت أو الجلد.

يبدو أن من كتب ذلك حاول الدفاع بدون وعي فهو منذ أول لحظة يفقد مصداقيته، بل فقد عقله أيضا، صور وفاء على أنها شرهة للجنس، ولو صح ذلك الفرض فإن مثل هؤلاء النسوة لا يعتدون بتعليمات الأديان، وكان من باب أولى لو أن الأمر كذلك أن تظل على مسيحيتها وتقوم بعلاقات متنوعة مع الشباب أيا كان دينهم؛ فهذا الأمر إذا قررته المرأة سوف يكون في منتهى السهولة، وما عليها ألا أن تعطى إيماءة واحدة؛ بعدها سوف يتجمع حولها العشرات من راغبي المتعة الحرام بدون الحاجة إلي الدخول في دين آخر، كان الدفع بأن إسلام السيدات هو إقامة علاقة جنسية مع مسلم في منتهى السذاجة، ولا يصح بأي حال من الأحوال أن يترك أحد دينه من أجل نزوة، لا يصلح من يفكر بهذه الطريقة أن يحمل شرف الرسالات السماوية، وسوف يستمر على هذا النهج لو كان السبب كذلك، هذا الطرح السطحي يعنى استمرار تلك المرأة في البحث عن الجنس سواء استقرت داخل الإسلام أو المسيحية، عادة ما يتغاضى أنصاف المتعلمين في العرض التعامل مع المنطق، وهم لا ينجحون سوى في إثارة الفتن في الشرائح المغلقة، الإسلام أو المسيحية لن يتأثران بخروج فرد أو دخوله، ولكن العقول المغلقة تصور الأمر على أنه مسألة حياة أو موت؛ في حين أن الملايين ممن يحملون شرف الانتساب إلى الأديان أسميا على بطاقات الهوية الشخصية هم أكبر المخالفين لتعاليم الدين، ولا يعلمون شيئا عن الشريعة ولكن دورهم الوحيد أنهم على هامش الحياة الدينية يمثلون كماً يفيد في التصنيف العددي فقط، فهم معول هدم داخل كل ديانة.

٢- **كاميليا شحاته:** تطل علينا قصة آخري تحمل نفس الشكل والمضمون، وهي قصة كاميليا شحاتة زاخر مسعد تقيم بمحافظة المنيا، وسنها وقت الواقعة كان **٢٥**سنة وحاصلة على بكالوريوس العلوم والتربية تخصص تاريخ طبيعي دفعة يونيو **٢٠٠٦**؛ ومتزوجة من الكاهن تيداوس سمعان رزق، وكان لديها وقت تفجر المشكلة ابن عمره سنتان، وتم عمل موقع لها على النت جاء فيه أنها أسلمت على يد الشيخ أبو يحي

مفتاح فاضل، وقد أقيم لها حفل في مدرستها مع المربيين، بمدرسة بني سالم الإعدادية فقد كان إسلامها سابق لذلك الحفل بعام ونصف، وأعلن أنها حفظت أربع أجزاء من القرآن وامتنعت عن معاشرة زوجها، وتوجهت حسب ما أعلن في ١٨ / ٧ / ٢٠١٠ لكي تشهر إسلامها، بل أعلن على الموقع أنها قبل تركها المنزل بدأت في فطام أبنها على اللبن الصناعي؛ حتى لا يتعذب بعد تركها للمنزل، وتركت مبلغا من المال كان يخص زوجها وتوجهت إلى الشيخ أبو يحيى، وأقامت عنده أربعة أيام. انطلقت إلى الأزهر لكي تشهر إسلامها فى ٢١ / ٧ / ٢٠١٠ ولكن تم ردها من الأزهر.[١]

تحول الأمر إلى صراع عبر المواقع الإلكترونية، وظهرت العديد من المواقع التي تدعى أنها مسيحية، وتم كيل الاتهامات وتداخلت الأمور وأصبح الفيس بوك يحمل جانبا أخر من جوانب العشوائية المدمرة، فعدم وجود رقابة على ما ينشر فيما يخص الأديان سوف يشعل الطائفية، هناك ضرر بالغ وخاصة في ظل تدنى الوعي المعرفي وطرق التعامل مع المعلومات المنشورة نتيجة غياب العقلانية، فما يكاد المرء أن يقرأ خبراً حتى يقسم بأغلظ الأيمان على أنه حقيقة دون تتدبر، وأصبح أتباع كل دين يتهمون أتباع الدين الأخر بتهم تتأرجح بين الكفر والضلال أو التعصب، في كل وقت يعلو اتهام جديدا.

وترددت أنباء عن خطف كاميليا شحاتة ومنعها من الظهور، تطور الأمر ووصل إلى ساحة المحاكم والقضاء الإداري بمجلس الدولة، فقد أقامت رابطة المحامين الإسلاميين دعوى ضد وزير الداخلية والبابا شنودة والنائب العام وذلك بالمطالبة بالإفراج عن وفاء قسطنطين وكاميليا شحاتة ومريان مكرم وتريزا عياد إبراهيم بعد أن أعلن الأنبا بشوى إيداعهن في فيلا تابعة للكنيسة في الزيتون بمنطقة النعام تحت حماية الشرطة، وأصبح المستشار نجيب جبرائيل محامى للطرف المسيحي كوكيل لكاميليا شحاتة، وارتفع سقف التوتر إلى درجة لا تستحق كل ذلك، كان يجب أن تحسم القضية في خلال أسبوع على

---

(١) محيط، تحت عنوان: المتظاهرون أمام الكاتدرائية بالعباسية يطالبون بالأفراج عن كامليا شحاته، ٢٠١١/٤/٢٩.

الأكثر من قبل القضاء، لأن بقاء الوضع معلق يعد مناخا خصبا لتحويل الأمر إلى سجال بين الواهمين من أتباع الإسلام والمسيحية، الذي تصور كل طرف منهما أن مفتاح الجنة مع هؤلاء النسوة , وتم جر المجتمع إلى حلبة الصراع، كأن الأمر مباراة كرة قدم يتابعها جمهور متهور سوف يشتبك مع إحراز أول هدف.

لقد كان أداء الكنيسة يتسم بالتعصب والمراوغة وكان أداء الأزهر فيه مهادنة لإرضاء النظام تارة وتارة أخرى تحت دعوى نزع حدة التوتر، دفع هذا الصراع الهش الذي لا هدف أو طائل من ورائه، إلى قيام بعض السلفيين بالتظاهر في وقت كانت مصر فيه بعد ٢٥ يناير في وضع لا يسمح بأي توتر، الحالة لم تكن مستقرة والوضع الأمني في خطر وجهاز أمن الدولة المنوط به التصدي للاختراق الأمني الذي يهدف إلى إشعال الطائفية يواجه هجوما شعبيا حادا من قبل المعتقلين السياسيين والجماعات المتطرفة وهو غير قادر علي العمل نتيجة التهم التي ألصقت به في تلك الأثناء.

نظم بعض السلفيين مسيرة انطلقت من مسجد السنية مرورا بشارع رمسيس في طريقها إلى مسجد النور للمطالبة بالإفراج عن كاميليا، وجميع المحتجزين في الأديرة حاملين شعارات متنوعة منها بالروح بالدم نفديك يا إسلام، وقد أكد المتظاهرون على أن هناك ٢٥٠ مسيحي قد أسلموا واحتجزوا بالكنيسة، لم يكن هناك مبررا للتظاهر أمام الكاتدرائية، فرضت القوات المسلحة حصارا أمنيا مكثفا حول الكاتدرائية المرقصية بالعباسية، حيث أحيط المكان بقوات من الأمن المركزي والجيش لمنع أي تدهور، أعقب ذلك قيام ثلاثة آلاف من المسيحيين بالتظاهر داخل الكنيسة، رافعين شعارات مماثلة منها بالروح بالدم نفديك يا صليب!! انطلقت وسائل الإعلام المصرية والعربية والأجنبية متخذة من تطور الأحداث مادة ثرية لسد ساعات البث الفضائي بحدث مثير؛ قد يجيش للصراع المسيحي الإسلامي، ليس على مستوى الإقليم فحسب بل على المستوى العالمي.

أصدرت لجنة الحريات الدينية الأمريكية في تقرير لها عام ٢٠١١ انتقادا لحكومة عصام شرف، واتهمتها فيه بالفشل في حماية الأقليات الدينية وخاصة الأقباط

الأرثوذكسيين، وأضافت إلى القائمة أقليات آخري من الجماعات الدينية المتنوعة مثل الأحمدية، والقرآنيين، والشيعة، والصوفية، والبهائيين، وشهود يهوة، وطالبت الإدارة الأمريكية بتوجيه جزء من المعونات المقدمة لمصر لحماية الأقباط والأقليات الدينية الأخرى، لقد كان التقرير وسيلة ضغط جديدة على الحكومة، ومحاولة لشد عضد الأقليات المتنوعة الأخرى بجانب الأقباط على الاستمرار أو التحرك نحو زعزعة الاستقرار في مصر، التي باتت هدفا لدى الغرب وإسرائيل، على الرغم من أن الحكومات في نظام مبارك قبل الثورة وبعدها كانت تتصدى لأي اعتداء على الكنائس، وتقف ضد هذا التوجه بل كانت تتخذ مواقف سلبية من الدولة ضد حرية الاعتقاد من قبل المسيحيين الذين أعلنوا إسلامهم، وذلك بردهم إلي الكنيسة، بحجة الحفاظ على الاستقرار

يتضح للمتأني بفكر محايد أن وفاء وكاميليا من المسيحيات الحاصلات على مؤهل عالي من كليات ذات طبيعة علمية، ويتسم التفكير لديهما بالمنهجية، وهذا يقودنا إلى نتيجة أن قرارات تحولهم إلى الإسلام كانت عن وعى وإدراك، لكن قد تكون الاحتمالات التي دفعتهم إلى ذلك متنوعة منها أنهم تحولا إلى الإسلام بمحض إرادتهم عن قناعة، ولكن موقف الحكومة والأزهر من إعادتهم إلى الكنيسة والضغط العائلي والديني عليهم من الأقارب، وخطر الفتنة الطائفية قد يكون هو الدفع إلى قبول العودة إلى المسيحية ولو شكليا؛ لدرء الفتنة وهذا احتمال قوى نظرا لأن السيدتان على قدر من الوعي بخطورة المشكلة؛ فهما زوجتين لكاهنين فى جو ملتهب، الاحتمال الأخر وهو ضعيف أن تكون قوى التعصب داخل التيار المسيحي قد دفعتهما إلى تلك المواقف؛ لتصعيد قضايا تهميش الأقباط؛ والاحتمال الثالث وهو أيضا ضعيف أن تكون هناك عمليات اختراق من الخارج دفعتهما إلى ذلك، عرض الاحتمالين الآخرين على الرغم من ضعفهما جاء من باب دراسة كل الاحتمالات؛ لأن حقيقة البحث في المشكلة تتطلب ذلك.

تزايد السخط على بعض السلفيين من قبل المسلمين أنفسهم؛ نتيجة الأداء والجمود وعدم إدراك أهمية المرحلة؛ واتهموا بصفات عديدة، أنا في حل من ذكرها، وربما لا أتفق مع الكثير منها، ولكن هل كان لهم أن يفعلوا ذلك في ظل القبضة الحديدية من

قبل جهاز أمن الدولة المنحل، يعد المسلك الذي لا يعي خطورة الحدث موضع إدانة ورفض، وخاصة في ظل التوتر الداخلي والفراغ الأمني وشدة خطورته على أمن الوطن من أي تهديد أخر ولو كان محتملا، كان على هؤلاء المتظاهرين وإن كانوا على حق أن يتمهلوا، وتأجيل تلك القضايا لحين تعافى الدولة وترك الأمر برمته للقانون كمرجعية ثابتة.

يسير المسيحيون بالتوازي علي نفس الخط بحجة حب المسيحية والذود عنها، وهم في حقيقة الأمر ينساقون وراء التعصب الديني في أي درب، الدين لن يتأثر بزيادة أو نقصان فرد ولكن العقول أغلقت والنفخ في الرماد يشعل النيران المهلكة، وكان رد فعل الكنيسة بطيئا للغاية، وكأنه سوف يحقق ميزة ما في زيادة اشتعال الموقف، لقد كان هناك حل في منتهى السهولة وهو ظهور كاميليا فى الإعلام تعلن أنها مسيحية أو مسلمة لكي تطفئ الفتنة، بل وصل الأمر أن الكنيسة رفضت استلام دعوى مثول كاميليا شحاتة من الجهات القضائية، وطالبت أن يتم توجيه ذلك الإعلان إلى محل إقامة كاميليا على الرغم من علم الجميع بعدم تواجدها فيه، التباطؤ في ظهور كاميليا لمدة اقتربت من شهران ساهم في تأجيج الموقف، هل قصدت الكنيسة بذلك الاستمرار في عرض القضية على أنها قضية رأى عام دولي كرسالة لمجلس الكنائس العالمي؛ للضغط على الحكومات لحماية المسيحية من الاضطهاد داخل حدود الدولة المصرية ؟

لقد كان خطأ الكنيسة هو تأخير ظهور كاميليا؛ فحدوث فتنة طائفية ليست في مصلحة أحد ولن يستطيع أحد على وجه الأرض وقف التدهور الطائفي لو حدث لا قدر الله؟ إن البسطاء ومحدودي الأفق يتصورون أن الأمر صراع سوف يكسب بالدم وعليهم دعم دينهم والاقتصاص من الطرف الأخر، يحرك التعصب الشعب إلى حالة غضب يمكن أن تدمر أول فرصة تاريخية للتطور جاءت عقب ثورة ٢٥ يناير؛ من خلال مناخ ديمقراطي تكون فيه سيادة القانون الغائبة هي الحل الأمثل؛ وطوق نجاة لهذا الشعب؛ الذي يعانى أشد الآلام نتيجة تدنى الأحوال المعيشية والفقر وافتقاد الخدمات الصحية والتعليمية؛ التي لا تلبى احتياجات الملايين، يعصف التعصب ورعاته بفرصة حقيقية حصل عليها الشعب بعد رحلة استمرت أكثر من خمسين عاما؛ دفع فيها الدم والحرية

داخل المعتقلات والحرمان على كافة المستويات، كل هؤلاء المتعطشين للحرية باتت أمانيهم في خطر ولم يعد هناك صوت للعقل وسط طلقات الرصاص أو القذف بالحجارة أو حرق الكنائس.

يقع الأزهر وهو يحاول البحث عن حل بين مطرقة السلفية المتعصبة وخاصة أتباع الإمام أحمد بن حنبل؛ فهم يصفون الأزهر بالأشاعرة والمفرطين؛ وبين مطرقة الكنيسة التي يعتقد متعصبيها بأنها سوف تنحاز إلى المسلمين بني جنسهم، هكذا يتحمل الأزهر تلك الاتهامات الباطلة من طرفي الصراع؛ وهو في موقف لا يحسد عليه في ظل هذا التناقض على ساحة الفتنة الطائفية، فلم يلبس الأزهر من التصدي لقضية هدم الأضرحة من قبل بعض السلفيين الذين تعرضوا لهدم ٢٢ ضريح في مختلف البلاد من قبل بعض المتشددين؛ والذين يدعون إلى تقصير الثياب ويفسقون باقي المذاهب الإسلامية؛ بل وصل الأمر أن أوقع هؤلاء المتشددين السلفية الصالحة في دائرة اتهام هي منه براء؛ ولا علاقة لها به فقد كان الشيخ مُحَمَّد حسان من أوائل الذين يندد ون بالفتنة الطائفية؛ ويؤكد على حق المسيحيين في كل وسائل الإعلام على العيش في سلام يمارسون دينهم كيفما شاءوا.

كما يعاني المعتدلين المسيحيين من ظهور تيارات متعصبة أيضا من الأخوة المسيحيي؛ن وبعض التيارات التي وصلت في غلوها إلى حد المطالبة بطرد المسلمين من مصر بحجة أنها كانت دولة مسيحية، العقد يكاد أن ينفرط ولولا ستر الله وطيبة هذا الشعب لحدثت فتنة لا طاقة لمتعصب أو معتدل بها، لقد كان أغرب ما في الأمر هو عدم انصياع بعض السلفيين لقادتهم أنفسهم؛ وهو ما يعكس خطورة كبرى تكمن في الانشطار داخل التيار السلفي إلى عدة تيارات، فعندما طالب قيادي سلفي وقتها المتظاهرين بالانصراف الفوري من أمام الكاتدرائية؛ وحاول إقناعهم بأن الأمر قد يؤدى إلى إضعاف المجلس العسكري أمام الكنيسة؛ وحاول كثيرا معهم مؤكدا أن هناك فرق بين التهور والشجاعة؛ ولكن حدث انقسام بين المتظاهرين ورفض المئات منهم الانصراف وتلبية النصيحة، هذا أيضا حدث مع بعض المسيحيين أمام ماسبيرو عندما طلب منهم نجيب ساويرس فض الاعتصام دون جدوى، يتضح لنا أن المستوى الفكري الأعلى داخل أي

جماعة؛ كون دائما معول للبناء ويسهل التعامل معه بلغة العقل والمنطق، المستويات الأقل في التحصيل تكون مناخا خصبا للتعصب الأعمى والمدمر في أحيان كثيرة.

٣- **عبير وفتنة امبابة:** ما كادت الأمور تعود إلى الهدوء حتى ظهرت مشكلة عبير في إمبابة في مساء٩ /٥/٢٠١١... الأمور تتحرك بوتيرة متسرعة نحو الانفجار دون توقف، عبير من مواليد المنوفية وتعيش في قرية ساحل سليم قوسينا عمرها ٢٦ عاما، خريجة دبلوم تجارة ٢٠٠٤، وتخرجت من معهد الخطوط في ٢٠١٠ م [١] ، لقد أقامت دعوى تفريق عن زوجها القبطي، أن هيئة المحكمة قد نظرت الدعوى برئاسة الدكتور تامر عزت في شهر مارس ووافق زوجها القبطي على التفريق بحضوره أمام هيئة المحكمة [٢] ، لقد استطاعت عبير الهروب من الكنيسة التي بها الأحداث, بعد أن تم اكتشاف أنها قد تزوجت عرفيا من شخص مسلم يدعى مُحَمَّد أحمد إبراهيم، واندلعت الأزمة عندما جاء زوج عبير المسلم، وقال أن زوجتي عبير مختطفة ومحجوزة داخل الكنيسة، تجمع حوله المارة وبعض السلفيين وتوجهوا إلى كنيسة مارمينا بامبابة , ولكن ما حدث أن تاجر مسيحي يدعى عادل لبيب سبق اتهامه عام ١٩٩٢ بالتحريض في أحداث عنف ضد المسلمين وعلى صلة قوية بالحزب الوطني هو الذي بادر بإطلاق النار، نفس الواقعة تتشابه مع حادثة قرقاص ميسيحى من الحزب الوطني يبدأ بإطلاق النار، يبدوا أن الأمر قد تم الإعداد له مسبقا ودليل ذلك زجاجات الملتوف التي تم إلقائها على المتظاهرين المسلمين والذين يطالبون بالإفراج عن عبير، والمسلمون أيضا يبدو أنهم كانوا على أهبة الاستعداد وتم تبادل إطلاق النار وأسفر الحادث عن سقوط ١٨ قتيل من الجانبين علاوة على ما يقرب من ٢٥٠جريح أصيبوا بإصابات متنوعة.

أظهر الحادث مدى انتشار بذور الطائفية ومحاولة قلة من المتعصبين لجر جموع البلاد

---

[١] أحمد حربي أ بو ابة اليوم السابع، ٢٠١١/٧/١.

[٢] بو ابة الأهرام، المحافظات، اخباروتقارير، ٢٠١١/٥/٩

نحو حرب أهلية بدون هدف أو طائل من ورائها عادة ما تكون الشرارة الأولى للفتنة بسيطة وبعدها يصعب إيقاف التدهور لا قدر الله للمرة الثانية بل العاشرة يجد الجيش نفسه في مأزق فاستخدام الرصاص الحي سوف يكون في غير صالح وأد الفتنة كما أن المرونة غير مطلوبة موقف لا تحسد عليه الجهات الأمنية، والوطن فى مفترق الطرق والأوراق مختلطة، تتكرر نفس المشكلة وتم إحراق كنيسة أخرى بإمبابة هذا التطور المتلاحق السريع يعد من أخطر ما يهدد الأمن القومي لمصر، نفس السيناريو محاولات تهدئة من العقلاء،جموع الشعب ترفض ذلك التصاعد , ولكن قلة تهدد الوطن باسم الدين وقد تكون مخترقة خارجيا تعبث بأمن الوطن.

تصاعدت احتجاجات المسيحيين وتم الاعتصام للمرة الثانية خلال شهر أمام ماسبيرو وتم أيضا تصعيد سقف المطالب الذي تجاوز الحدث وتم المطالبة بافتتاح عدد ٥٠ كنيسة كانت مغلقة لأسباب أمنية ربما لوجود بعض المتطرفين المسيحيين بها، كان من المتصور أن يتم فض الاعتصام بعد يومين أو ثلاثة، ولكن وجوده فى منطقة حيوية أثرت على حركة التجارة بمنطقة بولاق، أدت إلى احتكاكات بين بعض أصحاب المحلات والرافضين لذلك التجمهر بل وصل الأمر إلى إلقاء الملتوف من فوق كوبري أبو العلا على المعتصمين وهو ما يؤكد أن الاحتقان في سبيله للتزايد وقيام بعض من أطلق عليهم البلطجية بالاشتباك مع المعتصمين، لا ينكر أحد خطورة تصاعد الاشتباكات بين أبناء الوطن الواحد وصل الاحتقان إلى عين شمس والإسكندرية في صورة احتجاجات مسيحية ومناوشات مع بعض المسلمين بالطوب أو بالعصي على هامش الاعتصام الذي أضر بمشروعية بعض المطالب التي ينادى بها المسيحيين لقد ظهر نوعا من التعصب لا يقل عن التعصب في المعسكر الإسلامي،وتم فض الاعتصام بعد أسبوعين تقريبا بعد أن خسر المسيحيين بعض النقاط نتيجة للإصرار على الإضرار بالموقف العام للدولة، لقد فعل المسحيين نفس الخطأ الذي بدر من معتصمي قنا عندما أغلقوا الطريق وقطعوا قطبان السكك الحديدية بين القاهرة وأسوان أيضا يقطع المسجيين طريق ماسبيرو في القاهرة

ضربت الاعتصاماتالاستقراروأثرت علي قطاع السياحة فبالتوازي مع احتجاجات قنا

بشأن المحافظ أضر الفريقين بالوطن والسياحة والاقتصاد لدرجة أن المؤشر العام للنمو الاقتصادي فى فترة الأزمة نزل إلى درجة الصفر وصنفت مصر على أنها من البلدان غير المستقرة وتراجعت السياحة التي شهدت انفراجة نسبية بعد تنحى الرئيس مبارك، هكذا نجد أن أعداء الوطن من الداخل نتيجة للتعصب يحرزون عدة نقاط سلبية في اتجاه خدمة أهداف إسرائيل والقوى الغربية المناهضة، للأسف قد يتحرك المتظاهرين في مجمل تحركاتهم وهم يحملون بعض النوايا الحسنة وعلى حسب اعتقادهم فهم يتصورون أنهم خالصة البشر الأوفياء للدين، في حين أن ما يحدث لا علاقة لها بالدين،فطالما وجدت حكومة فهي المرجع الأول للبت في أي نزاع.

وتم نقل اخبار تفيد أن عبير برئيه من أحداث الفتنة بإمبابة، وأنها تخلت عن اسم عبير، واسمها الآن أسماء مُحَمَّد أحمد إبراهيم، وأنها اعتنقت الإسلام عن قناعة وبعيدا عن أية نزوات أو عواطف كما قيل وفى ١٥ سبتمبر ٢٠١٠، تركت الأسرة دون علمهم وذهبت إلي الأزهر وقامت بإشهار إسلاميها، المسجل به اعتناق الإسلام بتاريخ ٢٣ سبتمبر ٢٠١٠وسوف نسرد بعض ماكشفت عنه من التعرض للضغط داخل الكنيسة.[١]

" وتقول عبير فوجئت بزوج عمتي يطلب من والدي أن يقوم بتسليمي للكنيسة بسبب غيابي عن البيت ٥ شهور، وبالفعل قام بتسليمي إلى كنيسة دير العذراء مريم بدرنكا في أسيوط، وتم سجني داخل الكنيسة لمدة ٨ أيام، ولكنهم لم يكونوا يعلموا بحقيقة إشهار إسلامي، وكانوا يعتقدون أنني هربت مع ياسين بسبب خلافاتيومشاكلي مع زوجي السابق لكن ياسين ذهب إلى أهلي وأبلغهم، أنني أشهرت إسلاميوأنني زوجته، وفوجئت بأهلي يخطرون الكنيسة بأنني أسلمت، وبدأ الكهنة التحقيق معي وقالوا لي كيف في هذا السن وأنا أبلغ من العمر ٢٥ عاما أقوم بتغيير ديانتي، وطلبوا منى تحرير بلاغ ضد ياسين، وأن أدعى أنه أجبرني على الهرب معه وتغيير ديانتي، وأنه تم اختطافي

[١] نشر بجريدة أخبار الحوادث في عددها رقم ١٠٠٦

ورفضت، وقلت لهم إنني أسلمت بإرادتي وسألتهم ماذا تريدون، قالوا ورقة ارتداد، ووفقنهم خوفا على حياتي لأن أهلي أصبحوا لا سلطة لهم عليّ، بل الكنيسة التي هي السلطة العليا، وبعد انتهاء ٨ أيام تم نقلى إلى دار المسنات جلست فيه لمدة ١٥ يوما، وبعدها تم نقل إلى دار أخرى مكثت بها ١٥ يوما، ومن مارس إلى شهر مايو، وأنا في سلطة الكنيسة، وتسرد عبير، سافرت إلى العباسية وتم تسليمي إلى الكاتدرائية لاستكمال أوراق العودة إلى المسيحية، وأثناء وجودي في العباسية تعرضت لشتى أنواع الضغط لارتدادي إلى المسيحية، واضطررت لمسايرتهم حتى لا يؤذونني، وسألوني كيف أسلمت، وطلب منى كاهن نفس الطلب السابق، أن أقوم بالإبلاغ عن ياسين وأتهمه بالإجبار على الزواج العرفي منه، رفضت وأصررت على الرفض لكنهم قاموا بعمل بعض الأوراق التي قاموا باستخراجها ومنها شهادة ميلاد من العباسية تثبت أنى مسيحية، وقسيمة الزواج التي تم استخراجها بأنني متزوجة كان بها أخطاء، وأضافت عبير بعدها تم نقلى فى بداية شهر مايو ٢٠١١ إلى كنيسة إمبابة حتى يتم الانتهاء من إجراءات أوراق العودة، وتم وضعي في مكان ملحق للكنيسة وهو عبارة عن سكن لراهبة أقمت معها.

وكشفت عبير أنه أثناء تحركها في الكنائس وجدت بنات أخريات محتجزات، وكن موضوعات في أماكن بعيدة، وقالت كن لا نستطيع أن نرى أحدا إلا بإذن من الكنيسة، بالإضافة إلى أنني أخذت في الكاتدرائية كرس تأهيلي لعودتي مرة أخرى إلى المسيحية، وتساءلت عبير هل لو كانت الكنيسة لم تحتجزني، كانت قد وقعت أحداث إمبابة؟ ولكن في أول فرصة استطعت فيها التحدث من هاتفي قمت بالاتصال بياسين وقلت له إنني محتجزة في كنيسة مارى مينا بشارع المشروع بيت يوحنا القصير، وراعى الكنيسة أبونا أبانوب، وحذرته من محاولتهم تلفيق التهم إليه.

وفوجئت بالراهبة تقول لي أمشى بسرعة وخذي معاكى كل متعلقاتك ولا تتركي شيئا وإحنا براء من دمك، وفي يوم الحادث السبت ٧ مايو ٢٠١١ بعد صلاة العشاء خرجت إلى الشارع، وشاهدت أمام الكنيسة شبابا، وركبت توك توك، وفى الطريق حاولت الاتصال بياسين لكن دون جدوى ووجدت تليفونه غير متاح، وفى الطريق تحدث معي

سائق التوك توك الذي طلبت منه مساعدتي في الوصول بعيدا عن إمبابة والذهاب إلى المنوفية لمقابلة الشيخ جمال، وبالفعل وافق على مساعدتي وأقمت عنده في نفس اليوم ٨ مايو وفى الفجر سافرت إلى المنوفية" [١]

توضح تلك الشهادة أن الكنيسة تتبع سياسة ممنهجة في التصدي لظاهرة إسلام المسيحيات، لو أن الأمر يقتصر على النصح والإقناع لا توجد مشكلة، لقد أقترن ذلك بنوع من القهر والترهيب بل حسب ما نشر التلفيق والترويج لتهم الخطف بالباطل، هذه هي أقصى درجات التعصب، التهمة المعدة سلفاً هي الخطف أو علاقة جنسية بسبب مرض الزوج، يجب أن ينتهي كل ذلك وعلى الدولة وحدها أن تنزل كل وسائل العقاب بمن يفعل ذلك لا فرق بين أي قياد دينية أو شخص عادى الكل أمام القانون سواء دون تفرقة ،العقاب الرادع هو الحل.

أظهرت قضية عبير أن الجانب المسيحي أكثر تعصبا فيما يتعلق بشأن إسلام المسيحيات وهذا التعصب هو محور للتوتر في كثير من الأحيان، قضية عبير أكدت أن مسألة إعلان وفاء قسطنطين وكاميليا شحاتة إسلامهما كان حقيقة وأنه تم الضغط عليهما للتراجع عن إعلان الإسلام ونظرا لأنهما على قدر من الثقافة فضلت كاميليا الإعلان عن أنها مسيحية وتعيش مع أسرتها لدرء الفتنة، وهذا موقف جيد حتى لو تراجعت بالفعل عن الإسلام فإن بداية ما ذكر كان حقيقيا، احتجاز عبير لأنها أسلمت في الكنيسة يدل على أن الكنيسة المصرية تقف خلف ذلك النهج أضف إلي ذلك تغذية التظاهرات والأعتصامات، الغريب في الأمر أن عدد المسلمات المعلن عن أنهن أسلمن ٢٥٠ سيدة هن عدد لا يقدم ولا يؤخر في المسيحية التي بلغ معتنقوها في العالم أكثر من مليار ونصف كذلك دخول هذا العدد إلى الإسلام لن يزيد المسلمين شيئا فهم ثلث سكان العالم تقريبا، قيام البعض بتصوير أن إسلام عبير هو نهاية المسيحية أمرا خاطئا وضد حرية العقيدة.

---

[١] أحمد علابي، بوابة اليوم السابع، ٢٠١١/٧/١، عن اخبار الحوادث العدد ١٠٠٦

عبير ذات مستوى ثقافي بسيط وليست زوجة كاهن ولن يشعر بها أحد سواء أسلمت أو ظلت في المسيحية، و ليس لها وزن نسبى إذا قيست بسقوط ١٨ قتيلا وأكثر من ٢٥٠ جريح مع تهديد أمن البلاد، تؤكد الأحداث أن هناك توجه عام في الكنيسة من قبل تيار التشدد للضغط على قوى الاعتدال لمنع إسلام المسيحيات وقد استجاب النظام السياسي بمصر لذلك الضغط ظننا منه أن ذلك يرضى الغرب أو حتى يستمر الحصول على الدعم السياسي من القوى الغربية للاستمرار في الحكم أو للرهان على أصوات المسيحي فى الانتخابات

تزامن مع ذلك التعصب داخل المعسكر المسيحي واستجابة الدولة لهم في هذه المسالة إلي تنامي تيار مشدد أخر داخل المعسكر المسلم لأنه كان يريأن الدولة تقف ضد إخوانهم فى الدين بعد أن أعلنوا إسلامهم، هكذا تؤسس الضغوط السياسية عندما تكون لصالح الحاكم لنمو التشدد, اقترن بكل حادثة اعتداء أو خلاف إسلامي مسيحي بأن تتجاوز مطالب المسيحيين الحدث القائم في محاولات تكون أحيانا مشروعة وفى أحيان أخرى ابتزاز سياسي لا يناسب المرحلة المتعثرة هذا سحب من المخزون التراكمي الجيد لدى الكثير من المسلمين لم يكن الوقت يسمح بفتح جرح جديد اسمه عبير كاد أن ينزلق بالبلاد إلى فتنة مازال يروج الأعداء بكل قوة ممكنة.

سابعا: الاعتداء على الكنيسة في أعياد الميلاد: يستنكر عموم المصريين الحوادث الإجرامية التي تقصد الكنائس والمصلين بها مهما كانت الأسباب، لا يحق لأي فرد أن يتجه لدار عبادة للنيل منها، تلك الجرائم ضد صحيح الدين الإسلامي وهنا يجب تطبيق أقصى عقوبة دون هوادة أو رحمة لكل من يحرض أو يساعد أو ينفذ تلك الجرائم.

١- **الأعتداء علي كنيسة نجع حماد:** لقد كان حادث نجع حمادي ليلة عيد الميلاد في مساء ٦ يناير ٢٠١٠ من الأحداث المؤسفة والمخزية لمن قام بها أو تعاطف معها ،لقد أسفرت عن مقتل ٨ وإصابة ٧ آخرين لقد كان السبب ، قضية اغتصاب

فتاة مسلمة من قبل شاب مسيحي وهو ما أدى إلى إحداث عنف ضد المسيحيين في قرية أبو شوشة ومركز فرشوط في قنا.

ارتكب المجرم حمام الكموني تلك الجريمة البشعة ومن اللافت للنظر أن من قام بهذا الحادث هو بلطجي ليس له علاقة بالدين؟ لقد كان السبب الظاهر قضية اغتصاب لا علاقة لها بالمسيحية من قريب أو بعيد والمجرم معلوم ومحدد الهوية ترى ما أسباب تفاقم الأزمة ووصولها إلى هذا الحد؟ يعد بطء إجراءات التقاضي وغياب العدالة وعدم فورية الثواب والعقاب فرصة ومناخ لمزيد من الجرائم والتعصب، لو أن المغتصب المسيحي عوقب على جريمته في أسرع وقت ممكن بأقصى عقاب كان يمكن أن تدارك الأمر؛ ولكن تراخى الدولة في حسم القضايا أدى إلى تفاقم الأزمة، جريمة الاغتصاب تخص المجرم الذي ارتكبها فهو محل العقاب وليس الأبرياء المحتفلين بأعيادهم.

يعد الكموني حسبما نشر عنه في العديد من المواقع الإلكترونية المتنوعة أحد المجرمين الذين يستأجرهم سماسرة الانتخابات لقهر المنافسين؛ وإرعابهم وعادة ما كان هؤلاء السماسرة من أتباع الحزب الوطني المنحل، ويري البعض أن انتخابات ٢٠٠٥ شهدت شعارات طائفية في الدعاية وارتبط اسم الكموني باسم أحد مرشحي الحزب الوطني في قنا عبد الرحيم الغول والتي أسفرت الانتخابات عن فوزه، ولكن حسبما روى أن المسيحيين كانوا كتلة تصويتية تدعم المرشح الأخر، هذا الجزم قد يكون مبالغ فيه لأن ارتباط المسيحيين بالحزب الوطني كان تحالف موجهاً ضد الإخوان لدى شريحة كبرى منهم، فهل خرج المسحيين في قنا عن هذا النهج ،وحسب الرواية أن ما نشر عن دعم المسيحيين لمرشح أخر مستقل هو فتحي قنديل، أثار غضب مرشح الحزب الوطني الذي أشيع عنه أنه هدد كيرلس مهدد.[١]

هذه الرواية إن صحت فهي تدل على عدم صلاحية من يقولها في أن يكون نائبا للأمة.

---

[١] حنان كمال، بوابة اليوم السابع، تحت عنوان: مجزرة نجع حمادي والكموني والحزب الوطني، ٢٠١٠/١/١٣، ومصادر أخري.

لقد تردد أنه عقب انتخابات ٢٠٠٥ تعرضت بعض المحال المملوكة للمسيحيين للحرق والنهب انتقاما من الكتلة التصويتية التي خذلت مرشح الوطني، ولكن بعض المعلومات التي سربت مع مطلع عام ٢٠١٢ تشير إلي أن من بعض الأسماء التي رددت تلك الرواية، ورد أسمائهم في وثائق سربت من موقع ويكيليكس، بوصفهم من المتعاملين مع السفارة الأمريكية، وهذا قد يلقي بظلال من الشك علي حقيقة الأمر لأنه يحمل احتمالات القصد والتربص في تزكية النزاع الطائفي وخاصة أن المتهم بدعم الكموني ينتمي إلي عائلات ذات عصبية كبري وهذا قد يحقق القصد في إشعال الطائفية . وأن صحت الرواية هنا نحن بصدد استغلال سياسي للدين بل بلطجة سياسية وأن والخلاف ليس له علاقة بالدين الإسلامي، فالصراع كان سياسي على مقعد نيابي تحول إلى انتقام بسبب دوافع شخصية، حمل الدين نتيجة تلك الأفعال.

استغلت أحداث واقعة الاعتداء على فتاة مسلمة تم اغتصابهم لركوب موجة الغضب العام والاعتداء على أبرياء لا علاقة لهم بجريمة الاغتصاب فلا يمكن لمجرم مثل الكموني أن يعرف أصلا ما هو الدين , بما يعنى أن الأمر كان استغلالا لحالة الاحتقان وهو ما يعزز وجود عدة احتمالات منها أن يكون ذلك تحت بصر الغول نفسه وهو احتمال قد يكون ضعيف وأيضا يعد الاحتمال الأخر جاء ضمن اختراق مخابراتي خارجي كان على علم بتفاصيل الاحتقان داخل نجع حمادي وفرا شوط وتم الوصول إلى الكموني كمجرم من خلال أحد العملاء وتم دفعه إلى هذا الحادث، تحركت القضية و صدر الحكم بإعدام الكموني وبعدها الحكم على الشاب مغتصب الفتاة ولكن المثير للدهشة أن منظمة العفو الدولية كانت تطالب بإلغاء حكم الإعدام على الكموني ودعت في بيان رسمي لها السلطات المصرية بعدم تطبيق جميع أحكام الإعدام وخاصة الحكم الصادر ضد الكموني

تلك الدعوة غير مقبولة لأن حسم قضايا الاعتداء على النفس البشرية يجب أن يكون رادعا في مثل هذه الحوادث بالذات لأن الاستجابة لهذا الطلب يعنى عدم وجود ردع للإجرام الطائفي من جهة ومن جهة أخرى يؤدى في حال الاستجابة لهذا الطلب، إلى

شعور متنامي لدى الأقباط بمصر بالاضطهاد وهو ما يعزز لنمو التيار الطائفي.

لماذا اختارت منظمة العفو الدولية الكموني بالاسم؟ لتطالب بتخفيف حكم الإعدام عليه! في ظل وجود عشرات حالات الإعدام التي تنفذ سنويا في مصر ضد الخارجين على القانون؟ عادة ما يدس السم في العسل وهو ما يؤكد أنه يوجد اختراق داخل بعض المنظمات التي تحمل هدفا إنسانيا من أجل استغلال الأهداف النبيلة في تأجيج الصراع داخل البلدان الأخرى لأن الوجه الأخر القبيح لبعض المنظمات التي تحمل شعارات إنسانية يكون هو خدمة اليمين المتطرف أو مصالح الدول الكبرى لأن تخفيف الحكم على الكموني يعد ورطة تكرس للطائفية الهدف في مظهره قد يكون لدى البعض غاية في النبل والتسامح، ولكن النتائج غاية في السوء وهو ما يدفعنا إلى ضرورة الحذر من الشعارات البراقة لبعض المنظمات الدولية التي يتم تسييس عملها لخدمة المخابرات الغربية.

٢- **كنيسة القديسين بالإسكندرية:** سوف نقفز إلى يناير عام ٢٠١١ ونستعرض حادث كنيسة القديسين بالإسكندرية حيث أسفر هذا الحادث عن مقتل ٢١ من بينهم مسلم وإصابة ٧٩ آخرين، وسوف نجد أن أسلوب ضرب المسيحيين في نجع حمادي هو نفس الأسلوب الذي تزامن مع مناسبة دينية تجمع حولها مئات الملايين حول العالم لتكون الصدمة الكبرى التي تزف من مصر للعام الثاني على التوالي هي أن مصر تستهدف المسيحيين وتقتل الأبرياء العزل في أعياد الميلاد وأثناء الاحتفالات.[١]

مكمن الخطورة أن تلك الحادثتان المنفذتان تمتا في توقيت مختار ومحدد سلفا يتزامن مع أعياد يجتمع حولها العالم المسيحي في العالم بأثره، لقد أربك الحادث الجميع وأعلنت الداخلية أن جيش الإسلام المنشق على حركة حماس هو الذي ارتكب تلك الجريمة وقد تم تحديد المتهم بالحادث من قبل الداخلية وهو حسب ادعاء الداخلية أحمد لطفي

---

[١] بوابة الأهرام،المحافظات أخبار وتقارير، تحت عنوان: ٢١ قتيلاً و٧٩ مصاباً ضحايا كنيسة القدسين بالأسكندرية، ٢٠١١/١/١

إبراهيم مُحَمَّد وقد سبق له التردد على غزة وتم إقناعه بالتعدي على دور العبادة، في ذات الوقت كان هناك تهديدا سابقا من القاعدة يهدد باستهداف الكنائس بمصر، الأوراق تتداخل بصورة مذهلة في مسلسل العبث بأمن هذا الوطن.

عرضت بيانات المتهم فهو من مواليد الإسكندرية عمره ٢٦ سنة حاصل على ليسانس آداب شعبة مكتبات وهو غير متخصص دينياً واعترف حسب بيان الداخلية بارتكاب الحادث وكان أول اتصال له بغزة يرجع لعام ٢٠٠٨، ثم بعد ذلك كان التواصل إلكترونيا عبر النت، وكلف بتفجير كنيسة القديسين بمنطقة سيدي بشر وكذلك المعبد اليهودي بمنطقة المنشية وخلال التواصل تم إبلاغه خلال شهر ديسمبر بتنفيذ الحادث الإجرامي، وذلك وفقا لما أعلنه وزير الداخلية حبيب العادلى قبل اندلا ع ثورة ٢٥ يناير مباشرة لقد كان وجه الشبه بين حادثي كنيسة نجع حمادي بقنا والقديسين بالإسكندرية هو التوقيت، وأن المنفذان الأول مجرم وبلطجي والأخر مع الاحتفاظ بكامل الشكوك في الأمر هو خريج كلية غير دينية وأن التسويق الإعلامي للحادثين كان على أعلى مستوى في كل أنحاء العالم.

"وفى أثناء ثورة ٢٥ يناير كان ما نشر عن قيام دبلوماسي غرب من أمام قصر الإليزيه الفرنسي عن حادثة القدسيين , هو إن سبب إصرار انجلترا على رحيل مبارك وفريقه هو أن المخابرات البريطانية تأكدت ومن المستندات الصوتية الرسمية المصرية والورقية أن وزير الداخلية المصري قد شكل منذ ست سنوات جهازا خاصا يديره ٢٢ ضابط وعدد من بعض أفراد الجامعات الإسلامية التي قضت في سجون الداخلية وعدد من تجار المخدرات وفرق الشركات الأمنية وأعداد من أصحاب السوابق الذين قسموا إلى مجموعتين لعمل تخريب شامل مصر في حالة وجود أي اهتزاز للنظام كما نشر منسوباً للمخابرات البريطانية أن الرائد فتحي عبد الواحد المقرب من وزير الداخلية العادلى كان يحضر للحادث منذ ١١ ديسمبر ٢٠١٠ واتصل بمجموع من تشكيل أطلق عليه جند الله لتأديب الأقباط فأعجب مُحَمَّد عبد الهادي قائد جند الله بالفكرة وجند لها عنصرا أسمه عبد الرحمن أحمد على حتى تم الحادث الإجرامي، ثم بعدها تم القبض على رئيس تنظيم

جند الله والمنفذ ثم بعد ذلك هربا خلال الثورة، هذا ما نشر على النت وخلال المواقع الإلكترونية وبعض الصحف وعللوا أن سبب قيام الداخلية بذلك هو التمهيد للتوريث وتحويل الرأي العام إلى قضايا أخرى حتى يتم الهدف"[١] وتلك نماذج من معلومات تثير البلبلة وغير موثوق بها.

وحسب ما نشر والغريب في الأمر أن المعلومات محل الادعاء كانت بحوزة المخابرات البريطانية منذ ست سنوات؛ وهي لو كانت صحيحة لماذا لم يتم رفع الأمر إلي الجهات المختصة أو الأمم المتحدة كما حدث مع عمر البشير رئيس السودان، ذلك يعنى التأسيس لجرائم طائفية وحرب إبادة جماعية.

تشهد السنوات السابقة أن العلاقات المصرية الغربية كانت على أفضل ما يرام ولم يوجد ما يعكر صفو تلك العلاقات وكان عادة ما يطلق على نظام مبارك بأنه حليف الغرب، جاء هذا التسريب في وقت كانت مصر خلال ثورة يناير تعانى فراغا أمنيا والدفع به في هذا التوقيت كان بمثابة دعوة مباشرة للمتطرفين بإطلاق رصاصة واحدة وسوف تتوالى بعدها التوابع التي تؤسس لحرب أهلية حقيقية وهو ما يضمن تفتيت مصر أو إضعافها وهذا لا يخدم سوى إسرائيل واليمين الغربي المتشدد فقط، تشير تلك الرواية إلى احتمال أن ما يبث على النت يأتي من قبل إسرائيل في صورة تشبه الوثائق.

قد توحي علاقة الكموني مرتكب حادثة نجع حمادي بالغول زعيم الأغلبية بالحزب الوطني واتهام الداخلية المصرية في حادثة القديسين بأن الداخلية كانت تستخدم ملف الطائفة في مصر من أجل الأغراض السياسية ولكن لم تسفر أي تحقيقات رسمية عن ذلك ولا يجب التسرع في إطلاق التهم في هذا الأمر لأنه لو صح ارتباط الكموني والغول فإن الأمر لا يعد وكونه نوعا من الثأر، فورقة البلطجة سبق استخدامها في الانتخابات تحت نظر ومرأى الداخلية بل ورعايتها ولكن السير في هذا الاتجاه وإن كان محتملا بدون تحقيقات يعد

---

[١] مني مدكور، الشرق الأوسط، تحت عنوان: رمزي أرفض المادة الثانية من الدستور، ٢٠١١/٢/١٩، وفديو مذاع لعمر عفيفي علي اليوتيوب.

مخالفا لقواعد العدالة، واستباقا للأحداث، وهو ما يستوجب على المسئولين إعادة فتح هذا الملف مرة أخرى لأن من ضمن المبررات هو محاولة لفت الانتباه عن تزوير الانتخابات في نوفمبر ٢٠١٠، ولكن الهدف الخاص بتصوير أن غزة مصدر للإرهاب لا يخدم إلا إسرائيل وهو ما يعزز وقوف المخابرات الإسرائيلية وراء ذلك لتحقيق هدفا مزدوجا يضمن التحريض الدولي ضد فلسطين لمنع الاعتراف بدولة فلسطين والهدف الأخر استمرار إثارة القلاقل في مصر لخلق مزيدا من الإضرابات لضرب الاستقرار في مصر، قد يصعب لنظام يقاتل من أجل السلطة أن يورط نفسه في تلك الحادثة وخاصة انه قد تنازل عن سلطة الدولة للكنيسة في العديد من الحالات لمغازلة الغرب، يصعب عليه أن يدعم ذلك لقد كان يتعقب كل ما هو إسلامي بل وسبق العديد من الدول الأوربية في منع الحجاب في الأعلام التلفزيون المصري ،فلم يكن النظام له علاقة بالدين وأن صح ما نشر فهو بلطجة سياسية من نوع جديد وليس للدين دخلا بها.

ثامنا: حوادث بسبب بناء كنائس وعددها: تمثل عملية بناء الكنائس مشكلة كبرى بدون أي داعي، ومن الناحية العملية لا يوجد ما يضير المسلمين من ذلك، وعلينا أن نعترف أن القانون فشل في التعامل مع الأزمة بالتشريع أو التقنين وهذا الفشل بصراحة يؤكد عدم أهلية قطاع كبير من القائمين على التشريع بمصر، كما أن التصرف الشعبي تجاه أمر كان جامداً، وفي الجانب الآخر كان رد الفعل النفسي مزيداً من الشحن الطائفي نتيجة فيما يمكن تصويره على أنه قهر طائفي من قبل المسحيين.

١- **كنيسة قرية بمها**: التعصب والجهل دوراً لا بأس به زيادة الهوة بين طرفي الأمة، تظهر بعض الاضطرابات في هذا الصدد من حين لآخر، و علي بعد ٧٠ كيلو متراً من القاهرة عندما سرت نيران الفتنة بين مسلمي ومسيحيي قرية(بمها)التابعة لمركز العياط بالجيزة بعد سريان إشاعة عزم أقباط القرية تحويل احد منازلهم لكنيسة رفض المسلمون ما اتفق عليه الأقباط الذين يبلغ تعدادهم في القرية ٣٠٠ مسيحي مقابل ستة آلاف مسلم، وعبروا عن رفضهم الذي لم يعره المسيحيون انتباها في بادئ

الأمر من خلال حرق ٢٠منزلا وحرق ٥ محلات ليلة ١٤ مايو ٢٠٠٧ وفقا لما ذكرته تحقيقات النيابة في الحادث، لقد أراد المسيحيون بناء كنيسة كنوع من التقوى والورع وتصور المسلمون أن منعهم دليل تدينهم وحدثت المواجهات دون أن تكون هناك أدنى مصلحة أو علاقة للدين بهذا النهج، الأمر لا يخرج عن كونه تعصب وتخاذل حكومي في الحسم أما الموافقة على البناء أو الرفض دون تدخل من أحد.[١]

٢- **سور دير أبو فانا:** تتكرر المأساة وتسبب نزاع على قطعة أرض تبعد حوالي ٢٧٠ كيلو متراً عن القاهرة في نشوب الخلاف بين رهبان دير أبو فانا وبعض الأعراب المنتمين لقصر هور،النزاع الذي استمر لثلاث سنوات بين شد وجذب من الطرفين لإصرار كل منهما علي أحقيته في أرض قريبة من الدير، اكتمل طور انفجار فتيل الأزمة ليلة ٣١مايو ٢٠٠٨ عقب شروع الأقباط في بناء سور لإحاطة الأرض محل النزاع بعد حصولهم علي تصريح من الجهات الرسمية ببنائه، هاجم عدد من المسلمين الدير الذي يقع بملوي التابعة لمحافظة المنيا، لوقف أعمال البناء وحدثت اشتباكات نتج عنها إحراق أجزاء من الدير لتسفر الأحداث عن مصرع مسلم وإصابة أربعة مسيحيين من بينهم راهبان .[٢]

أصبحت عملية خرق القانون في بناء في بناء الكنائس منهجا متبع وحلا لامناص عنه من قبل بعض إتباع الكنيسة وهذا المسلك ليس بدعة مسيحية ولكنة بات سلوك شعبيا للتحايل على القانون في معظم أو كل عمليات البناء المخالفة للتراخيص المبدئية فتجد إن معظم الأدوار المخالفة تتم داخل المدن المصرية وعلى رأسها القاهرة الكبرى والإسكندرية نتيجة تقاعس الإدارة المحلية وتصبح أمرا واقعا فيما بعد وجدت الكنيسة الحل سهلا فما عليها إلا إن تقوم بالإيعاز لا أحد أتباعها بإشهار جمعية أهلية ثم ما تلبث

---

[١] دعاء البادى، بوابة الوفد، الخميس ,١٨ أبريل ٢٠١٣

[٢] دعاء البادى، مرجع سابق

فيما بعد إن تتحول إلى كنيسة بعدها كأمر واقع، وتمر حالات عديدة دون شعور احد بها ولكن عندما يتصدى المسلمون لذلك بغير صفة أو تفويض أو من باب التعصب تصبح القضية بابا من أبواب الطائفية، فالمنع أو الموافقة على هذا الأمر يخص الإدارة المحلية فقط طبقاً للقانون الذي يجب أن يراعى حاجات المسحيين الفعلية إلى بناء الكنائس، ولكن قيام مجموعة من المواطنين بمنع ذلك يعد خطأ لايقل في خطورته عن البناء بالمخالفة والتحايل، هل يقوم هؤلاء الأفراد بالتصدي لمخالفات البناء بصفة عامة،مع أن المخالفات القانونية تنتشر داخل المجتمع في كل قوانين البناء.

يتصور البعض من الجانب المسيحي أن خرق القانون لإقامة كنيسة عملا بطوليا سوف يجعلهم ينالون رضا الرب في حين تطفو الصحوة الزائفة لدى بعض المسلمين في مسائل بناء الكنائس بصورة مقيتة وليتهم يتصدون للفساد داخل النفس البشرية أو حتى داخل أنفسهم،وعلى الجانبين نجد إن الأمر هو عملية في معظمها مجرد أداء شكلي يقف على مساحة تتفاوت في البعد عن الدين،هل أصبح بناء كنيسة بالتحايل أو التصدي لذلك هو قمة التدين ؟.

٣- **تحويل مصنع إلي كنيسة**: تنوعت أساليب التحايل في البناء وكان أكثرها تخطيطاً هو شراء مصنع ملابس في عام ٢٠٠٨ من صاحبه المدعو مُحَمَّد عزيز الدين من قبل مجموعة من المسيحيين في منطقة عين شمس،المرفوض في هذه الحالة هو إيقاف مصنع منتج يتيح عشرات المئات أو بعض ألآلاف على أقصى تقدير من فرص العمل المباشرة أو غير المباشرة وتحويله إلى كنيسة على الرغم من أن شروط البيع تنصعلى استمرار النشاط كما هو في صناعة الملابس، وعقب أن أكتشف المسلمين ذلك رفضوا، وربما تكون هذه هي الحالة الأولى المبررة لرفض البناء وذلك لأنه من الصعب قبول تحويل أصل منتج إلي إلى دار عبادة وهناك العشرات من المواقع التي تصلح لذات الغرض في ظل وجود بطالة ووضع اقتصادي سيء داخل البلاد، عندما كان يحدث تجمهر ويتم إبلا غ امن الدولة يتم إغلاق المصنع.

يعد الخروج عن القانون مقترنا بتلك الحالة فبعد قيام أمن الدولة بوضع الشمع الأحمر علي المصنع الذي تحول إلي كنيسة، قام المسحيين بفكه،حدث ذلك أثناء الثورة لقد تشابه ذلك الخروج علي القانون بحالات التعدي علي الأرضي الزراعية بمصر في وقت الانفلات الأمني علي عكس مورثات الشخصية المصرية الأصلية لقد أرتد الكبت السياسي إلي منهج في التحايل علي القانون، ساهم قصر النظر في هذه الحالة في تعطيل مصنع منتج عام ٢٠٠٨ ليتحول إلى كنيسة لن تقدم جديدا للدين المسيحي وسوف تصبح مجرد رقم في سلاسل العناد الطائفي لإثبات البطولة الوهمية، ربما أن الأرقام التي تشير إلى إن عدد الكنائس في مصر ٤٠٠٠ كنيسة تأخذ في حساباتها الكنائس التي تسجل بالأوراق علي أنها جمعيات أهلية.

فلندع هذا الأمر جانب لننتقل إلى حالة أكثر خطورة ألا وهى الهوس في بناء دور العبادة ليس من باب التدين والعبادة ولكن لمجرد كون البعض يعتبر الأمر تحدي أو يدخل في إطار العناد واثبات التدين لا يختلف هذا الأمر كثيرا عن قيام بعض تجار المخدرات المسلمين أو المحتالين على أملاك الدولة ولصوص المال العام من بناء بعض المساجد لتحسين صورتهم إمام الرأي العام أو ظننا منهم أن بناء مسجداً بأموال مسروقة سوف يكفر عنهم ما اقترفوه في حق الشعب من آثام وجرائم، قطاع كبير يكذب ويمثل بل ويسرق باسم الدين في صناديق التبرعات بالكنائس و صناديق النذور بالمساجد

يستطيع بعض المنحرفين من الذين يجمعون المال من المتبرعين لبناء جمعية أهليه سوف تتحول إلي كنيسة أو بناء مسجد، وذلك بحشد الرأي العام البسيط إلي التباري في دفع الأموال من أجل أن يتربح هؤلاء في ظل الشحن الطائفي، بالطبع هذا التوصيف ينطبق فقط علي الفئات الضالة والتي تنهب وتدمر وتسرق باسم الدين إما الشرفاء فهم دائماً ما يعملون في صمت بعيداً عن الصخب أو أثارة الفتن.

٤- **كنيسة العمرانية:** ظهرت في عام ٢٠١٠ في الجيزة مشكلة تتماثل تماما ماسبق فكانت بداية المشكلة في منطقة العمرانية أن بعض القساوسة قد تقدموا بطلب

لإقامة مبنى خدمي بمنطقة العمرانية مكون من دورين أرضى و٣ أدوار علوية إلا أن مهندسو الحي تفاجئوا بعد فترة بتعديل الرسومات الهندسية بأخرى غير مدرجة في التصميم ومنها إقامة قباب وتحويل المبنى إلى كنيسة [١]، الأمر هنا تطور ففي عام ١٩٧٢ جاء تحويل المبنى إلى كنيسة في مرحلة ما بعد البناء، ولكن حادث عام ٢٠١٠ وقع قبل البناء , وعندما قام المسئولين بالحي بمخاطبة القساوسة بضرورة الالتزام ببنود التراخيص الممنوحة لهم وإذا أرادوا إقامة كنيسة عليهم التقدم بطلب أخر سوف تتم الموافقة عليه خلال أسبوعين وهو حل مقنع.

هنا لا توجد أي مشكلة، ولكن ما حدث طبقا لرواية محافظ الجيزة وقتها المهندس سيد عبد العزيز هو أن القائمين على المشروع استمروا في عمليات البناء في خطوات تحويله إلى كنيسة في تحدى سافر للقانون الذي يحكم الدولة، وعند الاتصال بالبابا شنودة لكي يتدخل لإنقاذ هيبة الدولة على اعتبار أن الكنيسة سوف تبنى، ولكن بعد الحصول على التراخيص كما وعد المحافظ، إلا أن البابا شنودة لم يرد كما قيل وقتها، وهو قد يكون صحيحا بالفعل، أو يحتمل أن يكون ذلك تهربا من الرد ، وتدخل الأمن لوقف البناء، وهو إجراء عادى يمارس ضد أي مبنى مخالف في أنحاء مصر، لقد حاول القائمين على أمر الكنيسة تحويل المشكلة بالعنوة إلى واقع ، ولكن الأمر هذه المرة دخل في إطار التحدي المباشر للقانون , فلو أن تحويل المبنى جاء بعد البناء ربما كان أفضل من ذلك، أو الانتظار أسبوعين وهي مدة ليست بعيدة كحل شكلي يحفظ للدولة هيبتها.

تجمع ما يقرب من ثلاثة الآلاف شاب مسيحي في مظاهرات، بل حاول بعضهم الاعتداء على المارة بشارع الهرم، فهذا العدد يصعب حشده في مناسبة اجتماعية، أو حتى دينية داخل الكنيسة، ولو أن الخروج كان تلقائيا لا توجد أي مشكلة، ولكن كما ذكر محافظ الجيزة سيد عبد العزيز أن هناك جهة ما تقف خلف هذا الخروج المنظم، وبالطبع هذه الجهة هي الكنيسة.

---

[١] علام عبد الغفار، بوابة اليوم السابع، ٢٠١٠/١١/٢٢

ولعل ما نشره الكاتب الصحفي علاء جاب الله في الجمهورية بتاريخ ٢٦ / ١١ / ٢٠١٠ تحت عنوان الأخوة المسيحيون جماعة محظورة جديدة قد يفسر ذلك الغموض، حيث أن فكر تلك الجماعة أي كان اسمها، فهي تستغل الدين المسيحي لغرض ما يريدون تحقيقه، ولا أستبعد أن يكون ذلك لخدمة أغراض خارجية دون قصد منهم، فمن الصعب تصور ذلك الأمر دون دليل.

فلم تكن القضية في أحداث العمرانية مجرد بناء كنيسة، فقد ارتفعت وتيرة العنف وتم الاعتداء على قوات الأمن ومبنى محافظة الجيزة وكسرت ساق مدير الأمن المركزي.

٥- **كنيسة قرية المريناب بأسوان:** تتضارب الأقوال حول أحداث كنيسة قرية المريناب بأسوان بصورة يغلب عليها المنطق الجدلي والسفسطائي، فى محاولة لعدم سماع صوت العقل من قبل فصائل كثيرة من الأطراف المتنازعة ، بدئت المشكلة عندما تقدم مسيحيي القرية إلي محافظ أسوان طالبين الموافقة علي تعلية المضيفة الخاصة بهم في قرية المرينات، ونشر في الأنترنت والصحف كذابا أنه بعد أن تمت الموافقة، فوجي بعض الجيران الملاصقة منازلهم للمضيفة بالمبني يرتفع إلي ١٣ متراً، ثم أقيمت أعلاه قبة وبدأت تقام فيها الصلوات للأقباط وكثرت الشائعات حول تحويلها إلي كنيسة مما أثار غضب بعض المسلمين.

لقد كان ماينشر محلا للكذب والتزييف فكيف أبتداءاً أن تقام الصلوات فى كنيسة لم يكتمل فيها البناء، وهذا يؤكد أن هناك من يخطط للطائفية بمصر عن كسب، وعقب تواتر الأخبار قام مجلس المدينة الذي قام بمعاينة للمكان وطالب في تقريره بإزالة الارتفاعات الزائدة، وهذا حسب القانون مشروع بغض النظر عن حق المسحيين الأصيل فى بناء ما يشاءون من كنائس، المشكلة هنا وجود مخالفة قانونية واضحة الأركان، والمعالم، ولكن الوقوف على شفا التربص من بعض أدعياء الدين من الجانبين أجج الموقف دون داعي.

وتسابقت وسائل الإعلام في نقل الخبر واستضافة مجادلين يرغب كل منهم الاستحواذ على لفت الانتباه ليجادل بغير علم ليجيش الرأي العام مستخدما في الحوار

مشاكل قديمة ليعد طرح كل القضايا المعلقة أما للتسخين أو لمحاولة اقتناص ما يمكن أسوة بحالة الانتهازية في المطالب عقب الثورة اعتمادا علي على حالة الفراغ والانفلات، وأشعل أنصاف الرجال من كافة الاتجاهات السياسية والمسطحون نيران الغضب في الطرف المسيحي في مزايدات حماسية أو بهدف الحصول علي صوت المسحيين فى الانتخابات أو لخلق جو من الأثارة يسمح لبعض القنوات الحصول على وجبة إعلانية دسمة

وعقب الحادث أشار مصدر أمني في ٢٠١١/١٠/١ أن ما حدث من مشاكل في قرية المريناب بإدفو بمحافظة أسوان لم يكن داخل احدي الكنائس كما ردد البعض علي المواقع الالكترونية ولكن المشكلة اندلعت في دار للمناسبات خاصة بالأخوة المسيحيين وأن رجال الأمن انتقلوا الي مكان الحادث فور تلقيهم بلاغاً بالواقعة وتمت السيطرة علي الأمر وجاري عقد الجلسات بين كبار العائلات والمشايخ والقساوسة لاحتواء المشكلة وإعادة الوئام الي القرية، نتيجة الشحن و أدعاء البطولة من بعض القساوسة تظاهر المئات من المسحيين حول مقر محافظة أسوان في ٢٠١١/١٠/٣، احتجاجًا على ما أطلق عليه إحراق كنيسة قيد الإنشاء في حين لم يكن هناك شيء يحرق.

وخرجت روايات مسيحية عبر ما يطلق عليهم نشطاء حقوقيين حيث ذكرت سالي سامي ليونايتد برس انترناشونال إن المحافظ أدلى بتصريحات للتلفزيون المصري حملت الكثير من المغالطات حول الأزمة أبرزها أن "كنيسة المرينات" هي عبارة عن مبنى ضيافة فيما الحقيقة أن الكنيسة أُنشأت عام ١٩٤٠ وتهدمت جدرانها لعدم الاهتمام بصيانتها، وأضافت أن أهالي قرية المرينات حاولوا إعادة بناء الكنيسة وفوجئ بمن يعتدي عليهم ويحرق الجزء الذي تم بناؤه، في مواجهة الروية السابقة وتبارت حرب التصريحات العشوائية.

وبحسب بوابة الوفد فى ٢٠١١/١٠/١٤، أن الأنبا هيدرا أسقف أسوان قال انه لا توجد كنيسة في المريناب وأن الحقيقة هي أن أهالي القرية المسيحيين يقومون بالصلاة باستمرار في هذا المنزل منذ سنوات وفي أعياد مار جرجس، وكان الأب مكاريوس يقيم الاحتفال وتتولي الشرطة حراسته، وأن هذا المكان كان للصلاة، ولم يكن كنيسة قائمة

بالفعل وبعد تهدم المبني أصبح لا يصلح للصلاة، قام الأب مكاريوس بعمل تصاريح من خلال علاقاته بالإدارة الهندسية بأسوان وحصل علي تراخيص رسمية لإحلال وتجديد ما أسماه كنيسة مار جرجس، وقام مكاريوس بإزالة البيت واستخراج تراخيص بطول **١٩** متراً وعرض **١٣** متراً أي ما يعادل **٢٤٠** متراً من الداخل وقام أيضا بزيادة ارتفاع المبني ليصل إلي **١٥** متراً بدلاً من **٩** أمتار، وأضاف أسقف أسوان أنه لم يتعرض أي مسيحي بالقرية لاعتداء من المسلمين، ولم يحدث أن تم إجبار الأقباط علي تنزيل الجرس أو الصليب؛ لأنه لم يكن هناك جرس أو صليب من الأصل لأن المبني مازال تحت الإنشاء.

تشيير شهادة عبدالله عبدالله أبوعلي من أهالي القرية وعضو لجنة المصالحة أنه تقدم بالمستندات التي تؤيد عدم وجود كنيسة، وأن المبني منزل يمتلكه معوض يوسف وتم بيعه ونقل ملكيته بناء علي حكم صحة ونفاذ في عام **٢٠٠٨** للأنبا هيدرا أسقف أسوان، وتم تقديم عقود المياه والكهرباء التي يؤكد أن المبني منزل وليس كنيسة، كما تم تقديم تقرير معاينة مديرية الزراعة الذي يؤكد أن المبني لمنزل وليس كنيسة ، كما تم تقديم المستندات الخاصة بالمعاينة التي أجرتها الوحدة المحلية بادفو التي تؤكد أن المعاينة تمت علي كنيسة "رئيس الملائكة" بخور الزق بمدينة الرديسية التي تبعد **٣٥** كم عن نجع المريناب، إلا أن تنفيذ أعمال البناء لم يتم علي كنيسة خور الزق، وتم بالتحايل والتلاعب علي البيت الموجود بنجع المريناب.[١]

توابع المشكلة في ماسبيرو: ما بني علي باطل فهو في مجمله باطل، وكل المظاهرات التي خرجت كان ورائها تحريض ربما كان فيه من يتربص ليشعل الموقف خدمة لأهداف فئوية أو التصعيد لخدمة أهدافا خارجية، تفاقمت التوابع لتصل إلي القاهرة وانطلقت مجموعة من المسيحيين، نظَّموا، السبت**١/ ١٠ /٢٠١١**، مسيرة بدأت من حي شبرا وتوقفت بوسط العاصمة المصرية القاهرة احتجاجًا على إحراق أساسات الكنيسة أو المضيفة، فى **٣/ ١٠ /٢٠١١** قرر المشاركون في مسيرة

---

[١] العربية نت ، ٢٠١١/١٠/١٢، وبو ابة الوفد ومصادر اخري.

الأقباط أمام ماسبيرو، الاعتصام أمام مبني إتحاد الإذاعة والتليفزيون، وإغلاق طريق كورنيش النيل تنديدًا بحرق كنيسة مار جرجس التي لا وجود لها في الأساس، ووضع شرط وقف التظاهرة بضبط المحرضين والجناة، وطالب المعتصمون بسرعة إصدار قانون دور العبادة الموحد، وإصدار قانون لتجريم التحريض علي هدم دور العبادة، بالإضافة إلي المطلب الأساسي المتمثل في إقالة اللواء مصطفي السيد محافظ أسوان، بسبب تصريحاته التي وصفوها بـ"المستفزة"، وأكد المتظاهرون أنهم لم يقرروا مدة الاعتصام، وهل سيقتصر علي لليلة فقط أم أنه سيكون اعتصاما مفتوحا، مطالبين في الوقت نفسه بوضع جدول زمني محدد لتنفيذ مطالبهم، فى الحقيقة كان هناك قصد فى استغلال الحدث وبطريقة انتهازية أرجو ألا يعتقد احد لوهلة واحدة أن الهدف من جرء ذلك التحليل بخس المسحيين حقهم فهذا غير وراد على الإطلاق ولكن المطالب يصعب تحقيقها بصورة فورية، فمثلا بفرض هروب متهم أوتعثر عمليات الضبط في ظل تدهور الأمن ، سوف يكون ذلك مبررا للتظاهر وصياغة قانون تحتاج إلي وقت ، الموضوع فيه سوء نية مبيتة لهدف ما من قبل الحاشدين للمظاهرة أستغل فيه البسطاء تحت ستار من شعارات دينية علي غرار ما كانت تقوم به الكنيسة فى العصور الوسطى في أوروبا!!

عززت قوات الأمن من تواجدها بمنطقة ماسبيرو لتأمين المتظاهرين، وضمان عدم اندساس أي عناصر مخربة أو خارجة علي القانون بين صفوفهم وهو أمر صعب التحقق؛ حيث تم الدفع بعدد من تشكيلات الأمن المركزي التي تمركزت بالقرب من مبني ماسبيرو من ناحية كوبري ٦ أكتوبر، في الوقت الذي واصلت فيه قوات الأمن ورجال القوات المسلحة فرض كردون أمني حول مبني ماسبيرو، وإغلاق جميع أبواب المبني، مع السماح للعاملين، بالخروج من الباب الخاص بوزارة الإعلام فقط، وتدخلت قوات الأمن لفض الظاهرة بالقوة وهو ما أسفر عن حدوث إصابات

نشر اليوم السابع ٢٠١١/١٠/٨ احتفالية شارك فيها الأنبا يؤانس سكرتير قداسة البابا شنودة الثالث بمطرانية شبرا الخيمة لتكريم مصابي ضحايا فض الاعتصام أمام

ماسبيرو ليلة الثلاثاء وكأن الأمر كان حرب علي جبهة قتال، وكرم الشاب رائف أنور الذي ظهر بأحد مقاطع الفيديو على اليوتيوب يتم سحله من قبل الشرطة العسكرية، مما أدى لإصابته بإصابات متفرقة بأنحاء الجسم وهو ما قصد به التحريض ضد الجيش ولا يوجد تفسير أخر لذلك وتحت شعار الشفافية أدعى البعض أن نشر صور رائف أنور قصد به وضع الحقيقة أمام العالم فالثورة جاءت بالحرية وضد التعتيم ولكن هنا مغالطة واضحة فعندما نشر التلفزيون وقائع التعدي على الجيش وحرق الآليات العسكرية أدعى عديد من الأقباط أن هناك تحريض من قبل التلفزيون، ونعود إلي الأب فلوباتيرجميل الذي ذكر بالنص أن المسيرة القبطية سوف تتجه إلي داخل ماسبيرو وهو ما أدي إلي شيوع فهم من قبل البعض أن هناك نية لأقتحم مبنى التلفزيون وهو ذات المعنى المباشر للنص، تطور الأمر نتيجة تحريض مسبق علي التظاهر، وتصريحات متنوعة تهدد وتنذر.

وتلبية لدعوات التحريض احتشد مئات الأقباط أمام المنطقة الشمالية العسكرية بسيدي جابر بالإسكندرية، مساء اليوم الأحد، / 10/ 2011 - 9وذلك في مسيرة احتجاجية بدأت من أمام مكتبة الإسكندرية إلى المنطقة الشمالية العسكرية للاحتجاج، كما تظاهر بالتزامن معهم المئات من الأقباط أمام مبنى محافظة الأقصر، وفى أسيوط وغيرها،تسببت المسيرة التي انطلقت من دوران شبرا في يوم ٢٠١١/١٠/٩ و قطع طريق الكورنيش وتوقف حركة المرور، وقاد مسيرة الأقباط، التى شارك بها الآلاف، القمص متياس نصر واتحاد شباب ماسبيرو، وهتف الأقباط ضد المشير مرددين، "الشعب يريد إسقاط النظام"، و"الحكومة فين الأقباط أهم"، وانضم لهم ائتلاف شباب الثورة وعدد من الأحزاب.

وخلال المسيرة، وقعت اشتباكات بين عدد من الأهالي والأقباط، مما أسفر عن إتلاف عدد من السيارات وهذا حدث قبل وصول المسيرة ماسبيرو بعيدا عن البث، وتكرر الأمر من قبل أهالي السبتية، حيث رشقوا المسيرة بالحجارة لتفريقها ألم يعلم منظمي التظاهر أن الاحتكاك بل التصادم سيتم كما حدث في المسيرات السابقة، بالتأكيد يعلموا ولابد أنهم أخذ ذلك فى الحسبان ومنهم من أستعد لذلك بما لديه من

سلاح أبيض أو سيوف أو حتى ناري،، قام الأقباط المتظاهرون أمام ماسبيرو برشق قوات الأمن والشرطة العسكرية ومدرعات الجيش بالحجارة، وحاول شباب من داخل المظاهرة التعدي على رجال الشرطة العسكرية بالسيوف والخناجر والسنج، في مثل هذا الشحن يمكن السيطرة علي شباب متحمس أفهمه البعض أنه ذاهب ليدافع عن الصليب والكنيسة لينال بركة المسيح، أضف إلي ذلك إمكانيات أختراق المظاهرة من فئات متنوعة له رغبة فى اشعال الفتنة داخل البلاد.

يؤكد ذلك ما نشر فى بوابة الوفد ٢٠١١/١٠/١٣ أن حسام عمار منسق عام ائتلاف ٢٥ يناير أنه كان شاهد عيان علي سرقة مدرعة القوات المسلحة بواسطة مندسين من البلطجية والخارجين علي القانون، وأنهم هم من دهسوا المتظاهرين أمام ماسبيرو وأشعلوا نار الفتنة في الشارع المصري،وأضاف في مداخلة هاتفية لبرنامج" ٩٠ دقيقة" مساء اليوم الأربعاء أنه قام بتصوير هذه الحادثة وتم تسليم الفيديوهات للجهات المختصة، إشعال الفتنة والقتل العمد للمتظاهرين السلميين ، ألا يتفق هذا مع الدعوات السابقة علي الانترنت بضرورة التصدي للجيش المصري وتدمير مقدراته ؟ وبالتالي تكون التظاهرة على فرض حسن النية قد وفرت فرصة لمخربين أن ينفذوا الوقيعة،أو هناك متطرفين مسيحيين أراود أيجاد مبرر لتصعيد الهجوم علي مصر في الخارج، لتكون الأحداث الدموية وسيلة لذلك الهجوم ، لقد روى شاهد العيان أن ثلاث سيارات نصف نقل جاءت بأعداد كبيرة و نزلوا من أعلاها وتوجهوا إلى المدرعات الواقفة تجاه مبني ماسبيرو، وكانوا يتلفظون بسيل من الألفاظ البذيئة تجاه الجنود والشرطة العسكرية،وعندما قام أفراد الشرطة العسكرية بالنزول من أعلي المدرعة للتحدث معهم ومنعهم من الاقتراب من مدرعات الجيش، والتظاهر بطرق سلمية لم يستجيبوا لهم وردوا عليهم بسيل من الشتائم ثم القذف بالحجارة ثم بدأت المجزرة وإطلاق النار، وبدأت الفوضى تعم المكان وسط حالة من التخبط وعدم المسئولية، وفي تلك الأثناء لوحظ بعض الأشخاص من غير العسكريين يستقلون المدرعة العسكرية ويدهسون المتظاهرين وتم تصويرهم في فيديوهات وتم تسليمها للجهات المختصة.

يتمثل في الخطأ من بعض أفراد الجانب المسيحي هو مخالفة القانون،لأن الترخيص كان ببناء مضيفة، وفي مثل هذه الحالات يكون الخطأ المقابل من الجانب المسلم هو التصدي للمخالفة من قبل بعض الأفراد، هذا هو موطن الخلل المتكرر لأنه، لا يحقق لأي مواطن القيام باختصاص أصيل من وجبات الدولة ، تصاعدت المشكلة و انتقلت إلي القاهرة لتكون موجة ثالثة لاحتجاجات الأقباط في اقل من ٦ أشهر بعد ثورة ٢٥ يناير، لتأكد أنها امتداد لحالة من الانتهازية عمت جميع الفئات علي أرض الدولة، مستغلة حالات التراخي وغياب الاستقرار داخل البلاد ، لعرض قضية مشروعة في الوقت غير مناسب بالمرة ، شأنها في ذلك شأن المطالب الفئوية التي لا محل لها في مثل هذا التوقيت ، أجج قيام المتظاهرين بقطع طريق الكورنيش للمرة الثالثة في وقت فاض الكيل بالجيش والشعب من جراء فوضي التظاهر، لقد كانت الظروف في ذلك الوقت غامضة، ومبهمة لدرجة يصعب فيها استيعاب الأحداث .

تحولت المظاهرة إلي ما يشبه التمرد عندما أطلقت النيران من داخل الجموع الغاضبة علي جندي، بالتوازي مع حرق مركبات عسكرية، و هو ما يعد محاولة لإسقاط الدولة، وهو ما دفع بالجيش للتعامل معها بالقوة وأسفر ذلك عن سقوط ٢٧ قتيلاً بينهم ٤ من الجيش و ٣٢٦ جريحا منهم ١٤٩ من الجيش، و كانت هذه المرة الثانية لفض اعتصام كبير بالقوة بعد الذي وقع أمام السفارة الإسرائيلية قبل هذه الأحداث بعدة أسابيع، وقد سبق للجيش أن فض أكثر من اعتصام صغير داخل ميدان التحرير بنفس الأسلوب، وهو ما يؤكد أن ذلك النهج قصد به التصدي للفوضى في التظاهر بمعزل عن البعد الطائفي، حتي وأن كانت هناك أخطاء أخري للمجلس العسكري، من الوارد وجود أهداف غير معلنة، ولكن من الصعب تصور وجود سياسية طائفية داخل الجيش.

لقد ولد استخدام القوة للرد على العنف نوعين من الشعور، الأول هو القبول من المواطن العادي مع الترحيب الكامل بضرورة عودة القبضة الحديدية لموجهة فوضى التظاهر العشوائي الذي يهدد الثورة والشعور الثاني هو حصره ومرارة داخل النفوس، لأنه سيحدث لبث في المفاهيم وسيتم تصوير الأمر علي أنه موجه ضد المسحيين لأسباب

طائفية، كما زاد حجم الآسي عندما تكشف أن الضحايا هم من جنود الجيش وداخل المظاهرة من البسطاء، والفئات المهشمة، والفقيرة التي عانت الكثير من جراء الظلم الذي طال كل المصريين جراء الفساد السياسي قبل الثورة.

تزايدة الآلام، وتأججت المشاعر الإنسانية لدى متابعة أحزان أهالي الضحايا، الجميع يشعر أن المصاب من ذويه فلن يشمت في تلك الأحداث المؤسفة سوى قوي الشر ومجرمي التعصب.

وكان وجود قساوسة ورجال دين داخل المظاهرة يلقي بظلال شك لدي المتابعين في أن ما يحدث كان يهدف إلى التصعيد بقصد الحصول على مكاسب أكبر، وأن المندسين الذي حولوا الموقف إلي تصادم لن يخرجوا عن كونهم متعصبين أو عملاء مخابرات خارجية أو أعداء الثورة من النظام السابق، سواء كانوا من بقايا اللنظام داخل أجهزة الدولة دون استسناء أو خارجها.

وكان مصدر الإزعاج أن الكثير من النخب التى كانت تتبع الحدث عبر وسائل الإعلام تتفانى في اختراع أساليب في الدفاع عن الخطأ الذي ارتكبه المتظاهرون، كما أن حرق المركبات العسكرية وضرب الجنود، من الأرجح أنه كان مخططاً بهدف شيطنة الثوار، هناك متاجرة سياسية بالدم من أجل عرقلة العادلة، المنتفعين وبقايا قوي الفساد تستخدم دماء البرياء من اجل بقائها أو عودتها لسدة الحكم، دون أن تتورع وهي تحقق ذلك في سفك الماء وإزهاق الأرواح.

كثرت الدعوات عبر شبكات الانترنت قبل ذلك الحدث بعدة أسابيع مطالبة بضرورة التصدي للقوات المسلحة المصرية، وإسقاطها، والاستيلاء على معداتها، وحرقها، واقتحام مقراتها، وكانت بداية تحقق هذه الاعتداءات يوم ٢٠١١/١٠/٩ أمام ماسبيرو، وبالطبع أحدث هذا التزامن الزمني لبث لدى البعض ومن الصعب تصور وقوف الأغلبية القبطية وراء هذا الأمر.

يوجد من بين المتعصبين من يريد جر البلاد نحو هذا المنزلق الطائفي، هنا تكمن

خطورة المظاهرات في الأوقات الملتهبة، فهي التي توفر المناخ للمغرضين لتحقيق الفتن بشتى صورها سواء كانت طائفية أو بين الشعب وجيشه وحكوماته، وفي خاصة في ظل غياب قيادة ثورية تستطيع تحريك الأمور بمنهج سياسي، علينا أن نعترف أن هناك من المتعصبين الأقباط من يختلق قضايا وهمية لكي يجمع حوله بعض فئات تبقي معظمها في حالة استنفار ضد شركائهم في الوطن لزيادة مساحة الهوة والعداء بينهم وبين المسلمين، وهناك من الطرف المقابل من يستغل ذلك ليحشد هو الآخر البسطاء ضد الطرف المناهض.

والعنف في مصر قبل الثورة، وبعدها لم يكن ضد المسحيين وحده، وأكدت الأحداث اللاحقة ذلك، ففي أحداث شارع مُحَمَّد محمود التي اندلعت بعد يوم ٢٠١١/١١/١٩ بلغ عدد القتلى إلي٤٢قتيل، وأكثر من ١٥٠٠ مصاب، وكشفت تقارير الصفة التشريحية للمتوفين كشفت أن الوفيات حدثت جراء إطلاق أعيرة نارية من أسلحة نارية مفردة ومن مسافات قريبة جدا، وإن مسافة إطلاق الرصاص على المتظاهرين في شارع مُحَمَّد محمود تتراوح بين ربع متر ونصف متر ومن زوايا مختلفة.

ونفس الشيء حدث مع "اعتصام مجلس الوزراء وميدان التحرير" وبداية الأحداث الدامية يوم ٢٠١١/١٢/١٦وقد أسفرت تلك الأحداث عن مقتل ١٤ شخص وذلك حتي يوم ٢٠١١/١٢/٢١، مع ١٧٦ مصاب، وقد كانت قضية بناء الكنائس وما يشوبها من تعقيدات، هي الثغرة التي ينفذ منها مثري الفتنة لتجيش المسيحيين ومن هنا يكون من الحنق عدم علاج هذا الملف فليفتح بناء الكنائس لمن يشاء، فالممنوع دائما مرغوب.

الطائفية والبرنامج النووي لمصر: ولكن الربط بين حادث الخانكة عام ١٩٧٢ وبوادر الفتنة من ١٩٨٠ و ٢٠١٠،وماسبيرو عام ٢٠١١ أمر في غاية الأهمية، جاءت كل تلك الأحداث على خلفية تحويل مؤسسات للعمل الاجتماعي إلى كنائس، هنا قد تبدو المشكلة قانونية، ولكن تحريك ملف الفتنة عام ١٩٧٢ وذلك عقب تصريحات السادات الشهيرة التي انطلقت عام ١٩٧١ , ١٩٧٢ لتقول أن هذا

العام هو عام الحسم في قضية الصراع العربي الإسرائيلي، وهذا قد يوحى أن اختراق المنظمات المسيحية وأيضا الإسلامية كان اختراقا مخابراتي من أجل إجهاض فكرة العبور لكي تغرق مصر في نيران الحرب الطائفية،واقترن فتح الملف النووي المصري في فترة عبد الناصر، والسادات، ومبارك بنهاية هؤلاء الحكام سياسياّ، واقتران الأمر بأحداث طائفية، وحتي الأن تفشل القوي المغرضة في تحول التصادم إلي حرب أهلية.

تتشابه الظروف، عبد الناصر عام **١٩٦٥** قرر أنشاء ودعم الكاتدرائية بالعباسية وتم نزع فتل التوتر وفشل الطرح الطائفي في إيقاف الطموح النووي وخاصة بعد بناء مفاعل أنشاص للطاقة الذرية ، وتم بعدها التحضير لحرب اجهاضية وحدثت نكسة **١٩٦٧**، بينما كانت أحداث **١٩٨٠**و**١٩٨١** مقدمات فتنة طائفية ظهرت على السطح عندما حاول السادات في هذه الفترة إنشاء أول مفاعل مصري نووي بالضبعة وهناك دلائل على قيام اللوبى الصهيونى بإفشال مثل هذه المناقصات الدوليه لإقامه مفاعلات نوويه فى المنطقه فيقول قام الكيان الصهيونى بعدة خطوات استهدفت إجهاض وتدمير أي محاولة عربية لتحقيق أي تقدم في المجال النووي أو الصواريخ بأساليب سياسية ودبلوماسية وعمليات مخابراتية وعسكرية, فعندما وافق" ريتشارد نيكسون" الرئيس الأمريكي عام **١٩٧٤** علي بيع مفاعل نووي أمريكي لمصر لتوليد الطاقة الكهربية ,طلب الكيان الصهيونى مفاعلا مماثلا وتم التوقيع علي الصفقتين في أغسطس **١٩٧٦** إلا أن الصهاينه بدأوا في إثارة المشاكل إلي أن تم تجميد الصفقتين (١) ، وتفاوض السادات بعد ذلك مكع بعض الدول الغربية ويبدو ان ملف الطائفية كان احد عوامل إفشال المشروع النوع وحرق البلاد، وعندما فشلت الطائفية في إسقاطه تم عقب عدة أشهر اغتياله في **١٩٨١/١٠/٦**.

ومع تزايد الضغط الشعبي على نظام مبارك من أجل إحياء مشروع الضبعة النووي من جديد، قد حدثت عدة خطوات عملية في هذا الاتجاه، جاءت أحداث عام **٢٠١٠**

---

(١) إسراء شوقي ، بوابة الشعب، تحت عنوان: الملف النووى المصرى بين المؤامرات و التعطيل ، السبت, ١٤ يوليو٢٠١٢

بالعمرانية بالجيزة، لتكون مقدمة فتنة طائفية جديدة وفشلت أيضاً في الغرض.

وبعدها حدثت الثورة المصرية وتم الإطاحة بمبارك بعدها بعدة أشهر، لقد كانت الثورة رغبة حقيقة في الإصلاح،ومن المؤكد أن هناك أيادي تعبث في هذا الملف لكي تقفز فوق الأهداف المشروعة من خلال لحظة الهياج الثوري لتدمير مصر، وتم أحدث فراغ أمنى خطط له ليطح بالشرطة، وهذا ما يؤكد أن حرق الأقسام وفتح السجون ليهرب ٢٣ ألف سجين كان يهدف إلى نسف الاستقرار، وسواء حدث ذلك من خلال عملاء مباشرين داخل أجهزة الدولة، أو من خلال بعض المدسوسين ، أو ضمن مخطط من قبل شريحة محددة، أو بعض القوى الداخلية من أجل إنقاذ النظام، النتيجة واحدة وهى الانفجار الطائفي

تستطيع المخابرات الخارجية النفاذ إلى أي مجتمع عن طريق البئور المتطرفة، وهذا ما تؤسس له إسرائيل لضمان عدم صحوة المارد المصري، وخروجه من القمقم من جديد، لأن هذا الخروج في رأيهم مقترن بفناء دولة إسرائيل، ويهدد أيضا المصالح الغربية، والأمريكية، والدليل على ذلك ما أعلن عنه بوجود تخريب متعمد لبعض المعدات النووية المستورد للمفاعل النووي في منطقة الضيعة.

لقد ضربت إسرائيل المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١، وتم اغتيال العلماء المشاركين فيه، ولم يسلم العلماء المصريين من نفس المصير على الأراضي المصرية في فترات متعاقبة، وهي الآن تلاحق بجنون المفاعل النووي الإيراني، وذلك لأن أنتاج القنبلة الأولى تعنى نهاية إسرائيل، وبالتالي هي تحارب بكل قوة ومدعومة من الغرب إي نهضة علمية في مصر ، لقد استطاعت مصر الخروج من الفراغ الأمني بسرعة تشبه الأعجاز، وتحاول القوى الشريرة دفع العناصر المشوهة للفوضى عبر بعض المواقع علي الأنترنت للتصادم مع الجيش، وفشل كل ذلك، كان لابد من فتح ملف الطائفية بعد الثورة لتحقيق الهدف اعتمادا على الجهلاء، والمتعصبين من الطرفين، خرج حادث الخانكة عام ١٩٧٢ من تحت عباءة تنظيم الأمة القبطية وحادث العمرانية ٢٠١٠ من تحت عباءة الإخوان المسيحيين الجدد .

يرتفع سقف الأماني لدى إسرائيل واليمين الغربي بهدف تدمير المجتمع المصري، فأثناء الثورة المصرية من ٢٥ يناير حتى ١١ فبراير ٢٠١١، وعلى الرغم من الفراغ الأمني لم تسجل حالة اعتداء واحدة على الكنائس بل أن اللجان الشعبية لحماية الكنائس كانت تتم من المسلمين أنفسهم، وأيضا الاندماج في حب الوطن في قلب ميدان التحرير تجلى في أبهى صوره أثناء صلاة الجمعة، عندما كان المسيحيون يشكلون طوق أمنى لحماية المسلمين، والعكس صحيح عندما أقام المسيحيين قداسا رمزيا يوم الأحد بميدان التحرير ، إلا أن بعض المتعصبين من المسيحيين كانوا يعتبرون هذا القداس باطلا لأنها لا تجوز الصلاة عند المسيحيين إلا في الكنائس، لقد تناسوا أن ذلك الأمر عملية رمزية، هكذا يكون التطرف فهو أخطر ما يغلف سلوك البشر ويحوله إلى عدوان بغيض، فعلى الرغم من تعصب بعض الرموز تجد الشعب بفطرية يعي حقيقة الأمر.

٦- **عدد الكنائس بمصر**: تشير بعض الإحصائيات إلي تنوع الطوائف المسيحية بمصر ولكن يظل عدد الكنائس حتى الأن عير واضح المعالم والأرقام عادة تقديرية نتيجة لعدم الأفصاح سوء من قبل الكنيسة أو الدولة، ولكن وسط خلاف فى التقديرات حول العدد الفعلي لعدد الأقباط،حيث من الشائع من معلومات متاحة أن نسبتهم ١٠% من السكان ولكن فتحي مجدي أشار في (المصريون) بتاريخ ١١ / ١٠/ ٢٠٠٩ أن التقرير الصادر عن مركز "بيو " الأمريكي للأبحاث، قدر عدد الأقليات الدينية في مصر، بما فيهم الأقباط بأنهم يشكلون ٥.٤ بالمائة فقط من الشعب المصري– أي حوالي ٤.٥ مليون شخص من عدد سكان مصر البالغ ٨٣ مليون نسمة، ويمثل المسح الصادر عن المركز، ومقره واشنطن، وهو أحدث تقرير دولي علمي موثق يكشف نسبة الأقليات الدينية في مصر ومناطق أخرى من العالم، وقال منتدى "بيو" الذي أصدر التقرير ضمن تقريره عن أعداد المسلمين في العالم، إنه اعتمد على أحدث البيانات المتاحة لأعداد السكان في ٢٣٢ دولة ومنطقة حول العالم، وإن باحثيه استعانوا في التقرير بحوالي ٥٠ عالمًا في العلوم الاجتماعية والإحصاءات في جامعات ومراكز أبحاث حول العالم،وقال نفس المنتدى إنَّه اعتمد

على تحليل نتائج حوالي ١٥٠٠ مصدر من بينها تقارير الإحصاء السكاني والدراسات الديمجرافية للوصول إلى هذا التقرير الذي يعد الأكثر شمولاً، والأول من نوعه حتى الآن.

في حين أنه نقل عن بعض المصادر القبطية أن عدد الأقباط يتراوح من ١٠ إلى ١٥ في المائة، وترجع أسباب التضارب تلك والتي تهدف إلى رفع عدد الأقباط إلى منحهم المزايا التي تناسب احتياجات هذا الكم، ولا توجد أدنى مشكلة في الحقوق المشروعة لهم، ولكن عمليات التهويل أو التقليل في العدد هي المشكلة وتنم عن عدم الوعي وكأن الأمر مرتبط بمزاد علني سوف يكسب بالصوت العالي، فمن العدالة أن تعلن الأرقام الحقيقة ولا توجد أي غضاضة في ذلك.

تعد الشرائح القبطية في مصر متنوعة، منهم كنسية الأقباط الأرثوذكس، ويتبعها قرابة الـ ٩٠ % من المسيحيين المصريين، ويرأسها البطريرك الأنبا شنودة الثالث أسقف مدينة الإسكندرية المقر الديني للطائفة، وتدار الكنيسة عمليا من الكاتدرائية الكبرى بالعباسية بالقاهرة، وهي صاحبة المساحة الأوسع على الإطلاق بين الكنائس المتعددة من المشاركة في التاريخ الوطني لمصر، ولها فضل عالمي في تأسيس الرهبنة المسيحية وإرساء قواعدها.

وتأتي كنيسة الأرمن الأرثوذكس في المرتبة اللاحقة، ويتبعها أغلب الأرمن المقيمون في مصر والحاملون لجنسيتها منذ قرون وتعود جذور بعضهم إلى بدر الدين الجمالي أمير الجيوش الأرمنلى الأصل في عهد الدولة الفاطمية، تقدر أعداد التابعين للطائفة بـ ٥٠ ألف أرماني. ومقر الطائفة في الإسكندرية، والكنائس الأرثوذكسية المؤمنة بالطبعتين (الكنائس الشرقية) وكنيسة (الروم) الأرثوذوكسي هي أشهر وأقدم كنائس الطبيعيتينفي مصر، لا يتجاوز عدد أتباعها الـ ٥٠ ألفا، وجزء كبير منهم الآن يعود لأصول شامية، وتتميز هذه الكنيسة بوجود أتباع لها في عدد من محافظات مصر، وعلى رأسها دمياط والشرقية وأسيوط بالإضافة إلى القاهرة والإسكندرية، المقر الدينى ويرأسها البطريرك الأنبا ثيودورس الثاني بابا الإسكندرية.

وتأتي الكنائس الكاثوليكية كثاني أكبر الكنائس المصرية بعد الأقباط الأرثوذكس، ويتجاوز تعداد أتباعها الـ ٢٥٠ ألفا جميعهم مصريون، ويرأسها البطريرك الأنبا أنطونيوس نجيب، ومقرها الديني فيالإسكندرية، وتدار عمليا من كاتدرائية الأقباط الكاثوليك بالقاهرة، وتتبع الفاتيكان روحيا، وهي بوصفها كنيسة قبطية تقليدية تتبع نفس الطقس القبطي الذي تمارسه الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

والروم الكاثوليك (الملكانيين) مع حلول القرن السادس عشر انفصلت الكنيسة الملكانية إلى كنيستين (أرثوذكس وكاثوليك) وامتدت كل منهما إلى الآن، ولا يتجاوز أتباع الكنيسة الملكانية الكاثوليكية الـ ٢٥ ألفا ويرأسها المطران جون زريعى، والكنيسة المارونية تعود تسميتها إلى القديس مارون، أحد نساك وادى جبلة فى لبنان وجميع أتباعها من الشوام ويرأسها الآن المطران فرانسوا عيد.

تضم كنيسة الكلدان الكاثوليك العراقيين المقيمين في مصر منذ قرون، ومقرها في مصر بالكنيسة الحمرا بمصر الجديدة، ويرأسها المطران يوسف صراف، ونشأت فى القرن الخامس عشر عقب انشقاقها عن الكنيسة الأشورية، وكنيسة الأرمن الكاثوليك التى أدت موجات الاضطهاد التى تعرض لها الأرمن فى تركيا إلى زيادة أعدادهم مجددا فى مصر فى مطلع القرن العشرين، يرأس الطائفة فى مصر المطران كريكور أغسطينوس كوسا، الذى يقدر أتباع الطائفة بـ١٥ ألف أرماني (أغلبهم يحملون الجنسية المصرية المتوارثة منذ مئات السنين) وتصدر الطائفة العديد من الجرائد اليومية والأسبوعية.

وكنيسة اللاتين الكاثوليك، وتتبع الطقس اللاتينى، أغلب أتباعها من المصريين، مقر كرسيها البطريركى القدس، يرأسها فى مصر المطران جوزيف بوررزد والكنيسة الإنجيلية، مشيخية وغير مشيخية، وكنائس مجمع السنودس الإنجيلي والكنيسة القبطية الإنجيلية وهي أكبر الكنائس البروتستانتينية انتشارا في مصر ويرأسها الآن القس صفوت البياضى. ويتجاوز تعداد إتباعها الـ ٢٠٠ ألف.

كان عدد الكنائس في مصر هو الرقم الأصعب والأكثر إثارة للجدل منذ سنوات

عديدة، فالدولة لا تقدم أي إحصائيات رسمية حول عدد الكنائس في مصر باعتبارها بيانات تقوم على أبعاد طائفية وهو ما لا يتفق مع سياسة الدولة طبقا للمسئولين الحكوميين، لكن مسيحيي مصر ينظرون إلى الإعلان عن عدد كنائسهم باعتباره مؤشراً واضحاً يشرح مدي تسامح أو تعسف الدولة في التعامل مع قضية بناء كنائس جديدة. من جانبها تمتلك الكنائس المصرية حصرا دقيقا للكنائس التابعة لها لكنها دائما ما تتردد في الإفصاح عنه خشية ردود الأفعال الحكومية الرافضة تماما لأي تعداد رسمي أو حتى صادر عن الكنيسة

حصلت "جريدة البديل" على كتاب يتم توزيعه بين الكهنة بعنوان «دليل الكنائس»، ويرصد مجموعة من البيانات حول عدد الكنائس الأرثوذكسية في مصر، وأشارت البيانات الواردة في جريدة الدليل تؤكد أن عدد الكنائس الأرثوذكسية بلغ ألفًا و٣٢٦ كنيسة، فيما كشفت الكنيسة البروتستانتية أن عدد كنائسها بلغ ١١٠٠ كنيسة في حين بلغ عدد الكنائس الكاثوليكية ٢٠٠ كنيسة، وهو ما يعني أن مجمل عدد الكنائس في مصر بلغ ألفين و٦٢٦ كنيسة.

ونشرت شبكة إسلام أوت لاين أن عدد المساجد والزوايا في مصر يقدر بنحو ١٠٠ ألف، أكثر من ثلثيها يخضع لسيطرة وزارة الأوقاف، في حين تقدر مصادر كنسية مسيحية عدد الكنائس في مصر بحوالي ٤٠٠٠ كنيسة

يتضح من العرض السابق أن الأرقام في عدد الكنائس متضاربة شأنها في ذلك شأن عدد المسيحيين، وتبنى أي رقم لن يرضى الجانب الأخر، فلو أخذنا معيار تعداد الأقباط حسب نسبة ٥% يكون العدد مناسب ولن يرضى الأقباط هذا الطرح، ولو أخذنا معيار أن العدد ١٠% مع ما نشر في إسلام أون لاين من أن عدد الكنائس ٤٠٠٠، على اعتبار أن رقم السكان يرضى المسحيين وعدد الكنائس يرضى المسلمين كحل فتراضى لا ذنب لأحد فيه، سوى الكنيسة والدولة التي تعد المعلومات عندهما تتأرجح بين الحجب أوعدم الدقة.

ويشير الباحث السياسي مصطفى عبد الرازق في بوابة الوفد بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٢،

إذا كانت هناك أسس للخلاف بين المسلمين والأقباط في مصر، إن رأس الحربة في هذا الخلاف يتمثل في بناء الكنائس الأمر الذي يمكن إرجاع معظم إن لم يكن كافة، التوترات الطائفية في العقود الأخيرة إليه، وبغض النظر عن التفاصيل، فإن موضوع الخط الهمايوني المتعلق في جانب رئيسي منه ببناء الكنائس محل فحص، فمن الواضح أن هناك مشكلة حادة ومزمنة تتعلق ببناء الكنائس لم يفلح المشرع المصري حتي الآن في تجاوزها.

وحسب توصيف البعض فإن تلك المشكلة لا تزال الأبرز والأكثر نصيبا في أسباب اندلا ع الأحداث الطائفية، حيث إنه غالبا ما تبدأ الأزمة حينما يظهر منشور يبث شائعة لا أساس لها من الصحة، فسرعان ما تندلع المشكلة، ويشترك كثيرون في تصعيدها حتي ولو لم يكونوا علي علم كامل بحقيقة الأمور، وما الأحداث المؤسفة التي شاهدتها منطقة العمرانية بالجيزة مؤخرا سوي نموذج لذلك حيث إنها تعلقت بشكل أساسي بالخلاف حول بناء كنيسة، علي نحو تطور معه الأمر إلي مواجهات أمنية تسببت في شرخ أكبر إزاء ما بدا أنها مواجهات بين المسيحيين والدولة وليس بين المسيحيين والمسلمين، الأمر الذي كان ينذر بتعميق هوة الأزمة.

علي هذا الأساس تبدو لنا أهمية إقرار قانون العبادة الموحد، وهو القانون الذي يتوافر شبه إجماع بين كثيرين علي أنه سيكون كافيا لحل مختلف المشاكل، إن لم يكن إغلاق الشق الأكبر من ملف الخلاف بين المسلمين والأقباط، وهو ما يثير التساؤل حول أبعاد تأخر صدور القانون خاصة في ضوء ما تشير إليه بعض المعلومات بأنه دخل مجلس الشعب منذ ٣٨ عاماً ولم يخرج ولم يناقش في أي لجنة رغم أنه قدم من أربعة نواب، وتؤكد النظرة المتأنية أن صدوره في مصلحة المجتمع ككل، مسلمين وأقباط، باعتبار أنه يقضي علي حالة الفوضى القائمة في المجتمع المصري بشأن إقامة دور العبادة، وينطلق أنصار تشريع هذا القانون من حجة وجيهة تقوم علي أساس أنه ليس من المنطقي أن يظل العمل سارياً بقرار وزارة الداخلية عام ١٩٣٤، والذي أصدره وكيل وزارة الداخلية حينذاك ووضع شروطاً عشرة يجب استيفاؤها قبل التصريح ببناء الكنائس.

وفي مجال الإشارة إلي مزايا الأخذ بمثل هذا القانون تشير نائبة مثل الدكتورة

جورجيت قليني في تصريحات سابقة لها إلي أنه في حالة إقرار القانون فإنه من المنتظر وضع حد للنزاعات التي تنشأ بين مختلف فئات المجتمع في كل أنحاء مصر من خلال وجود قانون موحد يحكم الجميع، وهو ما سيسهم في ترسيخ ثقافة ومبادئ المواطنة داخل وجدان المصريين علي اختلاف انتماءاتهم الدينية، مما يدعم روح التسامح والمحبة في المجتمع مشيرة إلي أن المشاكل والأحداث الطائفية التي وقعت خلال السنوات الأخيرة تؤكد أن إقرار قانون العبادة الموحد سيكون ملزماً لجميع الفئات والقيادات في المجتمع، كما أنه يأتي تطبيقاً للدستور الذي ينص علي مبدأ المواطنة والمساواة .

فالخط الهمايوني القانون المفتري عليه قد لا يوجد بيننا من لا يعرف كلمة (همايوني) غير أن من المؤكد أن الكثيرين منا لا يعرفون علي نحو دقيق ماهية الكلمة وتفاصيل ما تشير إليه، ومن أصل الكلمة نشير إلي أن (همايون) كلمة فارسية معناها طائر وصل إلي أعلي المراتب لذا أطلقوه علي السلطان العثماني وأطلقوا كلمة (باب همايوني)علي باب السلطان وخط همايوني أي خط أو طريق أو مرسوم إمبراطوري وكانت تطلق المراسيم أو القرارات التي يصدرها السلطان العثماني ومن هنا أطلقت علي المرسوم الذي أصدره السلطان العثماني بشأن بناء الكنائس في مصر، صدر الخط الهمايوني في أوائل جمادي الآخرة ١٢٧٢ هـ . ١٨ من فبراير ١٨٥٦ فبعد أن ساعدت إنجلترا وفرنسا السلطان عبد المجيد سلطان الدولة العثمانية في حربه علي روسيا قرر إصدار مجموعة إصلاحات سميت بالخط الهمايوني

ورغم ذلك فإن قانون الخط الهمايوني يناله القدر الأكبر من الهجوم علي خلفية بناء الكنائس في مصر بدعوي أنه يقف حائلا وراء ذلك رغم أن الحقيقة التي يقر بها الجميع تختلف عن ذلك بكثير، وفي أحدث دراسة حول هذا الموضوع للباحث القبطي سمير مرقص نشرها في مجلة المصور العدد الأخير . ١٢ يناير ٢٠١١ . فإن الخط الهمايوني وفقا له يعتبر مظلوما في نسب اضطهاد المسيحيين له، بل إن الأمر علي العكس حيث إن ما كسبه الأقباط بعد الخط الهمايوني كان أكبر من قبله ، ولكن ما يؤخذ علي الخط الهمايوني فقط أن بناء وترميم الكنائس يحق فقط ترخيصه من قبل السلطان ذاته وهذا

شيء ما كان بسيطاً أبدا وقتها ناهيك عن الوقت الممكن استغراقه لترخيص أو لترميم كنيسة آيلة للسقوط مثلا. ليس ذلك فقط بل إن مرقص يشير إلي أن الخط الهمايوني ليس جزءا من البناء في القانوني المصري، وأن دستور ١٩٧١ ألغي أي أثر له فعليا حيث نص في المادة ٤٦ علي أن تكفل الدولة حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية بالمطلق، كما أنه لا يوجد تاريخيا أي قوانين تفصيلية تتعلق ببناء الكنائس سوي الإجراءات الإدارية المعروفة بشروط العزبي باشا سنة ١٩٣٤ وهي إجراءات إدارية لا ترقي إلي مرتبة القانون.

فيما يذهب رأي آخر إلي أن القانون الهمايوني يعتبر « فزاعة » يرفعها البعض تغييبا للحقائق والتي مفادها وفق رؤية هذا الفريق أن القانون كان مطلبا قبطيا وقت صدوره وتمسك به بطريرك الأقباط الأرثوذكس لإنقاذ كنيسته من « طوفان » الإرساليات الإنجيلية، والكاثوليكية أيضا، ثم إنه هو نفسه الذي استندت إليه الكنيسة الأرثوذكسية في دعواها ضد كنيسة الأنبا مكسيموس ما يفرض التساؤل حول ما إذا كان قانون عثماني بال تطالب الكنيسة بالخلاص منه، أم هو قانون تعترف به وتستند إليه؟

إذا كان الأمر كذلك فما هي مشكلة بناء الكنائس في مصر؟ تقتضي الحقيقة التأكيد علي أن هناك مشكلة ومزمنة في هذا الخصوص، الأمر الذي أكده تقرير التحقيق في الفتنة الطائفية عقب أحداث الخانكة عام ١٩٧٢ للدكتور العطيفي حيث أشار إلي أن بناء الكنائس من أهم أسباب الفتنة الطائفية وكذا عدم وضع نظام ميسر لتنظيم هذه التراخيص دون تطلب صدور قرار جمهوري في كل حالة.

تقتضي الإجابة قدرا من الغوص غير البعيد في التاريخ المصري فقد تمتع خلاله الأقباط بالمساواة مع المسلمين فترة من الزمن في بناء أماكن الصلاة فلم يكن أحد يطالبهم بترخيص أو خلافه فكانوا يقومون ببناء الكنائس بدون أي اعتراض من جهة الإدارة أو باقي أجهزة الدولة كما لم توجد شكاوي من المواطنين المسلمين.

وفي محاولة لتحديث التشريعات المتعلقة ببناء الكنائس كان الرئيس السابق (حسني

مبارك) أصدر القرار الجمهوري رقم ١٣ لسنة ١٩٩٨ بنقل اختصاص ترميم الكنائس للمحافظين ولكنه احتفظ لرئيس الجمهورية بقرار بناء الكنائس.

وبهذا القرار تساوي المسيحيين والمسلمون تحت قانون واحد لترميم دور العبادة وهو قانون الإدارة المحلية رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٩ وحسب قانون أعمال البناء الصادر في ١٩٧٦، غير أن هذا القرار لم يحل المشكلة ما يؤكد أن هناك حاجة إلي قانون منظم لبناء دور العبادة في ضوء المادة ٤٦ من الدستور بتوافق وطني عام علي قاعدة المواطنة.

ربما كان قرار مبارك بجعل سلطة أنشاء الكنائس الجديدة في يده يهدف إلى أبعاد سياسية لضمان تأيد المسيحيين له في الصراع السياسي واستغلال تلك القضية لأهداف سياسية، كوسيلة ضغط من أجل ضمان تصويت المسيحيين لصالح الحزب الوطني الحاكم.

٧-**الكنائس المغلقة:** ضمن الطلب كشف باسماء الكنائس واماكنها وهى كالتالي: (١)

كنيسة و ملجأ مار مينا (الأيتام) بالاسماعيليه، كنيسة كفر البحر بالزقازيق، كنيسة مذبح (مضيفة) الشرقية الزقازيق ومنيا القمح وتوابعها مذبح (مضيفة) من ذلك الحين الشرقية كفر بدوي– منيا القمح الزقازيق ومنيا القمح وتوابعها مذبح (مضيفة) ٢٠٠٩/١٠/٠٦ دواعي أمنية، الشرقية كفر بقطر– منيا القمح الزقازيق ومنيا القمح وتوابعها مذبح (مضيفة) يونيه ٢٠٠٣ دواعي أمنية، الشرقية كفر نوار– منيا القمح الزقازيق ومنيا القمح وتوابعها منزل الثمانينات دواعي أمنية، الشرقية قرية الايتارية (مفيد شلبي) الزقازيق ومنيا القمح وتوابعها مذبح الأنبا أنطونيوس (مضيفة) ٢٠٠٦/٠٤/٢٣ دواعي أمنية، الشرقية مركز القنايات الزقازيق ومنيا القمح وتوابعها مذبح (مضيفة) القس موسى عبد المسيح قابل الحاكم العسكري بالإسماعيلية يوم ٥/٣/٢٠١١، وأرسل يوم ٨/٣/٢٠١١ مندوب للمُعاينة وقال له: سوف أرد عليك بعد ثلاث أيام، ولم يرد حتى الآن، الغربية ميت

(١) عزت أندروس موسوعة تاريخ أقباط مصر، تحت عنوان: أسماء الكنائس التي أغلقها نظام مبارك الفاسد ، ٢٠١١/٥/١٨

السودان– طنطا طنطا مار مرقس و مار جرجس ٢٠٠٠ صدر لها قرار إعادة بناء رقم ٢٠٠ بتاريخ ٢٩ / ٤ / ٢٠٠٠ ولم يتم التنفيذ بسبب الأمن، الغربية قرية شوني – طنطا كنيسة رئيس الملائكة صدر لها قرار إزاله وتم تقديم طعن عليه، القاهرة عين شمس الغربية/ عزبة عاطف القاهرة السيدة العذراء والأنبا أبرام، القليوبيه عزبة الأقباط – القلج شبين القناطر، وتوابعها كنيسة السيدة العذراء والشهيد أبانوب الثمانينات أغلقت لدواعي أمنية، القليوبيه اسطنها – مركز الباجور إيبارشية بنها وقويسنا وتوابعها مبنى كنيسة الملاك ميخائيل ٢٠٠٥ أغلق لدواعي أمنية، المنوفيه تلوانه – الباجور المنوفيه كنيسة مار مرقس أبريل ٢٠٠٥ تم إحراقها – ولم نستطع الوصول اليها من قبل الأمن، المنوفيه جرزه – منوف المنوفيه كنيسة العذراء و الأنبا بيشوى منذ ٣٠ عاماً تم غلق الكنيسه لأنها تهدمت ولم يسمح بإعادة بنائها، المنوفيه جرزه – منوف المنوفيه مبنى خدمات ٢٠٠٨ دواعي أمنية، المنيا ملوي – الملكية القبلية ملوي وإنصنا والأشمونيين كنيسة العذراء والقديسة دميانه مارس ١٩٨٦ أغلقت بقرار من ذكى بدر وزير الداخلية الأسبق، المنيا عزبة باسيليوس– سيوة بني مزار والبهنسا السيدة العذراء يوليو ٢٠٠٨ تم حرقها، وأغلاقها، المنيا متوشالح بني مزار والبهنسا كنيسة الأنبا ونس أغلقت من قبل الأمن.

المنيا الفاروقية بني مزار والبهنسا دير للراهبات مغلق بقرار من الأمن، المنيا مغاغة والعدوة المطرانية مارس ٢٠١٠ المطرانية القديمة مساحة صغيرة، بقرار ملكي ٤٠ لسنة ١٩٣٥، مارس ٢٠٠٧ طلب الأنبا أغاثون ترميم، وتوسيع المطرانية، وقد حصل على الموافقة في مارس ٢٠١٠، وبعد الهدم والبدء في التوسيع طلب المحافظ ضمن أرض المطرانية القديمة للمحافظة، وعندما قال الأنبا أغاثون هذا وقف للكنيسة الأرثوذكسية، تم وقف البناء، ويصلي في خيمة منذ ذلك الحين.

المنيا قرية القايات مغاغة والعدوة جمعية الشمامسة ١٩٩٩ هدمها المتطرفين، وتم بناء مسجد بجوارها، وطلب الأمن شراء أرض جديدة تبعد عن المكان بحوالي كيلو متر، ورغم ذلك لم يسمح بالبناء.

المنيا قرية ميانة مغاغة والعدوة منزل مملوك للمطرانية ٢٠٠٩ أغلقه أمن الدولة،وأمرت النيابة بفتحه، ولم يفتح حتى الآن، المنيا قرية بنى خالد مغاغة والعدوة جمعية الشمامسة ٢٠٠٤ تأسست في ١٩٧١، وغلقها الأمن في ٢٠٠٤، المنيا ديروط/ كوم بوها كنيسة البشارة ٢٠٠٨ أغلقت بقرار من مباحث أمن الدولة، المنيا ديروط/ نزلة مصطفي كنيسة الشهيد مار جرجس ٢٠١٠ أغلقت بقرار من مباحث أمن الدولة، المنيا ديروط/ شلش كنيسة الشهيد مار جرجس ٢٠٠٩ أغلقت بقرار من مباحث أمن الدولة، المنيا ملوى/دير أبو حنس استراحة للمطرانية، ودار مسنين ١٩٩٣ أغلق بقرار من مباحث أمن الدولة

المنيا سمالوط/ صميدة.

توفيق الأوضاع: صدر فى عام ٢٠١٦، القانون رقم ٨٠ لسنة ٢٠١٦ بشأن بناء وترميم الكنائس بعد موافقة مجلس النواب عليه، وبموجبه وصل عدد الكنائس التى تم توفيق أوضاعها إلى بلغ عدد الكنائس والمبانى التى تمت الموافقة نحو ١٨٨٢ كنيسة ومبنى تابعًا مقسمة ما بين ١٠٧٧ كنيسة و٨٠٥ مبانى.

كذلك افتتاح الكاتدرائية بالعاصمة الإدارية الجديدة فى ٦ يناير عام ٢٠١٦، على مساحة ١٥ فدانا، أى ما يعادل ٦٣ ألف متر مربع، وكذلك توجيه الرئيس عبد الفتاح السيسي، بتحمل الدولة تكلفة إنشاء كنائس للطوائف المسيحية فى المدن الجديدة، إلى جانب المساجد والمدارس والحضانات.[١]

٨- **نسبة الكنائس للمساجد:** يتكرر طرح مشكلة بناء الكنائس من خلال المسيحيين

---

[١] محمد الأحمدي، ترخيص الكنائس فى عهد الرئيس السيسي.. توفيق أوضاع ١٨٨٢ كنيسة ومبنى تابعًا.. والقمص موسى يؤكد: طفرة كبيرة في الجمهورية الجديدة.. والأنبا باخوم نصيف: اتجاه جيد جدا فى الدولة لوضع كل ما هو غير عام تحت الرقابة، موقع اليوم السابع، القاهرة، ٢٠٢٢/٧/١م

داخل مصر من آن إلي آخر وعادة ما يتم المقارنة بين عدد المساجد البالغ التي تشير بعض الإحصائيات أن عددها في مصر يبلغ ١١٠ ألف مسجد منها ٤٠ ألف زاوية وعدد الكنائس التي تصل إلى ٤ ألاف كنيسة في مصر، ولكن هناك أحصائية اكثر دقة نقلا عن الدكتور أبو بكر الجندي رئيس الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء فى حوار أجرته معه مجلة روزاليوسف وكان إجمالي عدد المساجد فى مصر ١٠٨ آلاف و ٣٩٥ مسجدا فيما يصل عدد الكنائس إلى ٢٨٦٩ بنسبة ٢.٦٤ % من عدد المساجد وكانت أكثر محافظة يوجد بها كنائس هي المنيا حيث يوجد بها ٥٥٥ كنيسة ويليها أسيوط ٣٢٠ كنيسة تأتى بعدها سوهاج بإجمالي ٣٢٠ كنيسة فيما تتصدر الشرقية محافظات مصر في عدد المساجد وبها ١٣ ألف و٣٨٢ مسجدا ويليها البحيرة ٩٢٧٨ مسجد بعدها الدقهلية التي يوجد بها ٦٧٠٥ مسجد واقل محافظة فى عدد المساجد هي جنوب سيناء وبها ٢١٧ مسجد أما اقل محافظة فى عدد الكنائس فهي الوادي الجديد ويوجد بها كنيستين فقط، والقاهرة يوجد بها ٥٧٧٦ مسجد و٢٩٤ كنيسة والإسكندرية بها ٥٥٥٧ مسجد و ٢٠٠ كنيسة. (١)

تلك المقارنة العددية هي مقارنة تعبرعن الواقع الفعلي لأنه توجد مساجد مساحتها لا تصل إلى ٥٠ متر وتم ضمها للأوقاف لمنع بعض القوى المتعصبة من نشر فكرها من خلالها ضمها، وأن مساحة الكنيسة الواحدة توازى مساحة العشرات من هذه المساجد الصغيرة فمثلا مسجد الفتح وهو أكبر مسجد بني في مصر مساحته أقل بكثير من مساحة أي كنيسة مقامة في مصر، وفى مدينة ٦ أكتوبر وهى من المدن الجديدة تعد مساحة كنيسة مريم العذراء بالحي العاشر أكبر من مساحة ١٥ مسجداً بالمدينة كذلك الكنيسة الثانية المقامة في منطقة حدائق أكتوبر والثالثة المزمع بناؤها في الفترة القادمة وبالتالي تعد المقارنة بالعدد في غير محلها فعلى سبيل المثال هل يمكن مقارنة شقة على النيل أكبر في المساحة والحجم وتقدر بعشرة ملايين جنيه بعشرة أوحتى خمسين شقة في

(١) عطاف عبد العزيز، بوابة البديل، ٢٠١١/٦/٦

إسكان شعبي مساحتها ٦٣ متر لا يصل سعرها إلى ٦٠ ألف جنيه في هذه الحالة تكون المقارنة في غير محلها ، تظهر المقارنة العددية أمام الجميع أن هناك تضييق على المسيحيين في مسألة بناء دور العبادة فعلى أقل تقدير تبلغ مساحة الكنيسة كمتوسط مالا يقل عن عشرة أضعاف المسجد المتوسط وهذا يعنى أن ثلاثة ألالاف كنيسة بمصر توازى ٣٠ ألف مسجد تقريبا أي ما يوازى عدديا فقط، وقد يرجع الفرق بين احصائيا الجهاز المركزي والحصائيات الأخري إلي أن الجهاز يسجل فقط الكنائس المرخصة ككنيسة وربما يكون الفرق في عدد الكنائس في الحالتين يرجع إلي اعتماد جزء من الكنائس التي رخصت كجمعيات خيرية ومن ثم تتراوح نسبة الكنائس بمصر إلي المساجد مابين ٢٧ % و ٤٠ % تقريباً من مساحة كل المساجد في مصر لعدد يترواح بين ٥ إلي ١٠% من السكان.

مقارنات خاطئة: ويشير الكاتب يوسف زيدان مدير المخطوطات بمكتبة الإسكندرية خلال حديثه لبرنامج الحياة والناس على قناة الحياة مع الإعلامية رولا خرسا في ٢٠١٠/١١/٢٥، أن مساحة دير الست دميانة بالبراري وحدها أكبر من مساحة جميع مساجد مصر كلها ، كما أشار إلى أنه توجد في منطقة وادي النطرون منطقة أديرة متفردة ولا يوجد لها مثيل في العالم ومع ذلك تستمر المغالطات بأن هناك عرقلة من قبل المصريين تجاه إقامة الكنائس صحيح أن هناك بعض الإجراءات التي تعرقل صيانة الكنائس وهو أمر يجب أن يتغير ولكن على مستوى أرض الواقع، يتضح أن هناك شحن تم تغذيتها من خلال بعض المتعصبين نتيجة الخطأ في المقارنة وأدوات القياس والوضع يؤكد أن إجمالي مساحة الكنائس في مصر بعد إضافة دير دميانة ومنطقة البراري تعد أكبر من مساحة المساجد في مصر كلها بما يعادل ١٥٠%، ربما تحتاج تلك المسألة إلى إعداد دراسة علمية لتوثيق هذا الأمر، تأكيدا لهذا المعنى أشار برنامج هنا القاهرة يوم ٢٠١١/٦/١٨ على القناة الأولى أن هناك أديرة مساحتها اكبر من كل المساجد ومنها دير أبو مقار حيث يبلغ مساحته ٢٧٠٠ فدان ودير أبو قانا بالمنيا ومساحته ٦٠٠ فدان ودير مارينا ومساحته ٦٠٠ فدان

ولكن كمال زاخر المفكر القبطي أشار إلى هذا المساحة ليست مخصصة للعبادة ولكنها مزارع ملحقة بالدير للإنتاج الزراعي وأن الحساب على هذه الأساس يكون غير منطقيا وهذا الرد هو إعادة لتصحيح بعض المفاهيم لأنه من الخطاء حساب أراضى صحراوية أو ذات طبيعة اقتصادية وتصنفيها علي أنه كنائس حتى وأن كانت أملاك مسيحية فلن يذهب المسيحيين للصلاة في الصحاري والأديرة التي تبعد مئات الكليو مترات عن محل أقامتهم وهذا منطق سليم ويجب عدم استخدم هذه الأرقام لأنها تضلل الرأي العام الحقيقة فقط هي التي تسهم في المشكلة.

ولكن يمكن القياس علن أن المساحة المخصصة للعبادة حسب مواثيق الأمم المتحدة مقدرة بالنسبة للفرد تقع ما بين ٤٦ الى ١٠٠ سم والكنائس تغطي هذه الحجم بالنسبة للمسيحيين وأن كانت المساجد اقل من حاجة المسلمين الفعلية حسب الكثافة العددية هذا لا يمنع من تلبية مطالب الأقباط في هذا الصدد دون ربط الأمر بقلة أو عدم كفاية المساجد لأنه لن يمنع أحد فى مصرمن بناء مسجد.

خطورة مجاورة الكنائس بالمساجد: وتعد عمليات منع إقامة الكنائس بالقرب المساجد أمراً صائباً على الرغم من اعتراض بعض المسحيين، لأن هذا الاعتراض ينم عن سوء فهم، لأن أنصاف المتدينين فى الطرفين قد يتصورن أن الأمر يشبه حلبات المصارعة، وعليهم تشجيع ذويهم في مواجهة الأخر، قد تتحول أي حادثة سير بسيطة إلي بوادر فتنة طائفية، لك أن تتصور أن مجرد مرور سيارة لمسيحي قد تصدم مسلم خارج من المسجد، أو تصدم سيارة مسلم أحد الخارجين من الصلاة بالكنيسة،ماذا سيكون الموقف عند أذ ؟ سوف تتحول هذه المواقف العادية إلي صراع طائفي، كذلك أوقات الصلاة، والأذان، وأجراس الكنائس سوف تكون متداخلة، و سوف يتصور البعض أن استخدام مكبرات صوت أعلي، أو أجراس كنائس أقوي، دليل علي قوة الإيمان في أقامة الشعائر، وخاصة أذا كان القائمين علي المؤسسات الدينية من أمثال هؤلاء المتعصبين، فهذا التجاوز سوف يكون مجالا للمشاحنات، والمشاجرات التي لا طائل من ورائها، وهناك بعض الشروط

الأخرى لبناء الكنائس، بالتأكيد حين وضعت كانت تراعي في المقام الأول السلام والأمن الاجتماعي.

ولكن هذا لا يبرر مصادرة حق المسحيين في البناء الشرعي للكنائس وفقاً للقانون، مع التزام المسحيين بعدم المبالغة فى عدد الكنائس المطلوبة، علي غرار طريقة أعداد الموازنة العامة للدولة، والتي تتعمد فيها كل وزارة بوضع أرقام ضعف الحاجة الفعلية تحسباً لإجراءات التقشف، أو التخفيض، وهذا يعني أن المبالغة باتت سلوك مصرياً ولا يخص عمليات بناء الكنائس وحدها، هذا نتاج ميراث اجتماعي قائم علي بعض من الانتهازية، وسوء التقدير، تري أيهما أقرب للدين بناء كنائس لمجرد العناد أم رعاية فقراء المسحيين الذي يوجد منهم عشرات الآلاف تحت خط الفقر، و يعانون من البطالة، والمرض،أيضاً نفس الحالة تتكرر مع فقراء المسلمين، فالكثير من المساجد والكنائس لايرتدها أحد إلا قليلا.

تاسعا : المادة الثانية والدستور: يعتبر مفهوما الدولة المدنية والدولة الدينية من المفاهيم المثيرة للجدل، ويكتسب هذا الجدل أهمية خاصة في الواقع المصري في ضوء التوترات التي تتصاعد بين الفينة والأخرى سواء علي خلفية ما يراه البعض من تشدد ديني يستدعي تزايد المخاوف من التحول إلي دولة دينية، أو علي صعيد التوترات الطائفية التي تحدث بين وقت وآخر وهو ما يستدعي إعلان الكثير من الأقباط عن مخاوفهم من أن يطبق عليهم تشريعات تنطلق من ديانة مغايرة، ونعرض هنا في لمحة سريعة لمفهومي الدولة المدنية والدينية واللذين تكشف جولة البحث عن تعريفهما عن تعدد الاجتهادات التي حاولت تقديم رؤية متكاملة بشأنهما،وحسب تعريف البعض ويقول مصطفى عبد الرازق في الوفد فإن الدولة المدنية هي الدولة التي يحكمها القانون والدستور الوضعي المستمدان من التجارب الإنسانية، فالمرجعية في الدولة المدنية هي لإرادة الناس وفكرهم، حيث تقوم علي مبدأ أساسي مقتضاه هو أن إرادة الناس هي مصدر كل السلطات ومرجعيتها النهائية.

أما الدولة الدينية فهي في أكثر التعريفات شيوعا هي الدولة التي تنطلق من أساس

ديني ويحكم حياة الأفراد فيها الدين علي مختلف الأصعدة، وهنا يشير الكثيرون إلي أن مثل هذه الدولة شهدت تطبيقات لها في عصور مختلفة، بلغت نهايتها بشكل خاص في أوروبا مع الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩ حيث تم الفصل بين الدين والدولة مع تقرير حرية التدين والاعتقاد كحريات سياسية ودستورية.

ويهمنا في هذه العجالة السريعة التطرق إلي مفهوم الدولة الدينية في المنظور الإسلامي والذي يثير البعض المخاوف بشأن تطبيقها خاصة في مصر، يتسع هنا نطاق الجدل بشكل كبير علي ضوء ما يؤكد عليه البعض استنادا إلي نصوص قرآنية وأحاديث نبوية من أن الإسلام دين ودولة ، يلقي هذا الطرح بتأثيراته حيث يذهب آخرون علي خلفيته إلي التأكيد علي مخاوفهم في ضوء سلبية الخبرة الأوروبية بشأن الدولة الدينية.

من استعراض الكتابات التي تطرقت إلي هذا الموضوع يمكن الإشارة إلي أن خصوصية الإسلام في هذا الصدد تتحدد من أن رسالته الجديدة كل ما حملته من أفكار كانت هي التي أدت إلي ظهور الدولة في الجزيرة العربية، وقد بدأت الدولة الإسلامية الأولي في المدينة المنورة وكان الرسول صلوات الله عليه وسلم هو مُبلغ الرسالة من ناحية وهو الذي يمارس سلطة الحكم من جهة أخري، ومن هنا نجد عمق الارتباط بين ظهور الدولة ونشأتها وبين الرسالة الجديدة، ورغم ذلك فإن الرأي المستقر لدي المفكرين الإسلاميين أن الإسلام لا يعرف الدولة الدينية

فيما يتعلق بمصر يتأتي تخوف البعض من المادة الثانية من الدستور التي تم تعديلها عام ١٩٨٠ ونصت علي أن « مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع » وذلك بعد أن كانت المادة الثانية عند أصل وضعها في دستور ١٩٧١تقول: الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية ومبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع.

وبعيدا عن الأبعاد الحقيقية لهذا التعديل، والذي ليس هنا مجال التفصيل فيها، نشير إلي أنه في نهاية المطاف لم يضف أي تغيير يذكر علي ملامح الدولة المصرية لجهة المزيد من التدين من عدمه علي مختلف المستويات تشريعية كانت أم غير ذلك؟ لقد

كانت المادة الثانية من الدستور والتي تنص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسي للسلطات محل نقد من المسيحيين.

وأيضا مصر لم تبتدع تلك الطريقة في كتابة الدستور حيث توجد العديد من الدول الغربية والتي تعد معقلا للحرية والديمقراطية تنص دساتيرها على الهوية الدينية ، و كما تشير بعض الدراسات المتخصصة أن هناك العديد من الدول المسيحية في الغرب تنص دساتيرها على وجوب مسيحية الدولة.

جاء في (المادة١) من دستور اليونان: المذهب الرسمي لأمة اليونان هو مذهب الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية!وفي (المادة ٤٧) منه: كل من يعتلي عرش اليونان يجب أن يكون من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية

وجاء في (المادة١/بند ٥) من دستور الدانمارك: يجب أن يكون الملك من أتباع الكنيسة الإنجيلية اللوثرية!

وفي (المادة١/بند٣): إن الكنيسة الإنجيلية اللوثرية هي الكنيسة المعترف بها في الدانمارك!.

وجاء في (المادة ٩) من الدستور الأسباني: يجب أن يكون رئيس الدولة من رعايا الكنيسة الكاثوليكية

وفي (المادة٦): على الدولة رسمياً حماية اعتناق وممارسة شعائر المذهب الكاثوليكي باعتباره المذهب الرسمي لها

وفي الدستور السويدي (المادة٤): يجب أن يكون الملك من أتباع المذهب الإنجيلي الخالص!. وفيه: يجب أن يكون أعضاء المجلس الوطني من أتباع المذهب الإنجيلي

وفي الأرجنتين: تنص (المادة ٢) على: أن على الحكومة الفدرالية أن تحمي الكنيسة الرسولية!

وجاء في وثيقة الحقوق في انجلترا (المادة ٧): يسمح لرعايا الكنيسة البروتستانتية بحمل السلاح لحماية أرواحهم في حدود القانون! وفي ذات الوثيقة (المادة ٨): لا يسمح لكاثوليكي أن يرث أو يعتلي العرش البريطاني!

وفي (المادة ٣) من قانون التسوية: على كل شخص يتولى الملك أن يكون من رعايا كنيسة انجلترا، ولا يسمح بتاتاً لغير المسيحيين ولا لغير البروتستناتيين أن يكونوا أعضاء في مجلس اللوردات، ويعتبر ملك بريطانيا حامياً للكنيسة البروتستانتية في العالم!»

في دساتير الدول العربية

–الدستور الكويتي الصادر في١٩٧٦ ينص في المادة الثانية على أن دين الدولة الإسلام والشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع . وكذلك الدستور الأردني الصادر في١٩٥٢ ينص في المادة الثانية علي نفس النص.

. والدستور التونسي الصادر في١٩٨٠ ينص في المادة الثالثة على نفس النص.

. والدستور العراقي الصادر في١٩٧٠ ينص في المادة الرابعة على نفس النص.

. والدستور المغربي الصادر في١٩٩٦ ينص في المادة الثانية على نفس النص.

. والدستور الليبي الصادر في١٩٦٩ ينص في المادة الثانية على نفس النص.

. والدستور الجزائري ينص في المادة الثانية على نفس النص.. والدستور السوداني الصادر في١٩٨٥ ينص في المادة الرابعة على نفس النص . والدستور القطري الصادر في١٩٧٢ ينص في المادة الأولي علي نفس النص.

. والدستور العماني الصادر في١٩٩٦ ينص في المادة الثانية علي نفس النص

. والدستور الإماراتي الصادر في١٩٧١ ينص في المادة السابعة علي نفس النص.

. والدستور البحريني الصادر في١٩٧١ ينص في المادة الأولي علي نفس النص.

. والدستور الصومالي الصادر في١٩٦٠ ينص في المادة علي نفس النص.

. والدستور اليمني الصادر في١٩٩٤ ينص في المادة الثانية علي نفس النص.

لا تعد مصر نموذجا مستحدثا عن العالم الغربي معقل الحريات أوالدول الشرقية والعربية المحيطة , بل تميز الدستور المصري بأنه لم يشترط أن يكون رئيس الدولة مسلم

وترك الأمر حر أمام الشعب بما يعنى أنه هناك احتمال ولو ١ % إذن مصر سبقت اليونان والدانمارك وغيرهما من الدول بهذا النص، ومسألة أن الشريعة الإسلامية مصدراًللسلطات تعنى في طياتها أن للمسيحيين الحق في تنظيم حياتهم الدينية والأحوال الشخصية وكل ما يتعلق بالطلاق والزواج وهو شأن داخلي لا دخل للدولة فيه، فعلى الرغم من أن الشريعة الإسلامية لا تجيز تولى غير المسلم على المسلم فإن ذلك الأمر ترك للمسلم ذاته فلو هو أراد أن يلتزم بالشريعة فعليه اختيار الرئيس المسلم وإذا أراد أن يختار المسيحي فهذا شأنه كذلك الأمر بالنسبة للمرأة لم يغلق الباب أمامها في الترشح، قد يقول البعض أن الأمر نظريا , هذا صحيح ولكنه قابل للتحقيق ولو ١ % وبالتالي لا يحق للمسيحيين بالمطالبة بإلغاء المادة الثانية للدستور،على حكم أن الإسلام دين الأغلبية بل أن المسيحيين أنفسهم يلجئون باختيارهم في تطبيق مصادر الشريعة الإسلامية داخل مصر فيما يتعلق بأحكام الميراث كما أن الدول الغربية المسيحية طبقت العديد من المصادر القانونية المستوحاة من الشريعة الإسلامية نفسها، فالشريعة الإسلامية كانت مصدر تاريخي هام لكل النظم القانونية في العالم المسيحي نفسه في الغرب وهذا مالا يعلمه المسيحيون أنفسهم في الشرق عندما يتكلمون على المادة الثانية.

تجد البعض يطالب بضرورة أن يتضمن الدستور نصاً يشير إلي أحقية أصحاب الدينيات الآخرين في الاحتكام إلي دينهم في الأحوال الشخصية، وعادة هذه المطلب يأتي من بعض عناصر التيار الليبرالي، وهذا دليل سطحية لأن الشريعة الإسلامية أصلا تنص علي ذلك ولا تلزم غير أتباعها في أمور الأحوال الشخصية والعبادات بأي التزام يخالف دينهم، فلتكن هذه الإضافة كنوع من التأكيد علي معني قائم ومقرر مسبقا، توجد العديد من الدول الغربية تأخذ بعض من الأحكام الإسلامية في تشريعاتها.

الشريعية الإسلامية في القوانين الغربية: فعلى سبيل المثال تجد أن القوانين الاشتراكية أخذت فكرتها المعروفة عن حدود استعمال الملكية من الإسلام، وأنها يجب أن تقيد بعدم الإساءة في استعمالها لحقوق الغير فلقد تم اقتباس تلك الفكرة من الشريعة الإسلامية.

وفى النظام الجرماني نجد فكرة المصلحة أو النظرية الموضوعية في الالتزام وبمقتضاها لا يشترط لقيام المسئولية على شخص أن يكون مميزا فإذا أتلف قاصرا مال أو حتى إذا تلف المال من غير شخص عاقل، فإن الذي يعنى هذا الاتجاه هو تعويض المال الذي تم الإضرار به أو جبر الخسارة التي حدثت وإذا كان الخطأ يقتضي في معظم النظم عنصرا ماديا وعنصرا معنويا هو التمييز.

والنظام اللاتيني أخذ من التشريع الإسلامي الشكل وكثيرا من الموضوعات فيما يتعلق بالشكل ترى أنه قد أخذ من الفقه الإسلامي طريقة الاستنباط المستفادة من شرح النص لبيان دلالته على المطلوب وأخذ الحكم الشرعي فيه وهذه الطريقة ذاتها هي المعروفة في النظام اللاتيني بفكرة (الشرح على المتون) التي التزمت بها مدارس التزام النص، والتي هي نتاج طبيعي لحركة التقنين التي سادت في عهد نابليون حين أراد أن يقضى بها على تعدد النظم القانونية في فرنسا، ولم يقتصر الأمر على الشكل والمنهج ولكنه أخذ كثيرا من الموضوعات عن التشريع الإسلامي وذلك مثل نظرية البطلان ونظرية الظروف الطارئة وفسخ العقد وغير ذلك من الموضوعات ذات الأصول المعلومة في التشريع الاسلامى.

والنظام الأنجلوسكسونى وإن كان مصدره الأساسي القضاء أو السوابق القضائية التي تكون المصدر الأساسي فيه حيث نشأ القانون الانجليزي نشأة عرفية إلا أنه قد حاد عن ذلك من خلال بعض الأعمال الفقهية لعدد من الفقهاء الإنجليز منهم الأستاذ (دايسى) والسير (جيمس ستيفن) والأستاذ (جنكز) وغيرهم بيد أن هذه الأعمال لا تعدو أن تكون عملا خاصا لهؤلاء الفقهاء وليست بذات صفة رسمية ومع ذلك فإنها قد جاءت متأثرة بالمنهج الذي سار عليه التشريع الإسلامي وأخذه عنه الاتجاه اللاتيني، ولم يقتصر الأمر على ذلك الاقتباس المحدود من المنهج ولكنه تعدى إلى بعض الموضوعات المأخوذة عن الفقه الإسلامي وذلك مثل فكرة الدين كوصف تشغل به الذمة وفكرة الوصية لما بعد الموت وتأقيت المنفعة.[١]

---

[١] راجع، د. عبد الله مبروك النجار، أصول القواعد القانونية، د. ن، ٢٠١٠

وعقب الأزمة العالمية التي ضربت العالم عام ٢٠٠٨ ارتفعت الأصوات الغربية التي تطالب بتطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية كفكر اقتصادي ، واشار المحلل الفرنسي رولان لاسكين عقب وقوع الأزمة العالمية فى افتتاحية لورجورنال ٢٥ / ٩ / ٢٠٠٨ في مقالة تحت عنوان هل تأهلت وول استريت لاعتناق مبادئ الشريعة الإسلامية وطالب بضرورة تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في المجال الاقتصادي كما أشار المحلل يوفيس فانسون في افتتاحية تشالنجر ١١ / ٩ / ٢٠٠٨ تحت عنوان البابا أو القرآن إلى ضرورة تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في المجال الاقتصادي ، كما أشارت الباحثة الإيطالية لوورينا بابليونى إلى أهمية التمويل الإسلامي ودوره في إنقاذ الاقتصاد الغربي، كما أن وزارة الخارجية الأمريكية نفسها أعلنت أنها سوف تتعاون مع جامعة هارفارد لتعليم الوكالات الحكومية المرتبطة بالصناعة المصرفية نظام التمويل الإسلامي. [١]

ولكن التعصب لمجرد وجود لفظ إسلامي يريد إلغاء هذه المادة كنوع من التعصب دون أن يفهم أصحاب تلك الأصوات أن الشريعة الإسلامية وضعت بجانب العبادات أصول للمعاملات البشرية تقوم على أسس أخلاقية وعادلة , كل العالم الغربي يستقى مبادئ الشريعة الإسلامية في المعاملات ونسمع أصوات من بعض العلمانيين والمتعصبين المسيحيين بإلغاء هذه المادة التي شأنها في التشريع شأن قواعد التشريع الأخرى مثل العرف والقوانين الدولية التي تطبق في القانون المصري ومنها القانون الفرنسي، هذا الطرح يجب أن يتوقف تماما لأنه لا يجوز أن تنكر الأقلية حقوق الأغلبية في التشريع وفقا لمنطق الديمقراطية ذاته

لقد كانت المفاجأة الكبرى أن المسحيين في الاستفتاء علي دستور ٢٠١٢ في المرحلتين الأولية ١٢/١٥ والثانية ١٢/٢٢ يصوتون بالرفض وذلك لاعتبارات طائفية لكون أن جماعة الإخوان المسلمين في السلطة، وذلك بناء علي تعليمات الكنيسة علي الرغم أن المادة الثالثة بالدستور ذكرت لأول مرة صراحة أن مبادئ شرائع المصرين من

[١] راجع، د. عبد الباسط وفا، التنمية الاقتصادية، د.ن، ٢٠١٠

المسحيين و اليهود المصدر الرئيسي للتشريعات المنظمة لأحولهم الشخصية وشئونهم الدينية واختيار قيادتهم الروحية، وربما تكون مصر الدولة الوحيد ة في العالم التي تسمع بمنح أقلية عددية هذا الحق ، وبعد أن وقع ممثلو الكنيسة علي مسودة الدستور في اللجنة التأسيسية، خرج البعض من الكنيسة ينتقد المادة ٢١٩ التي جاء فيها أن تفسير مبادئ الشريعة الإسلامية تشمل أدلتها الكلية وقواعدها الأصولية، والفقهية، ومصادرها المعتبرة في مذهب أهل السنة الجماعة، لقد كان وجه الاعتراض علي هذه المادة يقوم علي إدعاءين أساسين:

الأول أن بعض المذهب الفقهية تحرم بناء الكنائس، ولكن هذه المادة مقيدة بالمادة رقم ٤٣ حيث تنص علي أن حرية الاعتقاد مصونة وتكفل الدولة حرية ممارسة الشعائر الدينية، وإقامة دور العبادة للأديان السماوية الثلاثة، وذلك علي النحو الذي ينظمه القانون، وهذا النص قيد النص رقم ٢١٩.

الإدعاء الثاني أن تفسير المادة ٢١٩ يمكن أن تحرم المسحيين من الترشح علي انتخابات الرئاسة حسب بعض الآراء الفقهية، ولكن هذا أيضا غير صحيح لأن المادة مقيدة بالمادة رقم ٣٣ التي تنص علي أن المواطنون لدي القانون سواء وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة، ولا تميز بينهم، والمادة تقيد المادة ٢١٩، وأيضا تقيد بعض الآراء الفقهية التي تري ضرورة فرض الجزية علي المسحيين، وذلك بسبب التساوي في المعاملة.

كما أن هناك تقيد أخر من الناحية الدينية حسب التشريعية الإسلامية حيث أن اشتراك المسحيين في الجيش والدفاع وجهاز الشرطة في البلاد يسقط عنهم فرض الجزية التي لم تكن في يوما إتاوة علي أحد، بل كانت نظام للمشاركة علي القادرين والأغنياء فقط من أهل الذمة مقابل الزكاة التي يدفعها المسلمون في بيت المال كنظام مالي سابق، وهذا مقابل خدمة عدم الالتحاق بالجيش، ومساهمة في تكاليف خدمة الأمن ، وكان المسيحي أو اليهودي الفقير يحق له نصيب من بيت المال كالمسلم سواء بسواء، وهذا الطرح مقيد بالمادة ٣٣ وبالواقع، وببعض الآراء الفقهية.

أذن لماذا الرفض؟ الإجابة في نظر البعض أن الكنيسة تحولت لممارسة السياسة من زاوية رفض كل ما هو إسلامي وشحنت المسيحيين لرفض الدستور، الذي مر بموافقة الشعب المصري بنسبة ٦٣,٨% .. ولكن لا ضر فمع التوسع في ممارسة الديمقراطية، وفي مراحل قادمة سوف يتغير سلوك الشعب المصري ككل.

مقارنة الدستور المصري ببعض دساتير الولايات الأمريكية: ولكي تضح الصورة يمكن لأي منصف ان يقارن حقوق المسحيين الدينية في الدستور المصري بالدستور الامريكي، ففي الولايات المتحدة الديقراطية تنتهج بعض الولايات الدستور الطائفي وهناك "التشريع النموذجي" لديفيد يروشالمي . الذي يحظر تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية . قد تم إدراجه بحذافيره في قوانين ولاية ساوث كارولينا وتكساس وألاسكا. كما أن الفيديو الذي سجله حول كيفية صياغة مشروع قانون لمناهضة الشريعة الإسلامية وأدواته على الإنترنت تم تداولها على كافة الأصعدة في أنحاء الولايات المتحدة.[1]

الاستقواء بالخارج: ترتفع لهجة الاستقواء بالغرب منذ عدة عقود وهذا أمر في منتهى الخطورة ففي حالة حدوث فتنة لا قدر الله لن تستطيع أمريكا أو غيرهاعمل أي شيئ، الدليل على ذلك مسيحيين العراق لقد كانوا فى العراق تحت غطاء القوات الأمريكية ولم تستطيع أن تنقذهم من نيران التعصب، بل فشلت حتى في حماية نفسها وكانت نتيجة العداء للغرب المتوحش التوجه بالخطأ نحو المسيحيين الأبرياء داخل العراق، ولم يكن لهم ذنب فيما اقترفته أمريكا تجاه هذا البلد العربي الكبير.

تشير الأرقام والإحصائيات المتضاربة أن عدد سكان المسيحيين في العراق كان يقع بين ٤ : ٥ % من السكان وأنه تم تهجير نصف هذا العدد على الأقل، لقد فشلت

(١) لي فانغ ، سكوت كيز، فيض، لي فانغ ، سكوت كيز، فيض شاك ،وآخرين ، التخويف من الإسلام (الإسلاموفوبيا(جذور شبكة التخويف من الإسلام في الولايات المتحدة أغسطس ٢٠١١ www.americanprogress.org.

أمريكا في ظل وجود آلاتها العسكرية الجبارة مع تواجد أكثر من ١٥٠ ألف جندي من حماية المسيحيين في العراق، وأن قرابة نصف المسيحيين العراقيين المقدر عددهم بـ ٨٠٠ ألف نسمة قد فروا إلى الخارج بسبب أحداث العنف، حيث تعرض قسم منهم لأحداث إجرامية كالخطف والتعذيب والقتل.[١]

يجب أن يتوقف هذا الطرح لدى العامة والنخب المسيحية ففي حالة وجود فتنة أهلية لا قدر الله لن تنقذ أمريكا أحد فهي قد تستغل تلك الورقة لأغراض سياسية فقط لأن المسيحيين في مصر من الأرثوذكس ويختلفون في المذهب وأيضا لأن التدين في الشرق يختلف عن التدين في الغرب، لا يعنى هذا تهديدا أو دعوة للإذعان ولكنه نوعا من المكاشفة حتى لا يضلل بعض المتعصبين آخرين بورقة الاستقواء بالخارج ، لا توجد حماية للمسيحيين أو المسلمين إلا في ظل مبدأ سيادة القانون تحت مظلة الدولة المصرية، أغلب المصريون من المسلمين وهذا ما لمسته ضد العنف والاعتداء والعدوان بل هناك شرائح تمثل أغلبية من المسيحيين تتفق مع هذا الطرح , العقل يحتم علينا ألا نسير خلف التعصب فوحدة المكان والمصير المشترك أهم عوامل التعايش في ظل احترام متبادل.

عاشرا: مواقف البابا شنودة: البابا شنودة الثالث (وُلِدباسم نظير جيد روفائيل) (٣ أغسطس ١٩٢٣ – ١٧ مارس ٢٠١٢)، بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وسائر بلاد المهجر،وهو البابار قم ١١٧،كان أول أسقف للتعليم المسيحي قبل أن يصبح البابا،وهو رابع أسقف أو مطران يصبح البابا بعد البابا يوحنا التاسع عشر (١٩٢٨ – ١٩٤٢) ومكاريوس الثالث (١٩٤٢ – ١٩٤٤) ويوساب الثاني (١٩٤٦ – ١٩٥٦) وهو من الكتاب أيضا إلى جانب الوظيفة الدينية العظمى التي يشغلها،وهو كان ينشرفي جريدة الأهرام الحكومية المصرية بصورة منتظمة.

التحق بجامعة فؤاد الأول، في قسم التاريخ، وبدأ بدراسة التاريخ الفرعوني

---

[١] بي بي سي القسم العربي عربي ، المسيحيون محاصرون في العراق، ٢٠٠٨/٣/١٤

والإسلامي والتاريخ الحديث، وحصل على الليسانس بتقدير (ممتاز) عام ١٩٤٧. وفي السنة النهائية بكلية الآداب التحق بالكلية الإكليركية.

وبعد حصوله على الليسانس بثلاث سنوات تخرج من الكلية الإكليركية عمل مدرساً للتاريخ، حضر فصولا مسائية في كلية اللاهوت القبطي وكان تلميذاً وأستاذاُ في نفس الكلية في نفس الوقت.

كتب الشعروعمل لعدة سنوات محرراثم رئيسا للتحرير في مجلة مدارس الآحد وفي الوقتن فسه كان يتابع دراساته العليا في علم الآثار القديمة، كان من الأشخاص النشيطين في الكنيسة وكان خادما في مدارس الآحد، وخدم ضباطاً برتبةملازم بالجيش المصري.

رسم راهباً باسم (انطونيوسالسرياني) في يوم السبت ١٨ يوليو ١٩٥٤ ومن عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٦٢ عاش حياة الوحدة في مغارة تبعد حوالي ٧ أميال عن مبنى الدير مكرسا فيها كل وقته للتأمل والصلاة.

وبعد سنة من رهبنته تم تسيامته قساً، أمضى ١٠ سنوات في الدير دون أن يغادره. عمل سكرتيراً خاصاً للبابا كيرلس السادس في عام ١٩٥٩، رُسِمَ أسقفاً للمعاهد الدينية والتربية الكنسية، وكان أول أسقف للتعليم المسيحي وعميد الكلية الاكليريكية، وذلك في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢.

بعد وفاة البابا كيرلس في الثلاثاء ٩ مارس ١٩٧١ أجريت انتخابات البابا الجديد في الأربعاء ١٣ أكتوبر. ثم جاءحفلت تويج البابا (شنودة) للجلوس على كرسي البابويةفي الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالقاهرة في ١٤ نوفمبر ١٩٧١ وبذلك أصبح البابا رقم (١١٧) في تاريخ البطاركة.

اختلف في السبعينيات بعد أن اعتلى "السادات" وخلفه البابا "شنودة" قمة الرئاسة والكنيسةعلى الترتيب.

واشتعال فتيل الفتنة بين المسلمين والمسيحيين وبخاصة في صعيد مصردون سبب واضح.. إلا أن النار قد التهبت وتزمن معها القطيعة بين "السادات" والبابا "شنودة"

وأصدر السادات في سبتمبر عام ١٩٨١ قراره بالتحفظ على ١٥٣١ من الشخصيات العامة المعارضة، لم يكن مصير البابا الاعتقال وإنما كان تحديد الإقامة في الدير بوادي النطرون.

وعندما تقلد حسني مبارك مقاليد الرئاسة في ١٤ أكتوبر ١٩٨١ حيث قام في ١٩٨٥ بالإفراج عن المعتقليي نالذين قام سلفه السادات باعتقالهم وقابل بعضهم وكان على رأس هذا البعض "الباباشنودة"، وكتن السبت ١٧ مارس ٢٠١٢، هو تاريخ وفاة البابا شنودة الثالث،بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، عن عمر يناهز ٨٨ عاماً [(١)].

يأتي عرض بعض مواقف البابا شنودة ليس من باب الإساءة أو التشهير، ولكن التناول يهدف إلى متابعة بعض المواقف سواء كانت محل أتفاق أو اختلاف للوصول لحل ينقذ الوضع من التأزم، فالكنيسة أو المسجد يجب ألا يزيدا دورهما عن كونهما مؤسستين دينيتين، وتبقى سلطة الدولة فوق الجميع، وقد لخصت دراسة موقفه كما يلي: [(٢)]

توصلت الدراسة إلى وجود جماعات مسيحية تخفي أهدافها وتتبع مبدأ التقية– طبقًا لكتابات الدكتور رفيق حبيب– وترفض المجتمع وتنعزل عنه وتحاول خلق مجتمع بديل، ثم تنعزل عن الكنيسة وتتهمها بالخروج عن الدين وتتجه إلى طريق التكفير فتكفر قيادات الكنيسة ثم تكفر أعضاء الكنيسة لإتباعهم لهذه القيادات وتتسع دائرة التكفير لتشمل الأسرة والمجتمع، والقائد في الجماعات المسيحية يميل إلى الاتجاه الديكتاتوري حيث تكون له سلطة دينية مطلقة «ثيوقراطية»، ثم يصبح القائد ممثلَ الله على الأرض وتتحقق لقادة الجماعات الدينية درجة من السلطة تؤهلهم للتحكم في مصير أعضاء الجماعة حسب إرادتهم الشخصية ، كانت مدارس الأحد إتمامًا لمشروع حبيب جرجس

---

(١) موقع الإنجيل الأجنبية، ومصادر اخري.

(٢) عمرو محمود، أخوان لاين، ملخص موضوع الرسالة الدكتوراه «التطور الفكري لدى جماعات العنف الدينية من سنة: ١٩٥١م وحتى: ١٩٨١م»، قسم التاريخ للدكتور كامل عبد الفتاح أحمد عبد الفتاح بجيري

لمواجهة تأثيرات المنصرين الأجانب، وحماية النشء المسيحي من الإرساليات الأجنبية التبشيرية وغيرها، واستطاعت التوسع في مجالات النشاط لتشمل الجوانب الدينية والحياتية والاجتماعية، فكانت مجالاً يجد فيه الأطفال والشباب فرصةً لممارسة النشاط الاجتماعي، ومن خلال هذه البيئة استطاعت الكنيسة تنشئة جيل كنسي أرثوذكسي له انتماءاته المحددة، ومن خلالها تكون الفرد الكنسي أو عضو الكنيسة.

وقد أفرزت تلك المدارس أعضاء الكنيسة وقيادتها وكوادرها الجديدة ثم أصبحت المؤسسة التكوينية التي تمد الكنيسة برعاتها، كما خرجت أيضًا جماعة الأمة القبطية من عباءة مدارس الأحد حيث رفعت شعارات «الإنجيل دستورنا»، و»القبطية لغتنا»، و»الموت في سبيل المسيح أسمى أمانينا»، على غرار شعارات الإخوان، واقتحمت دار البطريركية وأجبروا «الأنبا يوساب» على التنازل عن العرش البطريركي في ٢٤ يوليو ١٩٥٤م، وقد أثارت الجماعة العديد من الأفكار مثل فكرة القومية المصرية، وأن الأقباط البقية الباقية من سلالة المصريين القدماء، وأنهم أصحاب الأرض أما المسلمون فدخلاء يجب طردهم. رغم إجماع علماء تاريخ الأجناس على وحدة العنصر المصري منذ ما قبل التاريخ حتى وقتنا الحالي، وقد استغل المسيحيون هجرة الكثير منهم إلى أمريكا وكندا «بلاد المهجر».

وتكونت جماعات تحمل أفكار جماعة الأمة القبطية، وغالت فيها إلى أقصى مدى فاستعانوا بالغرب واستخدموا الضغط الدولي على الحكومة المصرية، وادعوا أن المسيحيين مضطهدون وتميزت دعاواهم بالمغالاة والطائفية وعدم مراعاة مصلحة الوطن، وتصوروا أن الدفاع عن مسيحيي مصر يكون من المهجر بعيدًا عن حق المواطنة والوطن؛ لأنهم اهتموا بالدفاع عن طائفة من أبناء مصر، وليس الدفاع عن مصر كلها، وبهذا أصبحوا خطرًا على الوحدة الوطنية، وظهر لبعضهم نزعات تغريبية من حيث التعلق بالنمط الغربي، والاستعلاء الحضاري بالحديث عن كونهم القطاع الأرقى، أو الجنس الفرعوني النقي، وأصبح للكنيسة امتدادات في الخارج بعيدًا عن سلطة الدولة إضافة إلى أن الدولة ليس لها سلطة أصلاً على الكنيسة في داخل مصر، فالكنيسة مستقلة في كل شئونها، ولديها الحرية في الاتصال،

وإقامة علاقات مع الخارج في كل بلاد العالم، وأصبح لها فروع في كل العالم.

يعد الأستقواء بالخارج هو أحد الأمور التي تقف حائلا ضد الوفاق الوطني، ولم تفلح تلك المحاولات في دولة خارج الإقليم إلا بتدمير الدولة دون أن تحقق الأقلية أي شيء يذكر الضمان الوحيد هو الموطنة على أسس عادلة، استغل بعض المسيحيين فرصة الحرية الدينية المكفولة لهم من الدولة في محاولة نشر التنصير بين المسلمين، واشتركت الكنيسة «الأرثوذكسية» في الهيئات والمنظمات التنصيرية العالمية، وفي مجلس الكنائس العالمي الذي هَدَفَ إلى نشر المسيحية بين المسلمين، وتمكن من السيطرة على حركة التنصير العالمية، أثبتت الرسالة قيام بعض الجمعيات المسيحية بنشاط تنصيري، وانتشار كتب تشكك في عقيدة المسلمين صادرة من الكنيسة الأرثوذكسية، وبعضها صادر عن دور نشر تنصيرية في أوروبا، والولايات المتحدة مطبوعة باللغة العربية وبعضها الآخر مجهول الهوية، مما أثار المسلمين ومهدت الطريق للعنف الديني، وزاد من التوترات الطائفية قيام بعض الشباب المسيحي بتوزيع المنشورات التنصيرية.

ولاحظت الدراسة ارتفاع مكانة البابا عند المسيحيين إلى حد كبير، وذاك أمر كان له خطورته عندما استخدم سلطاته الدينية في السياسة أو في مواجهة الدولة، وعندها انقسمت الأمة وحدث الصدام؛ فلقد وجد البابا شنودة نفسه على رأس الكنيسة، ومعه مجموعة من أسباب القوة وأبرز عناصرها الشباب الذي تربي على يديه في مدارس الأحد بالإضافة إلى علاقاته المتينة بمسيحيي المهجر وفروع الكنيسة في المهجر والتي أصبحت مصدرًا لموارد مالية ضخمة–تساعد وتدعم ماديًّا ومعنويًّا بل وسياسيًّا أيضًا، بعيدًا عن الدولة.

كما بالغ المسيحيون في حساب عددهم بهدف زيادة تمثيلهم في الوظائف الكبرى والمجالس النيابية في الدولة، وقد رفض السادات الحديث عن النسبة العددية للمسيحيين في الوظائف العامة حتى لا ينتقل إلى وضع طائفي كما في لبنان ولكنه استجاب لبعض مطالب البابا فكان له رأي مسموع من الحكومة في اختيار أعضاء المجلس الملي، وفي تعيينات مجلس الشعب، وكان رئيس الوزراء يطلب منه ترشيح بعض الأشخاص لكي تختار الحكومة المعينين من بينهم، وزاد السادات من عدد الوزراء المسيحيين، وقام بتعيين اللواء فؤاد عزيز غالي

قائدًا للجيش الثاني الميداني بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م، ثم محافظًا لسيناء.

وقد بدأت أحداث العنف الطائفي بحادث الخانكة الذي ثبت أنه كان مفتعلاً وجاء في مرحلة حساسة من تاريخ مصر كانت تحتاج لتضافر الجهود، والوحدة من أجل مواجهة الاحتلال «الإسرائيلي» للأراضي المصرية، وقد رفض المسيحيون الشريعة الإسلامية– رغم محاولة العلماء المسلمين طمأنتهم بأنه لن تمس عقائدهم ولا شرائعهم– واعتبروا أن مصالحة السادات للإخوان المسلمين ومنحه الحرية للجماعات الإسلامية موجهًا ضدهم، ومن ثم تصاعدت ضغوطهم على الدولة منذ إعلان الدستور الدائم ١٩٧١م، فاستغلوا حادث الخانكة بقوة لتحقيق مطالبهم، وعقدوا المؤتمر القبطي يناير ١٩٧٧م، وقرروا الصيام، وأن يظل المؤتمر منعقدًا حتى العدول عن التفكير في تطبيق قوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية؛ فأثارذلك شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود، الذي رد بعقد المؤتمر الإسلامي في يوليو ١٩٧٧م، وقرر أن أي قانون أو لائحة تعارض تعاليم الإسلام تعتبر ملغاةً وكأنها لم تكن، وأعلن أن تطبيق الشريعة الإسلامية وأحكامها لا يرتهن بقيام البرلمان بإصدار تشريعاته، وأن التأخير في تطبيق الشريعة الإسلامية مراعاةً لمشاعر غير المسلمين لا يمكن قبوله.

فضاعف البابا شنودة من ضغوطه وأصر على معارضة قانون الردة ودعا إلى صيام جماعي والصلاة في جميع الكنائس في الأسبوع الأول من سبتمبر ١٩٧٧م، حتى ألغت الحكومة مشروع القانون، وعندما قرر الرئيس السادات تعديل الدستور وجعل الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع، قرر البابا عدم الاحتفال بذكرى تقلده الكرسي البابوي، واعتكف في دير الأنبا بيشوي، ثم استغل البابا حدوث صدام بين الطلاب المسيحيين والطلاب المسلمين في بيت الطلبة في الإسكندرية في ١٨ مارس ١٩٨٠م، واتخذ قرارًا بعدم إقامة المراسيم والاحتفالات والاستقبالات الخاصة بعيد القيامة، وعدم تبادل التهاني المعتادة مع رئيس الجمهورية، وأمر كل رجال الكنيسة بعدم تَقَبُل التهاني بعيد القيامة من أي مسئول رسمي تبعث به الدولة لتهنئة الأقباط كما جرى التقليد من قبل، وقد ساء السادات تصرف البابا لأن النزول بالأزمة إلى الشارع يعني تمامًا احتمال

وقوع أحداث دامية، وخاصةً في الأحياء الشعبية، أو القرى الصغيرة، وإذا تدخلت الدهماء فإنه لا توجد حكومة تستطيع أن توقف أنهار الدماء.

وكان الموقف نتيجةً لاعتراض البابا؛ استغلت القوى المسيحية الغربية مواقف البابا، وانطلقت الحملات الإعلامية الشرسة ضد مصر في العواصم الأوروبية وكانت احتجاجات البابا شنودة إيذانًا بهجوم مسيحيي المهجر على السادات في خطابهم الموجه إلى مصر وخارجها، والذي يدور حول الاضطهاد، وعندما سافر السادات إلى الولايات المتحدة الأمريكية في اليوم التالي لعيد الفصح الذي تقرر عدم الصلاة فيه، فوجئ بمنشور يتضمن حيثيات قرار المجمع المقدس يوزع في أمريكا أمام «البليرهاوس» واستقبله الأقباط المسيحيون أمام البيت الأبيض وأمام الأمم المتحدة بالمظاهرات.

أيد البابا زيارة الرئيس للقدس وباركها، وأعلن أن السادات رجل واحد بملايين الرجال، ولتحسن العلاقة بين البابا والسادات منح السادات الميدالية الذهبية التي حصل عليها من مجلس الكنائس الميثودي العالمي بأمريكا جائزة السلام لعام ١٩٧٨م للبابا شنودة، لكن العلاقات توترت مرة أخرى عندما رفض البابا تشجيع الأقباط للسفر إلى بيت المقدس، ووجه نصيحةً إلى الأقباط البارزين في مجال السلطة بأن يقللوا من ظهورهم في مجال العلاقات مع «إسرائيل» وقرر حرمان من يسافر إلى تل أبيب من التناول، وبذلك أقام البابا حكومةً دينيةً مسيحيةً تحكم الشعب القبطي ولا يستطيع أحد أن يخرج على سلطة البابا الذي يتحدى الحاكم وسلطة الدولة.

أوجدت مواقف البابا تيارًا معارضًا له في الكنيسة القبطية تزعمه متى الذي رأى أنه كلما خرجت الكنيسة عن اختصاصاتها، ونزعت إلى السلطان الزمني، وطالبت بحقوق عنصرية وطائفية؛ فشلت في تأدية رسالتها، لذلك يجب عليها ألا تتدخل في الأمور الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية لأنها ليست من اختصاصاتها لكن مقالات متى، وغيره لم تجد صدًى واسعًا بين الأقباط بسبب سيطرة البابا على الكنيسة وشعبها.

ونتيجة الاعتداءات المسيحية على الدين الإسلامي رفض الإمام الأكبر الدكتور

عبد الحليم محمود شيخ الأزهر مؤتمرات الحوار بين الأديان، وأعلن أنه رغم أن المسلمين يحترمون المسيح، وأمه عليهما السلام؛ إلا أن المسيحيين يهاجمون رسول الإسلام ويهاجمون مبادئ الإسلام، ويرفضون مجرد الاعتراف بوجود دين يسمى الإسلام، رغم أن الإسلام هو العامل الأكبر في تثبيت المسيحية حين اعترف بوجود المسيح عليه السلام وحين برأ أمه، وطالب بالاعتراف بالدين الإسلامي وبرسوله حتى ينال المسلمون في أوروبا ما يناله اليهود من الاعتراف بأعيادهم وبشعائرهم، أتهم السادات فى ١٠ / ٥ /١٩٨٠ البابا شنودة في خطابه بمجلس الشعب بأنه يحرض أقباط المهجر ويشعل الفتنة الطائفية في مصر التي باتت تظهر بوادرها عقب اتفاقية السلام..

تظهر تلك الدراسة أن السادات بذلك خسر تأييد المسيحيين والمسلمين المتعصبين في ذات الوقت لأنه وقف ضد التعصب الدينيالذي اجتاح البلاد عقب كامب ديفيد وخدم التعصب موقف إسرائيل وأهدافها فى زرع الفتن لمنع نهضة مصر الحديثة ، يجدر بنا أن نعلم أن البابا شنودة يتمتع بذكاء فى الحوار قلما يوجد ولكن يفترض أنه المسئول عن قيادة التيار المعتدل لحماية البلاد وكان عليه أن يكون عمليا من خلال بث ثقافة التسامح والمساعدة فى استئصال التعصب، لقد خسر السادات بهذا الإعلان الدعم المسيحي، وكان قد خسر من قبله دعم الكثير من التيارات الإسلامية، لمجرد أنه أراد أن يفرض سلطة الدولة على الساحة الداخلية والعمل وفق منهج سياسي على الساحة الخارجية ، ورغم كل ذلك نجد أن البابا شنودة ظل يتمتع بحب المصريين علي حد السواء، وتجلي ذلك عندما رحل عن الدنيا في ١٧/ مارس ٢٠١٢، لقد تاثر الكثير برحيله حيث كان يتمتع بمكانة لدي الشعبي المصري بعنصريه قلما توجد.

نزع بوادر الفتنة: تعد بوادر الفتنة هي قضية إسلام مسيحيات أما عن اقتناع كامل أو من أجل الطلاق من الزوج المسيحي وأحيانا من أجل الزواج من مسلم، لا توجد أدنى مشكلة فمن تختار الإسلام عن اقتناع يجب ألا تقوم الكنيسة بأي عرقلة أو اضطهاد أو احتجاز لهن وذلك طبقا لمبدأ حرية العقيدة وعدم اعتبار الأمر إهانة للمسيحية؟ فالأمر ليس كذلك وبالعقل يبلغ حجم الزيادة السكانية في مصر ما

يقرب من ٢ مليون نسمة حسب إحصائيات ٢٠١٠ وهذا يعنى أن المسيحية يدخلها حسب نسب المواليد ٢٠٠ ألف مسيحي والإسلام ١٨٠٠٠٠٠ألف مالا يقل عن ربع هذه النسبة تأتى نتيجة الحمل الخطأ نتيجة نسيان استعمال أدوات تنظيم الأسرة وهذا الخطأ تقريبا يعطى للمسيحية ٥٠ ألف مسيحي جديد لم تكن أسرهم ترغب في الإنجاب لظروف اقتصادية وإجمالي ما حدث بسببهن المشاكل في هذه السابقة لا تتجاوزن ٢٥٠ سيدة هذا هو الأمر ببساطة شديدة، ولن تضر الدين في أي شيء خروج بضع عشرات في حين يوجد داخل كل دين مئات الآلاف لا يعرفن من الدين إلا أسمه فقط بل يكون معظمهم معول هدم لذويهم.

يتضح من ذلك العرض البسيط أن المشكلة أقل من هذا الضجيج عشرات ألآلاف يولدون على الرغم من إرادة ذويهم ومئات الآلاف بل الملايين من أتباع الديانات لا يعرفون شيئا عن روح أو هدف أو تعليم الدين , إذن ألا يكون من الحمق أن تحترق البلاد من أجل بضع مئات على أقصى تقدير.

ينظر البعض على الأمر على أنه عار وهزيمة أو ضربة في الخلف في حين أن الأمر يتعلق بالإنسان نفسه وهو محل الاختيار وصاحب القرار، يوجد علاقات حميمة بين المسلمين والمسيحيين تحمل كل مشاعر المودة والألفة , لماذا لا تبقى كذلك وتترك مسألة العقيدة لتكون علاقة بين الفرد وربه خاصة أن الحساب على التدين سيتم من قبل المولى فقط ولا دخل للعبد فيه، وعليه يعد من الخطأ الجسيم قيام بعض رجال الكنيسة بالتعرض للسيدات اللواتي أسلمن، وهذا ما أحد أهم أسباب الاحتقان الطائفي ويجب علي الكنيسة نفسها التصدي لذلك والسماح لمن تختار الإسلام بالدخول فيه دون مواربة، لأن هذه المسألة علي وجه التحديد في غاية الخطورة، وهي بوابة الطائفية الأولي

المشكلة الثانية وهى لجوء بعض المسيحيات إلى الإسلام بسبب التخلص من الزوج وهذه المشكلة معقدة وتحتاج من الكنيسة إلى حل فلا حاجة للإسلام بسيدة تريد الاحتيال على الدين، فإذا لم يكن دخولها فيه من أجل العقيدة ذاتها سوف تصبح معول هدم فيما بعد، وهناك قضية شهيرة للفنانة هالة صدقي عندما أعلنت أنه إذا لم يتم

طلاقها من زوجها سوف تتحول إلى الإسلام.

أخريات قمن بنفس الشيء وهنا يجب الحسم من خلال إيجاد حل عن طريق الكنيسة والحل الثاني إعدام من يثبت تلاعبها بالدين وتحولها إلى الإسلام من أجل هذا الغرض حتى لا يتم هذا الهراء ويدفع ثمن تلك المغامرات الوطن.

الفتنة الثالثة وهى رغبة المسيحيات في الزواج من مسلم وهنا يمكن أن نقف على الأمر بالحياد وهو منع هذه الزواج أو بقاء المسيحية على دينها ولكن في ظل هذا الوضع سوف تتأثر العلاقات الاجتماعية وسوف تحرم الفتاة من العائلة، يعد حل هذه المشكلة من أهم متطلبات السلام والأمن الاجتماعي، أما إسلام الرجال لا يوجد فيه أدنى مشكلة لقدرة الرجل على الدفاع عن حقه بخلاف المرأة.

تعد المشاكل التي تتم تناولها تتنوع بين اعتداء جنسي أو اغتصاب أو اختلاف على البيع والشراء أو مشاجرات بسبب الانتخابات , كل تلك المشاكل واردة الحدوث ولن تنتهي طالما أن هناك بشر على وجه الأرض، ولكن مكمن الخطورة أنه تأخذ هذه الأحداث بعدا طائفيا ويمثل الاعتداء على الكنائس فيه خطأ جسيم وهذا لا يجب أن يحدث وعلى الدولة ألا تتهاون في إنزال أقصى درجات العقاب ولا يكون هناك تسامح بالتوازي مع تسريع الإجراءات القضائية حتى بما لا يزيد عن أسبوعين على الأكثر في الحوادث المتنوعة وستة أشهر في جرائم القتل التي تستوجب الحكم بالإعدام كعقوبة مغلظة حتى يتم إنقاذ البلاد من خطر التطرف والتعصب.

ويجب فتح الباب أمام المسحيين لبناء أي عدد من الكنائس لآن هذه المسالة لا تضر بالإسلام في شيء، كما أنها تتخذ باباً من أبواب تغذية التعصب، بشرط أن تكون بعيدة عن المساجد حتى لا يحدث تصادم، مع عقاب كل من يتصدى للبناء بشتى الوسائل الرادعة.

وترجع أهمية ذلك في منع بعض المتعصبين من الجانب المسيحي في اتخاذ هذه المسألة عن عمد للإبقاء علي حالة السخونة بين عنصري الأمة متصورين أن حالة العداء

مع المسلمين هي حائط الصد الذي يمنع دخول النصارى الدين الإسلامي ولذا يري البعض أن هذا الأمر في صالح المسيحية، علماً بأن هذا لا ينفي وجود خلل في القوانين الوضعية التي تعالج عمليات بناء الكنائس، والخطأ المقابل في التصدي لهذا الأمر من قبل بعض المسلمين المتعصبين

وعموما لو نظرنا إلى إجمالي ضحايا الطائفية في مصر منذ أحداث الخانكة ١٩٧٢ حتى حادثة إمبابة وماسبيرو ٢٠١١ سوف يتضح أن تلك الحوادث كلها لا يبلغ ضحاياها مائة وخمسون قتيلاً أو يزيد قليلاً وبعض مئات الجرحى، هذا الرقم جاء نتيجة للشحن المستمر من قبل المتعصبين الذين استجابوا للتحريض الطائفي عن طريق مواقع الفتنة خارج مصر وأعداء الوطن من الداخل وبعض السفهاء وأنصاف المتعلمين، هذا الرقم على مدار ٤٠ عام أقل من ضحايا حريق قطار الصعيد الذي بلغ ضحاياه ثلاثة ألاف وضحايا العبارة التي وصل إلى ١٨٥٠ فرداً، على مدار ٤٠ عام من الشحن والعمل المخابرات للموساد بهدف تدمير مصر داخليا ومنذ قرنيين مع حملة نابليون بونابرت والاحتلال البريطاني كان ملف الطائفية من ضمن تلك الملفات التي تهدف إلي زعزعة الاستقرار داخل الوطن، وذلك بجوار المخدرات والإضرار باقتصاد البلاد،هذا يؤكد أن هذا الشعب من أكثر شعوب العالم تسامح وترابط ومحبة فرغم كل محاولات التعصب لازالت مصر متماسكة حتى الآن.

الفصل الثالث

السلفية المتعصبة تؤسس للطائفية

أولا : مفهوم التعصب: عرف (أريكسون) التعصب بأنه أزمة إنمائية تنشأ عن تغيرات فسيولوجية وتوضيحات اجتماعية قد تهيئ أو لا تهيئ للتعصب في مرحلة الشباب خصوصا بأكثر مما تفعل فيأي مرحلة أخرى.

والتعصب في اللغة العربية هي التصاقا جامدا بالأصل سواء كان هذا الأصل أيديولوجيا أو دينيا أو غير ذلك؛ وينطوي بالأساس على الاعتقاد بالقيمة المطلقة لهذا الأصل, ومن ثم نفى القيمة عن كل ما هو مغاير الذي يستوجب العداء والعقاب.

وتعريف بارون وزملائه إذ يرون التعصب كاتجاه سالب أو موجب إزاء أعضاء جماعة ما يقوم فقط على أساس عضويتهم في هذه الجماعة؛ بمعنى أن المتعصب يميل لتقيم أعضاء الجماعة موضوع التعصب بطريقة محددة سالبة أو موجبة لمجرد أنهم ينتمون لهذه الجماعة وليس وفقا لسلوكياتهم وخصائصهم الشخصية. [١]

ومن هنا يتضح أن ظاهرة التعصب تكون أكثر انتشارا بين الشباب في مرحلة مبكرة سواء كان ذلك التعصب دينيا أو أثنيا ولا يكاد يرى المتعصب سوى الاختلاف النوعي فقط ويتحرك وفقا لهذا الاتجاه وظهور التعصب يعد من أخطر محركات النزاع لدى البشر وهذا ما يجب التصدي له لأن الغضب يعمى الإنسان عن الحقيقة.

ولعل نظرية الإحباط التي تفترض أن الإحباط غالبا ما يثير العدوان عندما يكون سبب الإحباط مهددا أو غامضا وغير محدد ومن هنا نجد أن البطالة وعدم وجود فرص

---

[١] راجع د. هاني الجزار، أسباب التعصب الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٩

عمل هي من عوامل الإحباط الأساسية لدى الشباب في مصر وهذا ما يفسر ارتفاع نسب أعداد الشباب كمقدمة لثورة ٢٥ يناير وكثافة تواجدهم في المظاهرات والاحتجاجات الطائفية.

كما يعد التصنيف المعرفي جانبا مهما لفهم التعصب حيث ينشأ على الجوانب الأساسية للمعرفة الاجتماعية حيث أن القوالب النمطية تمارس تأثيرات على التفكير.

كما تعد التنشئة الخاطئة من أهم روافد التعصب وهو ما يجب أن يتغير داخل البيت حيث أن بث مفاهيم معادية داخل عقل الطفل تستمر معه طوال حياته وهذا ما يجب التصدي له بإعادة صياغة فكر معتدل، وتعد الشخصية التسلطية من أكثر مغذيات التعصب علاوة على عدم التوافق النفسي وعدم قبول الأخر والهوية المنغلقة وتلك الأنماط تهدد التوافق الاجتماعي، وعلاج التعصب يحتاج أولا إلى القضاء على الإحباط داخل المجتمع وذلك لا يأتي إلا بالعدالة وحل مشاكل البطالة مع إعادة صياغة التعليم بشكل مناسب من خلال خبراء يؤسسون للقضاء على هذه الظاهرة فالتعصب متنوع بداية من التعصب للعائلة أو القبيلة أو الدين أو الجماعة، مع مراقبة الإعلام ، بحيث لا يسمح لأي قناة أن تبث مواد تشجع على التعصب الديني لأن دور القنوات الدينية يجب أن يقتصر على صحيح الدين فقط.

وأن من أهم أسباب الطائفية الفقر والجهل والتعصب والتدخل الخارجي ولكن يعد التعصب هو العامل المؤثر حال استثارته لدي المتعصبين سواء كان ذلك بمؤثر داخلي أو خارجي.

١- **السلفية في مصر:** لقد سلط الضوء من جديد على السلفية في مصر بعد الثورة المصرية، وأن كانت السلفية في مجملها حركة جيدة ومسالمة، وعموما لايمكن نقد المنهج السلفي بأي حال من الأحوال نقدا مطلقا لأنه توجه إصلاحي،، بل قد يكون النقد موجه ضد أتباع الدين الذين يخرجون عن صحيحه أما لعدم الفهم أو نقص المعلومة أو عدم التعمق أو التعصب، ولا يعنى النقد هنا التقليل من شأن

العقول الراجحة ؛ لكن القصد يتجه نحو أنصاف المتعلمين بهدف الإصلاح الذاتي للأمة، فعقب ثورة ٢٥ يناير انطلقت من قبل بعض المسلمين المظاهرات التي تطالب بالإفراج عن كاميليا شحاتة ، بمايعكس قصوراً في الرؤيا , فلم يكن الوقت مناسبا على الإطلاق في ظل تردى الحالة الأمنية وانتشار الفوضى وضعف هيبة الدولة، يتزايد التخوف من بعض هؤلاء السلفيين وطريقتهم الجامدة في التفكير وعدم إدراكهم للمتغيرات الداخلية والدولية، أن حبهم للإسلام دون وعي قد يضره، بعض الأمور تقتضى التروي والتبصر بحقيقة الأمر، حتى لا تندلع الفتنة التي يعول الغرب عليها كباب من أبواب التدخل في مصر، وأيضا حتى لا يتهم الإسلام بالباطل من قبل أعدائه بأنه لا يحترم حقوق الأقليات و حرمة الدم البشرى.

ظهور السلفية: يرجع المؤرخين السلفية الحديثة إلى ما قبل نهاية القرن الثامن عشر والقرن الثاني عشر الهجري فقد تزامن ظهورها على يد الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب وقامت الحركة الوهابية بهدف بعث وإحياء الخطاب الديني وربما سبقتها بعض الحركات كدعوة شاه ولى الله الدهلوى في الهند اعتمادا على حركة الشيخ أحمد السرهندى من قبله، وعبد القادر البغدادي في مصر، والنابلسي في دمشق، والشوكاني في اليمن، والسيد السنوسيفي بلاد أفريقيا ، والمهدية في السودان، وغيرها من الدعوات والحركات التي عمت معظم أرجاء العالم الإسلامي.[١]

تكرار ومرار لا يوجد على وجه الإطلاق أي اعتراض على الاقتداء بالسلف الصالح بما يحقق نصرة الدين وإعلاء قيمة الحق بأسلوب علمى يعتمد على العقل والإقناع، وتعود شهرة حركة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب كأول حركة تجديدية في الخطاب الديني الحديث إلى أنها لاقت نجاح شديد حينما وجدت النفوذ السياسي والسلطان القوى الذي يحمى أفكارها ويدافع عنها في مقاومة البدع والخرافات التي لحقت بالعقيدة الإسلامية آنذاك حتى قيل أنه وجد عبدة الحجر أو الشجر في تلك البيئة ، وقد قامت الحركة مستندة على

[١] راجع د. أحمد عرفات، تجديد الخطاب الديني، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٩

منهج السلف الذي يعتمد على النص ويرفض التأويل النقلى للنصوص وتيسير في ذلك على منهج علماء الحديث في الأساس وخصوصا الإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية رافضا ما عداها من المناهج العقلية والذوقية مخطئا جميع الفرق بلهجة شديدة , تركت أثارها واضحة على الحركة السلفية بأثرها، فتورثوا عنها شدة في مهاجمة الخصوم وتبديعهم وتفسقيهم والوقع فيهم، وقد التقت إرادة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة ورائد الحركة السلفية في العصر الحديث مع إرادة الأمير مُحَمَّد بن سعود حاكم منطقة الدرعية القوى الذي مكن لفكر عبد الوهاب في الذيوع والانتشار وذلك لأن الحاكم إذا ما ناصر فكرة ما، تبعه الناس على ذلك رغبة ورهبة والعكس صحيح فإذا ما نابذا الحاكم فكر معين نبذه الناس ونفروا منه.

٢- **الفكر الحنلي براء من التعصب:** سعت الحركة إلى إحياء الفكر الحنبلي كما كان له الفضل في إعادة اكتشاف فكر ابن تيمية ونشره على نطاق واسع والدوران حوله وفى فلكه لدرجة أن ٧٥% من شهادات الدكتوراه في السعودية كانت تدور حول بن تيمية بل وصل الأمر ببعض هؤلاء أن أضافوا قوى من القداسة على شيوخهم ونسوا أن كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد إلا الأنبياء باعتبارهم معصومين من قبل الله، وأنهم يوحى إليهم من السماء ، ولقد كان السبب في ربط هذا اللقب السلفية بالمذهب الحنبلي دون غيره من المذاهب والمدارس راجعا إلى موقف الإمام أحمد بن حنبل في محنة خلق القرآن وتعرضه للأذى والتعذيب وعدم موافقته لرأى المعتزلة في القول بخلق القرآن وهو الموقف الذي تبنته القيادة السياسية في ذلك الحين ورغم أن موقف الإمام أحمد يستحق الإشادة والتقدير لعدم خضوعه لبطش الحاكم وتهديده وثباته على مبدأه وعقيدته وموقف المعتزلة ومن ساندهم من الحكام لا يخلو من لوم، وفقط لأنهم أراود حمل الناس على اعتناق عقيدتهم حول خلق القرآن بالقوة، ولكن ليس لهذا الموقف الشجاع لأحمد بن حنبل مبررا لتخصيص مذهبه دون غيره من المذاهب بخاصية يشترك معه فيها بقية المذاهب والفرق في الانتساب لسلف الأمة.

يتضح في الوقت الحاضر أن لفظ السلف في العصر الحديث يقصد به طائفة معينة

لهدف ما يعلمه الله. فإن فرقا من العلمانيين والماركسيين قد استخدم اللفظ للذم والقدح والانتقاص ويقصد به الفكر المتخلف أو الجامد دون التمييز بين طائفة وأخرى لأن السلفية ليست مقتصرة على أتباع مُحَّد بن عبد الوهاب وحده، يرجع هذا الانتقاص والنظرة الدونية إلى بعض أفراد هذه الطائفة لأنهم نقلوا هذا الاستخدام دون وعى حقيقي بمضمونه الذي يستخدم هذا المعنى بمعنى الفكر في عصور الظلام لكن رغم أن مصطلح السلفية أصبح لصيقا بحركة الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب ومدرسة إلا أن بعض أتباعه وقعوا في فخ التقليد والتكرار ورفعوا من مكانة بعض شيوخه لدرجة القداسة وخطئوا جميع من عداهم , فخرجوا من حركة تجديدية على يد مؤسسها إلى حركة تقليدية تكرر ما قاله شيوخهم مع نبرة استعلاء ورفض لا تخلوا من تعنت ضد بقية المذاهب والعقائد.

وربما لهذا لاقت الحركة نقدا عنيفا من الدراسيين نتيجة للجمود على مجموعة محددة من الأفكار , تكرر لديهم باستمرار حول الشرك وأنواعه وزيارة القبور وأنواع التوحيد والتي على أساسها يتم تصنيف الناس لديهم فهذا أشعري فاسد العقيدة وهذا معتزلي خال وذلك صوفي... إلى أخر القائمة وربما كان نتيجة لهذه المواقف الصلبة التي تكرر فكر بن تيمية وعبد الوهاب وتردده دون غيره جعل كثيرا من الباحثين ترفض هذا الفكر وتغالي في نقدهم بسبب وبدون سبب كنوع من رد الفعل .[1]

لا يوجد أي اختلاف مع السلفية في الأمور التي تنظم العلاقة بين الإنسان وربه وكل ما يتعلق بالدين ولكن المظاهرات التي خرجت تطالب بالإفراج على كاميليا شحاتة لم تكن موفقة ؟ هل يعقل أن تتظاهر الأغلبية ضد الأقلية، بل أن التوقيت الذي أعقب حادث الاعتداء على كنيسة صول بأطفيح كان غير موفق، ألم يفطن هؤلاء المتظاهرين إلى خطورة الموقف وتربص الغرب بالإسلام والرغبة في تفتيت مصر ولا يوجد مدخل أمامهم سوى إثارة الفتنة الطائفية، الروية هنا ليست نوعا من الجبن أو الخوف من أي مخلوق فوق ظهر الأرض،ولكن لا يوجد سببا للعداء فحرية العقيدة مكفولة للجميع والدين الإسلامي

[1] راجع د. أحمد عرفات ، مرجع ساق

نفسه لا يكره أحد على الدخول فيه , كما أن لأهل الذمة حقوقا موثقة بالقرآن والسنة ،الحكمة هي التعقل لأن المتعصبين من الجانب الأخر خاصة الشباب سوف يتصورون أن الأمر هو بداية للاعتداء على المسيحيين تمهيدا لانتقاص حقوقهم، ترى هل يقبل السلفيين أن يتظاهر المسيحيين حول المساجد؟ ولمن توجه هذه المظاهرات؟ هل كانت الحكمة تقتضى هذا النهج في ظل الظروف الدولية الملتهبة، وليس معنى هذا أن تغير الوضع الدولي في صالحنا سوف يدفعنا للجور على حقوق الأقلية، فهذا غير وارد بالمرة ولكن درأ الفتنة من أولويات العمل العام ومقدم علي جلب المصالح ؟

هناك متعصبون مسيحيون أشد ضروة وأي صدام سوف يدفع ثمنه الأبرياء من الأطفال والنساء وحتى الشباب، هل يروق لكم أن تتهم مصر الإسلامية بتهمة اضطهاد الأقليات؟ هل الإسلام دين عنف واعتداء، حتى وبفرض نبل الهدف وسلمية المظاهرات التي تنادى بإطلاق حرية الاعتقاد وعدم الاعتداء أو قهر من يرغب دخول الإسلام من المسيحيين، هل سيفهم أنصاف المتعلمين والمتعصبين والجمهور البسيط ذلك، سوف يتصور هؤلاء أن الموضوع مشاجرة يجب أن يكسبها كل طرف بل أن البعض قد يتصور بالخطأ أن من حسن تدينه الاعتداء على الأخر، ألم يحاول المتظاهرون قرأة تلك الأمور على مهل، فالدليل على غياب الرؤيا لدي بعض المنتسبين إلي التيار الإسلامي هي بقاء العالم العربي فى منحدر التخلف، وهذا حدث نتيجة البعد عن صحيح الدين، دون تبصر أن الدين يحمل دعوة صريحة للعمل الصالح والعلم والتفكر والإنتاج والعطاء والتكافل والعدل والصدق والأمانة.

ترى هل نجد تلك المعاني القيمة في كثير من الاقتصادية والعلمية والاجتماعية في المعاملات داخل هذا العالم، المسلم مطالب بالحيطة والحذر في كل تعاملاته حتى لا يتخذ قرارات خاطئة تمكن المتربصين بالإسلام في الخارج من النيل منه، بالطبع سوف يرد المتظاهرين أنهم لا يدعون إلى الفتنة ومطالبهم سلمية وهذا حقيقي، ولكن هل يفهم أنصاف المتعلمين والمتعصبين ذلك؟ إن عدم إدراك هذه الحقيقة يؤكد أن الجموع التي خرجت وضعت نفسها في مصاف هؤلاء دون قصد، الإسلام يحتاج منكم إعادة تأهيل

الإنسان المسلم ليكون معول بناء شامل يحارب الغش في التجارة والصناعة والتصدي بالحكمة والعقل لكل ما هو سلبي.

كم عدد المسلمين الذين لا يصلون؟ إذا ذهبت إلى المساجد فيما عدا صلاة الجمعة لن تجد سوى بضع أفراد! لماذا لايتم البدء بالمسلمين المتحللين من أواصر العقيد؟ فهم أن تعاملوا وفق منهج الدين نجينا جميعا، أين دعاة التدين من هؤلاء المقصرين داخل العقيدة الإسلامية، هل يمكن اختزال الإسلام لدي البعض في اللحية والثوب القصير فقط؟ الإسلام منهج شامل للحياة لخير الدنيا والآخرة، فلم يسود المسلمين في العالم بحضارتهم إلا بتطبيق قواعد الإسلام في كل مناحي الحياة وكان الصدق في السر والعلن مفتاح التقدم في شتى العلوم، لقد أضافت الحضارة الإسلامية اكتشافات هائلة في الطب والكيمياء والفلك والجغرافيا والعلوم الإنسانية مكنت الأجيال السابقة من تقديم نموذج حقيقي للإسلام ساهم في تنوير العالم ودفع جحافل من البشر إلى ثقافتنا طواعية، وتمكنت أوروبا من تكوين نهضتها الحالية من وهج الحضارة الإسلامية، ترى هل قضية كاميليا شحاتة في ذلك التوقيت الملتهب أولى وأهم من الملايين المسلمة التي لا تعي حقيقة دينها، وأن كان التروي لا يقلل من أهمية دعمها كمسلمة اخترت طواعية الولوج في الإسلام والدفاع عن حقوقها ولكن بالقانون.

كانت البلاد تمر بمرحلة عصيبة عقب ثورة ٢٥ يناير، وتواجه تهديدا اقتصاديا وأمنيا وخارجيا وبعض من هؤلاء منفصلون عن العالم، فعلى الرغم من ظهوره كامليا شحاته على قناة مسيحية تنفى أو تتراجع عن إسلامها، علينا أن نفترض أنها مسلمة عليها هي أن تأتى إلى الأزهر وتطلب حماية الأمن لها، يمكن أن تهرب من أي رقابة لو أرادت ذلك بفرض أنها محتجزة، كان هناك حلول أخرى هي اللجوء إلى المحاكم والقانون فقط، ورفع دعوى مباشرة على أي شخص شارك في حجبها بالقوة عن الظهور ؟ في تلك الحالة كان الأمر سيختلف، الصراع سوف يتحول إلى شق قانوني، إذا كانت النوايا الحسنة لدي بعض المتظاهرين هي ما تحركهم فإن الطريق إلى جهنم محفوف بالنوايا الحسنة.

٣- **الجرأة للفتوي:** وتلك مشكلة قديمة حديثة و التعصب مقترن بعدم الدراية والجهل ومن ثم الجرأة علي الدين والفتوي بغير علم، وحتي في فترة نزول الوحي كان هناك العديد من الصور والنماذج ، ومنها ما روى جابر ﷺ، قال: خرجنا في سفر فأصاب رجل منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات , فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال : قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا فإن شفاء العي (الجهل) السؤال إنما يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب على جرحه خرقة , ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده. (١) وهذا الحديث قد عاب عليهم التقوى بغير علم والحق بهم الوعيد بأن دعي عليهم وجعلهم في الإثم قتلة

يشير ذلك الحديث إلى خطورة الفتوى بغير علم، و هو ما يتصدر له جهلاء المتعصبين بل وصل بهم الأمر إلى الخوض في أمورا لا محل لها , روى البخاري أن عبد الله بن عمر سأله رجل عن دم البعوض أي هل يجوز للمحرم قتل البعوض , فقال: من أي البلاد أنت قال من أهل العراق قال : انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ.

يسعى البعض إلى تمجيد الغباء والبلاهة البحثية فمن بعض الفرق الآخري المنتسبة للإسلام نجد من يصعدون على المنبر ويرددون (الحمد لله الذي سخر لنا الكفار كي يخترعوا ونحن نتفرغ لعبادة الله) إنهم يمجدون الغباء والبلاهة وعدم الجد الذي جعل الأمة الإسلامية في ذيل الأمم بل إن منهم من يستشهد في هذا الصدد بأحاديث ضعيفة (أكثر أهل الجنة البله)، فهذا الحديث ضعيف يتعارض مع النصوص قطعية الثبوت والدلالة التي تجزم بأن الذين يستحقون جنة ربهم هم أولو الألباب أي أهل العقول.

وظهرت المدارس التكفيرية وهم شرذمة من المتنطعين المتجرئين على الفتوى بغير علم وينساق وراء هؤلاء جحافل من خيرة شبابنا بحسن نية ويكبدون أمتنا خسائر مادية

---

(١) رواه أبو داوود

وبشرية فادحة فهم يطلقون شعارات التكفير من خلال الإرهاب الفكري على كل من يخالفهم، تبدوا الأمثلة كثيرة لهؤلاء ومنهم زعيم جماعة التكفير والهجرة التي تزعمهم شكري مصطفى الذي كان من المبادئ الأساسية التي وضعها هو تكفير أمة الإسلام حكاما ومحكومين وعلماء وأصحاب الكبائر , فتكفير الحاكم يعزى إلى أنهم لا يحكمون بما أنزل الله وتكفير المحكومين إنهم رضوا بذلك وتكفير العلماء لأنهم لم يكفروا هؤلاء ولا أولئك ومن لم يكفرالكافر فهو كافر، وتكفير من ارتكب كبيرة وأصر عليها ، وفى الجملة كل ما عداهم كفار ولو كانوا يصلون ويصومون ويشهدون أن لا إله إلا الله.

يقتضى منهج هذه الجماعة بضرورة الطاعة العمياء للأمير بمقتضى عقد البيعة باعتبارها ركن من أركان الإسلام , والبيعة عندهم يكون الأمير أولى من نفسه لأنه با ع نفسه إليه مستندين إلى حديث رسول الله (من مات وليس في عنقه بيعه , مات ميتة جاهلية) يتعين في منهجهم اعتزال المجتمعات القائمة والانسحاب منها إلى الجبال والكهوف وترك الوظائف الحكومية وترك الجامعات والمدارس وترك الصلاة في المساجد إلا إذا كان الإمام منهم باعتبار أن أئمتها كفار) لأنها مجتمعات كافرة مؤسسات وأفراد، تطور الأمر لديهم إلى أكثر من ذلك فإذا دخل العدو البلاد فلا يجوز المشاركة في الدفاع عن البلد لأنها بلاد كفار بل أن فرقة أخرى "الجهاد " ترى أن قتال الحكام الكفرة أولى من قتال اليهود وتحرير القدس لأن قتال العدو القريب أولى من قتال العدو البعيد.

ويقول الإمام حامد الغزالي في كتاب فيصل التفرقة: "أما الوصية أن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ماداموا قائلين لا إله إلا الله مُحَّد رسول الله غير متناقضين لها " فإن التكفير فيها خطر ففي خلافة الإمام على حينما خرج عليه الخوارج سئل عليهم هل هم كفار ؟ فقال\: من الكفر فروا فقيل له: أمنافقون ؟ فقال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا , فقيل له: فما هم ؟ فقال : إخواننا بغوا علينا هؤلاء جعلوا نواقص الإسلام نوقض له، من الغريب أن يتصدر للدعوة من هم ليسوا أهلاً للتخصص فزعيم حركة التكفير والهجرة خريج كلية الزراعة جامعة أسيوط ولم يتلق العلم على يد أحد العلماء (من كان شيخه كتابه , كثر خطأه وقل صوابه) وعلى نقيض التعصب تأتى مدارس الحداثة

التي يحلو لها العبث بالأحكام الشرعية بل وصل الأمر ببعضهم إلى وصف النص القرآن بأنه منتج ثقافي مستمد من البيئة لا فارق بينه وبين الشعر الجاهلي أو المعلقات إلا في المادة التي تكون فيها، وكان مصدر هذا الفكر نصر حامد أبو زيد الذي حكم عليه القضاء المصري بالردة وقد تمادى في غيه بادعائه بأن القرآن ليس وحيا سماويا ولا تنزيلا إنما هو نص بشرى، بل وصل الأمر بهم إلى السخرية من أسماء الله الحسنى بوصف أسماء المهيمن والمتكبر والجبار بأنها أسماء تدل على الديكتاتورية للذات الإلهية وأنه يجب حذف هذه الأسماء إذن هؤلاء من يحملون رداء الإسلام يحتاجون إلي إعادة تصحيح للأفكار .[١]

هكذا تجد عالم الفتوى اليوم يعج بغير المتخصصين الذين دخلوا من غير باب العلم وهؤلاء يتصيدون الأقوال من هنا وهناك دون تثبيت وتأكيد فكانت النتيجة أن علوم القرآن أصبحت تأخذ أحيانا من الأطباء وعلوم الحديث من الأدباء والفقه من الساسة وأصحاب الدهاء، ساعد ضعف التعليم الأزهري وتحوله إلى تلقين لدرجة أن أقل الطلاب مستوى علمي والحاصلين على ٥٠% من الثانوية الأزهرية هم من يحمل لواء الدعوة لأن كليات أصول الدين والشريعة والقانون هي الكليات التي تقبل بأقل مجموع علمي، في حين أن الضرورة تقتضى عكس ذلك ، وبعد أن يتخرج هؤلاء يعملون موظفين كدعاة في الأوقاف لا يتو جدون في معظم الأوقات في المساجد نتيجة عدم الانضباط ، وكثير منهم إهمل التحصيل والمعرفة الدينية وعدم ربط الدين بالواقع الحالي، وغابت عن معظمهم ثقافة تطوير الذات، ومع هذا التدني أصبح وجودهم في قمة المؤسسة الدينية في مصر معول هدم ساهم في أفراغ شريحة كبرى من المجتمع المصري من أي مضمون ديني حقيقي، وأصبح السواد الأعظم من المسلمين يقع بين فكي الخواء الروحي أوالجهل أو وهو ما يعزز ويوفر للجريمة مناخا خصب أو يدفع العديد منهم نحو تيار التعصب ،وخاصة أن بعض الفرق التكفيرية تتخذ منهجا اجتماعيا يعتمد على قدرات كبيرة لدى تلك الفرق، في مواجهة غياب الوعي الحقيقي بالدين، نتيجة تقاعس أو فشل علماء الأزهر في الحشد للرسالة الوسطية للإسلام، التي تستمد أصولها من مبادئ الشريعة الإسلامية وعظمة القرآن الكريم.

---

[١] د عبد الباسط وفا، مناهج البحث العلمي، د.ن، ٢٠١٠

توفر تلك المتناقضات المناخ الخصب لغزو هؤلاء المتعصبين وأنصاف المتعلمين من قبل أعداء الوطن ليتم على أيديهم كل تخريب وتدمير، فهم دون دراية يحققون ما تفشل فيه الدول الغربية ويستعصى عليهم نيله بقوة السلاح، يحقق بعض هؤلاء الجهلاء بالغ الضرر في تدمير الإسلام إما بالتعصب أو التفريط والانحلال، وتهتم المخابرات الإسرائيلية والغربية بدراسة الخلافات المذهبية داخل الدين الواحد وتعمل على اختراق تلك الجماعة من خلال المستشرقين أو العملاء المباشرين أو غير المباشرين الذين ينفذون مخططات الأعداء دون علم، وتمر من خلالهم مخططات الخلاف والتدمير الطائفي عن طريق التناحر داخل أبناء الدين الواحد تارة والطائفية تارة آخري، لقد أشار كتاب لعبة الشيطان للكاتب: روبرت دريفوس إلي دور الولايات المتحدة في نشأة التطرف الإسلامي، وأن الحركات الدينية كانت تعمل تحت غطاء الأهداف الغربية بالتناوب ، دون وعى منها ، بالطبع كانت الرموز في تلك الحركات تعمل بحسن نية وتعتقد أنها بالتعاون معهم تحصل على الدعم لصالح القضايا المصيرية للأمة، ولكن المخططين لتدمير الأمة كانوا يمسكون بأوراق كثيرة كانت غائبة عن تلك التيارات ألا وهى اللعب على المتناقضات التي تسمح لكل طرف من الأطراف الدينية أن يؤدى دوره في الضغط على الحكام لإشعال الصراع السياسي بهدف خلق التوتر وتحطيم الاستقرار وفى النهاية تدمير الإمكانات الوطنية لخدمة هدف مرحلي لديهم.

٤- **نماذج التسرع في الفتوى:** أمامنا نموذج هام يمكن مراجعة فتواه من غير المتخصص ويرجع سبب اختياره أنه من العلماء الكبار وسوف سيتوعب النقد ويتجوب معه فكما قيل: " لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة " وكمثال علي ذلك عقب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ أفتى الشيخ عمر سطوحي من علماء الأزهر بحرمة الزواج من فلول نظام الرئيس المصري حسني مبارك أو انتخابهم، بالطبع هذا نوع من التسرع في الفتوى دون دقة، فالفتوى علما قائما بذاته وهو أدق درجات التخصص، حيتث جاء مايلي: " أفتى الشيخ عمر سطوحي الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر؛ بعدم جواز الزواج من أبناء فلول الحزب الوطني المنحل، وكل من شاركوا

في الحياة السياسية في النظام السابق المنحل، وعلل سطوحي فتواه بأن فلول الحزب الوطني، هم من أفسدوا الحياة السياسية في مصر وأضروا بالاقتصاد المصري .

وعن سبب إصداره لهذه الفتوى في هذا التوقيت، أوضح وأوضح سطوحي خلال مكالمة هاتفية له في برنامج مصر الجديدة على قناة الحياة٢ : أنه جاءه رجل يسأله حول زواج إبنه من ابنة أحد الفلول، فأجابه بأنه لا يجوز الزواج ممن أضروا بالحياة السياسية في مصر وأفسدوا اقتصادها، لافتا إلى أن بنات الفلول يكونوا نشأوا ونبتوا في بيئة سيئة وغير صالحة، وأنهم بطبيعة الحال يكونوا متأثرين بهذه البيئة، ونبه سطوحي إلى أنه لا يقصد العضوية في الحزب الوطني في حد ذاتها بل يقصد الفعل والإساءة والإضرار بالوطن، مشيرا إلى قول سيدنا عثمان حينما سئل لمن أزوج فقال "زوجها لتقي إن أحبها أكرمها وإن كرهها فلن يظلمها" .

وحول سؤال بأن تظل ابنة أحد الفلول بدون زواج طول عمرها بسبب أبيها ال"الفلول"، قال سطوحي: "إذا ثبت أن الرجل صاحب خلق غير طيب فلا يجوز الزواج من ابنته لأنها متأثرة به أو أن هذا الرجل هو الذي يملك أمرها."

وجدير بالذكر أنه في تصريحات للشيخ عمر سطوحي قال إنه " لا يجوز لأي مصري أن يزوج ابنته لأي من أعضاء الحزب الوطني المنحل "[١]

ولكن مع المراجعة، نفى الشيخ عمر سطوحي عبر جريدة الشرق الأوسط في ٢٤ أكتوبر ٢٠١١ العدد ١٢٠١٨ ، أن يكون مقصده من فتواه التي تحرم على أي مصري أن يزوج ابنته لأعضاء الحزب الوطني المنحل (الحاكم سابقا)، نشر العنوسة في مصر وبرر ذلك: لم أناد بعدم زواج البنات؛ لكن كل ما قصدته أنه إذا ثبت أن والد البنت التي يسعى الشاب للزواج منها صاحب خلق غير طيب وليس متخلقا بأخلاق الإسلام وأضر

---

[١] مروة شاكر، بوابة الوفد، تحت عنوان: فيديو. شيخ يحرم الزواج من أبناء الفلول ، ٢٣ اكتوبر٢٠١١

بالمصريين مثل (فلول الوطني)، لا يجوز أن يتزوجها، لأنها ستكون متأثرة به وبالبيئة غير الصالحة التي نشأت فيها، فضلا عن أن هذا الأب سيظل هو الذي يملك أمرها، مصداقا لحديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: (إياكم وخضراء الدمن)، فقيل وما ذاك يا رسول الله؟ قال: (المرأة الحسناء في منبت السوء).

والفتوي ربما جاءت وهو تحت حالة ثورية ونفسية، وكان الحكم عاما ويختلف مع صريح الدين ويمكن الرد عليها بقوله تعالي: " وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى" [١] وفي تفسير الطبري ورد لا تأثم آثمة إثم آثمة أخرى غيرها , ولا تؤاخذ إلا بإثم نفسها , يعلم عز وجل عباده أن على كل نفس ما جنت , وأنها لا تؤاخذ بذنب غيرها.

كما أن أم المؤمنين أم حبيبة زوج النبي مُحَمَّد الله عليه وسلم، وهي ابنة أبي سفيان، ولم يكن قد أسلم بعد، تزوجها النبي بعد وفاة زوجها عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدي الذي ارتد عن الإسلام إلى المسيحية، وهي في الحبشة، ولها منه ابنتها حبيبة.

أرسل النبي مُحَمَّد إلى النجاشي يخطبها، فأوكلت عنها خالد بن سعيد بن العاص وأصدقها النجاشي أربع مائة دينار، وأولم لها وليمة فاخرة وجهزها، وأرسلها إلى المدينة مع شرحبيل بن حسنة، تزوجت الرسول مُحَمَّد سنة 7 هـ، وكان عمرها يومئذٍ ٣٦ سنة، وذكر في شأنها القرآن: " عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة " [٢] سنة 8 هـ وقبل فتح مكة قدم أبو سفيان المدينة ليكلم النبي طالبًا في أن يزيد في هدنة الحديبية، ولما دخل على ابنته أم حبيبة حجرتها أسرعت وطوت بساطًا لديها مانعةً والدها من الجلوس عليه كونه فراش النبي، وقالت لوالدها: "هو فراش رسول الله وأنت امرؤ نجس مشرك ."بالرغم من أن أباها فرح عند زواجها بالرسول إذ قال: ذاك الفحل، لا يجدع أنفه!! .

يجيز الإسلام للمسلم الزواج من نساء أهل الكتاب، وقد تزوج الرسول من مارية القبطية عندما أرسلها له مقوقس مصر كهدية فما بالك من الزوجة بمسلمة؟ ولذلك

---

[١] سورة فاطر: *أيه* 18

[٢] سورة الممتحنة: آية ٧

جاءت الفتوى متسرعة.

٥- **خطورة أنصاف المتدينين:** أخطر ما يهدد الأمة هم أنصاف المتعلمين أو المتدينين لأنهم لا يؤسسون للطائفية الدنية فحسب بل تمد آثار هم إلي الطائفية المذهبية داخل الدين الواحدة، وجريمة مقتل طالب بكلية الهندسة بالسويس أحمد حسين عيد. في ٢٠١٢/٦/٢٠، وذلك بسبب وقوفه مع فتاة في نهر الطريق في وضح النهار، و بعد مشادة تم طعن الشاب بآلة حادة ، لفظ أنفاسه بمستشفى الإسماعيلية الجامعي متأثرا بجراحه، المتهمون هم : وليد حسين بيومي ملتحي وشيخ مسجد متطوع، وعنتر عبد النبي، موظف بشركة السويس للصلب ومحفظ قرآن، ومجدي فاروق معاطى، موظف بجهاز التجميل والنظافة ومحفظ قرآن واعترفوا بارتكاب الجريمة .[١]

وكشفت التحقيقات عن أن المتهمين من حملة المؤهلات المتوسطة وسبق اتهام أحدهم بالسرقة من أحد المساجد، وأن المتهم الأول لحام كهربائي، والثاني موظف بهيئة التجميل والنظافة والثالث عامل بالترسانة البحرية ، لم يدرس هؤلاء علوم الدين بالقدر الملائم للتصدي للدعوة، وهذا هو مكمن الخطورة ، فإذا كان علماء الأزهر كما تمت الإشارة أخطئوا في الفتوى، فما بالك بهؤلاء،أبرزت التحقيقات اعتناق المتهمين فكرا دينيا متشددا، وأنهم كونوا عصبة تدعو لفرض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من وجهة آرائهم الدينية، واتخذوا من العنف والقوة وسيلة لتحقيق أفكارهم لقد وقع المتهمون في ذنب أكبر وهو القتل ، هم يقومون بذلك دون تفويض من الحاكم،والتصدي لأمور ليست من اختصاصهم، مع أن الطالب كان يقف مع خطيبته، ولو بفرض أنه تكلم معها بشكل متحرر، فهو قد يقع في اللمم ، وهذا ليس حكمه القتل ، وقد أختلف العلماء في معنى اللمم في قوله تعالى: " الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ " [٢] ، وأن جمهور العلماء على أن (اللمم) هو صغائر الذنوب.

---

[١] أمل عباس وأخرين، جريدة المصري اليوم، ٥ يوليو 2012، ومصادر أخري

[٢] سورة النجم : آية ٣٢

وقال ابن جرير:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال "إلا" بمعنى الاستثناء المنقطع، ووجه معنى الكلام (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) بما دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فإن ذلك معفو لهم عنه.

وفي تلك الحادثة لم يصل الأمر لجريمة الزنا، التي أشترط السلم في أثباتها أن يكون الإيلاج تام كما يغمس القلم في المحبرة والريشة في المكحلة وأن يري ذلك أربع شهود عبي هذا النحو، لم يصل الأمر لذلك، ومن المستحيل أن يحدث في قارعة الطريق، ولو حدث ليث لهم حق القصاص، فذلك من سلطة ولي المر فقط ، ومن هنا ما يفعله أنصاف المتعلمين بالدين جد خطير، فليس كل من أطلق لحيته فقيه أو مفتي أو عالم.

في جريمة القتل يقول تعالي: " وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً. " [(١)] وفي حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، قَال قال النبي ﷺ: ليس من نفس تُقتل ظلما إلا كان على بن آدم الأول كفل منها، لأنه أول من سن القتل أولا. [(٢)]

وعقوبة القتل في الإسلام تختلف باختلاف نوع القتل، وبالجملة؛ فقتل العمد عقوبته القصاص إذا لم يعف ولي المقتول، وقتل الخطإ فيه الدية والكفارة، وقد وقع المتهمون تحت طائلة القصاص مصداقا لقوله تعالي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.[(٣)]

وفي قتل الخطأ يقول تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ

---

(١) سورة النساء: ٩٣ آية

(٢) صحيح البخاري، وصحيح مسلم

(٣) سورة البقرة: الآيتان ١٧٨، 179

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا.(١)

وأما عقوبة القتل في الإسلام فتكون أساسا لثلاثة: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة، وأما تنفيذ القتل فيكون بأسرع وسيلة ممكنة إلا في بعض الحالات كالقصاص؛ فإن القاتل يقتل بما قتل به والثيب الزاني؛ فإنه يقتل بالرجم. وأخطر ما في هذا الأمر، هو ضرب صورة التيار الإسلامي في وقت تكالبت فيه القوي للنيل من منه، فمازال هذا المشروع الحضاري يضرب في مقتل من قبل العامة وإنصاف المتعامين علي مر العصور، الأمر يحتاج الصبر والروية والحلم والعلم والعمل والصدق والأمانة، لم يكن المشروع الإسلامي شعارا، شكل دون مضمون، بل هو الرحمة والعدل لكل البشر.

ثانيا : حقوق المواطنة في الإسلام: يمقت الإسلام الطائفية ويحترم الدين الإسلامي حقوق البشر في داخل الدولة الإسلامية وهذه رسالة لبعض المتعصبين من المسلمين لعلهم يرتدعوا ويعودوا لصوابهم فحق المواطنة مكفول لكل من يعيش على أرض الدولة بدون تعصب وفى أطار من العدالة وهذه الأمثلة تبرهن على ذلك يقول تعالي: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُون (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِين ٢٩ (٢) ، ثم إن الله – سبحانه وتعالى– منذ الأزل في خلق آدم من عليه بالسمع والبصر والفؤاد، فمنحه حق الحياة وحرم قتله وإفساد حياته

فقال تعالى: مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيْعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيْعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُوْنَ.(٣)

(١) سورة العنكبوت آية:٩٢

(٢) سورة الحجر: الآيتان ٢٨، ٢٩

(٣) سورة المائدة: آية ٣٢

ثم قال النبي (لن يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما)، كما أن الله– سبحانه وتعالى– منح الإنسان حق العلم والتعلم وأثنى على العلماء والمعلمين، فقال معلم العالمين العلى العليم: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ،وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ،،قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ". [١] وقوله صلى الهم عليه وسلم: تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولمن تعلمونه ولا تكونوا جبابرة العلماء.[٢]

هكذا يتضح تكريم الله– سبحانه وتعالى– للإنسان ومنحه تلك الحقوق: التكريم في الخلق، والحق في الحياة، والحق في العلم، ثم منة الله– سبحانه وتعالى– على الإنسان بالعقل والإرادة، كما جعل له حق الزواج وتكوين الأسرة ورزقه الطعام والشراب وحق الأمن والمسكن، كل ذلك جاء بعد أن خلق الله آدم وخلق منه حواء، ونحن عندما نتحدث عن حقوق غير المسلمين في حالة السلم إنما نوضح سمو رسالة الإسلام، وجوهر دعوة القرآن لإصلاح البشرية وأن المسلمين ليسوا أعداء السلام، وإنما هم صانعوه في هذا العالم لاعتمادهم على أصل راسخ من الاعتقاد الديني والإخلاص في التنفيذ والحزم في التطبيق وصون السلام العالمي، فالسلام أصل من أصول الإسلام الكبرى للآيات القرآنية الدالة على ذلك مثل قوله تعالى: وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[٣] ، وقوله جل شأنه: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا

(١) سورة البقرة: الآيات من ٣٠ حتي ٣٣.

(٢) احمد ابو انس، عن أبي سعيد الخدري

(٣) سورة الأنفال: الآية ٦١

تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [١] وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [٢] ، وقال عز وجل:. فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيْلاً. [٣]

فهل يسوغ لأحد التغاضي عن هذه الآيات الكريمة التى تدعو إلى السلم والسلام في قرآن كريم أوحى إلى الرسول مُحَمَّد، ليكون شريعة خالدة دائمة للبشرية؟ مما جعل ادعاء نسخ آية منه مرفوض رفضا قاطعا ما لم يقم دليل على ذلك، والسلم مقرون بالود والصفاء والعهد والاطمئنان والثقة.

معاملة أهل الذمة: وغير المسلمين الذين نتحدث عنهم في هم الذميون والمستأمنون كما هو في مصطلح الفقه الإسلامي السياسي في الشريعة الإسلامية وهو ما يعرف في القانون الدولي بالأقليات والجاليات. والذميون: هم أصحاب الديانات الأخرى الذين يعيشون في بلاد الإسلام، بصفتهم مواطنين أو راغبين في العيش في بلاد الإسلام ويقيمون إقامة دائمة في الدولة الإسلامية، والمستأمنون (الجاليات) هم أهل الضمان والحق والأمان والعهد، لهم في حكم الإسلام ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

وقد قرر الإسلام المساواة بين المسلمين والذميين في كثير من الحقوق وعصم الدماء والأموال والأعراض، بل أعفى الذميين من بعض الواجبات المقررة على المسلمين في الدولة الإسلامية، ومع ذلك فلهم ما للمسلمين من الحقوق المدنية والسياسية وعليهم ما على المسلمين من الواجبات التي تمس أمن البلاد ونظام التعامل، والعقوبات، وكفل

---

[١] سورة البقرة: آية ٢٠٨

[٢] سورة النساء: أية ٩٤

[٣] سورة النساء: أية ٩٠

حريتهم الدينية، فأمر المسلمين أن يتركوهم وما يدينون ولا يتعرضون لهم وما يعتقدون من إقامة الشعائر، هذا مع العلم بأن عقد الذمة لازم في حق الإمام المسلم، ورئيس الدولة لا يملك نقضه، وللدولة الحق في تقييد حرية كثير من مواطنيها الأصليين وغيرهم ببعض الشروط والأوضاع، وهذا التقييد يشملهم– أى أهل الذمة– أيضا، وهذا شائع فى كل الدول القديمة والحديثة إسلامية أم غير إسلامية، ولهم حرية التعامل المباح والنشاط الاقتصادي مع المسلمين بمختلف أنواع المعاملات المباحة.

قال الإمام الكاساني: ويتركون أن يسكنوا في أمصار المسلمين يبيعون ويشترون، لأن عقد الذمة شرع ليكون وسيلة لهم إلى الإسلام، وتمكينهم من المقام في أمصار المسلمين أبلغ إلى هذا المقصود، وفيه أيضا منفعة المسلمين بالبيع والشراء، فيمكنون من ذلك ، ولا فرق في العقوبات بين المسلم والذمي، فالقصاص والديات والضمانات والتعازير سواء بين المسلمين والذميين، وعلى التخصيص في القصاص والدية والضمانات. وزواجهم وطلاقهم معترف به، ويحسن إليهم فى المعاملة والمعاشرة والزيارة والتودد والبر والإنصاف والإقساط كما فى الوصايا الواردة فى قوله تعالى: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. (١)

وكذلك ما جاء عن صفون بن سليم عن عدة صحابة عن الرسول مُحَّد أنه قال : ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة .(٢)

الحوار بالحسني: أكد القرآن على ضرورة الحوار بالحسنى في دعوة أهل الكتاب إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهذا واضح في قوله تعالى: قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولو فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون. (٣)

---

(١) سورة الممتحنة: آية ٨

(٢) رواه أبو داود

(٣) سورة أل عمران : أية ٦٤

فالقرآن حينما دعا أهل الكتاب من أرباب الحضارات الأخرى للحوار لم يقل لنا اقتلوا المخالفين لكم في العقيدة أو الرافضين لدينكم وإنما قال لنا إذا رفضوا حواركم أكدوا لهم صحة ما أنتم عليه باعتباره الدين الخاتم الذي جاء تأكيدا لما معهم من كتب وتصحيحا لما طرأ عليها من فساد وتحريف. وهذا المنهج القرآني في الجدل مع المخالفين من أهل الكتاب والذي اعتمد أساسا على الحوار العقلي هو الذي طبقه علماء الإسلام في جدالهم مع أهل الكتاب عبر تاريخهم الطويل.

هذه الرؤية الإسلامية كما يرى أحد المفكرين المعاصرين تعكس أن (السجال مع أهل الديانات كان يدور حول الأمور التي تختلف فيها العقائد وكيف أن الرأي المخالف كان يدحض بالحجج العقلية لا غير ويستحيل أن يجد الباحث في المجادلين المسلمين من يطعن فى خصمه بسبب اللون أو العرق بل إن المجادل المسلم كان يحرص دائما على التعامل مع أهل الديانات الأخرى بوصفهم أصحاب رأى مخالف لا كخصوم أو أعداء.[١] وهذا ما تعكسه سيرة علماء الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين عنوا بهذا الجانب الحواري مع المخالفين من أهل الديانات والحضارات الأخرى في القرون الأولى كما هو مفصل في كتب الطبقات والفرق

فقد تحاور القرآن الكريم مع المخالفين من أجل إظهار الحق وليس من أجل الجدل والسفسطة ومن ذلك قوله تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.[٢] وقوله: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ[٣]

---

[١] محمد عابد الجبري، مسألة الهوية والعروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ،ص ١٣٩ ،١٩٤ ،١٩٤٥

[٢] سورة آل عمران: آية ٦٤

[٣] سورة آل عمران: آية٦١

وينعى عليهم القرآن الكريم جدالهم فيما ليس لهم فيه علم مثل ادعائهم أن إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء كان يهوديا أو نصرانيا يقول تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ، هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ. [١]

وحرص القرآن على إظهار الحق واضح في شهادته لكثير من أهل الكتاب بالأمانة ومن ذلك قوله سبحانه فى سورة أل عمران: وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. [٢] وفى هذا السياق يثنى القرآن على طائفة من أهل الكتاب الذين يحرصون على الحق والإيمان بالله وعمل الخير ومن ذلك قوله تعالى: لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ. [٣] ، وايضا وقوله سبحانه فى نفس السورة: وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. [٤]

أكد الإسلام على ضرورة محاورة المخالفين وخصوصا من أهل الكتاب بالحسنى وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

---

[١] سورة آل عمران: آية ٦٥ حتي ٦٨

[٢] سورة آل عمران، آية ٧٥

[٣] سورة آل عمران،الأياتان ١١٣١١٤

[٤] سورة آل عمران، آية ١٩٩

بِالْمُهْتَدِينَ.[1] ويقول سبحانه : ﴿ لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.[2]

ويلاحظ أن الأمر الإلهي في كلتا الآيتين جاء بصيغة الأمر وذلك حتى يكون الدعاة إلى الله على بينة فى حوارهم مع الخصوم بألا يتجاوز آداب الحوار مع المجادل أين كان دينه أو عقيدته وذلك لأن الجدل لإثبات البراعة في الجدل والقدرة على منازلة الخصوم وإثبات فساد أدلتهم مما حذر منه القرآن وذلك لما يترتب عليه من توسيع هذه الخصومة وهذا لا يؤدى إلى نتائج إيجابية فى الحوار بل ربما أدى إلى عكس المطلوب.

الإيمان بالأنبياء جميعا: إن من أسس وأركان الإيمان في الإسلام أن يؤمن المسلم بأنبياء الله ورسله جميعاً، ويؤمن بما دعوا إليه من دعوات التوحيد كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ.[3] ونحن عندما نتحدث عن النصرانية أو اليهودية مثلا فإننا لا نتهجم عليهما، كما أننا نؤمن يقيناً أن الله– سبحانه وتعالى– أمرنا بمجادلة أهل الكتاب بالحسنى فى أكثر من موطن من القرآن الكريم .

قال الرسول الكريم: ما من شيء أكرم على الله من بني آدم يوم القيامة،قيل: يا رسول الله ولا الملائكة المقربون؟قال: ولا الملائكة المقربون ، فالإسلام يخاطب بني البشر بقوله: يا أيها الناس:ويا بنى آدم ، و يا أيها الإنسان، و الإسلام– يؤكد على وحدة الأب ووحدانية الرب الإله، فلا استعلاء لجنس على جنس أو لون على لون، والعبرة لمن

---

[1] سورة النحل أية ١٢٥

[2] سورة العنكبوت أية ٤٦

[3] سورة الشوري: آية ١٣

اتقى.[١] وفي نفس الوقت يوجد أحاديثأخرى صحيحة تصب في نفس الاتجاه والمعنى بأن أهل مصر لهم وضع خاص وحالة فريدة ولله الحمد تضح لنا من على سبيل المثالالحديث النبوي للرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام والذي يقول: الله الله في قبطِ مِصرَ؛ فإنَّكم ستظهرونَ عليهم، ويكونُون لكم عُدَّةً وأعواناً في سبيل الله [٢]

صدق الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، بالإضافة للحديث النبوي الشريف إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا {. أَوْ قَالَ « ذِمَّةً وَصِهْرًا }،أهل مصر أوصى بهم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وكذلك بشر الله على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام أنهم سيكون لهم دور عظيم في الجهاد في سبيل الله وهو ما شهد به التاريخ وهو دليل واضح على صدق بشرى الرسول الكريم علية الصلاة والسلام وصدق نبوته، لأنه بشر بفتح مصر ودخولها قبل زمن من فتحها.

جعل الإسلام من بين أركان عقيدته الإيمان بكتب الله قاطبة، ورسله جميعًا، ومن ينكر ذلك يدخل في دائرة الكفر، قال تعالى: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. [٣] ،وأباح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب وتناول ذبائحهم ومصاهرتهم، والتزوج من نسائهم في الحدود الشرعية المسموحة، قال تعالى: وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم. [٤]

وأجاز الإسلام للمسلم أن يهْدي الهدايا إلى غير المسلمين، وأن يقبل منهم الهدية

---

[١] عدنان بن محمد الوزان ، مستشار حقوق الأنسان فى السعودية،بحث حقوق الأقليات غير المسلمة في مصروالسعودية

[٢] المعجم الكبير أبو القاسم سليمان بن أحمد المعروف الطبر اني

[٣] سورة البقرة : آية ١٣٦

[٤] سورة المائدة: آية ٥.

ويجازيه عليها، فقد ثبت أن النبي أهدى إليه الملوك، فقبل منهم، وكانوا غير مسلمين، فعن أم سلمة –أم المؤمنين– ﷺ–، أن النبي قال لها: عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ ,قَالَتْ: لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ سَلَمَةَ، قَالَ لَهَا: " يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنِّي قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَى النَّجَاشِيِّ حُلَّةً وَأَوَاقِيَ مِسْكٍ، وَإِنِّي لا أَرَاهُ إِلا قَدْ مَاتَ وَمَا أَرَى الْهَدِيَّةَ الَّتِي أَهْدَيْتُ إِلَيْهِ إِلا سَتُرَدُّ إِلَيَّ ." قَالَتْ: فَكَانَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاتَ النَّجَاشِيُّ، وَرُدَّتْ إِلَيْهِ هَدِيَّتُهُ، فَأَعْطَى كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ أُوقِيَّةً، وَأَعْطَى أُمَّ سَلَمَةَ أُوقِيَّةً وَأَعْطَاهَا الْحُلَّةَ.(١)

هذه هي مبادئ الإسلام الخالدة وقيمه السامية التي تتعامل مع الإنسان وتحترمه، فقد كان سهل بن ضيف، وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمرَّ الناس عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض –أي من أهل الذمة– فقالا: إن النبي مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفسًا.(٢) ، و يقول الدكتور صالح بن حسين العايد (أمين المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) إن الإسلام قد أمر بالعدل وحث عليه، حتى ولو كان الحكم لصالح الأعداء على الأهل والأصحاب قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. (٣)

ومن تمام عناية الإسلام بغير المسلمين أنه عندما خيرهم بالتحاكم إلى شرائعهم، أكد على المساواة بينهم في حالة التحاكم إلى شريعتنا، يقول سبحانه : فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.(٤)

---

(١) حديث مرفوع عَبْدُ اللَّهِ، قثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، ثنا مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُتْبَةَ، عَنْ أُمِّهِ، موسوعة الحديث ، رقم ٣٠

(٢) رواه البخاري

(٣) سورة المائدة: آية ٨

(٤) سورة المائدة: آية ٤٢

ويقول الأستاذ الدكتور إبراهيم مُحَّد قاسم (الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف) إن الإسلام قد كفل حقوق غير المسلمين، وتكفل بحمايتهم ليس ذلك بالحث فقط على حسن معاملتهم أو الإشارة إلى ضرورة حمايتهم، بل إنه نص نصا صريحا قاطعا يبين تلك الحقوق ويقرر هذه الأصول في تشريعاته ومصادره، حتى لا يدعي أحد من بعد غير ما قرره الإسلام وأكده، وحتى تظل تلك النصوص شاهدة على سماحة الإسلام وعدالته وأنه الدين الصالح لكل زمان ومكان، ولم يكتف الإسلام بأن وضع الأسس والقواعد التي تكفل حماية غير المسلمين، بل إنه وضع عقوبات رادعة لمن يتعدى حدود الله عز وجل ويتجاوز حدود العهود بين المسلمين وغيرهم، وبمقتضى التشريع الإسلامي فإن المسلم الذي يقتل غير مسلم دون حق فإنه يقتل به، ومن سرق أحدا من أهل الكتاب فإنه يقام عليه الحد كمن سرق من المسلمين، كما ثبت ذلك من عموم الأدلة.

واستمع إلى هذا الحديث النبوي الشريف لترى مدى عناية الإسلام بالمعاهد وحفاظه عليه يقول النبي ﷺ «ألا من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة (أخرجه البيهقي) وهو عليه الصلاة والسلام يقول (من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما) رواه البخاري.

وقد حفل تاريخ المسلمين بما لا يحصى من الوقائع والأحداث الدالة على تسامحهم وعدلهم مع غيرهم حتى إنها لتكاد تكون وقائع يومية لم يعرف مثلها فى التاريخ لأمة من الأمم , ولعل فيما نورده من قطوف غنية عن الإسهاب فى إقامة الشواهد على السلام الاجتماعي والتعايش السلمي القائم على الحق والعدل والتسامح بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل الأخرى.

وهذه الشواهد كثيرة منها:-

١-كان من وصية أبي بكر الصديق رضى الله عنه (لا تقتلن أحدا من أهل ذمة الله فيطلبك الله بذمته , فيكبك الله على وجهك فى النار)

٢-أرسلت امرأة قبطية تدعى (فرتونة) شكوى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأن عماله فى مصر هدموا منزلها من أجل بناء مسجد , وعندما استفسر الخليفة من الوالي عمرو بن العاص ﷺ عن خبرها قال له: أردنا أن نوسع مسجدا وأعطيناها تعويضا عن مسكنها – وهو ما يعرف في القوانين الحديثة بنزع الملكية الخاصة للمصلحة العامة فرد عمر: ولكن المرأة لم تقبل فرد عمرو: نعم فغضب عمر وقال كيف تقيمون مسجدا على حساب حق للآخرين ؟ وأمر بإعادة الأرض إلى فرتونة وبناء بيتها من بيت مال المسلمين

٣-ويروى المؤرخون أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ مر بباب قوم وعليه سائل يسأل , وكان شيخا ضرير البصر فضرب عمر عضده وقال له: من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال يهودى. فقال أمير المؤمنين: ما أجأك إلى ما أرى قال:اسأل الجزية والحاجة والسن، فاصطحبه عمر وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجد ثم أرسل به إلى خازن بيت المال وقال له انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إذ أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم.

٤- جاءت امرأة نصرانية عجوز إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في حاجة لها فقال: أسلميتسلمي، إن الله بعث مُحَمَّدا بالحق فقالت أنا عجوز كبيرة والموت إلى أقرب، فقضى لها حاجتها ولكنه خشي أن يكون في مسلكه هذا ما ينطوى على استغلال حاجتها لمحاولة إكراهها على الإسلام فاستغفر الله ما فعل وقال: اللهم إنى أرشدت ولم أكره.

٥- وروى الطبرى عن ملك (الباب) فينواحي أرمينيا واسمه (شهر براز) أنه طلب من سراقة بن عمرو أمير تلك المناطق أن يضع عنه وعمن معه الجزية على أن يقوموا بما يريده منهم ضد عدوهم فقبل سراقة وقال له: (قد قبلنا ذلك ممن كان معك على هذا ما دام عليه، ولابد من الجزاء ممن يقيم ولا ينهض) فقبل ذلك وصار سنة فيمن كان يحارب العدو، وقد أوصي عمر بن الخطاب ﷺ وهو على فراش الموت الخليفة من بعده بأهل الذمة خيرًا، وأن يفي بعهدهم، ولا يكلفهم فوق طاقتهم.

والذمة معناها العهد، الذي يشمل عنصري التأمين والحماية، وهذا سبق وريادة يُعرف في عصرنا بالحقوق المدنية والجنسية.

٦ – ولذا نجد الصحابة رضوان الله عليهم راعوا مبدأ حماية الإسلام لأهل الذمة، والحفاظ على حقوقهم من الاعتداء عليها أو النيل منها بغير وجه حق، سواء أكان هذا الاعتداء من المسلمين أو من غيرهم، وتجلى ذلك في صور عديدة ولا أدل على ذلك من القصة المشهورة والتي رواها أنس بن مالك ﷺ قال: كنا عند عمر بن الخطاب ﷺ إذ جاء رجل من أهل مصر

فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك

قال: وما لك؟

قال أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل فأقبلت فرسي، فلما رآها الناس قام مُحَمَّد بن عمرو

فقال: فرسي ورب الكعبة.

فلما دنا مني عرفته فقلت: فرسي ورب الكعبة، فقام إلي يضربني بالسوط ويقول: خذها وأنا ابن الأكرمين.

وبلغ ذلك عمرا أباه، فخشي أن آتيك فحبسني في السجن، فانفلت منه، وهذا حين أتيتك.

قال أنس ﷺ: فوالله ما زاد عمر على أن قال: اجلس. وكتب إلى عمرو: إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل معك بابنك مُحَمَّد.

وقال للمصري: أقم حتى يأتيك مقدم عمرو

فدعا عمرو ابنه

فقال: أأحدثت حدثا؟ أجنيت جناية؟ قال: لا.

قال: فما بال عمر يكتب فيك؟ فقدما على عمر.

قال أنس ﷺ: فوالله إنا عند عمر، إذا نحن بعمرو وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه فإذا هو خلف أبيه. فقال عمر: أين المصري؟ قال: ها أنا ذا.

قال دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرمين.

فضربه حتى أثخنه، ونحن نشتهي أن يضربه، فلم ينزع عنه حتى أحببنا أن ننزع من كثرة ما ضربه،

وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين.

ثم قال عمر: أجلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه.

فقال المصري: يا أمير المؤمنين، قد استوفيت واشتفيت، يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني.

قال عمر ﷺ: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه، حتى تكون أنت الذي تدعه.

يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟

فجعل عمرو يعتذر ويقول إني لم أشعر بهذا.

ثم التفت عمر إلى المصري فقال: انصرف راشدا، فإذا رابك ريب فاكتب لي، الوعيد الشديد لمن أخفر ذمة معاهد.

كتب الإمام على رضى الله عنه إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية , والمحبة لهم , واللطف بهم فإنهم صنفان إما أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق)

٧ – ولهذا يقول الإمام على بن أبى طالب– كرم الله وجهه–: (إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا) والإسلام يحترم حقوق غير المسلمين بدءاً بدياناتهم وعقائدهم ومن ثم الأنبياء والرسل وهو حفظ الحقوق الدينية واحترام حقوق الأنبياء والرسل موضوع لا أعلم أن أحداً بينه بوضوح على أنه حق إنساني لأولئك الرسل ولأتباعهم فى حفظ الحقوق الدينية للإنسان كما سيأتى

بيانه فى القطوف التالية من ثوابت القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ضمن الحقوق الدينية للأقليات والجاليات غير المسلمة.

٨ –كتب خالد بن الوليد ﷺ لأهل الحيرة بالعراق وكانوا من النصارى: (جعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته أفه من الآفات , أو كان غنيا فافتقر , وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله)

٩ – وفيما يتعلق بمصر وأهلها يرى المؤرخين أن المسلمين في مصر ظلوا أقلية مدة قرنين من الزمان بعد الفتح الإسلامي لمصر الذي تم سنة ٦٤٠ م وهذا دليل قاطع على تعايش الديانتين الإسلام والنصرانية دون تعصب أو إكراه على الدخول في الإسلام وأن تحول الكثيرين بعد ذلك إلى الإسلام قد تم دون أي ضغط أو إجبار من الحكام المسلمين

١٠ – وأصر شيخ الإسلام بن تيمية على إطلاق من فى أسر التتار من أهل الذمة مع المسلمين فقال لقائد التتار لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيرا لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة.

١١– وكتب الإمام / مُحَمَّد عبده يقول / إن المسلمين ظلوا يحفظون حرمة الأديان ويرعون حق الذمة ويعرفون لمن خضع لهم من الملل الأخرى حقه ويدفعون عنه غائلة العدوان ومن العقائد الراسخة فى نفوسهم (أن من رضي بذمتنا فله ما لنا , وعليه ما علينا)

١٢ – يرى الإمام الشافعي أنه لا يحق للزوج أن يفاتح زوجته الكتابية فى مسألة إسلامها ولا يعرض عليها الإسلام لأن فيه تعرضا لها وقد ضمنا بعقد الذمة ألا نتعرض لهم ويرى الفقهاء أنه لا يجوز للزوج أن يمنع زوجته الكتابية من أداء عبادتها وشعائرها

١٣– ومما كتب الشيخ / مُحَمَّد الغزالي (إن الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لأهل الأرض لم يعرف لها نظير في القارات الخمس ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة ومنح مخالفيه في الاعتقاد كل أسباب البقاء والازدهار مثلما صنع الإسلام)

١٤– ويؤكد الدكتور / شوقي الفنجرى أن الضمان الاجتماعيفي الإسلام شمل بمظلته

الجميع فيقول (وإذا توسع الإسلام فى مبدأ ضمان العامل وكفالته عند الحاجة فعممه بالنسبة لكل فرد يعيش فى مجتمع إسلامي أيا كانت ديانته أو جنسيته فقد ارتفع بها أيضا فجعله جوهر وصميم الدين وإن فى إهداره تكذيبا لرسالة الإسلام

١٥- ويقول العالم الفرنسى / جوستاف لوبون: إن سماحة مُحَّد ﷺ لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية ولم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التى ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص وقد سار خلفاؤه على سنته

١٦- وكتب الشاعر الأمريكي / رونالد ركويل – بعد أ أشهر إسلامه يقول (لقد راعنى حقا تلك السماحة التى يعامل بها الإسلام مخالفيه سماحة فى السلم , وسماحة فى الحرب , والجانب الإنسانى فى الإسلام واضح فى كل وصاياه

١٧- وجملة القول أنه فى حضارة امتدت أكثر من أربعة عشر قرنا ضربت فيها أمة الإسلام مثلا عليا فى التعايش مع غيرها , لم يسع الناس – حتى الأعداء – إلا الثناء على مسلكها الحضاري ورحابة أفقها , واستيعابها لحضارات غيرها من الأمم التى خالطتها على اختلاف مذاهبها الفكرية والدينية والفلسفية حتى إنها تكاد تجمع بين المتناقضات فمن فرس لروم ومن حبش لترك..... إلخ كل قد صهرتهم فى بوتقتها , وجمعتهم تحت لوائها

ثالثا: سماحة الإسلام في رأي الأوربيين: ونبدأ هنا ببيان حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي إبان السلم وكيف أن الإسلام ورسول الإسلام هما الرحمة المهداة إلى العالمين جميعاً، هكذا يقول الكاتب الأوربي المعروف الأستاذ (ليك) في كلام مفصل له عن الإسلام: (إن حياة مُحَّد التاريخية لا يمكن أن توصف بأحسن مما وصفه الله نفسه بألفاظ قليلة بين فيها صفة النبى مُحَّد حيث قال: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)، إن يتيم آمنة العظيم قد برهن بنفسه على أنه أعظم الرحمات لكل ضعيف ولكل محتاج إلى المساعدة، كان مُحَّد رحمة حقيقية لليتامى وأبناء السبيل، والمنكوبين والمدينين، وجميع الفقراء والمساكين، والعمال ذوى الكد والعناء، ولقد كان مُحَّد رحمة لجنس النساء الذي كان يعامل كالأمتعة والأثاث لا أكثر، وذلك في

جميع الدنيا، ومن قبل كل دين من الأديان وكل نظام اجتماعي، فهلموا الآن نقول بأعظم الإخلاص والتلهف والابتهال: اللهم صل على مُحَمَّد وعلى أتباعه ومحبيه أجمعين). يعكس قول:ليك السابق مفاهيم حقوق الإنسان بحقيقة الرحمة الإسلامية الإيمانية والدين الصافى الذى بعث الله به مُحَمَّدا لتحقيق خير البشرية جمعاء، خصوصا البؤساء والضعفاء والمقهورين مسلمين كانوا أو غير مسلمين.

ومثل هذه الأقوال عند الغربيين عن سماحة الإسلام وحسن معاملته لغير المسلمين كثيرة ومن ذلك ما قاله (آدم ميتز): ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، فكانوا صيارفة وتجارا وأصحاب ضياع وأطباء، بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة فى الشام مثلا يهودا على حين كان أكثر الأطباء، والكتبة نصارى، وكان رئيس النصارى ببغداد هو طبيب الخليفة، وكان رؤساء اليهود وجهابذتهم عنده .

ويوضح (ميتز) العلة فى دفع الجزية وعلى من تجب فيقول: (كان أهل الذمة وبحكم ما يتمتعون به من تسامح المسلمين معهم ومن حمايتهم لهم، يدفعون الجزية كل منهم بحسب قدرته، وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطنى، فكان لا يدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلاح فلا يدفعها ذوو العاهات ولا المترهبون وأهل الصوامع إلا إذا كان لهم يسار)، ويدل على ذلك ما قرره الفقهاء (أن لا جزية على الراهب المنقطع للعبادة لأنه ليس من أهل القتال).

وتسقط الجزية عن أهل الذمة حينما تعجز الدولة الإسلامية عن حمايتهم،أوعند اشتراكهم مع المسلمين فى الدفاع عن دار الإسلام، ذكر القاضى أبو يوسف فى كتابه الخراج: (أن أبا عبيدة بن الجراح عندما أعلمه نوابه على مدن الشام بتجمع الروم كتب إليهم: أن ردوا الجزية على من أخذتموها منه وأمرهم أن يقولوا لهم: إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وأنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم كانا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشروط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم).

وكانت معاهدات الذمة مع نصارى نجران وأهل الحيرة وأهل الشام وحمص وسكان بيت المقدس وغيرهم مثلا يحتذيفي التسامح والحرية والأخلاق الكريمة في حفظ حقوق الإنسان غير المسلم فى الدولة الإسلامية. ومن هذه القاعدة العظيمة التي تمثلى دستور التعامل مع غير أهل الإسلام

يقول الإمام القرافى شارحا معنى البر فى الآيات السابقة ويوضح أبعاده بقوله: (الرفق بضعفيهم وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم، على سبيل اللطف لهم والرحمة، لا على سبيل الخوف والذلة واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالته، لطفاً منا بهم لا خوفا ولا تطبعا، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم، وإيصالهم إلى جميع حقوقهم.

ويتأكد ذلك من قول (غوستاف لوبون) العالم الفرنسي بعد سرد آيات من القرآن الكريم فى سماحة الإسلام مع أهل الكتاب إذ يقول: (إن مسامحة مُحَّد لليهود والنصارى كانت عظيمة إلى الغاية، وإنه لم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التى ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص، وسنرى كيف سار خلفاؤه على سنته وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المرتابين أو المؤمنين القليلين الذين أمعنوا النظر فى تاريخ العرب. ويستشهد (لوبون) بقول (روبرتسن) فى كتابه (تاريخ شارلكن) إذ يقول: إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى وأنهم مع امتشاقهم الحسام نشرا لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحرارا في التمسك بتعاليمهم الدينية.

١- **الانتشار الذاتي للإسلام:** ترجع أهمية طرح قدرة الإسلام علي الانتشار الذاتي إلي تصحيح المفاهيم لدي بعض الجهلاء من المسلمين و خاصة في حادث الكشح بالصعيد حيث قام بعض المتعصبين للدين عن جهل برفع السلاح الآلي في وجه بعض المسيحيين أثناء المصادمات الطائفية ويطالبون من بعضهم النطق بالشهادة أو

أطلاق النار عليهم،هذه الحادثة فردية ولكنها وقعت حسب روايات مسيحية، بل أن من يقوم بذلك لا يفهم دينه، لقد نسي هؤلاء الجهلاء الأغبياء أنه لا أكراه في الدين و أن العقيدة حرية شخصية فهي اختيار حر للعبد حسب قناعته، هذا من جهة كما أن فرض الدين بالقوة يفرض رد فعل عكسياً تجاه الدين فالنفس البشرية لا تحمل علي شيئاً كرهاً أو بالقوة، الدين يحتاج إلي عقل لكي يدركه وهذا ما يحدث بالفعل في البلاد التي لا سلطان للمسلمين فيها.

يتميز الدين الإسلامي بالقدرة على الانتشار الذاتي دون تعصب الأمر الذي يستدعى من بعض المتعصبين في مصر أو في العالم الإسلامي أن يدركوا تلك الحقيقة، هناك عشرات الآلاف سنوياً يعتنقون الإسلام، وفى معقل الدول الغربيةذاتها، أذن الأمر لا يستحق كل هذا الصخب من أجل فرد أو سيدة أو بضع أشخاص تقوم الدنيا لاتقعد بصورة قد تعرض الأمن والسلام الاجتماعي للخطر، لقد كانت سرعة انتشار الإسلام في الغرب الآن خير شاهد أن هذه الرسالة لم تنتشر بحد السيف كما يزعم الكثيرين مما من لايفهمون حقيقة الإسلام

قال: ثنا صفوان بن مسلم قال: حدثني سليم بن عامر عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، و لا يترك الله بيت مدر و لا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام و ذلا يذل الله به الكفر.[١]

نشرموقع سى أن أن على مدار ١٢ سنة منذ عام ٢٠٠١ حتى ٢٠١٠ تم بناء أكثر من ١٢٠٠ مسجد في الولايات المتحدة الأمريكية (بمعدل مئة مسجد سنوياً)، والشيء العجيب أن معظم الذين يعتنقون الإسلام من الأمريكيين يتحولون إلى دعاة للإسلام بعد أن يلتزموا بشكل مذهل بتعاليم الإسلام!، ويؤكد معظم الباحثين وعلى

---

[١] أخرجه أحمد رقم (١٦٩٩٨) ١٠٣/٤، والطبراني في مسند الشاميين رقم (٩٥١) ٧٩/٢، والحاكم في المستدرك رقم (٨٣٢٦) ٤٧٧/٤

الرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة بأن أكثر من عشرين ألف أمريكي يعتنقون الإسلام كل عام وذلك بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر! فعلى العكس مما هو متوقع بأن أعداد المسلمين الجدد ستنخفض إلا أن النتيجة جاءت على عكس الحسابات، فقد أظهرت الإحصائيات الجديدة أن عدد الذين يدخلون في الإسلام ازداد بشكل كبير بعد أحداث سبتمبر! ولكن ما هو السبب؟ وبينما كان عدد المسلمين في أمريكا ١٠٠ ألف مسلم فقط في عام ١٩٧٠ فإنه ارتفع ليصل إلى ٩ مليون مسلم في عام ٢٠٠٨معقب أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١ الشهيرة ازدادت مبيعات الكتب الإسلامية وازداد الإقبال عليها، كما ازداد عدد معتنقي الدين الإسلامي حيث وصل عدد المسلمين في أمريكا حسبما أشارت مجلة "دير شبيجل " الألمانية إلي قرابة ١١ مليون مسلم فينهاية ٢٠١٠.

٢- **مستقبل الإسلام في الغرب:** وأظهرت الأرقام الصادرة عن مكتب الإحصاءات البريطاني، وأوردتها صحيفة "التايمز"، أن الجالية الإسلامية تتضاعف بمقدار عشر مرات أسرع من بقية الجاليات الدينية الأخرى في المجتمع البريطاني، بينما انخفضت الزيادة في عدد النصارى بأكثر من مليوني شخص خلال الفترة ذاتها،في فرنسا يزداد عدد المسلمين مما يعني بأن خمس سكان فرنسا خلال ٣٩ سنة فقط سيكونون من المسلمين مهدَدين بتحويل فرنسا إلى جمهورية إسلامية ، أما في بريطانيا فقد ارتفع عدد المسلمين فيها خلال الثلاثين سنة الماضية من ٨٢ ألف إلى ٢,٥ مليون مسلم بزيادة مقدارها ٣٠ ضعفاً وبأكثر من ألف مسجد فيها اليوم، علماً بأن أغلب تلك المساجد كانت كنائس في السابق، أما في هولندا اليوم فإن ٥٠% من المواليد الجدد هم من المسلمين وهذا يعني بأن نصف سكانها سيكونون من المسلمين خلال ١٥ سنة، وفي روسيا اليوم هناك أكثر من ٢٣ مليون مسلم يشكّلون خمس إجمالي سكانها، وكذلك يتوقع أن يبلغ المسلمون ما نسبته ٤٠% من تعداد الجيش الروسيً خلال سنوات قصيرة قادمة، وفي بلجيكا اليوم فإن ٢٥% من السكان و ٥٠% من المواليد الجدد من المسلمين، وقد أفادت

حكومة الاتحاد الأوروبي بأن ثلث المواليد في أوروبا سيكونون من المسلمين بحلول عام ٢٠٢٥م ،ولقد كانت الحكومة الألمانية الأولى في التحدث عن هذا الخطر علناً، حيث أفادت رسمياً أن الهبوط الحادَ في معدَلات النمو السكاني في ألمانيا لا يمكن إيقافه الآن بوصوله مرحلة اللاعودة، وبأن ألمانيا ستصبح دولة مسلمة بحلول عام ٢٠٥٠م، هناك اليوم ٥٣ مليون مسلم في أوروبا حتي ٢٠١١، وتقول الحكومة الألمانية أن هذا الرقم سيتضاعف خلال السنوات العشرين القادمة ليصل إلى ١٠٤ مليون مسلم.

اليهود يعتنقون الإسلام: كشفت صحيفة " معاريف " الإسرائيلية أن المنظمات اليهودية الفرنسية أرسلت بتقارير مكثفة إلي الوكالة اليهودية الدولية من أجل التدخل فيما أسمته بالإقبال اليهودي علي اعتناق الإسلام، بعد أن أكدت الإحصائيات أن ٨٠% ممن دخلوا حديثا في الإسلام من المواطنين الفرنسيين كانوا من اليهود، و ذكرت صحيفة "لوسوار" البلجيكية أن أكثر من نحو أربعين ألف مواطن أشهروا إسلامهم خلال الأعوام القليلة الماضية، بشكل جعل بروكسل تشكل المعدل الأعلى بين دول القارة الأوروبية في اعتناق مواطنيها للإسلام ، وأوضحت الصحيفة أن عدد سكان بلجيكا يصل لعشرة ملايين نسمة، بينهم ٤٥٠ ألف مسلم، مما يعني أن معدل اعتناق المواطنين البلجيكيين هو الأعلى بين أوروبا إذا ما قورنت نسبة اعتناق الإسلام بعدد سكان بلجيكا، الأمر الذي دفع باليمين المتطرف البلجيكي إلى إطلاق تحذيرات تؤكد خطورة الزواج المختلط،وتشير تقديرات آخري إلي ارتفع عدد المسلمين في بلجيكا إلى أكثر من ٦٠٠ ألف نسمة، وفق أحدث التقديرات لعام ٢٠١١ وأرجع عدد من المواطنين إسلامهم إلى اقتناعهم التام بالشريعة الإسلامية، مشيرين إلى أنه دين بلا وسطاء بين العبد وربه وهذا ما كانوا يبحثون عنه، إلا أن هؤلاء المسلمين انتقدوا الحملات الإعلامية الموجهة ضد المسلمين والمشوهة للكثير من حقائق الدين الحنيف إضافة إلى محاولة هذه الحملات الإعلامية لتزييف المبررات التي من أجلها يعتنق المواطنون الإسلام.

ومن أشهر من أسلمو روجيه جارودي: وسمى رجاء وهو فيلسوف وكاتب فرنسي. و اعتنق الإسلام عام ١٩٨٢ م متخذا الاسم رجاء. يقول جارودي عن اعتناقه الإسلام، أنه وجد أن الحضارة الغربية قد بنيت على فهم خاطئ للإنسان، وأنه عبر حياته كان يبحث عن معنى معين لم يجده إلا في الإسلام. ظلّ ملتزما بقيم العدالة الاجتماعية التي آمن بها في الحزب الشيوعي، ووجد أن الإسلام ينسجم مع ذلك ويطبقه بشكل فائق

قصه الدكتور ميلر: أسلم وكان من المبشرين كان يتوقع أن يجد القرآن كتاب قديم مكتوب منذ ١٤ قرن يتكلم عن الصحراء وما إلى ذلك لكنه ذهل مما وجده فيه..... بل واكتشف أن هذا الكتاب يحوي على أشياء لا توجد في أي كتاب آخر بل الذي جعله في حيرة من أمره انه وجد أن هناك سورة كاملة في القرآن تسمى سورة مريم وفيها تشريف لمريم عليها ولم يجد سورة باسم عائشة أو فاطمة ﵆، ووجد أن عيسى عليه السلام ذكر بالاسم ٢٥ مرة في القرآن في حين أن النبي مُحَمَّد ﷺ لم يذكر إلا ٥ مرات فقط.

أخذ يقرا القرآن بتمعن أكثر لعله يجد مأخذا عليه.... ولكنه صعق بآية عظيمة وعجيبة ألا وهي الآية رقم ٨٢ في سورة النساء: أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا.

القرأن والعلم: يقول الدكتور ملير عن هذه الآية من المبادئ العلمية المعروفة في الوقت الحاضر هو مبد إيجاد الأخطاء أو تقصي الأخطاء في النظريات إلى أن تثبت صحتها والعجيب أن القرآن الكريم يدعوا المسلمين وغير المسلمين إلى إيجاد الأخطاء فيه ولن يجدو، أيضا من الآيات التي وقف الدكتور ملير عندها طويلا هي الآية رقم ٣٠ من سورة الأنبياء في قوله تعالي: أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شي حي أفلا يؤمنون.

إن هذه الآية هي بالضبط موضوع البحث العلمي الذي حصل على جائزة نوبل في

عام ١٩٧٣ وكان عن نظرية الانفجار الكبير وهي تنص أن الكون الموجود هو نتيجة انفجار ضخم حدث منه الكون بما فيه من سماوات وكواكب فالرتق هو الشيء المتماسك في حين أن الفتق هو الشيء المتفكك فسبحان الله.

من المعجزات الغيبية القرآنية هو التحدي للمستقبل بأشياء لا يمكن أن يتنبأ بها الإنسان وهي خاضعة لنفس الاختبار السابق ألا وهو مبدأ إيجاد الأخطاء حتى تتبين صحة الشيء المراد اختباره , وهنا سوف نرى ماذا قال القران عن علاقة المسلمين مع اليهود والنصارى..القران يقول أن اليهود هم اشد الناس عداوة للمسلمين وهذا مستمر إلى وقتنا الحاضر فاشد الناس عداوة للمسلمين هم اليهود، وهذا يعتبر تحدي عظيم ذلك أن اليهود لديهم الفرصة لهدم الإسلام بأمر بسيط إلا وهو أن يعاملوا المسلمين معاملة طيبة لبضع سنين ويقولون عندها: ها نحن نعاملكم معاملة طيبة والقران يقول إننا اشد الناس عداوة لكم ,إذن القران خطأ! , ولكن هذا لم يحدث خلال ١٤٠٠ سنة!! ولن يحدث لأن هذا الكلام نزل من الذي يعلم الغيب وليس إنسان!! [١]

المستشرق البلغاري: أكد المستشرق البلغاري (د.توفيان تيوفا نوفا) . الأستاذ في جامعة صوفيا والعضو في جمعية المستشرقين الأميركيين وعضو اتحاد المستشرقين الأوروبيين . أنه اعتنق الإسلام عن اقتناع تام ولأنه الدين الحق الذي يُساوي بين البشر ويصون جميع الحقوق الإنسانية ويُرسى قواعد السلم والأمن في المجتمعات البشرية كافة، وقضى أكثر من ١٢ عاماً لإنجاز ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم باللغة البلغارية وبعد الانتهاء من إنجازها أعلن اعتناقه للإسلام بعد أن تفهَّم معاني الآيات القرآنية الكريمة نتيجة لتعمقه في دراسة الإسلام ومعطياته الحضارية والثقافية الوفيرة حيث ثبت لديه أن الحضارة الإسلامية هي أم الحضارات العالمية المعاصرة وأرقى أنواع الحضارات في العالم كله، أن الانتشارالذاتيللإسلامفيأند ونسيا كان دليلا

---

[١] المقالة الاصلية للدكتور ميلر بالانجليزية وعنوانها: القرآن المذهل..
www.jannah.org/articles/amzquran.html

على الحرية فيالاختيارفيالماضيوالآن بدأ في دخول أمريكا الاتنية وحسب بعض الإحصائيات يقدر عدد المسلمون في أمريكا اللاتينية حتي ٢٠١٠بأربعة ملايين مسلم، يوجد منهم بين ١.٥ مليون في البرازيل، بينما يقدر عدد المسلمين في الأرجنتين بثلاثة أرباع المليون،ويقدر عدد المسلمين في تشيلي بنحو ١٥٠ ألف مسلم، رغم قلة عدد المسلمين في بلدان أمريكا اللاتينية الأخرى، مثل بيرو وكوستاريكا والسلفادور وجواتيمالا والهندوراس و الأكوادور وشيلي وبوليفيا وكوبا ومن اللافت للنظر أن أعداد المسامون تتزايد في هذه القارة.

رابعا : عدوى اليمين المسيحي المتطرف: لقد كان تعصب اليمين المسيحي المتشدد في أوروبا انطلاقا من أسبانيا صورة تشهد على مدى همجية الإنسان الأوربي الذي ينقاد وراء النزعة العدوانيةباسم الدين ، وعلى مر التاريخ تجد أن موجات التعصب تعلو وتنخفض اعتمادا على العدوانية داخل النفس البشرية، فمع بالغ الأسف يبرر هؤلاء المجرمين أفعالهم المشينة بحجة نصرة الدين في حين أن الدين براء من كل أعمال القتل والتعذيب والتنكيل بالبشر فمن المستحيل أن تأمر السماء البشر بارتكاب الجرم في حق النفس البشرية التي صورها الله ووضعها في أعلي المرتب، ولكن عندما تلصق جرائم العنصريين بالدين يكون ذلك نوعاً من التجني والظلم، أنتشر في أوروبا مع بداية القرن السادس عشر نوعا من التعصب المقيت بصور لم يشهد لها التاريخ مثيلاً من خلال شرائح أجرمت في حق الإنسانية وبما ينافى تعاليم المسيحية الحق.

١- **بعض نماذج تاريخة علي التعصب الغربي**: تتنوع قصص العداء ويشهد التاريخ عن مدى هذا العداء من خلال الحملات الصلبية المتنوعة والمعروفة للجميع، ويعتبر إسكندر الثاني (١٠٦١–١٠٧٣) أول من استخدم فكرة صكوك الغفران كورقة لتحميس الأوروبيين على حرب المسلمين, وذلك عندما دعاهم سنة ١٠٦٣م–٤٥٥هـ لنجدة إخوانهم الأسبان في الأندلس من نير المسلمين, مع العلم أن المسلمين كانوا وقتها في أضعف حالاتهم تحت حكم ملوك الطوائف, وقد

أسفرت هذه الدعوة عن واحدة من أشد المجازر البشرية ترويعاً عندما شن نصارى أوروبا حربا صليبية بقيادة قائد فرسان البابوية على مدينة بربشتر في شرق الأندلس سنة ١٠٦٤م–٤٥٦هـ راح ضحيتها أربعون ألف مسلم ومسلمة غير آلاف الأسرى من البنات والصبيان.

٢- **أما البابا أوربان الثاني:** قد أخذ على عاتقه إدخال الحملات الصليبية موضع التنفيذ, وقد قام بجولة أوروبية واسعة لحشد الرأي العام واستثارة الهمم الصليبية من أجل ذلك, ثم دعا لمؤتمر مصيري في كليرمونت بفرنسا في ٢٧ نوفمبر سنة ١٠٩٥م, وفيه أطلق صيحته الشهيرة (إنها إرادة الرب), وأمر كل مسيحي ومسيحية بالخروج لنجدة القبر المقدس من أيدي الكفرة (يعني المسلمين) ثم أفاض في حديث مليء بالكذب والأباطيل عن الاضطهاد التي يتعرض لها النصارى والحجيج ببلاد المسلمين, فأدى ذلك لاشتعال روح حماسية عارمة بأوروبا نحو حرب المسلمين والخروج إلى بلادهم, وقد أرسل أوربان أحد الرهبان المتعصبين واسمه بطرس الناسك, وكان ذا موهبة خطابية فائقة, فطاف أوروبا بأسرها يدعو النصارى لمحاربة المسلمين, ونتيجة لخطب ومواعظ بطرس الناسك الحماسية والمليئة بالمؤثرات من بكاء وعويل وأكاذيب خرج مئات الآلاف من نصارى أوروبا استجابة لنداء البابا ورغبة في المغفرة ودخول الجنة بزعمهم, وذلك بلا نظام ولا ترتيب ولا قيادة, وهي الحملة المعروفة باسم حملة الرعاع والتي أبادها السلاجقة، ومؤرخو أوروبا يغفلون ذكر هذه الحملة ولا يعدونها من ضمن الحملات الصليبية، ثم تلت هذه الحملة الفاشلة حملة الأمراء وكان معظمهم من فرنسا وقدرت بمليون مقاتل صليبي وذلك سنة ١٠٩٩ م _ ٤٩٠ هـ, وهي الحملة التي تنجح في إقامة أربع إمارات صليبية بالشام وذلك بطرابلس وأنطاكية وبيت المقدس والرها, وذلك بعد سفك دم قرابة المليون مسلم ومسلمة، والجدير بالذكر أن أوربان الثاني قد هلك قبل أن يفرح بنجاحات الحملة بأرض الشام.

مع سقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ ١٤٩٢م سقطت آخر قلاع المسلمين في إسبانيا

ليشهد التاريخ بداية اسوأ مأساة عرفتها البشرية لإبادة ملايين من البشر في أعوام معدودة،وتعد مأساة المسلمين فى الأندلس من أفظع مآسي التاريخ، حيث شهدت تلك الفترة أعمالاً بربرية وحشية ارتكبتها محاكم التحقيق (التفتيش) المنتسبة زوراً إلي المسيحية؛ لـ «تطهير» أسبانيا من آثار الإسلام والمسلمين، وإبادة تراثهم الذي ازدهر في هذه البلاد زهاء ثمانية قرون من الزمان، فهاجر كثير منهم إلى الشمال الإفريقي بعد سقوط مملكتهم؛ فراراً بدينهم وحريتهم من اضطهاد الأسبان لهم، أما من بقي من المسلمين فقد أجبر على التنصر أو الرحيل، واليوم ظهرتفي أوروبا موجات متلاحقة من المتعصبين ضد الإسلام وبصورة غير مبررة وخاصة بعد التفجيرات التي نفذتها القاعدة في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فهذه المنظمة خرجت من عباءة المخابرات الأمريكية في السابق بدعم وتمويل وتدريب منها وذلك أثناء الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي في ساحة المواجهة غير المباشرة بينهما في أفغانستان، ومع هذا يرفضالسواد الأعظم من المسلمين أسلوب القاعدة وفكرها الدموي حتى ولوجاء كرد متعصب على غلاة المتعصبين في الغرب نتيجة الدعم الطائفي لإسرائيل علي حساب الحق العربي

٣- **الرسوم المسيئة للرسول:** تتعدد الأمثلة التي تحشد الغرب نحو التعصب من خلال اليمين المتشدد ففي ١٧ سبتمبر ٢٠٠٥ نشرت صحيفة Politikenالدانمركية مقالة بعنوان (الرهبة الشديدة من انتقاد الإسلام) وتحدثت المقالة عن الصعوبة التي لاقاها كاري بلوتكن KåreBluitgen الصحفي الدانمركي الذي كتب كتابا عن سيرة الرسول مُحَمَّد موجهة للأطفال باسم (القرآن وحياة النبي مُحَمَّد) KoranenogprofetenMuhammeds ولكنه وجد صعوبة في إقناع الرسامين بإضافة صور عن الرسول مُحَمَّد إلى كتابه ووصل هذا الخبر صحيفة يولاندس بوستن التي قامت بإجراء مسابقة بين ٤٠ رساما كاريكاتيريا لرسم صور تعبر عن معاناة بلوتكن في إيجاد رسامين لكتابه وإبراز الإدعاء القائل أنه لا يوجد فنان مستعد لرسم كتاب للأطفال عن مُحَمَّد بدون إبقاء اسمه سريا، ففي ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥ قامت صحيفة يولاندس بوستن الدانمركية بنشر ١٢ صورة كاريكاتيرية لرسول الإسلام مُحَمَّد

بن عبد الله وبعد أقل من أسبوعين وفي ١٠ يناير ٢٠٠٦ قامت الصحيفة النرويجية Magazinet والصحيفة الألمانية دي فيلت والصحيفة الفرنسية FranceSoir وصحف أخرى في أوروبا بإعادة نشر الصور الكاريكاتيرية، نشر هذه الصور جرح مشاعر الغالبية العظمى من المسلمين وقوبل ذلك بموجة عارمة على الصعيدين الشعبي والسياسي في العالم الإسلامي وتم على إثر هذه الاحتجاجات إقالة كبير محرري جريدة FranceSoir الفرنسية من قبل رئيس التحرير ومالك الجريدة رامي لكح الفرنسي من أصل مصري كاثوليكي، وأخذت الاحتجاجات طابعا عنيفا في دمشق حيث أضرمت النيران في المبنى الذي يضم سفارتي الدانمارك والنرويج في ٤ فبراير ٢٠٠٦ وتم إحراق القنصلية الدانمركية في بيروت في ٥ فبراير ٢٠٠٦.

٤- **قتل المسلمين علي الهوية:** تتصاعد وتيرة الأعمال الإجرامية المناهضة للمسلمين في أوروبا مرورا بحادث مقتل المصرية مروة الشربيني المسلمة على أساس طائفي وحذر بناء المآذن في سويسراعلى خلاف نصوص الدستور السويسري حيث تنص المادة ١٥ من الدستور السويسري على أن (حرية الاعتقاد والفلسفة مكفولة، فكل فرد له الحرية في اعتناق الأديان والعقائد وأن يمارسها سواء كان وحيدا أو داخل جماعة، وللجميع الحق في الانضمام لأي جماعة دينية وأن يتبع التعاليم الدينية، ولا يجوز إكراه أحد على الانضمام لجماعة دينية أو ممارسة شعيرة دينية أو إتباع تعاليم دينية بعينها) وهذا الحق الدستوري لم يتغير ولكن نتيجة الاستفتاء الشعبي الذي أجري في سويسرا أظهر أن أكثر من نصف الشعب السويسري يؤيد منع بناء مآذن جديدة للمساجد في البلاد وهو ما يؤكد تنامي التعصب في الغرب.

في الولايات المتحدة يعد القس الأميركي تيري جونز صورة للتعصب فقد أعلن خطته لحرق نسخ من المصحف الشريف في ذكرى هجمات ١١ سبتمبر عام ٢٠١٠وقالت وزارة الدفاع الأميركية (البنتاجون) إن وزير الدفاع روبرت جيتس اتصل بالقس جونز وحثه على عدم المضي في خططه لحرق المصحف قدما ويبدو أن هناك مقايضة لإيجاد حل وسط وهي بأن يتراجع القس جونز عن خططه لحرق المصحف مقابل

موافقة إمام مسجد نيويورك على نقل موقع بناء المركز الإسلامي في المدينة بعيدا عن موقع هجمات سبتمبر. ولكن من الإنصاف أن نقول أن مثل نلك الجرائم الطائفية في الغرب ترتكب من قلة متطرفة ومتعصبة تتحرك من منظور طائفي وخاصة الموجهة ضد أفراد ولكن تبقي الطائفية الكبري تمارس من قبل الكثير من الحكومات الغربية ضد الدول الإسلامية في سياسات شتي.

يتخوف الكثيرين من امتداد التعصب الديني عبر البوابة الأوربية إلى مصر وهو ما يتنافى مع الطبيعة المصرية عبر التاريخ، فظهور بوادر التشدد داخل بعض الأصوات المسيحية والمسلمة بات يهدد الاستقرار، كل الخوف أن يقود الفكر المتعصب الشباب إلى التهور في وقت تتطلب الضرورة تغليب المصلحة العامة وعدم الانغلاق والتقوقع داخل دائرة التطرف، فظروف الثورة وعدم الاستقرار قد تؤدى إلي انفلات لا يحمد عقباه

٥ - **اليمين المسحي بمصر:** ولا يوجد ما يمنع على الإطلاق من تلبية مطالب المسيحيين المشروعة داخل مصر فمعظم الشعب يقف ضد التوتر والعنف ولكن القلة المتعصبة قد تدفع الجميع إلى حالات مواجهة غير محمودة وهو ما يتطلب الحسم والضرب بيد من حديد على كل مثيري الفتنة من الطرفين .

تكونت في مصر جماعة (الأمة القبطية) التي ظهرت في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، والتي كانت تنادي بمنح الأقباط الحكم الذاتي، وبروز تلك الجماعة خاصة في منتصف الخمسينات، بعد أن وجهت الجماعة الدعوة إلى المجمع المقدس لإجراء انتخابات جديدة، وأصدرت آنذاك بيانًا يحذر الدولة من التدخل في شئون الأقباط، لكن العملية انتهت بإلقاء القبض على أعضاء الجماعة وعودة البابا لكرسيه ومباشرة مهامه، وعقب ذلك اختفت جماعات التطرف المسيحي إبان الحقبة الناصرية قبل أن تظهر مجددًا في أوائل السبعينات والثمانينات حينما أقدم بعض الأقباط على تكوين تنظيم الجهاز المسيحي في أسيوط وهو يماثل تنظيم (الجهاد الإسلامي.

وكان حبيب جرجس أول من إستعمل التعبير الخطير (الأمة القبطية٣) " الأمة

القبطية يعنى به شيئاً أكبر من مجرد الكنيسة القبطية وقد بدأ حبيب جرجس حملة واسعة لإعادة بعث اللغة القبطية [1]

وفى أوآخر عام ١٩٥٢ منحت وزارة الشئون الإجتماعية المحامى الأستاذ ابراهيم فهمى هلال يبلغ من العمر ٢٠ سنة ترخيصاً بتكوين جمعية دينية إتخذت لها إسم " جماعة الأمة القبطية . [2] " لمواجهه الفكر الدينى الإسلامى الذى قامت به جماعة الإخوان المسلمين وكان للجمعية بنود قانونية نصت المادة الخامسة من قانون تأسيسها على أن تعمل الجماعة فى سبيل تحقيق غرضها على: إصلاح شئون الكنيسة القبطية ، تقديم المساعدة للمحتاجين ، نشر تعاليم الكتاب المقدس والتمسك بجميع أحكامه ، تعليم اللغة القبطية وتاريخ الكنيسة وإحلالها محل اللغات الأخرى والتمسك بعادات وتقاليد الأمةالقبطية.

وشهدت الفترة نفسها ظهور ما يمكن تسميته بجماعة التكفير والهجرة القبطية على يد الراهب دانيال البراموسي، وفي حقبة التسعينات، ظهر القس نبيل شوقي الذي أعلن في الكويت ووسط ما يقارب من ٢٥٠ مسيحيًا الانفصال عن الكنيسة الأرثوذكسية في مصر وتأسيس كنيسة أخرى حملت اسم (الطائفة المسيحية).

---

[1] كتاب خريف الغضب – محمد حسنين هيكل , مركز الأهرام للترجمة والنشر – الطبعة المصرية الأولى ١٩٨٣ ص ٣٣١ ٣٣٢

[2] عندما يقال تعبير الأمة القبطية يعتبر المقصود هم الشعب المصرى الذى يدين بالمسيحية بعد أن آمنوا على يد مرقس رسول المسيح إلى أرض مصر وهم سلاله الوطنين الأكثر نقاءً الذين إستوطنوا أرض مصر منذ جدهم مصر ايم وعرفوا من خلال التاريخ بالفراعنه وإن كان لهم إسم الأقباط الآن كما أن حبيب جرجس لم يكن هو أول من إستعمل تعبير الأمة القبطية بل أنه ظهر أن هذة الأمة ما زالت على قيد الحياة بالرغم من الإضطهادات العنيفة التى قابلتها وحاولت القضاء على هويتها الوطنية والدينية فى مختلف العصور الإسلامية وغيرها بل أن كتاب الغرب ألفوا كتباً كثيرة عن هذه الأمة من الناحية الدينية والسياسية وغيرها ومن هذه الكتب كتاب " تاريخ الامه القبطية " وكنيستها تاليف البتشر تعريب اسكندر تادرس طبعة ١٩٠٠

و الجماعات القبطية منتشرة في مصر بكثرة، ومنها جماعة "شمس البرية " و"كنيسة الله" و"القبلة المقدسة" و" أبناء الأب دانيال" و"الباكورة" و "أبناء الله"، والشباب الذين ينتمون لهذه الجماعات من طبقات فقيرة ويعانون من أمية دينية وظلم اجتماعي ويمثلون الوقود المشعل للتعصب، لقد أعقب حادث الاعتداء على كنيستي مرامينا والعذراء بإمبابة العديد من المظاهرات والاعتصام وكان أبرزها الاعتصام أمام ماسبيرو ولكن ما كان مثيرا للدهشة في هذا الاعتصام أنه عقب إذاعة بيان للبابا شنودة والذي يطالب فيه المتظاهرين بالتوقف عن المظاهرات لأن صبر المسئولين قد نفذ، فالمرحلة الحالية تتطلب عدم الانسياق وراء الطائفية ،رغم ذلك ارتفعت بعض الأصوات التي تطالب بالاستمرار في التظاهر.

وأن كان هناك خلط بين حقوق المسحيين وبعض المتعصبين للمرور من خلال تلك الحقوق غلي حالة الطائفية ولكن سوف نري أن بعض القساوسة اثناء بعض المظاهرات كادو أن ينزلقوا غلي مربع الطائفية، وربما تكون طبيعة الشعب المصري في مجمله هي من افسدت تفاقم نيران الطائفية البغيضة.

وما نشر بجريدة الأخبار بتاريخ ١٦ / ٥ /٢٠١١ على لسان القمص متياس كاهن كنيسة مارى مرقص بعزبة النخل حيث قال للمعتصمين أثناء كلمته الموجهة إليهم " أن بابا الإسكندرية لم يأمر بفض الاعتصام ولكنه أعرب عن قلقه وخوفه على المعتصمين من الخطر المحيط بهم " محرضا إياهم علي الاستمرار، ونقل متياس ما معناه أن الجميع في حالة غضب بسبب أحداث إمبابة ، تلك صورة تزيد من الفتنة فعلى الرغم من أنه في اليوم التالي نشر بيان يؤكد أن البابا شنودة يطالب بفض الاعتصام وينفى ما قيل على لسانه ولكن يرى البعض أن الأمر فيه نوعا من تبادل الأدوار وهذا أخطر ما في الأمر، مصلحة مصر في درء الفتنة لا تقبل الجدل، وهو ما أكدته مليونية الجمعة يوم ١٣ / ٥ /٢٠١١ لا أحد من العقلاء في مصر يوافق على مثل هذا العبث، لكن قول متياس كان صادما وتحريضيا وربما يكون ذلك نتيجة تعصب منه ويمثل حالة عنده، ولكن الخطورة أنه أسقط ذلك على البابا شنودة رأسا تلك الرسالة المرفوضة قد تؤدى إلى تأجيج الصراع الذي لا طائل من ورائه سوى الخراب.

يوجد واقعة متشابهة في الإسكندرية وهي حدثت مساء الخميس ١٢ / ٥ / ٢٠١١ عندما خرج ما يقرب من ٥٠٠ متظاهر إلى ميدان سيدي جابر أمام المنطقة الشمالية العسكرية للتعبير عن غضبهم من حادث إمبابة وهو ما أدى إلى اشتباكات بين المارة والمتظاهرين وخاصة سائقي السيارات نتيجة تعطل حركة المرور بالميدان، لقد فوجئ الجميع باندفاع مجموعة من البلطجية بالاشتباك مع المواطنين في مشاجرات استخدم فيها العصي والطوب، وتحرك الجيش إلى موقع الاشتباكات وتصرف بروية منعا لتصعيد الأزمة، وخرج أحد قيادات الجيش وتحدث مع المتظاهرين الأقباط مؤكدا لهم أن العدالة سوف تأخذ مجراها وسوف يعاقب كل من يحاول بث الفتنة الطائفية في البلاد.

كان رد فعل المتظاهرين في اتجاه الاقتناع بضرورة الانصراف وترك الأمر للدولة،ولكن ما حدث أن بعضهم طالب من الحضور الانتظار حتى يتم الاتصال بالقس إبرام إميل الكاهن بالكنيسة المرقصية بالإسكندرية، وتم الاستعانة بمكبرات الصوت لكي يسمع المتظاهرين توجهات القس وحتى يصل صوته للمتظاهرين، كانت المفاجأة الكبرى هي أن القس نفسه دعي إلى استمرار المظاهرة وقال بنفس النص (أوعوا تتخلوا عن مطالبكم ولا عن كنيستكم وأوعوا يضحكوا عليكم عشان تمشوا) تلك هي رسالة رجل دين مسيحي إلى المتظاهرين في غضون هذه الأحداث المؤسفة، كان يجب عليه أن يطلب منهم التوقف عن التظاهر، الأخطر في ذلك أنه أعطي إيحاء للمتظاهرين بأن هناك محاولات لخداعهم حتى ينصرفوا ؟ من يخدعهم ألا يقنعهم كل التحركات على الساحة ورفض ما يحدث من أحداث , هذا نوع من التعصب المرفوض ويدلل علي أن تلك المظاهرات مدعومة من بعض رعاة الكنيسة، الرموز المسيحية ينبغي لها أن تكون على حذر عند التعامل مع الجماهير , أغلبهم لن يستوعب حالات الغضب التي قد تكون أحيانا مشروعة وحقيقية وبدلا من الحل سوف يؤدى ذلك إلى سكب الزيت علي النيران.

عندما يتم الحديث مع الجماهير عبر الإعلام أو الصحافة أو التجمعات يجب أن يدرك من يتعامل معهم أنهم غير مؤهلين للاختلاف السلمي، الأمر عندهم لا يعد كونه معركة يجب أن يكسبها أتباع كل طرف، لقد دفع هؤلاء البعض نحو الاعتقاد بأن الكنيسة هي التي تحرك الأحداث في ذلك الاتجاه.

سابعا : نموذج الحقد الطائفي موريس صادق: يظهر جلياً للعيان أن هناك متعصبين من أمثال موريس صادق ينتمون إلي تيار التعصب ويرتبطون بمخططات التقسيم ويحرضون على قيام القوى الكبرى بالتحرش بمصر وهو لن يحدث لأن قوى الشعب المصري قادرة على ضرب أي مستعمر وإذلاله ، فليذهب موريس حيث يشاء فمصر لاتهتم به أو بمن يقف ورائه فلقد فشل على مدار التاريخ كل الغزاة في إخضاع مصر بكل طوائفها المعتدلة مسلمين ومسيحيين، وتقول له الأغلبية المصرية المعتدلة لن تستطيع أنت أو من يدعمك سوى الموت غما وحصره لفشلكم في أهدافكم الدنيئة فمن يتحالف مع إسرائيل ضد مصر لا لأمان له ولا قيمة لأرائه

من هو موريس صادق، هو محامي قبطي مصري–أمريكي من مواليد ١٩٤٣، ورئيس الجمعية الوطنية القبطية الأمريكية. اشتهر بمواقفه المتعصبة تجاه المسلمين والعرب، وله الكثير من الأحاديث الصحفية محل نقد من قبل الأقباط قبل المسلمين، يعمل في المحاماة وهذه المهنة تعطي المشتعلين بها القدرة علي الكذب والمناورة وتزيف الحقائق أذا باعوا ضمائرهم.

في يوليو ٢٠٠٧، أشاد موريس صادق بما دعاها بالإنجازات العظيمةلبريطانيا إبان احتلالها لمصر خلال الفترة ما بين عامي ١٨٨٢م إلى ١٩٥٤م، في مقابل سخرية وانتقاد لاذعين للهوية العربية، ونعته لشخص الزعيم أحمد عرابي بالمجرم،وجاء انتقاداته هذه في نص رسالة بعث بها إلى "المصريون" قال فيها: إن من حق الأقباط في هذا الأيام السوداء من تاريخ مصر أن يشعروا بالندم على تعاونهم مع الإخوان المسلمين أحفاد الغزاة العرب في التخلص مما كان يسمى بالاحتلال البريطاني لمصر تحت شعار الهلال والصليب والدين لله والوطن للجميع، هذان الشعاران خدع بهم الأقباط خاصة بعد أن أضيفت إليهما كلمة براقة وهي الوطنية، في نفس الوقت الذي كان فيه الإخوان المسلمون يسرقون من الأقباط هويتهم المصريةعلى حد تعبيره.

سبق أن وجه صادق في ديسمبر ٢٠٠٤م رسالة إلى آرييل شارون رئيس وزراء

إسرائيل السابق إبان تفجر قضية وفاء قسطنطين، ناشده فيها التوسط لدى الحكومة المصرية لإنهاء الأزمة، ودعا أيضًا إلى منح المسيحيين حكمًا ذاتيًا لمدة أربع سنوات، قبل إقرارها، يتم فيها منح حريات التجمع والنشر، وتدعو إلى إشراف دولي على الحكم الذاتي من قبل حلف الناتو. (١)

لقد كانت هناك عمليات تعاون بين بعض الكنائس وإسرائيل في ملف الطائفية بمصر وقد أصدر اللواء حبيب العادلي وزير الداخلية قرارًا باعتقال جوزيف بطرس الجبلاوي، نجل وكيل مطرانية بورسعيد، ومالك السفينة التي تم ضبطها من قبل جهاز مباحث أمن الدولة قادمة من إسرائيل وعلى متنها مئات الأطنان من المتفجرات في عام ٢٠١٠، وتم القبض عليه وضبط السفينة والشحنة وإحالته إلى النيابة التي قررت حبسه ٤ أيام على ذمة التحقيقات فى القضية رقم ٧٥٦ لسنة ٢٠١٠ إداري الميناء، غير أن قاضي المعارضات أمر بإخلاء سبيله على ذمة القضية، فأصدر النائب العام المستشار عبد المجيد محمود قرارا عاجلا بإدراج اسمه على قوائم الممنوعين من السفر، قبل أن يتخذ وزير الداخلية قرارا باعتقاله نظرا لخطورة الواقعة.(٢)

ويتضح من تلك الآراء المتعصبة التي طرحها موريس صادق انه ضد الدولة بكامل طوائفها ويمثل صورة بغيضة للتعصب الأعمى والحقد الطائفي ، لقد منح بعض المتعصبين من داخل التيار الإسلامي حجة دامغة للتشكيك في ولاء الأقباط داخل الوطن ، هذا التصرف جعل تولية المسيحيين في الوظائف العامة محل شك، المشكلة لا تكمن في المنصب ولكن فيما يحتويه هذا المنصب من معلومات لو تم إفشائها يتحقق الضرر بالأمن القومي في المجالات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية ، هذا النموذج الحاقد هو ما جعل فقهاء المسلمين لا يجزون ولاية غير المسلم على المسلم تحسبا لوجود مثل هذا الشخص أو من على شكلته، بالطبع المسيحيين كلهم ليسو كذلك ومعظمهم خارج هذا

(١) الموسوعة الحرة، عن موسوعة تاريخ اقباط مصر.

(٢) اسماعلية أنلاين، تحت عنوان: اعتقال نجل وكيل مطرانية بورسعيد مالك سفينة المتفجرات القادمة من إسرائيل، ١٧ أغسطس ٢٠١٠

النطاق ، ولكن قد يتسرب أمثال هذا الخائن للوطن إلى سدة الحكم وتقع الكارثة، يتضح أن موريس أضر بالقضية المسيحية داخل البلاد ومنح التعصب على الجانب الآخر حجة قوية للسير على نفش المنهج، لقد وضع موريس المعسكر المعتدل داخل المسيحية في مأزق لان أرائه تنسف مبدأ المواطنة من أساسه وقد تصور للبعض أن هذا المسلك هو نهج قبطي، لن تقبل الأغلبية التأمر على أمنها بأي حال من الأحوال ، التعاون مع المعسكر الغربي على أساس الدين والهوية المسيحية في منتهي الخطورة وينسف جهود التعايش السلمي، فالغرب لا يعترف إلا بالصالح المادية فقط ، لقد قامت الحرب العلمية الأولى والثانية بين إتباع العالم المسيحي نفسه وأزهقت ملايين الأرواح بعيداً عن روح المسيحية، لم يسلم المسحيين أنفسهم من لسان الخرف سمير صادق ، ولكن حقده العلني على المسلمين ودعوته إلي طردهم من مصر، سوف تكون له توابع مضادة، نأمل من الجميع عدم السير في هذا النفق، فلا يمكن لموتور أو عنصري أن يشغل فتيل الفتنة.

من الأفعال الإجرامية له في سبتمبر ٢٠١٠، وزع موريس صادق بيان سب فيه رسول الإسلام والصحابة ووصف عمرو بن العاص بأقذعالألفاظ، كما وصف علماء الأزهر بالكفار، تم حذف باقي الكلام لأنهفي غاية القبح ويعكس صورة البغض والتعصب الأحمق ، تجاوز هذا الخرف كل الحدود وسب الأزهر والصحابة بل تطاول على الرسول الكريم لن اذكر ما قاله حرفيا لان الألفاظ الحقيرة التي ذكرها يستحى العاقل من ذكرها أو أن يكررها.

ولكن أهم ما لفت الانتباه أن موريس أثبتت دون أن يدري صدق القرآن الكريم حين قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين). ورد فى تفسير مُحَمَّد علي الصابوني أن المقصود بالنصارى واليهود هنا هم من ابتعدوا عن الدين الحق المنزل عليهم.

وهذا ما حدث بين موريس وإسرائيل بدعوته لليهود بغزو مصر ، نعم هناك من اليمين المسيحي من هو اشد بغضاً وعداوة للمسلمين لن يرضوا عن الإسلام وهذا موريس واحد منهم وقبله الصليبين الذين غزو الشرق للسطو على خيراته باسم الدين،

واليمين المسيحي الذي ارتكب أفظع جرائم الإبادة في أسبابنا متجرداً من الإنسانية وكل القيم الأخلاقية، والآن اليمن المسيحي في أمريكا يأخذ مواقف عدائية ضد الإسلام، وكان سبب تدمير العراق وما زال يدعو إلى ضرب العالم العربي والإسلامي والقضاء عليه، هذا هو الإعجاز القرآني الذي مازال يؤكد انه كتاب سماوي حتى ولو أنكره الجميع، الرصيد التراكمي لدى اليمين المتعصبٌ رواه القرآن منذ ١٤ قرن وهو الآن مازال حقيقة باقية لدى تلك النوعية الحاقدة ، وسوف يستمر هذا النهج إلى قيام الساعة.

وقد حاول موريس صادق إشعال فتنة دولية بين الغسلام والغرب من خلال إنتاج الفليم المسيء للرسول، فهو يعلم أن الفليم سوف يشعل طائفية داخل مصر أو بين الإسلاميين والغرب وسوف تكون التوابع الهجوم علي السفارت الغربية ومن ثم تحدث مواجهة عسكرية بين الولايات المتحدة والعرب علي غرار أحداث غزو أفغانستان، وبكل وقاحة صدرت الهيئه العليا للدوله القبطيه " المزعومة " بياناً صحفيا برئاسة الدكتور عصمت زقلمه وعضوية موريس صادق والمهندس نبيل بساده والدكتور ايهاب يعقوب والدكتور جاك عطاالله رئيس البرلمان القبطى والدكتوره ناهد متولى والمهندس ايليا باسيلى والمهندس عادل رياض والدكتور ادريان شاكر، أكدوا فيه عرضهم للفيلم المسئ للرسول.

وفى تحد سافر لمشاعر المسلمين، أعلن موقعي البيان على لسان عضوها المتطرف موريس صادق، أن الفيلم المسىء للرسول سيتم عرضه غداً فى ذكرى ١١ سبتمبر. وبكل وقاحة قالر موريس صادق أن الذكرى الـ١٢ لهجمات الحادى عشر من سبتمبر سيتم عرض فيلم " مُحَمَّد نبى الإسلام " ، وذلك أثناء احتفال الهيئه العليا للدوله القبطيه بالولايات المتحده الامريكيه بالذكرى الثانيه عشره لهجمات الاسلامين على على ابراج نيويورك وقتلهم ثلاثة الاف امريكى وتدمير ابراج نيويورك عملا لعقيدة القران والاسلام – على حد وصفه الحقير – مؤكداً فى بيانه أنهم قاموا من قبل بانتاج أفلام ضد المسلمين منها " قرآن رابسو" بالرسوم المتحركه وأنتجنا مسلسل الحرملك لزوجات الرسول.. ثم توقفنا عن ذلك عندما وصلت الرساله واتجهنا الى العمل الحقوقى واحترمنا معتقدات الأخر بعد أن أوصلنا إليه الرساله الموجعه. وقد تم عرض الفليم.

مخرج ومنتج وكاتب سيناريو "الفيلم المسيء للرسول" هو الإسرائيلي الحاصل على

الجنسية الأمريكية، سام باسيل، الذي لم تعثر "العربية.نت" على صورة له في أي موقع إعلامي بحثت فيه، لكنه شخص حقيقي عمره ٥٢ سنة ويقيم في كاليفورنيا، وتكاليف الفليم بلغت ٥ ملايين دولار "تم جمعها من ١٠٠ متبرع يهودي في أميركا" بحسب قوله، مع أنه طويل مدته ساعتين، ولا علاقة لباسيل بعائلة باسيل المعروفة في لبنان، فهو يهودي اسرائيلي وهم لبنانيون مسيحيون، وتم دبلجة الفيلم إلى اللهجة المصرية العامية، وظهرت منه لقطات فيديو مدته ١٣ دقيقة وتم وضعها في "يوتيوب" الذي لم تقم إدارته للآن بسحبه من موقعها المعتمد سياسة عدم قبول أي فيديو مسبب للعنف أو مؤذ للشعور العام.[١]

وقد كان الهدف من الفيلم فيما يبدو إشعال الطائفية بمصر وخاصة انه دبلج باللهجة المصرية وذلك بالتزامن مع تحريض عملاء إسرائيل والمتعصبين وانطلقة مظاهرات حاشدة ضد السفارة الإمريكية في هجمات متزامنة وقعت في سبتمبر2012 ، في 11 سبتمبر بنغازي والقاهرة على البعثتين الامريكيتين فيهما وفي 13سبتمبر في صنعاء وصادف الهجومان في مصر وليبيا الذكرى الحادية العشر للهجمات الحادي عشر من سبتمبر، وأعقب مضي عدة أشهر على تسلم حكومات الثورة السلطة في البلدين. اندلعت الإشتباكات بسبب بث الفلم المسئ للرسول مُحَمَّد ﷺوالمعروف باسم براءة المسلمين . وإن كان الهجوم على السفارة الأمريكية سلميا في مجمله رغم انزال المهاجمين للعلم الاميركي من ساريته. فإن الهجوم الذي شن على القنصلية الامريكية في ليبيا كان أشد وطأة وأعنف بكثير واستعملت فيه الأسلحة الثقيلة. وقذف مجهولون مبنى القنصلية بالصواريخ ما أدى إلى اشتعال النيران فيها ومقتل السفير الأميريكي في ليبيا كريستوفر ستيفنز وجنديين من مشاة البحرية الأمريكية وموظف أمريكي في السفارة.

وفي صنعاء اقتحم المتظاهرون السفارة الأمريكية وحاولت قوات الأمن منعهم بإطلاق النار في الهواء وهشم المقتحمون نوافذ مكاتب الأمن خارج السفارة وأحرقوا

---

[١] كمال قبيسي، العربية نت، الأربعاء ٢٥ شوال ١٤٣٣هـ ١٢ سبتمبر٢٠١٢م

خمس سيارات على الأقل واسفر الإقتحام عن مقتل شخصينو إصابة ١٥ شخصاً على الأقل بعضهم بطلقات رصاص،و اتسعت التظاهرات لتشمل دول أخرى في المنطقة منها الأردن ولبنان والعراق وتونس والسودان والجزائر بالإضافة الى الهند.[(١)]

وموريس صادق نموذج للتطرف أخبرنا القرآن الكريم عن امثاله فهناك من النصارى ما هو أهلاً للمودة والوفاء والصدق، وسجل ذك في سورة المائدة حيث يقول: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ»[(٢)]

فأذا كان هناك نصاري قد لمس منهم المسلمين المحبة والصدق في العهود القديمة مثل ملك الحبشة النجاشي ومقوقس مصر، وأيضا كل المعتدلين في العالم المسيحي والذين يحترمون أدامية الإنسان وحق البشر في الحياة الكريمة، منهم المصريين المسيحيين الصادقون الذين شاركوا الوطن في كل آلامه وأفراحه بصدق منذ ثورة ١٩١٩ حتى الشهداء في حرب أكتوبر، والقوى الوطنية التي شاركت في ثورة ٢٥ يناير وغيرهم من الرموز التي سبها ذلك المتعصب، هم كثر فمنهم أحبائنا من دعاة نبذ التطرف، والمطالبون بالحقوق المشروعة للأقباط التي لا خلاف عليها.

وتحالف موريس صادق ومن علي شاكلته من اليهود أمر وارد كما اخبرنا القرآن وتأكيداً لضآلة وزنه وعدم اكتراث المصرين به أو بمن يدعمونه أصدر القضاء المصري في أول حكم من نوعه قضت الدائرة الثانية بمحكمة القضاء الإداري حكما يقضى بإسقاط الجنسية المصرية عن موريس صادق عضو نقابة المحامين ومؤسس الجمعية الوطنية القبطية الأمريكية .[(٣)] وقالت المحكمة إن موريس ارتكب جرائم مثبتة في حق مصر مما يستوجب إسقاط الجنسية عنه، ولم يسلم الأقباط من لسان موريس صادق، حيث وصف من رفعوا

---

(١) جريدة المصري اليوم، ٢٠١٢/٩/١٢، موقع روسيا اليوم، و الموسوعة الحرة، ومصادر أخري

(٢) سورة المائدة:آية ٨٢

(٣) روزليوسف بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٣

شعار الوحدة الوطنية أمثال مكرم عبيد وفخري عبد النور وحنا ويصا بالجهلاء.

ينبغي أن نعلم أن اعتراض أو مهاجمة أقباط المهجر لمصر نتيجة لهذا الحكم لن تكون حائلا للتصدي لمثل هؤلاء الخونة، فليفعلوا ما شاءوا طالما أن النهج العام للدولة ومعظم المصريين يتجه للمحافظة على وحدة النسيج كهدف قومي لايهمنا ما دون ذلك، والعديد من أقباط المهجر لم يذهبوا إلي أمريكا من أجل الدفاع عن المسيحية بل من أجل المال والثروة وبالتالي لا يحق لهم الحديث عن المسيحية في معقل التحلل منها، المسيحية الرائدة والملتزمة توجد في الشرق هكذا يقول المسيحيون ونحن نصدقهم أما هو يفعل عكس ذلك، هذا الحقير عميل ولا يمثل المسيحية ولا يهتم بها بدليل واحد فقط ألا وهو التعاون مع إسرائيل فهو يتعامل من اتهموا العذراء مريم بالزنا وعلى حسب ما يعتقد المسيحيون أنفسهم يرتمي في أحضان من صلبوا المسيح.

الفصل الرابع

مخططات طائفية لتفتيت مصر والدول العربية

تعد الحروب الأهلية من أخطر ما يواجه الشعوب في العالم بأثره، نظرا لارتفاع تكاليفها البشرية والاقتصادية والاجتماعية فمنذ عام ١٩٤٥م، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أدت الحروب الأهلية إلى وفاة وقتل أكثر من ٢٥ مليون نفس بشرية علاوة على أضعاف هذا الرقم من الإصابات الخطرة التي تحول المحارب إلى معاق وتنتشر الحروب الأهلية في أرجاء العالم حتى طالت العالم العربي في فترات زمنية متعاقبة وفيما يبدو جليا للعيان أن هناك قوى شريرة تحاول جر مصر لهذا المستنقع منذ أمد بعيد، تعود أسباب الحروب الأهلية التعددية إلى الأثنية فبين عامي ١٩٦١ – ١٩٩٩ استهدفت الحروب الأهلية ١٦١ دولة على مستوى العالم. [١]

وانتشرت ظاهرة النزاعات الإثنية كظاهرة كونية بصورة مكثفة عقب تفكك دول الكتلة الشرقية في مطلع التسعينات وفيما يخص الدول العربية تحولت قضية الصراعات الإثنية إلى حالة مرضية مزمنة اتخذت أشكالا من العنف المتنوع سواء على الصعيد القتالي أو السياسي وكان الاحتقان الطائفي بمثابة الرماد تحت الهشيم نتيجة للتهميش أو رواسب الماضي والمورثات الثقافية الخاطئة ووقوع الجماهير تحت تأثير الصراعات الأيديولوجية، ويأتي هذا العرض لتذكير المصريين وكل الشعوب المعرضة لصراع أثنى أو طائفي أو عرقي بمدى خطورة الأمر وهو ما يتطلب من الجميع الوقوف صفا واحدا ضد اشتعال نيران الفتنة الطائفية.

---

[١] دراسة عن البنك الدولي

جاء سقوط نظام مبارك مع بوادر الفتة الطائفية التي تعد المدخل الوحيد نحو التدخل الخارجيفي مصر، هناك العديد من القوى الغربية تؤسس لذلك الأمر، والأحداث المتكررة التي توالت منذ بداية يناير تهدف إلى إشعال هذه الفتنة، بتكاتف كل القوى الشريرة من الداخل أو الخارج، وذلك نتيجة فهماً خاطئ وعداء سافر للعالمين العربي الإسلامي، فالتحرشات الظالمة ضد الهوية العربية لا تتوقف، من الذي يقبض ثمن هذه الفاتورة؟ هل هم فلول النظام السابق ورجاله؟ أم هي قوي خارجية تسعي لتقسيم مصر علي غرار السودان ومازلنا نذكر تصريحات – عاموس يادلين – رئيس المخابرات الإسرائيلية في حفل توديع منصبه والذي قال فيه إن إسرائيل تصرف ملايين الدولارات لإثارة التوترات الطائفية بين الأقباط والمسلمين في مصر وإنها نجحت في ذلك . هل تعي التيارات المتعصبة من الطرفين خطورة مثل هذه التصريحات أم أنها تريد أن تجعل من مصر ساحة قتال وحرب؟

من هذا المنطلق أقر دانيال فيتكس، أستاذ الآداب بجامعة ولاية فلوريدا الأميركية، أن نظرة الغرب الحديثة للإسلام ولدت في فترة كانت علاقة أوروبا بالإسلام فيها علاقة خوف وقلق، مما دفع الأوروبيين لتعريف الإسلام تعريفًا ضيقا كدين مصطبغ بالجهاد العنيف في الحياة الدنيا والملذات الحسية الموعودة في الآخرة، أي "العنف والشهوة"، عمد الأوروبيون إلى تشويه صورة منافسيهم المسلمين، كأسلوب لتقوية صورتهم الذاتية، وبناء ثقتهم في مواجهة عدو أكثر منهم قوة وتحضرًا، وانتقلت هذه الصورة غير الصحيحة إلى بعض أهم قادة الإصلاح الفكري والديني في أوروبا، وعلى رأسهم زعيم حركة الإصلاح البروتستانتي مارتن لوثر الذي نظر إلى الإسلام على أنه "حركة عنيفة تخدم أعداء المسيح، مغلقة أمام المنطق، ويمكن فقط مقاومتها بالسيف".

وتعتنق المؤسسات الأكاديمية الأمريكية – فيما يتعلق بأسلوب دراستها للإسلام عددًا من الأفكار العامة المغايرة للواقع، حسب مصالحها، فأصبح من الضروري أن يُقال عن الإسلام في الجامعات الأمريكية ما لا يقبل قوله عن اليهودية.

تتجلى صور النفاق الدولي في الموقف الغربي وخاصة في ظل ما أعلن عن نية تلك

البلاد في تقسيم مصر عبر الخطة المرسومة وتاريخ الدول الغربية في الصبر على الخطط الاستعمارية يشي بحقيقة سوء النية ، فعندما فشل نابليون بونابرت في فتح عكا عندما حاصرها من ٣١ مارس حتى ٢ مايو ١٧٩٩ نظرا لاستبسال أحمد باشا الجزار وجنوده في الدفاع عنها نتيجة قيام السفاح بونابرت قبل ذلك بذبح ١٤٤٢ من حامية يافا التي استسلمت ،وهو جعل جنود الجزار يستبسلون في الدفاع عنها خوفاً من نفس المصير، لقد كان لفشل الحملة الفرنسية في الشام و مصر منذ ٩ / ٢ / ١٧٨٩ حتى ١٨٨١ أثر على الفكر الغربي فكان أهم ما أطلقه نابليون هو ضرورة فصل المشرق العربي عن المغرب العربي هو بداية الأفكار التي تؤسس لمبدأ التقسيم،وذلك بوجود كيان جديد في فلسطين ، ثم جاء وعد بلفور ١٩١٧ وتم إعلان قيام إسرائيل ١٩٤٨، وتحقق الهدف، فهم يصبرون علي نواياهم العدونية ولو لعدة أجيال وهذا كان سلوك انجلترا في احتلال مصر فبعد فشل حملة القائد الإنجليزي فريزر على رشيد عام ، ١٨٠ نجد أن بريطانيا صبرت وخططت وتأمرت بكل الطرق حتى تحقق الهدف عام ١٨٨٢ تحت دعم ومساعدة غربية لتحقيق الهدف .

وقد جاءت اتفاقية سايكس –بيكو ١٩١٦ لتأكد ذلك وتقسم ما تبقي من المشرق العربي عقب الحرب العالمية الاولي بين انجلترا وفرنسا ،وتم صياغة هذا التقسيم بصورة تضمن عدم الاستقرار وجاء وعد بلفور ١٩١٧ لليهود وهو ما كرس لتقسم الوحدة الجغرافية للعالم العربي،وحدد هدف سياسة الولايات المتحدة تجاه العرب منذ عام ١٩٤٥ عاملان هامان، هما:مصالح أمريكا في الحصول على البترول العربي وحماية أمن إسرائيل واحتواء بعض الأنظمة العربية من جهة؛ والاستشراق الأمريكي من جهة أخرى، الذي أساء تقدير قدرات شعوب المنطقة، وبالغ في تقدير قدرة أمريكا على تحويل الأوضاع السلبية إلى أوضاع أفضل، هذه الخلفية الثقافية والحضارية لصورة الإسلام لدى اليمين في الولايات المتحدة ليست السبب الوحيد لما يشوب علاقة أميركا بالعالم الإسلامي في الفترة الحالية من توتر، فهناك عوامل أخرى عديدة تساهم في ذلك من بينها التصرفات المشينة التي تقوم بها بعض الأطراف المسلمة أو الأمريكية ضد الطرف الآخر،

وتراث الأفكار النمطية السلبية التي يمتلكها كل طرف عن الآخر، ودور المصالح المادية في إشعال الخلاف بين الطرفين.

وزاد من السخط تجاه الإسلام إساءة بعض المسئولين الأمريكيين إلى الإسلام، مثل توم كونتريدو، عضو الكونغرس من ولاية كولورادو، الذي دعا إلى قصف الكعبة المشرّفة وتدمير مدينة مكّة، لوقف ما زعم أنه "عُنف الإسلام"، ووصف أعضاء آخرين لمنظمات إسلامية أمريكية عريقة، مثل الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية بأنها منظمات تضُم جِهاديين يسعَون لاستخدام العنف ضد الولايات المتحدة. كما طرح كونتريدو أفكار عنصرية تُطالب بترحيل المسلمين من أمريكا، لقد وقوع الرئيس بوش نفسه في جُرم الإساءة إلى الإسلام بالحديث عمّا وصفه بخطر الفاشية الإسلامية! فغادر السلطة عام ٢٠٠٨ غير مأسوفا عليه، وكانت النتيجة المنطقية لكل هذه الدعاية، زيادة المشاعر السلبية عن الإسلام والمسلمين، والتي أدّت إلى زيادة في حالات انتهاكات الحقوق المدنية للمسلمين الأمريكيين، إلى جانب ازدياد الجرائم الموجهة للجاليات العربية الإسلامية فى الغرب، كما حوّل الغرب نظرية الصراع الدولي عقب انهيار الاتحاد السوفييتي من صراع بين أمريكا وروسيا إلى صراع بين الغرب والإسلام، حتى إن أحد مسئولي حلف الناتو قال إن الإسلام أصبح هو العدو الجديد بعد الشيوعية! [١]

وأطلق اليهودي برنارد لويس فكرة مشروع قديم جديد حث فيه اليمن المتطرف على النيل من وحدة العالم الإسلامي ، ومصر من تلك الدولة المرشحة بقوة لمخططات التقسيم، فبرنارد لويس هو صاحب أخطر مشروع في هذا القرن لتفتيت العالم العربي والإسلامي من باكستان إلي المغرب ونشر ذلك بمجلة وزارة الدفاع الأمريكيةمع الدعوة إلى تسريع مشروع التقسيم الذي أعده عام ١٩٨٠، قد وافق الكونجرس الأمريكي بالإجماع علي المشروع في جلسة سرية عقدت في عام ١٩٨٣ وبذلك تم تقنين هذا المشروع واعتماده وإدراجه في ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيجية لسنوات

---

[١] أحمد عز الدين، عصر انحطاط الإمبريالية، العودة إلى منطق موازين القوة العسكرية، القاهرة، مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص٢١

مقبلةوتتلخص تفاصيل المشروع بالعمل علي تفتيت العالم الإسلامي.

وفى ذات الإطار انتقد لويس محاولات الحل السلمي والانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان واصفا هذا الانسحاب بأنه عمل متسرع ولا مبرر له فإسرائيل تمثل الخطوط الأمامية للحضارة الغربية وهي تقف أمام الحقد الإسلامي الزائف نحو الغرب الأوربي والأمريكي ولذلك فان علي الأمم الغربية أن تقف في وجه هذا الخطر البربري دون تلكؤ أو قصور ولا داعي لاعتبارات الرأي العام العالمي وعندما دعت أمريكا عام ٢٠٠٧ إلي مؤتمر " انابوليس " للسلام كتب لويس في صحيفة – وول ستريت – يقول:يجب ألا ننظر إلي هذا المؤتمر ونتائجه إلا باعتباره مجرد تكتيك موقوت غايته تعزيز التحالف ضد الخطر الإيراني وتسهيل تفكيك الدول العربية والإسلامية ودفع الأتراك والأكراد والعرب والفلسطينيين والإيرانيين ليقاتل بعضهم بعضا كما فعلت أمريكا مع الهنود الحمر من قبل.

فيما يخص مصر تقوم الخطة المزعومة على فكرة تقسيم مصر إلى ٤ دويلات الأولى في سيناء وشرق الدلتا تكون تحت النفوذ اليهودي ليتحقق حلم اليهود من النيل إلى الفرات والثانية دويلة مسيحية لدولة نصرانية تكون عاصمتها الإسكندرية وتمتد من جنوب بني سويف حتى جنوب أسيوط وتتسع غربًا لتضم الفيوم وتمتد في خط صحراوي عبر وادي النطرون ليربط هذه المنطقة بالإسكندرية وقد اتسعت لتضم أيضًا جزءًا من المنطقة الساحلية الممتدة حتى مرسى مطروح والثالثة دويلة نوبية تضم أجزاء من جنوب مصر الحالية وتتجه جنوبا لتضم الأراضي الشمالية من السودان وتكون عاصمتها أسوان وتربط الجزء الجنوبي الممتد من صعيد مصر حتى شمال السودان باسم بلاد النوبة بمنطقة الصحراء الكبرى وتلتحم مع دولة البربر التي سوف تمتد من جنوب المغرب حتى البحر الأحمر أما الدويلة الرابعة وهى مصر الإسلامية وتكون عاصمتها القاهرة وهى الجزء المتبقي من مصر في الدلتا.

أولا : التمهيد الاقتصادي للتقسيم مصر والدول العربية : تسعى الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية على الصعيد الاقتصادي إلى تقسيم العالم إلى مناطق

اقتصادية نوعية كل منها على حدة لخدمة أغراض الشركات الأمريكية فى كل أنحاء العالم كما سعت من خلال مجموعة السبعة الكبار (ثمانية حاليا) وهى الدول الصناعية الكبرى وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية إلى إنشاء منظومة لحكم العالم بشكل غير مباشر.

أعتمد هذا المنهج على النخب السياسية وقادة الرأي العام في العالم النامي وأعطى لهم حق المشاركة ولكن بشرط الدفاع عن الليبرالية بالمفهوم الأمريكي وظلت من أكثر مائة دولة بالعالم الثالث تفتح أسواقها أمام شركات متعددة الجنسيات والابتعاد عن السياسات المساندة للاقتصاد الوطني في تلك الدول تحت شعار حرية التجارة.[١]

لقد أدى هذا النهج في الدول الغربية إلى غياب الصناعات الرأسمالية والإنتاجية عن الاستيطان في الدول النامية وحدث في مصر على سبيل المثال أن المشاريع القومية الكبرى قد توقفت ومنها توطين ٣ مليون مصري بسيناء على امتداد ترعة السلام وتوقف مشروع توشكي ومشروع شباب الخريجين الزراعي على طريق مصر أسكندرية الصحراوي وإيقاف مشروع أحمد زويل العلمي الذي كان يهدف إلى ربط البحث العلمي بالتعليم واحتياجات الصناعة بصورة مباشرة علاوة على تصفية المشاريع الرأسمالية وتوقف الهيئة العربية للتصنيع العسكري عن تحقيق الهدف بل تعثر المشروعات الصناعية الكبرى مثل الصناعات الكيماوية والحديد والصلب والسيارات والبرامج النووية في مقابل منو مؤسسات إنتاج للسلع الاستهلاكية،لتحقيق هذا الهدف ساندت الولايات المتحدة والدول الغربية النخب والأنظمة الديكتاتورية فى العالم من أمثال سوهارتو، بنيوشيه، موبونو،القذافى، مبارك، على عبد الله صالح وغيرهم من القادة العرب.

* **استنزاف مصر العرب:** لقد تم إنشاء عدة شركات تعمل على استنزاف الدول النامية في مشاريع منتقاة من خلال عرض دراسات جدوى وهمية لإقناع الدول النفطية والنامية بإنجاز مشروعات عملاقة في المجالات الاستهلاكية لاستيراد عوائد النفط

---

[١] جون بركنز، الاغتيال الاقتصادي للأمم ، دار الطبانى للنشر، ٢٠١٠

وباعتراف جون بركنز القرصان الأمريكي الذي جند لتحقيق هذا الهدف في أحدى الشركات التي تعمل تحت أمرة المخابرات المركزية الأمريكية وهى شركة "مين " حيث أفاد القرصان الاقتصادي التائب والعائد إلي وحى الضمير الإنساني في اعترافات مثيرة أن تلك الاختبارات التي تؤهل الخبراء الاقتصاديين للعمل داخل الدول النامية ثم عن طريق وكالة المخابرات المركزية ويتم تجنيد العملاء وفقا لمنهج مخطط.

* **الإغراق في القروض:** لقد كان الهدف من المشروعات داخل البلدان العربية من أجل خلق أرباح طائلة لشركات المقاولات ولإضفاء السعادة على حفنة من العائلات الغنية ذات النفوذ في تلك البلدان والمتلقية للقروض وبالتالي الولاء السياسي من هذه الحكومات في جميع أنحاء العالم وكلما زادت قيمة القرض كان ذلك أفضل والحقيقة التي تؤخذ في الحسبان أن عبء خدمة القرض سيحرم الفقراء في تلك البلدان من الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية لعقود عديدة. [١]

* **استعادة أرباح النفط:** بعد حرب ١٩٧٣ وزيادة سعر النفط من ١,٣٩ دولار في يناير ١٩٧٠ وصل فى يناير عام ١٩٧٤ إلى ٨,٣٢ دولار بالنسبة للملكة العربية السعودية على سبيل المثال كانت الزيادة التي حصلت عليها نعمة أشبه بالنقمة وبدأت واشنطن مباشرة في التفاوض مع السعودية لمقايضة المساعدة التقنية والمعدات والتدريبات العسكرية مقابل دولارات النفط.

* **تمويل الشركات الجنبية من أموال العرب:** أسفرت المفاوضات عن إنشاء وكالة التنمية الأكثر غرابة في التاريخ وهى اللجنة الأمريكية السعودية للتعاون الاقتصادي , ابتدعت اللجنة مفهوما جديدا في برامج المساعدة الأجنبية يعتمد على الأموال السعودية لتمويل الشركات الأمريكية في بناء المملكة العربية السعودية.

---

[١] جون بركنز، مرجع سابق

* **حماية الأموال العربية المسروقة من الشعوب:** تحولت واشنطن والدول الغربية إلى ملاذ أمان للأموال المسروقة من الشعوب العربية وكفلت هذه الدول الحماية القانونية الشكلية للأموال المهربة حتى أن الأموال التي هربها العقيد القذافى وحده في الولايات المتحدة الأمريكية والغرب بلغت فى عام ٢٠١١م حسب التقديرات المنقولة صحفيا عن الإدارة الأمريكية ١٣١ مليار دولار، هذا بخلاف باقي الدول , لقد أعلن نقلاً عن منظمة الشفافية أن الأموال التي كانت تهرب سنويا من مصر ما بين عامي ٢٠٠٠ إلى ٢٠١١ قدرت ٨ مليارات دولار سنويا إلى بنوك الدول الغربية , ففي نفس الوقت الذي تبحث فيه الدول العربية عن النقد الأجنبي تقوم النخب الحاكمة والرأسمالية المحتكرة بتهريب مقدرات الأمم إلي الخارج.

* **إفقار العرب:** بلغت الديون الخارجية للدول العربية بعد رصد ميزانيات عام ٢٠٠٩ مبلغ ٦٦٣,٣ مليار دولار تصدرت الدول النفطية مقدمة الدول المدينة وحجم هذه الديون ضعف ديون الهند ٢,٩ مرة والبرازيل ٢,٦ والدول منخفضة الدخل ٣,٩ مرة حيث بلغت مديونية الإمارات العربية وحدها ١٢٨,٦ مليار والسعودية ٨٦,٥ مليار وقطر ٨٠,٨ مليار ولبنان ٦٠,٣ مليار ومصر ٣١,٦ مليار والكويت ٢١,١ مليار والمغرب ٢١,١ مليار وعمان ٨,٧ مليار والجزائر ٧,٢ مليار واليمن ٦,١ مليار وليبيا ٥,٤ مليار وسوريا ٥,٥ مليار والأردن ٥,٤ مليار وموريتانيا ٣,١ مليار وجيبوتي ,٧ مليار هذا بالطبع بخلاف ديون العراق التي تقع بين رقمى ١٢٠ إلى ١٤٠ مليار دولار .[١]

يصدم المتابع للأحداث أن الديون الهائلة للدول العربية تلبى الهدف الأساسي لمخطط لويس الذي وضع عام ١٩٨٠ والذي يهدف إلى تقسيم الدول العربية والإسلامية , الإفقار سوف يدفع الشعوب للثورة على الحكام وفى ظل حالات الفوضى يسعى اليمين الغربي إلى تمرير المخططات المعدة سلفا لمنع نمو هذه المنطقة من العالم مرة

---

[١] تقرير مناخ الاستثمار في البلدان العربية ٢٠٠٩

أخري، بل أن العجيب في أن دولة مثل قطر سكانها ٩٠٠ ألف نسمة منهم فقط ٢٠٠ ألف سكان أصليين والباقي عمالة وافدة!! أين أنفقت مديونيتها البالغة ٨٠,٨ مليار دولار في حين يقدر حجم عائدات صادرات النفط فيها سنويا بمبلغ ٣٠ مليار دولار!

* **استغلال الودائع العربية:** استطاعت الدول الغربية استيعاب ١,٤ تريليون دولارمن فائض الدول العربية حتى عام ٢٠٠٤ م [(١)] وهو مبلغ لو تم استثماره داخل البلدان العربية في مشاريع تنموية حقيقية لاستطاع العالم العربي أن يكون القوة الاقتصادية الأولى، مخططات الإفقار تمهيدا للتقسيم نجحت في امتصاص التراكم الرأسمالي العربي لإنقاذ الاقتصاد الغربي بهدف تمكينه من ضرب استقرار وحدة العالم العربي ،لقد ساهمت الودائع العربية في إنقاذ العالم الغربي من السقوط والضياع وسوف يستغل الغرب تلك الأموال فى تدمير هذه البقعة من العالم ، ولكن هذه المرة سكون التدمير على نفقة العالم العربي وسف يدخل هذا العالم موسوعة جنيز للأرقام القياسية بوصف أول شعب يدفع فاتورة فنائه ويمول مخططات تدميره ، فمن الملاحظ أن الدول التي تعاني المديونية هي نفسها التي تقع تحت مرمى التقسيم.

سوف يماطل الغرب ولن يسمح بعودة هذه الأموال للاستثمار في بلدانها الأصلية، لقد كان في الماضي يدفع دماء الملايين من شبابه للسطو على مقدرات هذه الأمة خلال موجة استعمارية بدئت في أوائل القرن السادس عشر وانتهت بعد النصف الأول للقرن العشرين تقريباً، منح الغرب خيرات الشرق طواعية، بل أن انخفاض سعر الدولار نتيجة لأي هزات اقتصادية سوف يعصف بمعظم هذه الأموال، فقد إشارات بعد التقارير أن الأزمة العالمية في سبتمبر ٢٠٠٨ أضاعت ٢٥ % من قيمة الودائع العربية، قد يكون من المهم أن تقوم هذه الدول بعمل مقاصة لديونها مرة واحدة من خلال الودائع لدى الغرب وتحويل تلك الديون إلى ديون داخلية داخل الوطن العربي في محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

[(١)] ا.د عبد الحميد أبو سليمان / ا.د رفعت العوضى الدليل الاقتصادي للعالم الإسلامي دار السلام للنشر ٢٠٠٩

بتأمل اعترافات بركنز نجد أن مخطط الإفقار الاقتصادي للدول من خلال الحكام والنخب الحاكمة وذلك يتطابق مع ما حدث في مصر والبلاد العربية محل الاضطرابات الحالية وخير شاهد على ذلك انتشار ملايين الوحدات السكنية الفاخرة والشاليهات بالساحل الشمالي ومشاريع بيفرلى هيلز و وشركات طلعت مصطفى للاستثمار العقاري الفاخر ومنتجعات شرم الشيخ لقد تحولت البنية الأساسية الممولة عن طريق القروض إلى خدمة تلك المشاريع الترفيهية على حساب المشروعات التي تخدم الصفوةولاتحقق القيمة المضافة الحقيقية وأيضا المشروعات المتنوعة داخل البلاد العربية التي تعتمد على إنتاج الخدمات التي تخدم رفاهية الطبقة الرأسمالية

وعلى هذا النهج استمر استنزاف الأموال العربية لإفقار دول المنطقة تحت حجج متنوعة بالطبع، كان ذلك العمل يتم وفق منهج مخطط يهدف إلى امتصاص فائض الثروة للحيلولة دون حدوث النهضة في الدول العربية والإسلامية على وجه الخصوص حتى يتم الإفقار ثم الانفجار، وبالتالي إنجاح مخططات التقسيم التي لا يمكن أن تتحقق إلا في ظل الفقر والبطالة وتدني المستوى التعليمي.

لقد نجحت الدول الغربية في اللعب على الجانب الشيطاني لدى الحكام وساعدتهم على سرقة الشعوب في ذات الوقت الذي كانت تمارس فيه التأليب عليهم كي تتحقق موجات من التصادم تؤدى إلى حالات الانهيار التام، كان العمل المخطط داخل تلك الدول؛ هو تعزيز درجات التناقض والتناحر حتى تظهر الفوضى الخلاقة من وجهة نظر الغرب، والتي سوف تحقق مخططات التقسيم سالفة الذكر.

تفشل مخططات التقسيم في ظل الأوضاع الاقتصادية المستقرة وهذا ما دفع الدول الكبرى إلى العمل على قدم وثاق لإفقار الدول محل الخطة كخطوة أولية، لكن هناك أسلوب أخر تتبعه الدول الغربية عند فشل مخططات الهيمنة الاقتصادية ألا وهو الاغتيالات وإذا فشلت الوسيلتان السابقتان يأتي التدخل العسكري، وهو ما حدث مع العراق عام ٢٠٠٣ م وتم فرض قواعد التقسيم إلى دولة شيعية في الجنوب سوف تمتد لضم دول الخليج على الخليج العربي وشرق السعودية ودولة سنية في الوسط والأكراد في

الشمال يخططون أن تضم الأكراد في سوريا وتركيا وإيران ومع فبراير عام ٢٠١١ نجح فصل جنوب السودان، فالمخططات الاستعمارية تمرعلى مهل.

* **نهب مصر:** وفي مصر كان سوء الوضع الاقتصادي عقب انهيار نظام مبارك أسس لمناخ الفوضى المالية وفقا لما هو مخطط مسبقا , لم يعد أمام العاطلين قضايا جوهرية يعشون من أجلها وتحول الانكفاء على الذات إلى يأس دفع البعض نحو الأخذ بمظاهر التدين وأعتقد أن قضية إسلام فرد هي نهاية المطاف لقد تحول الأمر إلى تعصب لا يخدم الدين وساهم التردي الاقتصادي في نمو تلك المفاهيم، تعد سياسات التدمير الاقتصادي أهم خطوات تقسيم الدول وتدميرها علي الصعيد الدولي، فقد سبق استخدام نفس الأسلوب مع الاتحاد السوفيتي السابق،عرض مصطفي سامي في الأهرام ٢٠١١/٦/٤ كتاب من تأليف كريستيا فريلاند بعنوان أكبر عملية بيع في القرن العشرين سباق روسيا الشرس من الشيوعية إلي الرأسمالية،وربط بين مصر وروسيا من حيث الآثار الاقتصادية نتيجة الفساد السياسي في تطبيق التحول نحو الرأسمالية .

متابعة التحقيقات مع عدد من رجال الأعمال وكبار المسئولين السابقين, خلال حكم الرئيس حسني مبارك, وصدمة الفساد الهائل المالي والسياسي الذي كشفته هذه التحقيقات بعد ثورة٢٥ يناير يتشابه مع ما حدث في موسكو, خلال تسعينيات القرن الماضي والتغييرات التي حدثت في روسيا وأوروبا الشرقية, لقد تحررت هذه الدول من الشيوعية لكنها سقطت في شراك الرأسمالية العشوائية الجشعة, باعوا في روسيا كل مؤسسات وشركات الدولة الإنتاجية للقطاع الخاص الروسي والأجنبي, ولم يراع رجال الأعمال هناك حرمة ومصلحة الوطن, فتغلبت مصالحهم الشخصية وأرباحهم علي حقوق الوطن والشعب, وتحت عنوان التحرر من الشيوعية والانفتاح علي الغرب, باعوا وتاجروا في كل شيء, وفي عملية الهرولة والجري للإصلاح الاقتصادي وقعت أخطاء فادحة من الإصلاحيين ومن حكومة بوريس يلتسن التي ساندت رجال الأعمال, لكن وزراء مصر ورجال الأعمال في عهد الرئيس السابق حسني مبارك .كما كشفت تحقيقات النيابة تفوقوا علي رفاقهم الروس

في الفساد السياسي والاقتصادي, لأنهم باعوا ثروات الوطن للأصدقاء والأعداء، المصريون والروس برغم المسافات الطويلة التي تفصل موسكو عن القاهرة, وأكدوا من جديد أن المال الحرام لا يعرف حدودا أو مسافات أو أخلاقا.

أن بعض أشرار مزرعة سجن طرة تفوقوا علي عصابات المافيا في موسكو, فالروس باعوا ثرواتهم وضمائرهم, بينما لم يكتف المصريون ببيع ثروات الوطن, لكنهم باعوا الوطن، السمات المشتركة أيضا بين السياسيين في روسيا وحكام مصر, كانت واضحة في فساد الذمم وسوء الإدارة والحكم البوليسي لقهر الشعبين في البلدين بأحط الوسائل, في النهاية الحكم الديكتاتوري وغياب الديمقراطية لا يمكن أن يحققا تنمية صناعية أو نهضة ثقافية أو الحد الأدنى من مطالب الشعوب, وقد كان الفساد المالي والسياسي السبب الرئيسي لقيام الثورات في روسيا وشرق أوروبا ومصر.

كانت نفس الأحداث متشابهة مع ما يحدث في مصر قبل ٢٥ يناير وكان الخطأ المشترك بين مصر وروسيا هو الاعتماد علي تشجيع واشنطن وروشتات صندوق النقد في عمليات التغيير والتحول إلي النظام الرأسمالي, ووضع اقتصاد البلاد في أيدي مجموعة من الشباب المغامرين الذين يصفون أنفسهم بالإصلاحيين, لقد تصوروا أن طريقة العلاج بالصدمة هي الأفضل للنهوض باقتصاد البلاد المتهالك, وكانت هذه الصدمة تتلخص في برنامج طموح للخصخصة لم تشهد دول العالم مثله, لم يخش الإصلاحيين من أن برنامجهم المتطرف يمكن أن يؤدي الي المجاعة أو إلي حرب أهلية.

يتضح أن مما حدث لروسيا كان يهدف إلي تفتينها هي الأخرى فلم تكتفي الدول الغربية بتفتيت الاتحاد السوفيتي، نفس ما يحدث مع مصر لتنفيذ مخططات التقسيم، لقد أنتجت نصائح الغرب ومؤسساته المالية نفس النتائج السابقة في روسيا، ومقولة أن القطاع الخاص هو قاطرة التنمية أكبر كذبة اقتصادية شاهدتها البلاد، كانت الأرقام المتصاعد في حجم الموازنة العامة غير حقيقة، فلو تم حساب نسب التضخم وانخفاض القوى الشرائية للجنيه، سوف نجد أن نصيب الفرد في تراجع.

لقد تم بيع أدوات الإنتاج الحقيقة وتعطل المصانع الكبرى و بيعها للقطاع الخاص لتمم تصفية قلاع صناعية كبرى مثل صناعات النسيج والحديد والصلب والصناعات الكيماوية بل تحول التوجه الاقتصادي نحو السلع الاستهلاكية، وتحت شعار حرية السوق أقيمت الآلاف المصانع دون خطط وهو ما حول رأس المال الوطني إلي قوى عاطلة ، وتركزت الثروة لدى مجتمع النصف في المائة، لقد أحاط بمؤسسة الحكم كل الانتهازيين والمحتكرين والعملاء، لقد كان مخطط إفقار لتحقيق الهدف الرئيسي مصر خطوة مرحلية تم تنفيذ الشق الأول منها، بيد أن الثورة جاءت في الوقت المناسب لتصبح الأوضاع، ولكن كل الخوف من نجاح المخابرات الخارجية من بث الفتنة والفوضى من خلال عملائها

ثانيا : الفراغ الأمني وفوضي السلاح: عقب ثورة ٢٥ يناير التي قامت بسبب الفساد السياسي، حدث فراغ أمني كبير تزامن مع حرق ٩٩ قسماً للشرطة وفتح ٤ سجون وهروب أكثر من ٢٣ ألف سجين [(١)] مع انسحاب الشرطة من معظم الأقسام هذا الوضع الخطير أعقبه العديد من الإخفاقات الأمنية انتشر معها العديد من جرائم القتل والاغتصاب والسرقة داخل البلاد، كان من المفترض حدوث انهيار كامل يعقبه فتنة طائفية تؤسس لمذابح جماعية يتم التدخل الدولي على أثرها، ومن حسن الطالع فطن أغلب الشعب المصري للمؤامرة فعلى الرغم من وجود المتعصبين كان التسامح هو سيد الموقف، لقد كان الارتباك الدولي والغربي في متابعة الأحداث متأرجح بين تأييد الشعب تارة ومهادنة النظام تارة أخرى.

كان استباق الأحداث قبل تخلى الرئيس مبارك عن السلطة تحت الضغط الشعبي بإعلان سويسرا عن تجميد أرصدة محتملة للرئيس حسنى مبارك قبل تركه السلطة، يهدف إلي الإيحاء بوجود فساد داخل النظام للتشجيع على الاستمرار في المظاهرات وليس بهدف صالح مصر، حتى يتحقق الفراغ التام داخل الدولة وتحدث المصادمات ويتم

---

(١) جريدة الأهرام الجديد، 9 يونيو, ٢٠١٣ ، شهادة اللواء محمود وجدي وزير الداخلية السابق خلال شهادته أمام محكمة جنح مستأنف الإسماعيلية

الحشد للفتنة الطائفية كباب للتدخل الخارجي، وكان رد فعل الدول الغربية الخمس أمريكا، وبريطانيا، وسويسرا،واستراليا، وفرنسا على نفس الوتيرة.

بل أن التسريبات الإسرائيلية المؤيدة لمبارك بوصفه الكنز الاستراتيجي لإسرائيل ربما كانت تهدف إلي تعزيز الغضب الشعبي ضده من أجل الصدام المباشر علي أساس أن مبارك كدكتاتور لن يتورع في التصدي للشعب في استخدام كل المحرمات ، ومنها توجيه سلاح القوات المساحة للشعب لكي يتحقق السقوط العسكري عقب الانهيار الأمني، وما يعزز هذا الشك ما نقل عن أحد ضباط المخابرات البريطانية فى تسريبات نشرت علي الانترنت تشير إلي أن تفجير كنيسة القديسين كان من صنع الداخلية المصرية بهدف شغل الرأي العام المصري عن قضية التوريث لقد كان توقيت إعلان هذا الخبر في وقت كان الفراغ الأمني يضرب البلاد هو تحقيق هدف إشعال الصراع الطائفي،لأنه لا يوجد مدخل أخر للتدخل في شئون مصر غير ذلك الملف وخاصة في ظل التزام مصر باتفاقيات السلام مع الكيان الصهيوني.

لم تعلن بريطانيا هذا الخبر أن كان حقيقا قبل ٢٥ يناير ولماذا تم الإعلان عنه من فرنسا،المقصود هو إشعال الفتنة لأنه لو كان حقيقة! كان المنطق يتطلب إرجاء الأمر إلى فترة الاستقرار وتزويد الحكومة المصرية بكل التفاصيل , منذ متى تعلن المعلومات الاستخباراتية على الملأ وخاصة في ظل الانفلات الأمني بمصر،يصعب أن نصدق أن الأمر كان يهدف إلى كشف الحقيقة بدليل تأرجح موقف بريطانيا وفرنسا بالصعود والهبوط مع الحركة الثورية فكلما هدأ الأمر بعض الشيء تجد أن التصريحات تغازل الحكومة وعندما تجتمع الملايين الغاضبة يتغير الموقف لصالح تأيد الثوار.

ربما كان الدفع بمعلومات تعطي إيحاء بإنها مخابراتية عبر النت في وقت كانت الأوضاع المصرية فيه خارج السيطرة ينم عن سوء النية وأحد الطرق لزعزعة الاستقرار ، وتزامن مع ذلك ضبط أسلحة مهربة ١٣ / ٣ / ٢٠١١ عبر الحدود السودانية عبارة عن أسلحة هاون ومضادات للدروع قام الجيش المصري بالتصدي لها وضبطها وأعلنت إسرائيل أنها كانت مجهزة لكي تهرب عبر سيناء إلى غزة ولو أن ذلك صحيح فهذا يؤكد

أن الأراضي المصرية مخترقة من قبل المخابرات الإسرائيلية وهذا قد يكون صحيحا لو أن المخابرات الإسرائيلية تعاونت مع مصر في الإبلاغ عن هذه الأسلحة.

ولكن لو جاء هذا الضبط فقط من قبل حرس الحدود المصري فإن الأمر له أكثر من جانب محتمل ربما تكون كانت مهربة إلى داخل البلاد لأحد طرفي التعصب سواء كان مسلما أو مسيحيا ، وقد يكون من الملائم مخابراتيا أن يتم توجيه الاتهام إلى أي طرف عربي بالسعي إلى زعزعة استقرار إسرائيل كنوع من الدعاية الإستباقية للتغطية والتمويه عن الهدف الحقيقي.

أعترف أحمد ماهر قيادي في حركة ٦ أبريل فى حوار خاص "المصري اليوم" بتاريخ ٢٥/٧/٢٠١١ أن بعض أعضاء ٦ أبريل وغيرها من الحركات السياسية تلقوا تدريبات في صربيا، ومعهم عدد من الصحفيين والمدونين، على الضغط السياسي السلمي من خلال أدوات الاتصال الحديثة مثل فيس بوك وتويتر والمنتديات، ومن مصلحة من أن يدفع ويمول ويدرب هذا الكم لتغير نظام الحكم وتفكيك الدولة.

أن الغرب لا ينفق دولاراً واحد بدون هدف سياسي أو اقتصادي أو عسكري، الأمر يعنى أن الأمن المصري تم اختراقه من شبكات مخابرات دولية بعد أن خططت لدعم الفساد وتفعيل وسائل إفقار مصر لفصل الشعب عن القيادة من خلال منظمات تحمل شعارات كاذبة منها توصيات صندوق النقد واتفاقيات منظمة التجارة العالمية والعملاء داخل بعض منظمات المجتمع المنى ، المرابي الغربي كان يعلم مقدما أن الأمور سوف تصل لخلق ثورة حرافيش، وأن النخب المثقفة حال انطلاق الشرارة لن تستطيع السيطرة على هؤلاء، لقد ساهم الكبت السياسي والفساد الحكومي في حرمان البلاد من تحقيق استقرار سياسي واقتصادي وخلف النظام كما من المشاكل المتداخلة التي يصعب حلها.

نشر الكثير على الانترنت من مواضيع حول الاتفاق علي أربع طرق أساسية لإحداث التغيير هي الإقناع بالتغير وهذا الدور قامت به وسائل الأعلام المصرية نفسها تحت شعار حرية الأعلام وكان الغباء في النظام السابق يتصور أن الأمر مجرد تنفيس وورقة

يمكن حملها في وجه المحافل الدولية ليدلل على الديمقراطية دون أن يلقى بالا لعمليات الشحن النفسي ودرجات الإحباط التي تنجم نتيجة تفشي الفساد ، ثم تأتى الخطوة التالية بالضغط البسيط وهذا النوع من الضغط ، ثم الإجبار على تقديم تنازلات، ثم الخطوة الرابعة وهى تفكيك النظام بما يعنى وجود حالة من الفوضى للوصول إلي حالة الصومال، وبالطبع عند سقوط هيبة الأمن تنتهي الدولة ويسهل ركوب الموجة عن طريق بوابة الفتنة الطائفية، بل الأخطر هو دعم التشدد والتعصب الإسلامي والحركات التصادمية وفى مرحلة لاحقة لو نجحت الخطة، سوف تتدخل إسرائيل مدعومة من الغرب بحجة حماية حدودها وتلتهم سيناء .

لا ينكر أحد أن تدريبات تمت لبعض عناصر حركة ٦ أبريل في صربيا بل هم نفسهم اعترفوا بذلك... هناك اختراق مؤكد ، ولكن قد يكون في جزء كبيراً منه غير مباشر وإعلن فى محاولة للحركة لتطهير نفسها تم فصل أحمد ماهر ومُحَّد عادل منها ، ومع هذا يصعب إتهام أحمد ماهر أو غيره من أعضاء حركة ٦ أبريل أعتمادا علي التقارير الصحفية، لأنه هذا يخص أجهزة الأمن القومي وحدها، وطالما لم يصدر بشأن هذه التهم أحكام قضائية يكون من العبث السير في هذا الأتجاه ، ولكن هذا لا ينفي أن تكون الحركة شأن كل الحركات والأحزاب والجماعات الموجودة علي الساحة مخترقة من أجهزة خارجية دون أن تدري، ولكن حتي صدور هذا الكتاب لم تظهر أحكام قضائية تدين أحد.

١ –**الأسلحة المهربة بمصر تمهد للطائفية :** هناك أيادي تعبث بالأمن الداخلي وتلك مجرد نماذج لما تم ضبطه، وما خفي كان أعظم، يدفعنا التاريخ التأمر الطويل عبر العصور الماضية إلي الحيطة والحذر من مخططات تقسيم مصر فهي قد تمر عبر بوابة الفتنة الطائفية أو حقوق الإنسان وهو وهذا الملف الأخير لا يرقى إلى أن يكون سببا مباشرا في التدخل لأن الدول الغربية انتهكت حقوق الإنسان بصورة وحشية في المتعقلات الغربية وتحت رعاية أمريكية في أبو غريب في العراق وغيرها.

تتابع الدعم للثورات العربية عبر الفيس بوك، ومن قبل بعض أجهزة الإعلام يثير

الكثير من الشكوك، وهذه الشكوك ليست ضد شبابنا أوثوار مصر و العرب فهم جيل حمل على عاتقه تكلفة التحرر من الفساد السياسي، ولكن والشك موجه في المقام الأول إلى المخابرات الغربية التي يمكن أن تخترق المواقع الإلكترونية تحت أي اسم وتبث السم في العسل، لقد كان ثمن التدخل المباشر في العراق مرهقا ماديا وبشريا للولايات المتحدة، وأصبحت الدبلوماسية الناعمة هي دفع الشعوب للثورة على حكامها، ومبرر الثورة مقنع لكل ثائر حر فحجم الفساد مذهل، ومن هنا يكون ركوب موجة الغضب للشعوب أفضل الأبواب لدعم الطائفية وتدمير البلدان.

لقد منح نظام مبارك الشرعية لتحرك الشعب المصري الذي تم تزوير إرادته عبر انتخابات ٢٨ نوفمبر ٢٠١٠ لقد تحمل الشعب المصري الألم والفقر والمرض والفساد على أمل أن تأتى الانتخابات بدم جديد عبر صناديق الاقتراع لوقف برنامج التوريث، وسيطرة رأس المال على الحكم، أصابت نتائج الانتخابات وعمليات تزوير المصريين بالإحباط حتى أعضاء الحزب الحاكم أنفسهم، لم يخرجوا لتأييد مبارك وحكومته لأن ما حدث في الانتخابات كان موجه ضد الشعب المصري وهم جزءاً من هذا الشعب اقتصر عدد المستفيدين من الفساد السياسي على معظم أعضاء مجلس الشعب والشورى وبضع مئات من الكوكبة المختارة لدعم التوريث، وما عدا ذلك أصبح أعضاء الحزب الوطني أنفسهم ضمن التميز الطبقي الذي كان يمارس ضدهم من قبل الرأسمالية التي أصبحت تسعى لشراء الألقاب الحزبية في شتى المواقع الحزبية.

لم يتذمر أعضاء الحزب الوطني من الوضع القائم منذ ٢٨ نوفمبر فقط بل كان منذ انتخابات ٢٠٠٥ والدليل على ذلك أن الحزب الوطني كان يقتصر عمليات التصويت على الحاصلين على بطاقات انتخابية , كانت هذه البطاقات الانتخابية فى يد أعضاء الحزب الوطني وكان بعض كبار موظفي الدولة يسوقون الموظفين إلى الانتخابات تحت الترغيب والترهيب لدرجة أن توقيع العاملين في دفاتر الحضور والانصراف كان في بعض الشركات الحكومية مرتبط بالتصويت لمرشحي الحزب، أذهلت نتائج المرحلة الأولى في انتخابات عام ٢٠٠٥ القائمين على الانتخابات على الرغم من أن القوة الضاربة في

التصويت كانت لدى أعضاء الحزب فتم تزوير باقي المرحلتين ونجح تيار الإخوان وبعض السلفيين نكاية في العصبة المحتكرة للسلطة والرأسمالية المتوحشة وتصدى صغار الأعضاء للسياسات الفاسدة دون جدوى.

شعر بذلك القائمين على الأمر فتم الخداع والمراوغة واستقطاب كل الوجوه المؤثرة إلى شراك المجمعات الانتخابية التي ظن البعض أنها عهدا جديدا للديمقراطية في حين أنها كانت تقليم للأظافر لصالح أشخاص داخل المجمعات عن طريق أحمد عز وزكريا عزمي وفتحي سرور والأسرة الحاكمة، كانت اللاطمة قوية ومخزية لكل الأعضاء الشرفاء داخل الحزب وبالتالي لم يخرجوا ليقفوا خلف الرئيس، لقد التفت حول القذافى المجنون بعض القبائل ومعظم الجيش كذلك حدث نفس الشيء في اليمن وفي سوريا، ولو لبرهة من الوقت أما فى مصر لم يقف أحد خلف الحكومة أو مؤسسة الرئاسة لأن ما حدث فى مصر من تغيب للعدالة طال كل المصريين. هذه الفجوة كانت مفاجأة للغرب لقد كان من المنتظر أن تحدث مجازر وأن يتحرك الحرس الجمهوري والجيش في مواجهة مع الشعب ثم يعقب ذلك انقسام في الجيش كما حدث في ليبيا لتتم عملية تصفية شاملة لمقدرات الدولة تعقبها أو تلازمها فتنة طائفية تستطيع بعدها القوى الاستعمارية دخول مصر من بوابة إسرائيل بحجة مواجهة الإسلاميين وحماية أمن إسرائيل وحقوق الأقلية المسيحية.

* **الأسلحة الخفيفة:** أن زيادة حجم الأسلحة المهربة لمصر عبر كل الحدود تقريباً تصب في هذا الاتجاه نشر في الأهرام في ٢٠١١/٦/١٤أنعناصر من قوات حرس الحدود بالتعاون مع المنطقة الغربية العسكرية تمكنت من إحباط محاولة تهريب كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر ومعدات الاتصال عبر الأقمار الصناعية عبر الحدود المصرية الليبية، يأتي ذلك بعد رصد عناصر حرس الحدود محاولة مجموعة من الخارجين عن القانون اختراق الصحراء الغربية باستخدام سيارة نقل ذات الدفع الرباعي قادمين من الأراضي الليبية، وتم القبض على اثنين من المهربين المصريين قادمين من ليبيا وبحوزتهم ١٩ بندقية قناصة و٨ رشاش متوسط و٢ طبنجة وقاذف مضاد للدروع و٢٤٠٠ خزنة بندقية آلية وكمية كبيرة من الذخائر تم ضبطها داخل العربة،كما

تمكنت العناصر الأمنية بالمنطقة الغربية العسكرية من القبض على أحد الإفراد أثناء محاولته تهريب أجهزة اتصال حديثة عبر الأقمار الصناعية قبل دخولها إلى مصر.

كل تلك الحوادث مجرد نماذج من محاولات ضخ السلاح لمصر، في صالح من إشعال الفتنة الطائفية، نشر في مصراوى ٢٠١١/٧/٢٤ أن قوات الشرطة بشمال سيناء وبالتنسيق مع القوات المسلحة، ضبط أن عناصر فلسطينية من كبار تجار السلاح في قطاع غزة قد تسللوا عبر الأنفاق واختبئوا في منزل تاجر سلاح في أحد أحياء مدينة العريش، وتم مداهمة المنزل الذي يمتلكه تاجر سلاح مصري، وتم ضبط ٣ فلسطينيين من تجار السلاح بغزة وهم "خالد إبراهيم الحوم (٣٤ سنة)، احمد رجب محمود السحلوب (٣٦ سنة)، وياسر إبراهيم خليل (٣١ سنة)، جميعهم من خان يونس وتسللوا عبر الأنفاق وتم ضبط كمية كبيرة من الأسلحة ومبالغ مالية من الدولارات والإسترليني والشيكل الإسرائيلي وربع كيلو من مخدر "الهيروين".وكانت بيانات السلاح المضبوط كالآتي: ٦ أسلحة آلية عودي إسرائيلي، وعدد من كبير سلاح "m16" الأمريكي، وأسلحة آلية من أنواع أخرى، وبندقية قناصة بمنظار تلسكوب، ونظارات ميدان ليلية، وصدور واقية وكميات كبيرة من الذخيرة، فغزة المحتلة تعاني من ندرة السلاح وهي بحاجة إليه للمقاومة،وهنا يشير اقتران السلاح بالمخدرات بسوء القصد، تجرى محاولات حثيثة لإغراق مصر بالسلاح من كافة الجوانب وهذا إما لتذكية الفتنة الطائفية أو للمساهمة في نشر الجريمة وكلا الأمرين يؤدى إلي تفتيت البلاد، وهذا الأمر لا يحدث بدون أجهزة تخابر خارجية،الفترات الماضية كانت محاولات التهريب للسلاح تكتشف عبر الحدود مع ليبيا والسودان وإسرائيل، محاولات اختراق الأمن القومي لا تتوقف .

* **القاذفات المتوسطة:** ضبطت الداخلية في العمق المصري داخل مدينة الشيخ زايد خلال يوليو ٢٠١١ من ضبط اثنيين من كبار تجار الأسلحة والذخيرة الثقيلة بأحد الأكمنة المعدة لهما، وعثر بحوزتهما على كمية كبيرة من قذائف "آر بى جى"، عبارة عن ٣٨ قذيفة "آر.بى.جى" و٦ قاذف صاروخى "آر.بى.جى"، اثنتان منها مزودتان بتليسكوب، و٣٣ دافعة خاصة بقذيفة "آر.بى.جى"، و ٤ مجموعة إطلاق

قاذف صاروخي، و٢ طلقة صاروخية، ولم تتوقف محاولات تهريب الأسلحة فهي مستمرة،لقد عثرت قوات الجيش والشرطة في الإسماعيلية المصرية على ٤ صناديق بداخلها ٨ صواريخ "أرض جو" مضادة للطائرات، و٣ قواعد منصات إطلاق و٣ صناديق فارغة يرجح أنه كان بداخلها قذائف "أر. بي. جي،وقد تم العثور على هذه الأسلحة يوم الأحد ٢٥ سبتمبر٢٠١١ خلف مستشفى أبو خليفة الجديد، التي تطل على طريق الإسماعيلية – بورسعيدالدولي على مسافة كيلومترين اثنين من المجرى الملاحي لقناة السويس، وعقب ذلك بيومين عثرت أجهزة الأمن بشمال سيناء الخميس، على ٥٤٥ دانة مدفع مختلفة الأحجام، و٨ صواريخ مضادة للطائرات وقنبلة طائرة تزن ٧٠ كيلو جراماً، فى منطقة جبلية بالقرب من منطقة الحسنة داخل كهف وتم طمس بلد المنشأ المصنع للأسلحة

* **صورايخ عابرة للمدن**: تتوقف عمليات تهريب السلاح منذ الثورة المصرية داخل البلاد، نشرت بوابة الأهرام ٢٠١٢/٥/١٠ أن الأجهزة الأمنية بوزارة الداخلية ضبطت عدد كبير من الأسلحة والقذائف الصاروخية، الخاصة بتسليح الجيوش العسكرية، وكانت الأسلحة والقذائف المهربة هي عبارة عن ٤٠ صاروخ أرض أرض عابر للمدن، طول كل منهم ٢.٦ متر وبقطر ٣٠سم، منهم ٤ صواريخ مركبة وجاهزة للإطلاق، و٣٦ صاروخا مفككا ويحتاج إلي عملية التركيب، كما تم ضبط قاذف صاروخي مضاد للمركبات والأفراد (آربيجي)،و١٧ قذيفة خاصة به، بالإضافة إلي مدفع إطلاق صواريخ محمول، وعدد واحد صاروخ خاصة به، طوله واحد متر وقطره ٢٥ سم، كما تم ضبط مدفع هاون ١٢٠ بالقاعدة الخاصة به وبجميع أجهزته، بالإضافة إلي ٧ قطع من البنادق الآلية مدججة بالخزن الخاصة بها، و(٣٠) طلقة من العيار الطويل،وكذلك (٧٤) صندوق بداخلها ١١ ألفاو٥٦٥ طلقات وذخائر صغيرة مختلفة الأعيرة، منهم ٩ آلافو٥٤٥ طلقة نصف بوصة خارقة حارقة، و٣ آلاف ٢٠ طلقة جرينوف،وأخيرًا ٧ أجهزة عدسات لتحديد الأهداف البعيدة، وذلك لنقلها لسيناء حيث الجماعات المناهضة للجيش المصري.

* **سلاح إلي الكنيسة:** وقالت صحيفة يديعوت أحرونوت أن مصر اعتقلت إسرائيليا خلال محاولته تهريب وسائل قتالية وذخيرة لأحد الكنائس بسيناءمن قبل قوات حرس الحدود المصرية، خلال تواجده على الجانب المصري من معبر طابا، بتهمة محاولة تهريب وسائل قتالية وأسلحة نارية وذخيرة إلى شبه جزيرة سيناء، المتهم يدعى "معاذ زهير" من عرب إسرائيل – عرب ٤٨– من سكان قرية "كفر قرع" بالقدس ويعمل فى شركة سياحية، بعد أن عثر في سيارته على صندوق يحتوى على بندقية من نوع "كلاشنكوف"، بالإضافة إلى مسدسين وكمية كبيرة من الذخيرة، وحسب التحقيقات الأولية فإن المتهم أنكر خلال التحقيق علاقته بالأسلحة، وادعى أن أحد القساوسة من مدينة "بيت لحم" طلب منه نقل هذا الصندوق الذي يحتوى على صلبان إلى أحد الكنائس بسيناء، هذه الأسلحة هي وقود الطائفية أو الجريمة، تلك نماذج بسيطة جدا مما ضبط، وأيضا توجد كميات أكبر لم تضبط بعد ومازالت بحوزة جهات متنوعة.[١]

* **وسطاء دوليين لتهريب السلاح**: ودلالة على أن عمليات تسريب السلاح لمصر يقف ورائها عدة أطراف دولية قررت نيابة أمن الدولة العليا في ١٤ /٢٠١٢/٥ تجديد حبس ٣ بحارة بريطانيين ١٥ يومًا بتهمة تهريب أسلحة وذخائر إلي داخل البلاد عبر الموانى، وهذا يؤكد أن المخطط الدولي مستمر وتلك صور من محاولات جر البلاد إلي الفتنة لتفكيكها تحت العاوي الزائفة والشعارات الباطلة.[٢]

تشير تلك الكميات أن هناك محاولات حثيثة لإشعال حرب طائفية، سواء بين التيارات الليبرالية والإسلاميين أو ضرب بعض المتطرفين الإسلاميين بالجيش كما حدث بالجزائر سابقا، أو طائفية دينية بين المسلمين والمسحيين، أو تشجيع طائفية قبلية سواء في سيناء أو غيرها فعملية تهريب السلام تتم على مستوي دولي وبأسلحة جيوش، أو

---

[١] محمود محيى، بوابة اليوم السابع ، ٢٠١١/١٠/١٤ نقلا عن صحيفة يديعوت أحرونوت

[٢] أشرف عمران ، بوابة الأهرام ٢٠١١/٥/١٤

تنظيمات مسلحة تستعد لخوض حرب عصابات داخل البلاد، وتلك الحقائق علي الأرض تأكد أن هناك تخطيطاً مخابراتيا مدعوم من دول وأجهزة بهدف ضرب العمق المصري وتفتيت البلاد.

ذلك السيناريو كان سوف يعيد لإسرائيل سيناء كاملة حتى تستقر على ضفاف النيل الغربية، ورغم تماسك الشعب المصري أثناء المحنة حتي ٢٠١٣ كان عملا بطوليا على الرغم من انتشار أعمال البلطجة، كما أن يقظة حرس الحدود في التصدي لمهربي السلاح والمخدرات عبر البوابة الليبية أسهم في منع جرائم متوقعة كان يمكن أن تعصف بالاستقرار الوطني أكثر مما هو عليه، كان من المفترض أن تؤسس الفوضى لنمو الأحداث الطائفية حتى تقسم مصر إلي دولة مسيحية في أسيوط ودولة الإسلامية في الدلتا ودولة في سيناء وآخري في النوبة.

٢- **مخططات فصل سيناء:** يستمر ولع إسرائيل بفكرة نهب سيناء والاستيلاء علها، بعض الدراسات كشفت وجود علاقة تربط بين عدد من مليونيرات اليهود في مصر والحركة الصهيونية؛ فقد حاول مارولد باروخ عقد مؤتمر صهيوني بالقاهرة والتنسيق مع بعض اليهود في الإسكندرية ليتقدموا للحكومة البريطانية بطلب الحصول على أراضي في شبه جزيرة سيناء للجماعات اليهودية المهاجرة من شرق أوروبا لتصبح مستعمرة لهم، وكانت بعض عائلات اليهود الرأسمالية في مصر على استعداد لتمويل تلك المستعمرة تمويلاً كاملاً إلا أن الفكرة ماتت مع وفاة زعيم الحركة الصهيونية ثيودور هرتزل عام ١٩٠٤. [(١)] وبعد وعد بلفور عام ١٩١٧ وفي عام ١٩٢٨ قبل قيام إسرائيل رفض النائب عبد الوهاب خطابي عضو مجلس الشيوخ بالقاهرة التوصية المعروضة علي مجلس الشيوخ بفصل سيناء عن مصر وضمها إلي السودان وكان من الطبيعي بعد ذلك عقب فصل السودان أن تنفصل سيناء معها ثم يعلن استقلالها.

---

(١) مصطفى عبيد، التطبيع بالبيزنس، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٩

وبعد احتلال سيناء ألتقي ضابطين من المخابرات المصرية بالمجاهد أحمد عبد الله عطري، والمشهور بسيد الجربوع، والذي طلبا منه أخضار الحاج الهرش والمحامى سعيد لطفي عثمان، وهو أبن عم أحمد عثمان، وقام الموساد بترتيب لعقد مؤتمر بالحسنة ١٩٦٨ بحضور وأشراف موش ديان؛ للإعلان في حضور جميع وكالات الأبناء العالمية عن انفصال سيناء عن مصر، و كانت المفاجأة هي إعلان الهرش شيخ مشايخ سيناء عن رفض الانفصال عن مصر و بأن سيناء ستبقي جزءاً من مصر لا يتجزأ من مصر.

كشفت وثائق إسرائيلية قديمة تحتوي على بروتوكولات هيئة رئاسة أركان الجيش الإسرائيلي، أن القائد العسكري والسياسي البارز موشيه ديان؛ كان يخطط لاحتلال القاهرة ودمشق في سبيل توسيع حدود إسرائيل وسيطرتها على المنطقة، وحسب ما كتبه المؤرخ والباحث الإسرائيلي . الأميركي جاي لارون، فإن ديان وضع هذه الخطة في سنة ١٩٥٥ عندما كان رئيسا لأركان الجيش. وعرضها على رئاسة الأركان في يوم ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) من تلك السنة، ."خطة جارور"، ليتم الإعداد لها بدقة ثم توضع لتنفيذها عندما تنشأ الظروف لذلك، وشرح ديان –بحسب المؤرخ– أمام جنرالات الجيش في تلك الجلسة تفاصيل الخطة ومراحلها التدريجية على النحو التالي: " ضربة أولية لمصر تهدف إلى احتلال قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء حتى قناة السويس وبعد ذلك احتلال القاهرة، واحتلال الضفة الغربية حتى الخليل في المرحلة الأولى ثم الوصول إلى نهر الأردن في المرحلة الثانية، وفي لبنان يتم احتلال الجنوب اللبناني حتى نهر الليطاني وفي سورية احتلال الجولان وصولا إلى دمشق "، وكان المؤرخ الإسرائيلي توم سيغف قد نشر تقريرا عن خطط الجيش الإسرائيلي في زمن ديان، وأثبت أن الحروب الإسرائيلية التي خاضها هذا القائد لم تكن اضطرارية كما يدعون في إسرائيل وأهدافها المعلنة لم تكن صادقة، بل استهدفت توسيع الحدود الإسرائيلية.

إسرائيل لم تكن بحاجة إلى حرب مع مصر، حتى لو كانت معنية يومها بإسقاط حكم الرئيس جمال عبد الناصر، حيث كان بمقدورها إسقاطه بوسائل أخرى غير حربية، ولكن ديان أراد من الحرب تحقيق هدفه الكبير بتوسيع حدود إسرائيل، ولذلك خاض الحرب في

أكتوبر ١٩٥٦ (العدوان الثلاثي مع بريطانيا وفرنسا)، بعد سنة بالضبط من طرحه خطة التوسع نحو القاهرة. وقد استغرقت الحرب يومها ١٠٠ ساعة وقتل فيها ١٧٠ إسرائيليا. ومن المعروف أن رئيس الوزراء الإسرائيلي اليميني الأول مناحم بيجن أعاد ديان إلى الحكم كوزير للخارجية في حكومته في سنة ١٩٧٧، لكنه كان قد غير أفكاره.

فقد أدى دورا كبيرا جدا في التأثير على بيجن حتى ينسحب من سيناء ويوقع اتفاق السلام مع الرئيس المصري أنور السادات. وقد سئل يومها: كيف تنسحب من سيناء وأنت القائل: "إذا عرضوا على سلاما من دون شرم الشيخ أو شرم الشيخ من دون سلام، أختار شرم الشيخ من دون سلام". فأجاب: "غيرت رأيي. والحمار وحده هو الذي لا يغير رأيه، ولكن هذا لن يقنع المتعصبين الجدد ضد العرب وسوف يحاول العديد فيما بعد اختبار نفس الفرضية ووضع أسس جديدة لتحقيق الهدف، لقد كان الإطار العام للسياسات الغربية هو النيل من مصر فبعد اتجاه مصر في عهد الخديوي إسماعيل إلى الجنوب لتأمين منابع النيل عملت الولايات المتحدة الأمريكية بالإيقاع بها في صراع مسلح مع أثيوبيا عام ١٨٧٥ وقام الخبراء الأمريكان الذين كانوا مكلفين بتدريب لجيش المصري بنقل خطط تحركات الجيش المصري إلى الأثيوبيين وهذا أدى إلى مقتل عشرات ألاف جندي مصري وقتها وخسارة مبلغ ٣ مليون جنيه وهو ما أسس لإضعاف مصر ثم احتلالها عام ١٨٨٢ م.

وسوف تستمر المحاولات لإضعاف مصر لتحقيق الهدف، يتضح لنا من هذا أن الإستراتيجية العامة للغرب ثابتة منذ الحروب الصليبية ولكن ما أضافه برنارد لويس هو إعادة تنقيح الإستراتيجية ورسم حدود تلك المؤامرة حتى يتم التنفيذ، والآن تتزامن ظروف التوتر الحالي مع ما حدث من قرابة ١٣٦ سنة بين مصر وأثيوبيا قبل الاحتلال البريطاني لمصر، ولكن اليقظة والديمقراطية الحقيقة هي حائط الصد الأول لإفشال كل ما يحاك ضد البلاد.

من هنا تصبح الوسائل غير العسكرية التي كان يمكن بها إسقاط عبد الناصر من قبل إسرائيل في السابق هي ذات الوسائل التي يتم الدفع بها لتفكيك مصر عبر بوابة

الطائفية وهذا ما تتطلع به إسرائيل أخطأت القيادة السياسية بعدم توطين العدد المعلن عنه في سيناء بعد التحرير وهو ٣ ملايين مصري كما كان مخططاً، هذا التقاعس يصب في هدف التقسيم لأن سيناء الخالية من السكان تسهل مهمة سيطرة إسرائيل عليها، يؤكد سوء النية والقصد حالياً ما تقوم به الولايات المتحدة والتواجد الإسرائيلي فى أفريقيا ودعم أوغندة وأثيوبيا في بناء السدود بهدف خنق مصر فقد أقام النظام السابق ترعة السلام لري ٤٠٠ ألف فدان في سيناء ولم يتم تنفيذ المشروع حتى الآن ربما تشهد الأيام القادمة مقايضة بين حجب المياه عن مصر أو ضخها بشرط أن تصل إلى إسرائيل وهذا لو حدث سوف يرتب لإسرائيل حقا تاريخيا فى النيل.

إن الربط المتأني للأحداث سوف يأخذنا إلى حقيقة هامة تصب في صالح الهدف الأساسي للتقسيم،هل كانت الولايات المتحدة تملك أوراقاً للضغط على مبارك ونظامه ، لقد نشر أنه في عام ١٩٨٦ إن المخابرات الأمريكية كانت تخترق مؤسسة الرئاسة المصرية وخلال أزمة اختطاف السفينة ايكى لورا عن طريق فلسطينيون تم رصد محادثات الرئيس مبارك مع الرئيس الفلسطيني عرفات وذلك أثناء محاولات اقتناعه بأن يقوم الفلسطينيين بتسليم أنفسهما لمصر وهو ما حدث وقامت القوات الأمريكية باختطاف الطائرة المصرية التي تقل المختطفين وهو ما وضع مصر فى موقف حرج كوسيط حاول حل الأزمة من أجل إنقاذ أرواح المدنيين فوق سطح السفينة فقد تعهدت مصر بعدم تسليم الخاطفين للولايات المتحدة من أجل إنقاذ الموقف.

لم تكن الأحداث التى تدور على أرض مصر في أوقات كثيرة بعيدة عن أعين أجهزة المخابرات الغربية والإسرائيلية، لقد نشر في جريدة الفجر أن مورجان سترونج الباحث في تاريخ الشرق الأوسط كشف عن أن الرئيس المصري السابق حسنى مبارك قد بدأ تكوين ثروته في أواخر السبعينيات من خلال تحقيق ملايين الدولارات من العمولات بعد أن ساعد صديقه حسين سالم في تكوين شركة "ايتسكو" لنقل أسلحة المعونة العسكرية الأمريكية لمصر مع اثنان من عناصر المخابرات الأمريكية السابقين.

واستضاف المستشار لشبكة "سى بى أس نيوز" لأمريكية مورجان سترونج، من

خلال لقاء معه فى البرنامج المعروف "٩٠ دقيقة" توماس كلاينز وأدوين ويلسون العنصرين في المخابرات الأمريكية، وقال كلاينز كنت أتقابل مع مبارك فى منزله فى القاهرة وأقوم بتسليمه حقائب بها ملايين الدولارات. وأضاف كلاينز أعتقد أن مبارك كان يأخذ نصيبه من هذه الأموال ويسلم الباقى لأنور السادات، أما الضابط ويلسون والذي كان يعمل فى المخابرات الأمريكية سابقا، فقال إنه مازال يتذكر عشرات اللقاءات التى كان يعقدها مع مبارك فى منزله فى القاهرة بحضور زوجته سوزان، وأضاف ويلسون أن البيت الأبيض كان على علم بصفقات مبارك من عمولات نقل الأسلحة الأمريكية من خلال شركة «ايتسكو» معه ومع كلاينز وحسين سالم، وأنه تغاضى عن هذا الأمر لربط السادات ومبارك بالسياسة الأمريكية، وأوضح كلاينز أن شركة ايتسكو بدأت تعانى وتنهار فى أوائل الثمانينات عندما قام الكونجرس بتغريمها ٣ ملايين دولار كان نصيب حسين سالم منها ٨٠ ألف دولار.

يعنى هذا أن حسنى مبارك كان مرصود من المخابرات الأمريكية وإن صح ما نشر حول هذا الأمر فإن تلك الواقعة كانت ملف فريد في يد المخابرات الأمريكية تهدد به مبارك فهو تلقى أموالا بصورة غير شرعية مع شريكه حسين سالم بل استمر هذا الأمر مقترنا بنقل المساعدات الأمريكية، وبالتأكيد أنه تم رصد تلك المخالفات كملف يتم تهديد حسنى مبارك به إذا رفض الخروج عن الخط السياسي للإدارات الأمريكية،وبالتأكيد تم رصد العديد من المخالفات المتنوعة التي لو نشرت قد تعصف بمستقبل الرئيس ولكن على أية حال سوف نربط ما نشر في جريدة الفجر بخدمة مخطط تقسيم مصر ربما تكون تلك القرائن تدل على أن الضغط على مبارك جاء لإرجاء أو تعطيل مشروع تنمية سيناء حتى تظل خالية من الكتل البشرية وتكون ترعة السلام قد أنجزت علي حساب الموازنة العامة المصرية لتحقيق ذات الهدف حتى تكون سيناء الجديدة جاهزة لتطبيق المخطط .

تلك رؤية غير جازمة لأن الحقائق مازالت غير واضحة، وهناك العديد من الملفات سوف تتضح فيما بعد ولكن القصد الغربي للإضرار بمصر حقيقة واضحة، قد يكون استخدام نظام مبارك تم بصورة مباشرة أو غير مباشرة ولكن علي أية حال تم استخدام

النظام، إن شراكة حسين سالم لمبارك ووجوده كوسيط تخصص في نقل المعونات الأمريكية علاوة على تمرير اتفاقيات تصدير الغاز لإسرائيل دون الأسعار العالمية يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن تلك الشراكة لم تكن في صالح مصر.

ربما يكون الفساد المالي هو المدخل الأساسي لأوراق الضغط على مبارك وهو ما أدى إلى التباطؤ في تعمير سيناء، وخاصة أن مصر بها فائض عمالة كان يمكن أن يستثمر فى النشاط الزراعي بالمحافظة ولكن بقاء هذا الجزء من الوطن يعانى من فراغ بشرى يخدم أهداف التقسيم، تخطط الولايات المتحدة دائما لابتكار أو خلق وسائل للسيطرة على متخذي القرارات، مخطط تقسيم مصر هو ملفا قائما داخل الفكر الغربي وسوف يتم تفعيله متى سنحت الفرصة لذلك، ولكن ستظل الوحدة الوطنية هي حجر عثرة ضد تلك المخططات المشئومة والتي سوف تفشل فكل محاولات السيطرة السابقة تم إفشالها بعد أن نجحت لحين من الوقت، إن حقيقة سيطرة المخابرات الأمريكية على الحكومة المصرية محل فحص ودراسة ولم تتضح كامل الصورة حتى الآن ولكنها واردة.

يعد تاريخ مبارك نسرا من أبطال حرب أكتوبر وما نشر عن رفضه السماح للقوات الأمريكية بضرب ليبيا عبر الحدود المصرية عام ١٩٨٦ كذلك عدم شن هجوم على السودان عام ١٩٩٥ بعد محاولة اغتياله في أديس أبابا بأثيوبيا عاملا يقف ضد هذا الاحتمال، وقد يفسر أيضاً ذلك أنه جاء لضمان الاستقرار والبقاء لأطول مدة في الحكم، ترى أين الحقيقة ؟؟

هل كان الفساد المالي هو نقطة الضغط التي قتلت حسنى مبارك وحكومته ؟! العقل والشواهد تؤكد أن هناك العديد من المواقف والقرارات كانت ضد صالح الدولة وتصب في صالح تحقيق أعداء مصر، يجب ألا نغفل أن مصر في كل الفترات تواجه العديد من قوى الشر في العالم الغربي، أطاح مبارك بمشواره الطويل وكانت نهايته هو وأولاده خلف جدران السجن والخضوع للمحاكمة.

تنطبق نفس فرضية الفساد المالي على معظم أفراد الحكومات التي خدمة مع مبارك

أو استمرت بعده، فهناك الكثير من المواقف التي حدثت في أعقاب الأنفجار الثوري، ليس له مبرر وتشي أن هناك ضغوطا أمريكية علي متخذي القرار تستهدف نسف مكتسبات الثورة المصرية.

نشر فى الأهرام بتاريخ ٢٠١١/٨/١ أن المجموعات المسلحة التي هاجمت مدينة العريش يوم الجمعة الماضي خرجت من قرية " القريعة " القريبة من مدينة الشيخ زويد والتي تعد المعقل الرئيسي للسلفية الجهاديةفي شمال سيناء، وهذه المجموعة تتحصن بالجبال وترفع رايات تنظيم القاعدة سوداء اللون وأن ما قامت به يوم الجمعة ٢٠١١/٧/٢٩١كان تمهيدا لإعلان " الإمارة الإسلامية " بشمال سيناء و هذه المجموعة تقول علنا: إنها قامت بتفجير خط تصدير الغاز الطبيعي لإسرائيل والأردن وشمال سيناء وأجرت عدة بروفات لهجومها على العريش بمدينة الشيخ زويد القريبة من قرية القريعة التى ينتمي عناصرها لها.

وارتفع عدد ضحايا الهجوم المسلح بمدافع الجرينوف وال.آر.بي. جي علي قسم شرطة ثاني العريش والذي استمر نحو٩ ساعاتمتواصلة إلي خمسة شهداء بينهم ضابطا جيش وشرطة برتبة نقيب وثلاثة من المواطنين فضلاعن ٢٤ مصابا بينهم بعض الإصابات الخطيرة، أن ما حدث بالعريش كان أقرب إلي حروب الميادين منه إلي الهجوم المسلح حيث أن الهجوم تم بمائة مسلح ينتمون إليتنظيمات وجماعات متطرفة يستخدمون سيارات دفع رباعي حديثة ويشهرون الأسلحةالثقيلة المحظور تداولها من مدافع آر. بي. جي. وجرينوف وبنادق آلية وبعد طوافهم مدينة العريش لإرهاب الأهالي وترويعهم والاعتداء بالضر، وعندما فشلوا في اقتحام قسم أول العريش، سارعوا باقتحام قسم ثاني العريشوإطلاق نيران أسلحتهم الثقيلة صوب قسم الشرطة وعلي الموجودين بداخله ولولا تصدي قوات الجيش والشرطة لهم لأبادوا جميع من بقسم الشرطة .

تؤكد تلك الأحداث أن هناك دعم لهذه الجماعات المتطرفة فحصولها علي السلاح ومحاولة إعلان إمارة إسلامية لن يتم بدون رصد المخابرات الإسرائيلية، بل ربما تقدم لهم الدعم عبر عملائها دون علم من هذه الجماعات، حتى تسهل لهم السيطرة علي سيناء

ومن ثم تقوم بعد ذلك بالتدخل تحت الغطاء الغربي لمحاربة التطرف الإسلامي ومن ثم إعادة احتلال سيناء مرة أخري علي أمل أن باقي أجزاء الدولة ستكون مقسمة لكيانات متنوعة بالتزامن مع تفكيك الدولة الأم، ولكن خاب وسيخيب مكرهم بأذن الله.

تستمر أطماع إسرائيل في سيناء دون توقف، ففي عدد خاص من مجلة الهلال أكتوبر ٢٠١١ يحمل عنوان "سيناء العبور إلى المستقبل، أشار السفير حسن عيسى أن أحد الاستفتاءات بإسرائيل أن ٨٩% منهم يؤيدون العودة لسيناء ، وهناك مخططات صهيونية لاستعادة سيناء ومنها المشروع الذى تقدم به جدعون بينجر أستاذ الجغرافيا بجامعة تل أبيب لترسيم الحدود لأربع دول عربية بهدف تغيير الحدود مع مصر بشكل يتيح لإسرائيل الحصول على سيناء، ومشروع شارون لتوطين الفلسطينيين فى منطقة تمتد وفقاً للمشروع الإسرائيلى لحوالى ١٦٠٠كم من أراضى سيناء مقابل إعطاء مصر ١٥٠ إلى ٢٠٠كم بصحراء النقب مع إنشاء طريق يربط بين مصر، والأردن وإسرائيل.

وأشارت المجلة إلي أن إيهود أولمرت رئيس وزراء إسرائيل السابق أن قيام مصر بتوطين مليون مصرى بسيناء بمثابة إلقاء قنبلة نووية على إسرائيل ، كما دعى الحاخام إسرائيل أرثيل إلى إعادة احتلال سيناء محذراً من تداعيات ثورة يناير على الوضع الاستراتيجى لإسرائيل ومن عادات إسرائيل الإعلان عن نواياها الحقيقية فى شكل تقارير لمراكز الأبحاث أو تصريحات صحفية أو تسريبات إعلامية لذلك يجب أخذ هذه الاعتبارات بجدية والتعامل معها فى ضوء، ذلك.

وقد أشار في نفس العدد د. أشرف علام فى مقال عنوانه " سيناء الداء والدواء" إلى خطة الجنرال جيورا أيلاند رئيس المجلس القومى الإسرائيلى السابق لإقامة دولة فلسطينية تمتد على أراضى مصرية وأردنية عن طريق توسيع قطاع غزة الذى تبلغ مساحته ٣٦٥كم٢ بأرض مساحتها ٦٠٠كم٢ بشمال سيناء وتوسيع الضفة الغربية بمساحة ١٠٠كم٢ باتجاه شرقى الأردن لتكون خاضعة للدولة الفلسطينية المقترحة وتعويض مصر بأراض صحراوية لا قيمة لها بصحراء النقب ١٥٠كم٢ وبناء نفق بين مصر والأردن تحت الأرض الفلسطينية المحتلة.

والرد على ذلك يكون بتفعيل المشروع القومى لتعمير سيناء لجذب ٣ مليون نسمة حتى عام ٢٠١٧ والعدد الفعلى طبقاً لإحصاء ١٩٩٦ حوالي ٣٠٠ ألف نسمة وتوفير مليون فرصة عمل وزراعة ٤٠٠ ألف فدان بشمال سيناء وإعمار وسط سيناء التى تمثل ٨٢٪ من حدودنا مع فلسطين المحتلة وهى منطقة فراغ حالياً رغم غناها بالثروات الطبيعية

٣- **محاولة إثارة الطائفية بالنوبة:** تم أدراج النوبة ضمن مخططات التقسيم وتم العزف على ضياع حقوق النوبين ضمن مشاريع سد أسوان والسد العالي لزرع روح الضغينة داخل نفوسهم، فمع أنه من حق الدولة نزع الملكيات العامة الخاصة للصالح العام فى عشرات المرات ومنها نزع ملكية عشرات الآلاف من الأفدنة لبناء مشروع قناة السويس اعتبارا من ٢٥ أبريل ١٨٥٩ حتى إتمام عمليات الحفر في ١٨ نوفمبر ١٨٦٢ وتم نزع الأراضي على طول ١٩٣ كليو متر لهذا المشروع ، لقد كان المدخل لتغذية النزعة الانفصالية لأهالي النوبة قضية التعويضات نتيجة للمشروعات المائية التي أقيمت من أجل مصر كلها ، هذا مع كامل الحق لهم في الحصول على أراضى زراعية مماثلة أو أكثر لأن ذلك على وجه العموم يخدم التنمية الزراعية فى مصر ومن الممكن أن تكون أراضى توشكيهي البديل المناسب لهم لو وافقوا علي ذلك نظرا لتعودهم على الحرارة العالية وبالتالي يعد توطينهمفي هذا المكان يحقق خدمة مصالح التنمية ويعيد لهم الحقوق التي طال انتظارها والتي يتخذها الأعداء مدخلا لتغذية ملف تقسيم مصر وإضعافها، لقد تسربت أخبار عن قيام مجموعات في ألمانيا بوضع قواعد جديدة لكتابة اللغة النوبية تمهيدا لذلك، ولا يستبعد أن تكون هذه الجماعات صهيونية فهم أصحاب المصلحة في تعلم هذه اللغة وأكثر الدول التي تعد معرفة اللغة النوبية بالنسبة لهم هامة علي مستوي الأمن القومي، وخاصة بعد نجاح السادات في حرب أكتوبر من استخدم الجنود النوبيين واللهجة النوبية كوسيلة اتصال وهو ما جعل إسرائيلعاجزة عن رصد الاتصالات التي من هذا النوع علي الجبهة المصرية خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ ومن هنا

تكمن الخطورة ، وسوف نعرض فيما يلي مشكلة النوبة للحث علي التعجيل بحلها لكونها قضية مصرية عادلة قبل كل شيء، ولدرءا الفتنة وسد الثغرات التي يمكن أن تنفذ منها الموساد والمخابرات الغربية نحو تحقيق الهدف.

وحسب التقارير عن مشكلة النوبة : [1] تتكون بلاد النوبة تتكون من ٣٩ قرية على امتداد ٣٥٠ كيلومتراً جنوب أسوان حتى خط عرض ٢٢ (وادي حلفا) على ضفتي النيل شرقاً وغرباً والقرى النوبية من مجموعات متباعدة من المساكن تفتح أبوابها على نهر النيل، وامتدت تلك المساكن في نجوع بلغ مجموعها ٥٣٥ نجعاً.

وتميزت مساكن النوبة عن غيرها من المساكن بالمناطق الأخرى في عدة وجوه أهمها ارتباطها باختيار أماكن البناء على مستويات الأرض ذات الطبيعة الصخرية، إذ تتدرج الأراضيفي الانخفاض من الشرق والغرب نحو النيل، فكان من الطبيعي أن تجد غرف البيت الواحد على اتساع المساحة المقامة عليها تتفاوت في ارتفاعاتها، ليسمح بوجود تيارات هوائية، ويبلغ ارتفاع الجدار حتى أربعة أمتار، ونظراً لطبيعة المناخ الجافة الحارة فإن العمارة النوبية تواءمت مع البيئة، وتميز هذا التشييد بوحدة أساسية هي الحوش السماويالذي تفتح عليه حجرات البيت.

لقد تسبب بناء خزان أسوان عام ١٩٠٢ إلي ارتفع منسوب المياه خلف الخزان إلى ١٠٦ أمتار، ليغرق مساكن وأراضى زراعية وسواقي وزراعات ونخيل وأشجار لعدد عشر قرى نوبية هي: دابود ودهميت وأمبركاب وكلابشة وأبوهور ومرواو وقرشة وكشتمنة شرق وغرب وجرف حسين والدكة، واجهت تلك القرى العشر آثار بناء الخزان وحدها دون أن تنال اهتماماً رسمياً أو إعلامياً في ذلك الوقت.

تمت التعلية الأولى للخزان عام ١٩١٢، وعلى أثرها أرتفع منسوب مياه الخزان إلى ١١٤ متراً، وتم إغراق ثماني قرى نوبية أخرى هي: قورتة والعلاقى والسيالة والمحرقة والمضيق والسبوع ووادي العرب وشاتورمة، وجاءت التعلية الثانية للخزان عام ١٩٣٢

---

[1] تقرير،شارل فؤاد المصري المصري اليوم ١٧/٢/ ٢٠١٠

فأغرقت مياهها هي الأخرى عشر قرى نوبية هي: المالكى وكروسكو والريقة وأبوحنضل والديوان والدر وتوماس وعافية وقتة وأبريم وجزيرة أبريم، بينما أضيرت بقية القرى النوبية الإحدى عشرة الأخرى، وهى عنيبة ومصمص والجنينة والشباك وتوشكى شرق وغرب، ارتفع صوت النوبيين بالشكاوى، وبعد أكثر من ثمانية عشر عاماً من بناء الخزان، أصدرت الدولة القانون رقم ٦ لسنة ١٩٣٣ الخاص بنزع ملكية أهالي النوبة وتقدير التعويضات اللازمة إلا أن القانون حفل ببنود مجحفة في حق النوبيين، منها ما تم رصده في مذكرة الناديالعرى العقيلى عن تعويضات منكوبى خزان أسوان والتي أرسلت إلى مجلس الشيوخ ١٢ فبراير ١٩٤٤ م،

والقانون المذكور قضى بنزع ملكية المناطق المنكوبة «النوبية» أجمعها ولم يترك للنوبيين فرصة للمعارضة في تقدير التعويضات إلى فرضتها الحكومة تعسفاً إلا مدة ١٥ يوماً وهى مدة قصيرة لم يتمكن إلا الكثيرون خلالها من الاطلاع على مقدار تعويضاتهم هذا فضلاً عن جهل أغلبية الأهالي بطرق المعارضة في التقدير، حتى إن الكثيرين منهم لم يعلموا بذلك الطريق القانوني للمعارضة إلا بعد فوات ميعادها، وذكر النوبي مُحَمَّد مراد سنة ١٩٤٧ أن "المغفور له الأستاذ عبدالصادق عبدالحميد ألقى بياناً في مجلس النواب أثناء نظر ميزانية وزارة الأشغال سنة ١٩٣٦ دلل فيه على أن التعويض مع كثير من التساهل والتجاوز كان يجب أن يقدر بمبلغ ٣٦٠٠٠٠٠ ثلاثة ملايين وستمائة ألف جنيه، على حين أن الحكومة قدرتها بمليون وسبعمائة ألف، ثم خصمت منها حوالي نصف مليون".

وحين قرر وزير الأشغال عام ١٩٤٤ توزيع ٤٠٦ أفدنة على بعض المنكوبين النوبيين في ناحية القرنة البعيرات اعترض الموظفون وكتبوا مذكرة قائلين فيها (إن هذه الأطيان أجود من أطيان بلاد النوبة، وأن التعويض يجب أن يكون مماثلاً)، وإزاء تلك المحنة، انتقل النوبيون إلى سفوح الجبال ليبنوا مساكن لهم على طول نهر النيل، فاستنزفت تلك المساكن الجديدة أكثر مما أخذوه من تعويضات هزيلة مقابل أراضيهم ومساكنهم الأصلية التي غرقت، وفى عهد حكومة مصطفى النحاس عام ١٩٣٦، كان أول مطلب للنوبيين حمله نائب النوبة في البرلمان، عبدالصادق عبدالمجيد بعد الانتخابات، هو إعادة

النظر فيقيمة التعويضات التي صرفت للأهالي ومنح أبناء النوبة أراضى صالحة للزراعة شمال أسوان وجنوب قنا بدلا من الأراضيالتي أغرقتها مياه الخزان، ومن الجدير بالذكر أن مصطفى النحاس قال عند إلقائه خطاب العرش في تلك الدورة البرلمانية (وستعمل حكومتي على إقامة مشروعات للريفي بلاد النوبة تعويضا عما فقدوه وسوف تقدم جميع الخدمات لأهل النوبة)، ونتيجة لشعور النوبيين بتشعب مشكلتهم وأهمية منطقتهم وحيويتها لأمن وادي النيل الاستراتيجي، خاصة لمصر وضرورة استقرارها، تقدم النائبان النوبيان سليمان عجيب وشاهين حمزة في البرلمان عام ١٩٤٧، باقتراح مشروع ربط سكة حديد مصر والسودان بتكلفة ٤ ملايين جنيه، ولم تأخذ الحكومة هذا الاقتراح بمحمل الجد، وهكذا تم فصل السودان عن مصر،ومرة رابعة عام **١٩٥٣** بدأت الدولة تجرى دراسات حول مشروع السد العالي من كل جوانبه الهندسية والاجتماعية والاقتصادية، وفى إطار تلك الدراسات أجرت وزارة الشؤون الاجتماعية مسوح سكانية واجتماعية للنوبيين عام **١٩٦٠** يتضح منها الآتي:

إجمالي تعداد النوبيين **٩٨٦٠٩** نسمة (ثمانية وتسعون ألفاً وستمائة وتسعة) المقيمون منهم ٤٨٠٢٨ نسمة (ثمانية وأربعون ألفاً وثمانية وعشرون) والمغتربون سعياً وراء توفير لقمة العيش **٥٠٥٨١** نسمة (خمسون ألفاً وخمسمائة وواحد وثمانون) أما عدد الأسر المقيمة بالنوبة فبلغ **١٦٨٦١** نسمة (ستة عشر ألفاً وثمانمائة وواحداً وستين) والأسر المغتربة ٨٤٦٧ نسمة (ثمانية آلاف وأربعمائة وسبعة وستين)

ثم تشكلت بعد ذلك لجان لمواجهة الآثار الجانبية لمشروع السد العالي، ودراسة مستقبل المنطقة بقراها التسع والثلاثين وسكانها المائة ألف وما يملكون من أراض زراعية ومساكن ومواشي، وبعد مرور أربعين عاما من التهجير لم تف الدولة بما وعدت به من استكمال المرحلة الثانية من مساكن المغتربين إلا بنسبة **٢٥%** رغم ازدياد عدد الأسرة النوبية طبقا للجدول السابق، حدث ذلك بسبب خارج عن أرادة الدولة بسبب سلسلة الحروب الإسرائيلية وعجز الموازنة .

ولكن عند عرض هذا الأمر من قبل قوى الشر والراغبين في تدمير مصر سوف يتم

تصويره على أنه ضد مواثيق حقوق الإنسان وتكريس لظاهرة الظلم الاجتماعي، تلك هي أساليبهم نحو تدمير الأمن والسلام الاحتماعى داخل البلاد محل القصد، سوف يركبون موجة الحق لتحقيق باطل، ومن المعروف أن النوبيين لديهم مفاهيم اجتماعية وتعاونية، أسسوا فيما بينهم الجمعية التعاونية للبناء والإسكان لأبناء النوبة بالقاهرة الكبرى وأسوان، بهدف التغلب على المشكلة الإسكانية عامة وللقيام بجهد إيجابي، خاص في حل مشكلة إسكان المغتربين النوبيين بالمهجر، لاسيما بعد أن تقاعست الدولة عن حل هذه المشكلة لمدة أربعين عاماً الماضية، وكان هناك وعد من وزير الإسكان بعد ١٩٩٢/٧/٢٥ بتحقيق رغبة أهالي النوبة فى تعمير منطقتهم بأسلوب تعاوني، وافق الوزير على بنود المذكرة التي تقدمت بها جمعية الإسكان النوبية.

ونتيجة للبطيء في تنفيذ تلك الوعود كان من الطبيعي ان تنفجر تلك القضية من جديد نتيجة الرغبة المشروعة لأهالي النوبة، وأيضاً ظهور قوي تحاول أن تأخذ تلك المطالب في اتجاه التصعيد غير السلمي، أن ما نشر في ٢٠١١/٩/١١ بجريدة المصري اليوم عن اعتصام النوبيين في حديقة درة النيل، أمام مبنى محافظة أسوان، أمس، لليوم السابع على التوالي، للمطالبة بإعادة توطينهم على ضفاف بحيرة ناصر يثبت ذلك، كان هؤلاء المعتصمون يؤكدون أنه لا توجد جهة أو شخص يمولهم، وإنهم جمعوا تبرعات من ذويهم العاملين بالدول العربية والأوروبية تكفى اعتصامهم لمدة ١٨ شهرا، هذا الطرح من قبل المعتصمين حقيقي ولكن قد يكون وسط من دفع تلك الأموال بعض المغرضين والمتاجرين بقضايا حقوق الإنسان، أين كانت هذه القلوب الرحيمة أكثر منذ مائة مع بداية المشكلة، هل نزلة الرحمة في قلوبهم بين يوم وليلة، ولماذا لم توجه هذه التبرعات لمحاربة مشاريع الفقر بالنوبة وأين كان هؤلاء المتبرعين منذ قرن كامل، هناك شكوك مؤكدة في وجود من يريد أشغال النيران عن عمد أو جهل ، الموقف حرج فوجود معتصمين لمدة ١٨ شهر حسب ما أعلن في هذا السياق سيخلق رأي عام محرض لدفع القضية نحو التدويل على المستوي الدولي مروراً بوابة الإعلام الموجه بحرفية شديدة ضد مصالح الأمة، أسوة بما حدث مع جنوب السودان، فالسيناريو القائم في ذهن المخططين أو المحرضين هو

تصدى الدولة لتفريق الاعتصام بالقوة وهو ما قد يؤدى إلي سقوط قتلى ومن هنا تشتعل الفتنة المتوقعة، ويتحول الأمر إلى ثأر ومعركة ، سوف تسعي قوي دولية عندها لتحقيق الهدف، فمع أول شرارة تنطلق ولن يستطيع أحد إخماد النيران ،لقد أشار اللواء حسام سويلم في برنامج ٩٠دقيقة بقناة المحور يوم ٢٠١١/٩/١٧ أن هناك سيدة حصلت من الخارج على ٢مليون دولار بهدف تغذية هذا الملف ودعم الاعتصام.

كانت بعض المطالب هي إقالة المحافظ، والسكرتير العام، ورئيس مجلس مدينة أسوان وهؤلاء لا علاقة لهم ببناء السد العالي فمشاكل التهجير سبب الخلاف ليست من صنعهم فمن وضع السقف لهذه المطالب بهذا الشكل، أنها أساليب الفكري الاستعماري والصهيوني في المواجهة مع مصر أسلوب الحرب غير المباشرة وخطط التدمير الذاتي للدول بدون طلقة واحدة ، سوف يحاول مندسين بين أهالي النوبة تحقيق الغرض ، بالتحريض علي المظاهرات أو إثارة الفتنة والتخريب، سوف يتم ركوب موجة الخلل الإداري وبعض القضايا المشروعة والمطالب المستحيلة وسوف يتدرجون إذا تم حل مشكلة لخلق مطالب أخري تصاعدية لتحقيق الفوضى وصولا إلي الحشد الجماهيري من أجل إطلاق الشرارة الأولي، سوف يخلق المتآمرين داخل النوبة زعيما وهميا يسيطرون عليه بالمال أو التقاط مريض نفسي بهوس الزعامة ليكون دمية في أيدي الأعداء كما يحدث في دارفور أو ما حدث في جنوب السودان ، جاء رد الحكومة المصرية سريعاً، وكان التحرك الفوري لرئيس الوزراء عصام شرف في منتهى الذكاء ونجح في فض الاعتصام، ولكن المحرضين لن يتوقفوا وسوف تكون درجات الوعي لدى جماهير النوبة هي حائط الصد ضد المخططات الغربية، فهم شرفاء يستحيل أن تأكل اللئام علي موائدهم متى علمُ الحقيقة.

٤- **إرهاصات الدولة المسيحية بمصر:** تظاهر أقباط المهجر بزعامة موريس صادق ٨ يناير ٢٠١١وفي أعقاب حادث تفجير كنيسة التقديسيين بالإسكندرية وصرح مجموعة من نشطاء أقباط المهجر يتزعمهم موريس صادق بصفته رئيس الجمعة الوطنية القبطية الأمريكية، وعصمت زقلمه رئيس منظمة كوبتك فونديشين ونبيل

بساده الإعلامي بقناة الرجاء، وإيليا باسيلي رئيس منظمة شباب الأقباط، عن استعدادهم للإعلان الرسمي عن الدولة القبطية بالتزامن مع إعلان دولة جنوب السودان، مؤكدين أن الدولة الجديدة شكلت من خلال هيئة تأسيسية من مائة قبطي في الداخل والخارج. [1]

يشير قرب توقيت المظاهرة أن هناك من دفعهم نحو ذلك فليس من قبيل المصادفة أن يصدر هذا الإعلان قبل ثورة يناير ١٧ يوماً مما يعنى أو يعطى دلالة على أن ثورة ٢٥ يناير كان من المستهدف اختطاف أهدافها المشروعة في التغير، في صالح صنع الفوضى وإحداث الفراغ السياسي بمصر من أجل التدمير لتحقيق التقسيم ، وكل الشواهد تؤكد ذلك بما فيها فتح السجون وضرب الأمن كلها ملفات شائكة ومتداخلة لدرجة مذهلة، يبدوا أن مخططات الثورة وتدخل الإخوان المسلمين كان محل رصد من قبل بعض أجهزة المخابرات الخارجية وساهم الإعلام المشبوه في رفع درجات التوتر من أجل إحداث الفوضى الخلاقة عبر وسائله المتنوعة فهذا الإعلام المؤيد للحركات الاستقلالية لم يقف خلف الجيش الأيرلندي الجمهوري عندما كان يريد تحرير أيرلندا وفصلها عن انجلترا وكان ضد انفصال أوسيتيا عن جورجيا ودعم التدخل العسكري لجورجيا في أغسطس ٢٠٨٨ لو تدخل روسيا في ٨/١١ ما تحقق الانفصال لأوسيتيا الجنوبية عن جورجيا، أضف إلي ذلك عدم وجود أي دعم غربي لمنظمة أيتا الانفصالية بإقليم الباسك الأسباني ، الغرب يدعم فقط الانفصال فى كل الدول العربية والإفريقية، وبالتأكيد كان هناك تهيئة لمناخ الثورات حتى تمر مخططات للفتة.

لقد أشاروا الأقباط المتظاهرين إلى أن دولتهم ستمثل حكما ذاتيا للأقباط في مصر، وسيعمل عملاء الدولة في الداخل والخارج خلال الأيام المقبلة على توسيع نسبة تأييد الدولة الجديدة بين أقباط مصر وسيكون الخريطة السياسية على شاكلة دولة الأكراد في العراق، وذلك بحسب ما أعلنوه في موقع الجمعية القبطية الأمريكية على الإنترنت.

---

[1] جريدة الشعب نشر في الشعب يوم ٠٩. ٠١. ٢٠١١

وأكدوا أن أقباط مصر سيعيشون في ذات المناطق علي امتداد حدود مصر وسيكون لهم تنظيم سياسي مستقل عن الحكومة المركزية في صورة حكم ذاتي وستكون للأقباط محاكم خاصة بهم وقضاة مسيحيون يحكمون وفقا لأحكام الكتاب المقدس، ومحاكم مدنية تطبق القانون الفرنسي ومحاكم جنائية تطبق القوانين الدولية، ومحاكم أخرى مختلطة لنظر النزاعات بين المسلمين والأقباط وسيكون لهم شرطة خاصة ووزارات مقابلة للوزارات الحكومية والجامعات ومدارس قبطية أسوة بدولة الفاتيكان، وأكد النشطاء أنهم سيجتمعون بعدد من أعضاء الكونجرس الأمريكي وأعضاء لجنة الحريات الدينية الأمريكية في الأيام المقبلة لبحث إمكانية دعم الولايات المتحدة والدول الأوربية للدولة القبطية الجديدة.

وفى الحقيقة كانت مواقف موريس بهذا الصدد لا ترضى معظم الأقباط لأنها ضد مصالحهم وضد تاريخ التعايش السلمي داخل الوطن ، في الوقت الذي صرح فيه القمص صليب متى ساويرس، رئيس مركز السلام الدولي لحقوق الإنسان: إن البيانات الصادرة من موريس صادق ليست إلا مجرد كلام خيال وتخريف ووهم ، أضاف ساويرس فى تصريحات خاصة لجريدة اليوم السابع: "نحن فى مصر دولة متحدة المسلمون والمسيحيون متماسكون معا، فمثلا فى العمارة الواحدة تشاهد المسيحي يجاور المسلم والجميع يعيش مع بعض"، فدور المثقفين مواجهة هذه الهجمة الشرسة التى بدأت فى الإسكندرية وانتهت بهذا البيان، مطالبا بعدم الالتفات لهذه الأمور التى تهدف لتدمير وحدة الشعب الواحد، أن هذا البيان المطالب بتأسيس ما يسمى "دولة الأقباط الحرة" يمثل فرقعة إعلامية مدفوعة الأجر، بهدف إحداث شرخ بين أبناء الوطن الواحد.

وفي المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان الذي عقد في بون، بألمانيا، في مارس ٢٠١٠، بعد تصريحات أدلى بها موريس صادق واصفا ما يحدث للأقباط في مصر بأنه هلوكوست جديد من النازيين العرب المسلمين، ودعوته لإسرائيل بتحرير القدس من العرب وطردهم للجزيرة العربية، وتطهير الأراضي المقدسة منهم، شن أقباط المهجر فى مؤتمر الجمعية الدولية "جى آر إف إم" لحقوق الإنسان المنعقدة فى بون بألمانيا هجوماً حاداً على موريس

صادق المحامى و المتواجد فى أمريكا بسبب تصريحاته وأفكاره التي يدلى بها من وقت لآخر، التي تحيد بالقضية القبطية عن مسارها الطبيعي إلى مسار التشنج والتطرف، مثل قيامة بإرسال خطاب إلى شارون رئيس وزراء إسرائيل السابق يطالبه بالتدخل في شئون مصر، وما شابه ذلك الكثير من البيانات.

من جانبه أكد الدكتور وليم ويصا أن موريس صادق، بدأ في الابتعاد عن المسار الشرعي لقضية الأقباط، ومنح الفرصة لأجهزة الإعلام، لتشويه مواقف الحركة القبطية،و تساءل عن فائدة ما أرسله إلى شارون رئيس وزراء إسرائيل، وما هو مغزى مطالبته فى لقاءه مؤخرا بالسفير المصرى فى واشنطن بحكم ذاتى للأقباط، خاصة أن معطيات الواقع والجغرافيا المصرية لا يسمح بهذه التخريفات التي لا معنى لها، وهاجم الجميع صادق بأنه يقوم بعمل شو إعلامي مستمر للاستحواذ على اهتمام أجهزة الإعلام.

ثالثا: تقسيم السودان والصومال وأفريقا طائفيا لضرب عمق مصر: وسوف نعرض بإيجاز شديد نموذج لهذا الحصار الطائفي لمنع مصر من التعاون مع دول حوض النيل وضمان السيطرة علي الاقتصاد الإفريقي وذلك يظهر بوضوع في السودان والصومال ورواند.

١- **الطائفية بالسودان لحصار مصر:** أما السودان يراد تقسيمه إلى ٤ دويلات هي دويلة النوبة المتكاملة مع دويلة النوبة في الأراضي المصرية التي عاصمتها أسوان ودويلة الشمال السوداني الإسلامي ودويلة الجنوب السوداني المسيحي وهي التي سوف تم الإعلان عن انفصالها في استفتاء ٢٠١١/١/٩، ليكون أول انفصال رسمي طبقا للمخطط وكذلك دويلة دارفور التي تستمر المؤامرات لفصلها عن السودان بعد نجاح فصل الجنوب حيث أنها غنية باليورانيوم والذهب والبترول وهو ما أجج مطامع الغرب.

تمثل السودان صورة أخرى لمسرح الطائفية نتيجة للفقر والجهل المستشري بين أغلب أفراد الشعب وهذا سهل إنتاج الحروب السودانية، فهي تقوم على أساس طائفية

حصدت الحرب الأهلية فى جنوب السودان (١٩٥٥-١٩٧٢ و١٩٨٣-٢٠٠٣) ما يزيد عن مليونى قتيل، وأعداداً أخرى لا تحصى مِن الجرحى والمعوقين، وكان نصيب الهجرات الداخلية الناجمة عنها ضعف أعداد القتلى، فقد تَشرد، على الأقل، أربعة ملايين سودانى وأصبحوا لاجئين داخل وطنهم. أما مَن ضاقت بهم الحياة فى الوطن وقرروا النزوح إلى البلدان المجاورة، فقد بلغ عددهم ٤٢٠ ألف لاجئ [١] ، لقد خلفت هذه الحرب أعلى رقم من ضحايا القتلى في الحروب بعد الحرب العالمية الثانية وتعد أطول وأعنف حروب القرن وكان اتفاق نيفاشا للسلام فى يناير ٢٠٠٥ بداية إعلان دولة جنوب السودان ٩في /٢٠١١/٧ وبانفصال الجنوب، خسر السودان في شماله وجنوبه فرصة تاريخية كبرى للبقاء كدولة كبرى تملك إمكانيات التطور، ويعد الفشل السياسي في إيجاد مناخ ديمقراطي حقيقي من أهم أسباب الطائفية، لقد خرج السودان من هذه الحرب مثقلا بتركة من الديون بلغت ٣٠ مليون دولار.[٢] وهذا الكم الهائل من القتلى والخسائر البشرية بسبب الطائفية وهو يوازى خسائر مصر في حروبها الأربعة مع إسرائيل ٢٠ مرة.

ترجع فكرة تفعيل وتسريع مخططات تقسيم للسودان إلى عام ١٩٨٢ الذي شمل هذا المخطط مصر وباقي الدول وحاولت الدول الاستعمارية زرع السياسات الاستعمارية المؤدية إلى ذلك حيث مارست انجلترا أساليب التقسيم للسودان عمليا منذ عام ١٩١٧ عندما أنشأت الفرقة العسكرية الاستوائية وظلت تلك الفرقة تعمل بالجنوب حتى عام ١٩٥٥ وفرضت اللغة الانجليزية بديلا للغة العربية في الجنوب وذلك بعد انهيار النفوذ المصري في السودان عام ١٩٢٤ م ومنعت بريطانيا التواصل التعليمي والسياسي والاقتصادي بين الشمال والجنوب لمنع الروابط الاجتماعية وبعد انهيار بريطانيا تولت الولايات المتحدة مهمة استكمال أليات الفصل، لقد حققت الولايات المتحدة والدول الغربية هدفها في فصل الجنوب الذي أسست له منذ عام ١٨٨٢ حتى عام ٢٠١١ أي بعد ١٣٠ عام.

---

[١] راجع د. عبد العزيز شاهين، الصراع القبلي والسياسي فيس مجتمعات حوض النيل، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١١.

[٢] تقرير مناخ الاستثمار في البلدان العربية ٢٠٠٩

تناوب الدول الكبرى من أجل فرض السيطرة على وسط أفريقا ومنطقة البحيرات العظمي حتى أستقر أخيرا هذا الملف في حوزة الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٠، عندما تدخلت في الكونغو الديمقراطية مع بزوغ الإرهاصات الأولى للفوضى، وذلك بقصد التحكم فى شريان الحياة لأكبر دولة عربية كإستراتيجية عامة، وأعاد وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد الروح من جديد لهذا الهدف بزيارته لكل من إريتريا وإثيوبيا وجيبوتي في ديسمبر ٢٠٠٢وحصل على موافقة ثلاثية للسماح للطائرات الأمريكية بالتحليق فوق أراضيها، وكذلك تقديم معلومات عسكرية، والسماح للبحرية الأمريكية بحرية الحركة لضمان آمن البحر الأحمر وفي أغسطس ٢٠٠٣ نجحت الإدارة الأمريكية في إنشاء قاعدة عسكرية أمريكية متاخمة للبحيرات العظمى ومنابع النيل في أوغندا, وزاد عدد جنودها في جيبوتي من ١٨٠٠٠ إلى ٢٠٣٠٠ جندي لأن إفريقيا ستكون هي الهدف, وستكون مسرحًا للحروب القادمة بين القوى المتصارعة وجاءت زيارة الرئيس الأمريكي بوش إلى خمس دول إفريقية <السنغال, جنوب إفريقيا, بتسوانا, أوغندا, نيجيريا؛ في يوليو ٢٠٠٣ تتويجًا لهذا التوجه الأمريكي.

وعلى النهج ذاته دفع الرأي العام الأمريكي الإدارة الأمريكية للتدخل في الصومال، لا سيما حول ما يتعلق بقضية القرصنة في خليج عدن والمحيط الهندي، وتقديم الدعم الكامل للقوات الإثيوبية للتدخل في الصومال في عام ٢٠٠٦ وعلى صعيد النزاع في دارفور فقد كان اليمين الأمريكي هو المحرك الرئيسي الذي دفع الرئيس بوش وإدارته للتدخل.

كان لابد وقف مشروع قناة جونجلى فهو كان يهدف إلى التقليل من الفاقد من إيراد النيل في منطقة المستنقعات. والتي يضيع فيها مجتمعة ما مقداره ٤.٢ مليار متر مكعب من المياه العذبة. وفكرة المشروع بدأت عام ١٩٠٤، وكان من المقرر أن يوفر المشروع ما مقداره ٤ مليار متر مكعب من المياه تقسم مناصفة بين السودان ومصر، وبدأ تنفيذ المشروع بالفعل عام ١٩٧٨، وكان مقرر له أن ينتهي عام ١٩٨٥، ولكن حركة التمرد في جنوب السودان أوقفت المشروع في عام ١٩٨٣ بعد الانتهاء من حوالي ٧٥ في المائة من أعمال الحفر به، و تم إشعال نيران الحرب الأهلية الثانية بالسودان ، لازال

المشروع متوقف حتي الآن ، لقد كان هذا المشروع الكبير خطرأ علي فكرة التقسيم فهو سوف يكرس لفكرة الدمج مستقبلا بين مصر والسودان في نظام اتحادي أو فيدرالي وهذا التطور ضد مصلحة الغرب الذي يقف بشدة ضد أي مشروع تنموي حقيقي، لقد نجحت أمريكا فى تكوين أول دولة مستقلة بالسودان وتبقى مشكلة آبيي بين الجنوب والسوداني والشمال محل توتر قد تتسبب فى حرب جديدة تمهد لاستكمال باقي المخطط.[١]

وتتمثل الآثار الاقتصادية والاجتماعية للمشروع تطوير الإنتاج الزراعى، وإتاحة الفرصة لتغيير حرف بعض السكان، من حرفة الرعى إلى حرفة الزراعة، ويضمن المشروع إنتاج بعض المحاصيل الغذائية النقدية من أجل التصدير إلى المناطق الأخرى وإلى الدول المجاورة، وبالتالى الحصول على العملاتالأجنبية، ونقل الاقتصاد من اقتصاد تقليدى معيشى إلى اقتصاد نقدى متطور و توفير مساحة نحو ٣.٧ ملايين فدان صالحة للتنمية الزراعية وتربية الماشية ورغم كل ذلك، فإن لم يسلم من هجوم الدوائر الاستعمارية والصهيونية، فلقد تعرض المشروع للهجوم العنيف من جانب هذه الدوائر الاستعمارية والصهيونية، فلقد تعرض المشروع للهجوم العنيف من جانب هذه الدوائر، وبلغ هذا الهجوم ذروته بإشعال الحروب الطائفية بالسودان لعرقلة نمو مصر عن طريق هذا التعاون. [٢]

ويجرى حاليا العمل على تهيئة أسباب انفصال الدولة الثانية في إقليم دارفور أحد أكبر الأقاليم الكبرى في السودان وهو يقع في غرب السودان وتبلغ مساحته أكثر من نصف مليون كيلو متر مربع ويقترب عدد سكانه من ستة ملايين إنسان معظمهم من المسلمين السنة وعندهم توجه إسلامي واضح ، وتتلخّص مشكلة دارفور في أن القبائل الأفريقية التي تشتهر بالزراعة والاستقرار في أراضي محددة، كانت تشكو من نزوح القبائل العربية الرحل المعروفة بعدم استقرارها في أرض محددة إلى قراها، خصوصاً في مواسم الجفاف والقحط ونقص الطعام، مما يتسبب في بعض الصراعات أو المشاحنات الصغيرة،، وهذا هو المدخل

---

[١] راجع محمد قنديل، الأهرام الرقي: تحت عنوان تجربة التكامل بين السودان ومصر: مشروع قناة جونجلى وخطة التكامل الاقتصادى، ١/١ ١٩٧٩

[٢] محمد قنديل، مرجع سابق

الذي سعت الولايات المتحدة للنفاذ من خلاله لفصل دار فور عن السودان.

كانت منظمات الإغاثة الأوروبية هى المقدمة التي نفذت منها طليعة الاستخبارات الغربية لتتحرك بقوة في هذه المنطقة وتنشر ثقافة الفرقة بين المسلمين من أصل أفريقي والمسلمين من أصل عربي، مع دعم تدفق السلاح على دارفور، كان هذا المدخل للتقسيم بدعاوى التصدي للتطهير العرقي والإيحاء أن العرب يقتلون الأفارقة، وجرى تسخير الأمم المتحدة لترويج هذه الدعاوى، وقد أشار رئيس الوزراء السوداني السابق الصادق المهدي أن هناك برلمانات ١٧ دولة أوروبية يناقشون أحوال السودان بضغط من المنظمات اليمنية والحقوقية ذات النفوذ في أوروبا لدرجة أنهم يجعلون بند السودان قبل مناقشة القضايا المتعلقة ببلادهم، وهو ما يكشف جانباً من الرغبة في التدخل في شؤون السودان ونشر الأباطيل عن صراعات عرقية موسعة بين المسلمين هناك رغم وجود القليل منها، الخطط واضحة لضرب حكومة الخرطوم عبر مناطق مشتعلة في الجنوب والغرب، وربما قريباً الشرق، مع خلط واضح للحقائق، وقد روى شهود عيان عائدون من دارفور كيف أنه يصعب التمييز بين المواطن الأفريقي والعربي هناك، وذهب فد لجنة الإغاثة الطبية المصري إلي دارفور في المدة من ٢ يوليه إلى ٢٣ يوليه ٢٠٠٤م، لم يجد سوى ستة حالات للحمل خارج نطاق الزواج ولم تكن ناجمة اغتصاب كما روج الغرب، لقدأعلنت بريطانيا وقتها: إنها جاهزة لإرسال ٥٠٠٠ جندي إلى دارفور، وأنهم مستعدة بالفعل للتحرك، هذا يؤكد أن الأمر كان معد سلفاً!! بدليل قيام قائد حركة تحرير السودان المتمردة في دارفور عبد الواحد نور, بافتتاح مكتبا للحركة في إسرائيل.

لقد نشرت جريدة اليوم السابع المصرية فى ٥/١٤/ ٢٠١١ أن مصادر مطلعة لموقع "الأهرام اليوم" السودانية، كشفت قيام البعثة المشتركة بين الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي (يوناميد) بدارفور بمخالفات خطيرة شملت تقديم الدعم المباشر والمعلومات للحركات المتمردة في دارفور، إضافة لمحاولات استغلال المواطنين بالمعسكرات فى تنفيذ مخططات لا علاقة لها بعمل البعثة.

تجرى تلك الأمور من أجل تطويق مصر وتنفيذ تكوين دولة النوبة بين شمال السودان

وجنوب مصر ومن هنا يتضح للعيان كيف تلعب القوى الغربية مجتمعة دورها القذر في أثارت القلاقل والحروب الأهلية في الدول الأفريقية، وخاصة دول حوض النيل من أجل إجهاض أي فرص تنموية تحقق النهضة الأفريقية وعلى وجه التحديد مصر، وبعد استقلال الجنوب تلوح في الأفق حرب جديدة بين الشمال والجنوب لتحقيق المخطط وهو ما بدءت بوادره في **٢٠١٢/٣/١٩** من حشود عسكرية على الحدود المشتركة

٢-تمزيق الصومال لحصار مصر: أزعج حلم الصومال الكبير الذي ظهر بعد توحد الصومال الإيطالي مع الصومال الإنجليزي الذي أستقل عام **١٩٦٢** أعلن أنه سيضم الصومال الفرنسي، وأقاليم أجوادين، وبعض الأقاليم الصومالية بكينيا، الدول الكبرى خشية ظهور دولة مركزية قوية في القرن الأفريقي، وخاصة أن عملية تمزيق الصومال إلي عدة كيانات بدأت مع الاستعمار البرتغالي الذي تحالف مع الحبشة؛ لتمزيق الصومال الكبير في عدة دول لضمان السيطرة علي خطوط الملاحة الإستراتيجية.

بدأ هذا التحالف ضد الصومال منذ وقت مبكر عام **١٥١٠**، وقد أرسلت الملكة " هيلانة " ملكة الحبشة إلي " عمانويل" ملك البرتغال بهدف الاتفاق على عمل مشترك ضد القوى الإسلامية، لكنها أيضاً كانت تنوي مهاجمة مكة وهي في هذا بحاجة لمساعدة الأسطول البرتغالي الذي أحرز انتصارات حاسمة على الأساطيل الإسلامية في المحيط الهندي

وقد استجابت البرتغال لهذا الطلب الحبشي وأرسلت قوة على رأسها أحد أبناء فاسكو دا جاما، وقد منيت القوات البرتغالية بخسائر فادحة وقتل قائدها – لكن لم تستطع القوارب الإسلامية أن تحقق نصراً على الحبشة والقوات المؤازرة لها وأستمر هذا التحالف حتي تحقق الهدف في تقسيم الصومال داخل حدود إدارية بالدول المجاورة وأكملت القوي الاستعمارية الجديدة مثل فرنسا وبريطانيا وإيطاليا هذا المخطط إلي نقل الملف بالكامل للولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية.[١]

بعد حرب أكتوبر المجيدة تنبهة الدول المهيمنة على الساحة الدولية؛ لأهمية

---

[١] L. Randol Barker et al., *Principles of Ambulatory Medicine*, 7 edition

الصومال ودخلت إسرائيل حلبة الصراع من خلال أجهزة المخابرات والحكومات المتعاقبة، وكانت لابد من من إشعال أزمة تنتهي بتفتيت الصومال لأهداف استعمارية، ولمنع وجود كيان قوي يدعم مصر في الصراع العربي الصهيوني خاصة بعدما ظهرت أهمية باب المندب في عام ١٩٧٣ وكان لابد من تدمير الدولة المركزية في بداية مبكرة للتفتيت الدول اعتماد علي التعصب القبلي.

شهد الصومال عام 1991 تغيرات جذرية في الحياة السياسية، حيث تمكنت قوات مؤلفة من أفراد العشائر الشمالية والجنوبية مسلحين ومدعومين من إثيوبيا من خلع الرئيس الصومالي مُحَمَّد سياد بري، وبعد عدة اجتماعات دارت بين الحركة الوطنية الصومالية وشيوخ العشائر الشمالية، أعلن الجزء الشمالي من الصومال(الصومال البريطاني قديما) انفصاله بصفة أحادية الجانب عن دولة الصومال تحت اسم (جمهورية أرض الصومال) في مايو من عام ١٩٩١، وعلى الرغم من الانفصال التام الذي حققته جمهورية أرض الصومال واستقرار نسبيا في الأوضاع مقارنة من الجنوب الصاخب إلا أنها افتقرت إلى الاعتراف الدولي بها من أية حكومة أجنبية حلم التوحد في كيان قوي إلي ردت عكسية دمرت مقدرات هذا البلد العظيم. [١]

وفي يناير من عام 1991 تم اختيار "علي مهدي مُحَمَّد" عن طريق المجموعة الصومالية كرئيس مؤقت للبلاد لحين عقد مؤتمر وطني يضم كل الأطراف ذوي الصلة في الشهر التالي بجمهورية جيبوتي لاختيار رئيس للبلاد. إلا أن اختيار "علي مهدي مُحَمَّد" قد لاقى اعتراضا شديدا منذ البداية من جانب كل من الفريق مُحَمَّد فرح عيديد زعيم البرلمان الصومالي المتحد وعبد الرشيد تور زعيم الحركة الوطنية الصومالية وكول جيس زعيم الحركة القومية الصومالية، هذا أحدث انقساما على الساحة السياسية الصومالية بين معظم فصائل الحركة الوطنية ضد القوات المسلحة التابعة للبرلمان الصومالي المتحد بقيادة الفريق مُحَمَّد فرح عيديد المدعوم من أثيوبيا .

---

[١] فادي البابلي، نشر في حريات يوم، ١٠ ٠٨. ٢٠١١

أدى هذا التناحر إلى إسقاط نظام مُحَمّد سياد بري الحاكم والذي استمر في إعلان نفسه الحاكم الشرعي الوحيد للصومال حيث بقى مع مناصريه من الميليشيات المسلحة في جنوب البلاد حتى منتصف عام 1992 مما أدى إلى تصعيد أعمال العنف خاصة في مناطق جدو وباي وباكول وشبيلا السفلى وجوبا السفلى وجوبا الوسطى؛ في حين أدت الصراعات المسلحة داخل الكونجرس الصومالي الموحد إلى إصابة مقديشيو والمناطق المحيطة بها بدمار واسع.

وأدت الحرب الأهلية، إلى تعطيل الزراعة وتوزيع الغذاء في الجنوب الصومالي ولعل الأسباب الرئيسية التي اندلعت من أجلها الحرب في البلاد تتلخص في الحساسية المفرطة بين العشائر وبعضها البعض بالإضافة إلى التكالب على السيطرة على الموارد الطبيعية والمناطق الرعوية الغنية، وكان جيمس بيشوب أخر السفراء الأمريكيين للصومال قد وصف الوضع الراهن والحرب الأهلية هناك بأنها "صراع على الماء ومناطق الرعي والماشية كانت تدار قديما بالأسهم والسيوف وأصبحت تدار الآن بالبنادق الألية.

وقد أسفرت الحرب الأهلية الصومالية إلى حدوث مجاعة أودت بحياة قرابة ٣٠٠,٠٠٠ صومالي [١] وهو رقم يفوق خسائر مصر البشرية في حروبها الربعة مع إسرائيل ثلاث مرات ويؤكد باستمرار أن خسائر النزاعات الطائفية أكثر فداحة من الحروب مع الأعداء، واستغلال للموقف وتحت غطاء مجلس الأمن صدر قرار بوقف إطلاق النار عام1992 وإرسال قوات حفظ السلام الدولية الأولى بالصومال لإنقاذ الوضع الإنساني للبلاد، وكان استخدام القوة بالنسبة لقوات حفظ السلام مقصورا فقط على الدفاع عن النفس مما أعطى العشائر المتحاربة الفرصة لإهمال تواجدها واستكمال صراعهم المسلح وكان الوجه الخبيث للقرار من وجهة نظر الولايات المتحدة وحلف الأطلنطي هو تثبيت الوضع علي الأرض لضمان بقاء البلد ممزقاً طبقا لمخططات التقسيم ففي ظل هذا القرار استمر تتدفق السلاح للفصائل المتمردة مع تشجيع القاعدة المخترقة

---

[1] United Nations Operation in Somalia (UNOSOM) 1992. Australian War Memoria

من التواجد لإيجاد مبرر وهمي وكرتوني يتم تضخيمه إعلاميا لضمان التأيد الدولي والاحتيال علي العالم لتحقيق أهداف الغزو والسيطرة بأسلوب جديد تدفع ثمنه الشعوب المتناحرة في ظل الطائفية.

تزعمت الولايات المتحدة تحالف عسكري دولي بغرض معلن وهو العمل على إحلال الأمن في الجنوب الصومالي والارتقاء بالوضع الإنساني هناك وتسهيل وصول المعونات الإنسانية من الأمم المتحدة والدول المانحة. ودخلت قوات التحالف والتي عرفت باسم قوات الفرقة الموحدة" Unified Task Force" " في ديسمبر من عام 1992 من خلال عملية "إعادة الأمل" تحت غطاء من مجلس الأمن بالقرار رقم ٧٩٤، وعندما وجدت أن البقاء يكلفها الكثير بسبب توحد القوي المتناحرة ضد هذه القوات نتيجة تنامي جزء من الوعي الوطني خرجت هذه القوات ايضا تحت غطاء من مجلس الأمن بقرار في ٥/٤ /١٩٩٣ وفقا للقرار رقم ٨٣٧ والصادر في ٣/٢٦ من نفس العام.

كان سبب الانسحاب مقاومة قوات حفظ السلام الدولية حيث قامت مليشيات مُحَمَّد فارح عديد بمهاجمة مواقع القوات الباكستانية العاملة بمقديشيو مما أسفر عن إصابة نحو ٨٠ فرد متعددي الجنسية من قوات حفظ السلام، واستمر القتال حتى سقط ١٩ جنديا أمريكيا وجنديين باكستانيين وأخر ماليزي صرعى من جانب قوات حفظ السلام بالإضافة إلى قرابة ١٠٠٠ فرد من الميليشيات الصومالية المسلحة في الفترة ما بين الثالث والرابع من أكتوبر لعام 1993 فيما عُرف في التاريخ الحربي فيما بعد باسم "معركة مقديشيو" الأمر الذي دفع الأمم المتحدة لشن عملية "الدرع الموحد" بقوات مكونة من عناصر أمريكية ومصرية وباكستانية في الثالث من مارس لعام1995 ، إلا أن هذه القوات قد تكبدت خسائر بشرية كبيرة دون إقرار حكومة مدنية في الصومال حتى أعلن مقتل عيديد في مقديشيو في يونيو من عام 1996 .

وقد يكون تفسير عودة القوات الدولية من وجهة نظر الولايات المتحدة هو القضاء علي أي طرف يمتلك القوي العسكرية قد يستطيع علي توحيد البلاد مرة آخري، وهذا يتفق مع السلوك العدواني للولايات المتحدة ولتحقيق الهدف تم الاستعانة بالقوات

المصرية والباكستانية التي صدقت الشعارات الإنسانية الزائفة التي ترفعها الولايات المتحدة الأمريكية في رحلة تدميرها للدول.

برزت مشكلة القرصنة قبالة شاطئ الصومال كنتيجة حتمية لانهيار وتضعضع السلطة الحكومية إثر نشوب الحرب الأهلية، وقد ظهرت هذه المشكلة بداية الأمر في الموانئ الساحلية للبلاد، أتت القرصنة كردة فعل من قبل الصيادين الصوماليين قاطني عدد من البلدات الساحلية مثل: ايل، كيسمايو، وهراردير، على هجوم سفن الصيد الأجنبية على الثروة السمكية الموجودة بالمياه الإقليمية بعد انهيار الحكومة، الأمر الذي حرم الصيادين من جزء كبير من دخولهم.

تصاعدت أعمال القرصنة بعد حدوث زلزال المحيط الهندي بتاريخ 26 ديسمبر من عام2004 ، الذي تسبب بموجة تسونامي هائلة دمرت عدد من القرى الساحلية وقوارب صيدها.[١]

يُعتقد أن من يقف وراء عمليات القراصنة هم أحفاد طبقة العبيد التي جلبت في الماضي للصومال، حيث تشير بعض التقارير أنه تم بيع ما بين ٢٥,٠٠٠ و ٥٠,٠٠٠ عبداً من قوم البانتو، قاطنين موزامبيق وتنزانيا، في الفترة الممتدة بين عاميّ 1800 إلى1890 م [٢] لأناس من الصومال عن طريق سوق الرقيق في زنجبار، يختلف البانتو عن الصوماليون من الناحية العرقية، الجسدية، والثقافية، وقد بقوا مهمشين في البلاد منذ أن حضروا في القرن التاسع عشر حتى اليوم ، يُعتقد أن عدد البانتو في الصومال وصل إلى ٩٠٠,٠٠٠ نسمة قبل الحرب الأهلية، وقد منحت الولايات المتحدة ١٢,٠٠٠ منهم حق اللجوء الساسي بدأً من سنة2003، وأيضاً استقبلت الحكومة التنزانية بعضهم وقامت بمنح الجنسية للبعض الأخر، وإعادتهم إلى أراضي

---

(1) Lehr, Peter and Lehmann, Henrick, Violence at Sea: Piracy in the Age of Global Terrorism, p. 3

(2) L. Randol Barker et al., *Principles of Ambulatory Medicine*, 7 edition, (Lippincott Williams & Wilkins: 2006), p.633

أجدادهم التي نزعوا منهم ، وبعض الظن أن الولايات المتحدة تؤسس باستقبالها لهذا العدد محاولات خلق شريحة يمكن أن تقوض فيما بعد الاستقرار داخل الصومال إذا تم في وقت قريب أو علي المدى البعيد وذلك بعد أن خلقت الظروف علي الأرض تعاطفا من قبل الدول الأفريقية التي استقبلتهم لتنضم هذه الدول فيما بعد إلي كينيا وأثيوبيا كبئر توتر يتم إشعالهم في الوقت المناسب بما يتفق مع الأيدلوجية العامة لأي دولة غربية تريد فتح هذا الملف.

ومازال الوضع الصومالي في حالة حرجة يتلاقي ويتكامل مع المشاكل المتأججة؛ نتيجة قيام دولة جنوب السودان الجديدة؛ التي انفصلت عن السودان؛ لخلق جبهة تقوم على أيدلوجية مسيحية وقومية زنجية في موجهة الأيدلوجية السلامية والعربية علي وجه الخصوص؛ وذلك في الصراع العسكري الذي حدث في نهاية مارس وبداية ابريل ٢٠١٢ بمنطقة هيجليج وابيي عندما تم تحريض الحركة الشعبية بجنوب السودان من قبل إسرائيل لغزو المنطقة المتنازع عليها

كل ذلك بهدف تركيع مصر، وطمس العالم الإسلامي من علي الخريطة فيما بعد، ولكن رغم كل ذلك فأن الشعوب الأفريقية لديها حس فطري وعدائي ضد الجلادين الغربيين، الذين أذاقوا أفريقا سموم العذاب علي مر التاريخ وسوف تفشل كل تلك المخططات بصحوة ويقظة الشعوب الأفريقية.

ويسهم تقسيم السودان وتفكيك الصومال في احكام السيطرة علي مصر والتحكم الاقتصادي فيها ومنعها من التصدي لحولات غربية صهيونية للإضرار بمصر ومنع نموها الاقتصادي نظرا للحقد الطائفي الغربي والرغبة في السيطرة علي الشرق ومن ثم يصب اضعاف ةتفتيت الدول التي تشترك في أيديولوجية إسلامية مع مصر في الهدف وبداية سد النهضة الأثيوبي الذي فجر أزمة بين مصر وأثيوبيا في مايو عام ٢٠١٣ يعود لسنة ١٩٦٤، عندما قرر جمال عبدالناصر بناء السد العالى باتفاقية ١٩٥٩ مع السودان، وتقسيم المياه معها، مما أدى إلى أن قدمت إثيوبيا شكوى أمام الأمم المتحدة، وفصلت الكنيسة الإثيوبية عن الكنيسة المصرية فى ذاك الوقت كرد فعل، ثم اتفقت مع أمريكا

على استقدام عدد كبير جدا من الخبراء على الأراضى لدراسة كيفية التحكم فى مياه النيل الأزرق، واستخدام مخطط للسدود، وانتهى فريق الخبراء فى سنة ١٩٩٤ بتحديد بناء ٣٢ منشأة على مياه النيل، منها أربعة سدود على النيل الأزرق، وتم إنشاء العديد من المنشآت الصغيرة على الروافد خلال العقود الماضية.

-لكن تلك المخططات كانت فى الستينات؟ تم إعداد استراتيجية غربية لإثيوبيا لاستغلال الموارد المائية لإحداث نهضة اقتصادية بإثيوبيا، خصوصا أنها كانت تعيش على المعونات لمعاناتها من الفقر، فتم التخطيط لإحداث الطفرة الاقتصادية لواحدة من أفقر ١١ دولة بالعالم، لتصبح دولة متوسطة الاقتصاد فى حدود عام ٢٠٢٥، وتم التخطيط لهذه الطفرة من خلال إنشاء سدود على النيل الأزرق، وبقية الثلاثة عشر نهرا التابعة لإثيوبيا لتوليد الكهرباء بطاقة إجمالية مقدارها ٤٥ ألف ميجاوات، وهذا يزيد على إنتاج السد العالى حوالى ٢٣ مرة، وتصدير تلك الطاقة إلى الدول المجاورة فى الشرق والغرب والشمال والجنوب، وتم تقديم تلك السدود عن طريق مبادرة حوض النيل لدراستها وإعداد دراسات جدوى فى عام ٢٠٠٥، وفى نفس الوقت وبالتوازى كانت تسير الاتفاقية الإطارية لحوض النيل، والتى يطلق عليها اتفاقية عنتيبى، وهى تحرص على إعادة تقسيم مياه النهر على جميع دول الحوض، وذلك الهدف الرئيسى، فبدلا من انفراد مصر والسودان بالحصة الأكبر من إيراد النهر، ودول المنبع تنفرد بمياه الأمطار بالكامل والتى تبلغ ١٧٠٠ مليار، لذا رأوا تحديد الحصة المائية.[1]

٣- **الحصار الطائفي لمصر من أفريقيا:** تحاصر الطائفية مصر من كل حدب وصوب حتى في الظهير الأفريقي، تجد الدولة نفسها تتعرض لهزات نتيجة تعرض مصالحها للخطر في العمق الأفريقي وتعرض دول حوض النيل لخطر التقسيم بسبب النزعات الأثينية وهو يجعل عملية التوافق على مياه النيل في بالغ الخطورة ومرة أخري تجد

---

[1] زينب عبد الرازق، وكريمة عبد الغني، الأهرام الرقمي، تحت عنوان: من يتحكم في مياه النيل يتحكم في مصر، ٢٠١٣/٦/٨

مصر نفسها مضطرة للدفاع عن أمنها المائي على بعد الآلاف الأميال خارج حدودها فقدر مصر الجغرافي يفرض عليها بعداً أخر علاوة على البعد الديني والعربي ، ويدرك أعداء مصر تلك المتغيرات على الصعيد الجغرافي ويحاولون فتح ملفات مستمرة بالعزف على كافة الأوتار، ترجع عمليات التمهيد لبث أسباب الصراعات الأهلية في أفريقيا إلى مؤتمر برلين بين عامي ١٨٨٤ /١٨٨٥ بين الدول الغربية حيث جاء المؤتمر متسقاً مع مصالح المستعمرين واتجاهاتهم التوسعية كما أن التقسيم جاء متناقضا مع الواقع الاجتماعي للمجتمعات الإفريقية وقد أفرز هذا التقسيم عن مجتمعات غير قابلة للحياة مع بعضها البعض وسوف نعرض أمثلة محدود نظراً لا اتساع طائرة الطائفية بأفريقيا, ومن أمثلة ذلك أوغندا التي فضلت الإدارة الاستعمارية قبيلة البوجندا على باقي الجماعات الأثينية الأخرى وجرى إطلاق أسمها على الدولة الأوغندية ككل وحصلوا على حكم ذاتي موسع وحصلوا على فرص تعليمية أكبر مما كان متاحا لباقي السكان وفى عام ١٩٩٦ كانت ١٤ دولة من أجل ٥٣ دولة أفريقية تعانى من حرب أهلية. .(١)

تتصف القارة الأفريقية بتنوع التركيبات الأثينية وعمل الاستعمار على إشعال هذه الصراعات , ولكن لم تكن الأثينية وحدها بأي حال من الأحوال هي المحرك للحرب الأهلية إنما تأتى هذه الحروب دائما نتيجة للتهميش والاضطهاد أو عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية، لقد عاشت فى رواند قبيلتين الأولى وهى الهوتو وكانوا مزارعين يكدحون فى الأرض يستخرجون منها معاشا متواضعا والثانية التوتسي وهي قبيلة من الرعاة وهم أقل عددا وقد تمكن التوتسي من السيطرة على الهوتو نظرا لأن تربية المواشي كانت تدر عليهم عائدا كبيرا وحدث تزاوج بين القبيلتين وطمست تلك الأثينية.

* **الاستعمار البلجيكي:** ساهم الاستعمار البلجيكي كعادة الغرب فى التميز، وأعاد

---

(١) رانيا حسين عبد الرحمن معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة،شبكة المعلومات الإسلامية، ٢٠٠٣/١٠/٢٤

استحداث استخراج بطاقات هوية تقسيم الرواندين طبقا لانتمائهم القبلي , وتأسس حزب انعتاق الهوتو عام ١٩٥٩ وقام هذا الحزب بعدة مذابح لقبيلة التوتسي أثناء ما سمى بالثورة الزراعية الأمر الذي نجم عنه عزل الملك الرواندي عام ١٩٦١ وإبعاده عن رواندا وإعلان استقلال شكلي وقيام الجمهورية الأولى للهوتو عام ١٩٦٢ ودفعت المذابح إلى تهجير ١٦٠ ألف رواندي واستمرت الحكومات المتعاقبة في اضطهاد التوتسي حتى عام ١٩٩٠ حيث قامت الجبهة الوطنية الرواندية فى المنفى بعبور الحدود إلى دولة رواندا من أوغندا التى دعمت التمرد.

تكونت طليعة القوات التوتسية من ٤ آلاف جندي من أبناء الجيل الثاني للتوتسي وعبروا الحدود في زى الجيش الأوغندي، ساندت أوغندا قوات الحركة ماديا وقتل قائد الجبهة الوطنية فريد رديجي على يد أحد القادة التابعين له، ووصلت القوات على مقربة من العاصمة كيجالى بمسافة ٤٥ كيلو متر وكان الدعم الفرنسي والزئيرى لرواندا عاملا أساسيا فى وقف التقدم نحو العاصمة واستمرت الحرب حتى وصلت إلى ذروة الاحتقان فقام القادة فى جماعة الهوتو فى ابريل عام ١٩٩٤ بحملة ضد الأقلية.

بلغ عدد القتلى من التوتسى ٨٠٠ ألف وتعرضت مئات الآلاف من النساء إلى الاغتصاب كل ذلك حدث فقط فى مائة يوم، وعقب تلك الجريمة تم تشكيل محاكمات متنوعة أسفرت عن سجن ١٠٠ ألف من المجرمين الذين شاركوا في حرب الإبادة وبعدها انطلقت حملات للمحاكمات الدولية للقادة ولكن الخسائر القصوى لهذه المذابح هي أقل من أي حكم يمكن أن يصدر، وتم اغتصاب نحو ٢٦٠ألف سيدة، وتشريد نصف مليون طفل واعتقال نحو ١٣٠ ألف مواطن.

وقد ذكرت الحكومة الرواندية أن فرنسا توطت في تلك المذابح من خلال دعمها لفصائل الهوتو ماديا وعسكريا ومعنويا وكانت علي علم بالتخطيط للمذابح الجماعية في رواند عام ١٩٩٤ وقدمت فرنسا نحو ٥,٥ مليون دولار للمقاتلين الهوتو لشراء السلاح في حين انفقت رواند نحو ١٠٠ مليون دولار في شراء السلاح في فترات الحرب الطائفية

علي الرغم من التدهور الاقتصادي [1] ، وأثبتت التقارير الدولية ذلك وهو ما يعكس زيف الحضارة الغربية وأكاذيب حقوق الأنسان التي يتخذونها ذريعة لفرض الوصية العسكرية علي الدول.

يظهر لنا أن خسائر الحرب الأهلية فى رواندا فاقت خسائر مصر في أربع حروب مع إسرائيل ٨ مرات من حيث عدد القتلى وكان لارتفاع نسب الجهل والأمية عاملا أساسيا في هذا التصرف الهمجي الذي يمثل جريمة ضد الإنسانية، هذا مع العلم أن هناك دولا أخرى كثيرة في أفريقيا منها الصومال مازالت حتى الآن منذ عام ١٩٩٠ وهى تعانى من الحرب وهو ما يعرض البوابة الجنوبية على البحر الأحمر للخطر .

هنا علينا أن نلاحظ الوضع الاقتصادي الهش هو المحرك الأول لهذه الاضطرابات لأن الثورة مع الفقر والجهل تحول الإنسان إلى التصرف وفقا لقوانين الغابة ولا يختلف كثيرا عن الحيوانات المفترسة لقد ضغط الفقراء على موارد البيئة المحلية مما تسبب نفاذ الرصيد التراكمي لثروات الدول وفى النهاية تترجم الندرة فى ظل تزايد الاحتياجات البشرية إلى صراع يتخذ فى النهاية بعدا طائفياً فى أوقات يكون الفشل حليف الإدارة الحكومية نتيجة لتعثر خطط التنمية، لو تأملنا تلك العوامل الاقتصادية لنشوب الحروب الأهلية سوف نجد بعضا منها موجود في مصر فالبطالة لدى الشباب وعدم وجود فرص عمل وارتفاع الأسعار كل ذلك قد يدفع شريحة إلى عالم الجريمة والبلطجة أو التعصب والتطرف نتيجة للحقد الطبقي أو التدين الفاسد دون فهم حقيقة الدين , هناك تراجع تنموي على مستوى الفرد داخل مصر , الاستقرار لم يعد يهم جيوش العاطلين لأنهم لا يملكون شيئا يخسرونه وهذا المهدد الأول للاستقرار الاجتماعي، وهو ما يؤكد تبادل الأدور الغربية في إشعال الطائفية لمنع قيام نهضة إفريقة أو تحقيق تعاون مائي مع مصر يفيد دول الحوض.

---

[1] الجزيرة نت،٢٠٠٧/١٢/٦، عن تقارير المم المتحدة، كتاب الليلة الرواندية لجان بول، وكتاب أورشا للمؤلف أندريه ميشل.

رابعا : أثر الطائفية في العالم العربي علي مصر : يستمر الغرب المجرم في اللعب علي الوتر الطائفي و أثارات الصراع بين الحكومات والتيارات الدينية والتتشددة وتشي الأحداث ان ذلك التصادم داخل الدول العربية يتم عبر صناعة غربية صهيونية أعتمادا علي التعصب أو العناد السياسي أو الجهل وسوف نستعرض بإيجاز شديدة تلك الوضاع الماسوية في الدول التالية.

١- **نموذج الجزائر :** تظهر صورة أخرى للحرب الأهلية في الجزائر لقد كانت الأوضاع المتأزمة تتفاقم مع بداية تسلم الشاذلي بن جديد السلطة عام ١٩٧٩ فمع بداية الخطة الخميسية التي تهدف إلى التوجه نحو الاقتصاد الحر، شهدت البلاد نشاطا من قبل البربر للتصدي فيما عرف وقتها بالتعريب وخاصة في مجال التعليم، وعند منع خطبة حماسية ضد التعريب للناشط البربري مولود ماميرى في جامعة حسناوة فى تيزى أوزو فى ١٠ مارس عام ١٩٨٠ بدأت حملة منظمة من الطلاب والأطباء والناشطون البربر للبدء في إضراب عام وهو ما دفع ابن جديد إلى إجراء بعض التعديلات التي اقترنت بمنح حقوق ثقافية وسياسية وإعلامية وجامعية للبربر وهذه التعديلات أغضبت التيار الإسلامي واعتبرها تنازلات عن الهوية الجزائرية.

عقب ذلك نشط التيار الإسلامي من خلال القيام ببعض العمليات التي تستهدف محلات بيع المشروبات الروحية وتم ممارسة الضغط على النساء لارتداء ملابس تتفق مع الشريعة الإسلامية مع ازدياد ظاهرة العنف تدخلت الحكومة للحد من الظاهرة وأسفرت حملة الانتقالات عن سجن ٤٠٠ ناشط من أنصار الإسلام السياسي وفى محاولة من الحكومة لنزع أسباب التوتر تم افتتاح جامعة قسطنطينة الإسلامية وتعديل قانون الأسرة ومن هنا كان مدخل الغرب في تأجيج الصراع من اجل إجهاض النمو تمهيدا لعودة فرنسا واحتلال الجزائر ولكن غياب الوعي لدى التيار الإسلامية والتعصب لدى المسلمين البربر أشعل الفتنة دون مبرر .

تعثر الوضع الاقتصادي عام ١٩٨٦ مع انهيار أسعار البترول الذي هبط من ٣٠

دولار للبرميل إلى ١٠ دولارات للبراميل، مما خلق أزمة اقتصادية ارتدت على المواطن الذي أصبح يعيش حالة من الفقر دفعته إلى اللامبالاة، اقترن الغضب بالفقر داخل الشارع الجزائري وأثر سوء الحالة الاقتصادية على كافة الطبقات فمع غياب الاستقرار وعدم قدرة الأسر على تلبية احتياجات أفرادها ينتشر السلوك العشوائي وتغيب حاسة إدراك عواقب الأمور فكانت البداية هي سلسلة من إضرابات طلابية أخذت أعمال العنف فيها تتخذ وتيرة متصاعدة اقترنت بالتخريب في عدة مدن منها عنابة وبليدة، وأعلنت الحكومة حالة الطوارئ عقب مقتل ٥٠٠ شخص في أعمال العنف وتم اعتقال ٣٥٠٠ فرد فيما عرف اصطلاحيا بأكتوبر الأسود.

ظهرت نتائج غير متوقعة بعد ظهور جبهة الإنقاذ بقيادة عباس مدني الذي تبنى منهجا يعتمد على اعتبار القرآن هو المصدر الوحيد للحكم وفازت جبهة الإنقاذ في الانتخابات مما أدى إلى قيام الشاذلي بن جديد بإعلان الأحكام العرفية في ٥ يونيو عام ١٩٩١ واعتقال عباس مدني إلا أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ فازت بأغلبية المقاعد النيابية وحصلت على ١٨٨ مقعد من أصل ٤٣٠ مقعد وتم على أثر ذلك تشكيل مجلس رئاسي لضمان إقصاء الجبهة عن الحكم وإجبر بن جديد على ترك الحكم بالاستقالة وتم إلغاء نتائج الانتخابات، بعد اعترض الجيش وكبار رجال الدولة على فوز الجبهة وتم إعادة مُحَمَّد يوفيان من المنفى بالمغرب ليكون رئيسا للمجلس الرئاسي وتم اعتقال ٥٠٠٠ من أعضاء الجبهة إلا أن العدد حسب تقديرات جبهة الإنقاذ وصل إلى ٣٠ ألف معتقل وعقب ذلك انفلت زمام الأمور وتم اغتيال بوضياف فى ٤ مارس ١٩٩٢ وحكم على عباس مدنى بالسجن ١٢ عاما.

بإمعان النظر سيتضح أن الأحداث التي أشعلت الحرب الأهلية في الجزائر كانت تقريبا عي نفس الأسباب التي تؤدي للطائفية وبعد قيام ثورة ٢٥ يناير في مصر في ظل انتشار الفقر وغياب الأمل في الحياة الكريمة مع غياب الديمقراطية حاول الغرب جر مصر لصراع طائفي إسلامي مسيحي ومازال يحاول صناعة ذلك من خلال عملائه لإنتاج صراع إسلامي مع الجيش علي غرار حالة الجزائر، فإلغاء نتائج الانتخابات في الجزائر كان

قريب من تزوير انتخابات ٢٨ نوفمبر ٢٠١٠ لصالح الحزب الوطني لإقصاء الإخوان عن الحكم وكانت الشرارة الأولى لتذمر الشعب المصري هو تجاهل إرادته السياسية بإقصاء التيارات الأخرى من أحزاب المعارضة من أجل التوريث لصالح طبقة من رجال الأعمال استأثروا بمقدرات البلاد وكانوايدعمون بقوة وجود حاكم من رحم النظام السابق لضمن استمرار احتكار الرأسمالية للحكم، فكانت كل القوى الاحتكارية وكبار المسئولين في الدولة يقفون في نفس الخندق لضمان نجاح عملية التوريث وتفادى عمليات المحاكمة من قبل أي نظام جديد يمكن أن يأتي إلى الحكم مع إهمال حقوق الشعب وتخلى الدولة عن وظائفها فى التعليم والصحة والنقل ومع غياب المشاريع الاقتصادية التي تستوعب النمو السكاني المتطرد في البلاد.

يتضح للعيان أن حالة الفشل في تلبية احتياجات الشعوب في الجزائر ومصر كانت المؤسس للتصدي للحكم ، ولكن الاختلاف كان في أن الوضع في الجزائر تحول إلى حربا أهلية وفى مصر تحول إلى انفجار ثوري أعقبه سقوط هيبة الدولة وهو ما ينذر بحرب أهلية على أساس طائفي، وفي كلا الأمرين كان الإخفاق الاقتصادي وغياب الديمقراطية هو المفجر الأول للأحداث لأن خروج الشعوب على الحكام دائما ما يكون نتيجة لفقدان الأمل في الحياة على الصعيد الاقتصادي في المقام الأول , لقد فقد الشباب في مصر الأمل في وجود فرص عمل تكفل لهم الحد الأدنى من الحصول على سكن ، لقد أغلقت الرأسمالية كل باب يمكن فتحه من أجل استمرار الحياة، بالتعاون مع نظام حكم لا يمتلك أي مقومات علمية للإدارة وأصبح معظم رجاله من الفاسدين وأنصاف المتعلمين وبات يطرد من النظام السياسي المصري كل مبدع أو صاحب فكر أو كاريزما ، يأسف كل ذي لب على ما آلت إليه الأمور في مصر إن هذا المناخ الاقتصادي المتردي هو بوابة الحرب الأهلية في أي مكان في العالم.

استمرت الحرب الأهلية في الجزائر حتى جاء عبد العزيز بو تفليقة الذي قاد حملته الانتخابية على أساس إتمام المصالحة الوطنية وأصدر عفوا عاما عن المعتقلين وعرض ميثاق السلم والمصالحة على الشعب فى استفتاء ١٦ سبتمبر عام ١٩٩٩ وقامت الجبهة

الإسلامية للإنقاذ بنزع أسلحتها بالكامل فى ١١ يناير عام ٢٠٠٠ وفى فبراير عام ٢٠٠١ تم قتل عنتر الزوابرى زعيم الجامعة الإسلامية المسلحة فى إحدى المواجهات المسلحة مع الجيش الجزائرى، يجدر بنا هنا أن نتوجه لبعض أدعياء الدين الإسلامي من أنصاف المتعلمين لكي نتعظ من الخسائر التى لحقت بالجزائر نتيجة هذه الحرب الأهلية الطاحنة التى أدت إلى خسائر بشرية وصلت ١٠٠ألف قتيل (١) وهو ما يوازى خسائر مصر فى أربع حروبها مع إسرائيل مدعومة بإمكانيات الدولة الغربية، ينبغي أن يعلم المتشددين أن القذف بالإسلام فى معركة لا تخصه أمر يضر بالدين لأن ما حدث من تردى للأوضاع فى مصر والدول العربية جاء نتيجة الجهل والفساد وأي نظام إسلامي سوف يصل إلى الحكم لن يستطيع الإصلاح على المدى القريب لأن عمليات إعادة تأهيل الشعوب علميا وثقافيا ودينيا لن تأتى بين عشية وضحاها.

قد تكفر الشعوب المتعجلة إلى لقمة العيش بالتجربة الإسلامية في حالة فشلها وهذا هو أخطر ما يواجه ظاهرة الإسلام السياسي، أن أي نظام مهما كانت درجات النبل والسمو الأخلاقي فيه لن يثمر أي نتائج بدون وجود بشر مؤهلين لذلك، لقد باتت الازدواجية في الشخصية المسلمة والتواكل والاعتماد على الشكل والمظهر دون الجوهر أمر في منتهى الخطورة , هنا يعمل البعض دون فراسة أو بعد نظر لوضع الإسلام فوق عربة من مخلفات الخمسينات ليخوضوا بها صراع مع مركبات الفضاء .

يخطئ هؤلاء في الفهم والتعامل مع المنطق، لقد ضمن الله للكافر الذي لا دين له العدالة في الدنيا إذ أخذ بأسباب النجاح والأدلة كلها حولنا تقول ذلك، اليابانيون في مقدمة الشعوب والصينيون قاب قوسين أو أدنى من الفوز بمقدرات العالم على كافة المستويات , هل يدرك هؤلاء المتنطعين باسم الدين أن إعادة بناء الإنسان هي المرحلة الأولية التي تسمح بتفهم الرسالة الأخلاقية للدين الإسلامي , هل يمكن لجاهل أو محتكر أو غشاش أن يحمل تعاليم الدين الإسلامي السمح.

---

(1) http://www.marefa.org

تظهر أمام العيان صورة الجزائر التي خسرت أكثر من ١٥ سنة من عمرها فى صراع دموي أدى إلى استنزاف قدرات البلاد الاقتصادية، وهو ما أدى إلى هروب رأس المال الأجنبي وتعطل حركة التطوير والإنتاج، إن الدور الأول للحركات الإسلامية الحقيقية هو إعادة إنتاج المسلم الحقيقي الذي يستمد مكونه الإنساني من روح القرآن العظيم.

تأثر الاقتصاد الجزائري نتيجة تبديد موارده النفطية الهائلة فى الإنفاق على ضحايا العمليات الإرهابية وعلاج المرضى واستيراد الغذاء والدواء والكساء، الشعب تحول إلى وقود للصراع قرابة العقدين،وأدى الفراغ السياسي والتردي الاقتصادي بمصر والجزائر في مرحلة من الإفلاس الفكري والتنموي إلى تعليق مصير القيادتين على نتائج مباراة كرة قدم عام ٢٠١٠ في مباراتي الخرطوم والقاهرة، وغاب عن القادة في البلدين الوعي نتيجة للخلل الحاد فى أنظمة الإدارة والحكم وبات الهدف القومي فى أدنى مستوياته وانحصر فى نتيجة مباراة كرة القدم , لقد أخذ السياسيون البلاد إلى مسطح من الفراغ جعل عقلاء الأمة ينزفون دما على ما ألت إليه الأمور،أن ضآلة الحكام وصلت إلى تصوير مباراة كرة قدم على أنها إنجاز قومي، وقد ساهم الإعلام فى تحويل الرأي العام إلى ذلك ونجح بجدارة لأن البنية الأساسية للشعوب غير قادرة على التمييز نتيجة الفشل في أنظمة بناء الفرد من خلال التعليم والثقافة وغياب القانون.

لقد كان المثقفين وأصحاب لغة الحوار العلمي والمنهجي غائبين عن الساحة، لأن ذلك لم يكن من ضمن أوليات الحكومات بل غاب دور الدين فى بناء الجانب الإيجابي للفرد وهو ما جعله دون روح ولا يفهم معنى الأمانة أو قدسية العمل.

ظهرت تلك الروح السلبية خلال ثورة ٢٥ يناير وذلك نتيجة اندساس الخارجين على القانون وسط الشرفاء وأصحاب الأهداف النبيلة فقام بعضهم بأعمال البلطجة بالنهب والسلب والاغتصاب , لقد كان الشرفاء فى مصر يدفعون الدم ويتعرضون للاعتقال والتعذيب من أجل حياة كريمة فى ذات الوقت الذى لا يعي المستهدفين من الجهلاء حقيقة الأمر وتحولوا دون علم نحو إجهاض الثورة مع القوى المضادة.

لم يتوقف الأمر عند ذلك لقد حشد المتطرفين والمتعصبين باسم الدين في كلا طرفي الأمة المصرية الكثير لخوض مواجهة لن يكون فيها فائز واحد بل نسى المثقفين فى أحيان كثيرة أن هناك أمور لا يمكن أن تناقش إلا داخل الصالونات الثقافية مع مستوى فكرى معين حتى لا تكون النتائج عكسية العديد منهم يتكلم بحسن نية فى محاولة للإصلاح فى ذات الوقت الذي يتلقف الجاهلون كل ما يقال بروح انتقامية وهو ما يؤسس لفتنة طائفية.

هناك محاولات لإنتاج طائفية الجزائر بمصر بعد ثورة ٢٥ يناير بين القوي الإسلامية والقوي الليبرالية من جديد في حلبة الصراع علي السلطة، هي السناريو البديل للطائفية الدينية، وتنفخ في النار قوي الغرب من خلال أجهزة التخابر الدولية والقوي الراسمالية الفاسدة التي نهبت البلاد، وهاتان الجهتان بالتحديد تسعيان لجر الأغلبية الصامتة والجبش والأمن واللبراليين للصراع ضد القوي الدينية، هذا هو مكمن التخوف.

٢- **دول المغربي العربي:** تستهدف المخططات الغربية تقسيم شمال أفريقيا وتسعي لتفكيك ليبيا والجزائر والمغرب، بهدف إقامة ٣ دول أولها دولة البربر على امتداد دويلة النوبة بمصر والسودان، ودويلة البوليساريو، والباقي دويلات المغرب والجزائر وتونس، وليبيا التي ظهرت فيها بعد سقوط القذافي نعرات طائفية للتقسيم؛ إلي ثلاث دويلات هي برقة وفزان وطرابلس، وبدء ذلك من بعض دعاة الفيدرالية بالمنطقة الشرقية"، في مؤتمراً في مدينة بنغازي، لمناقشة "النظام الفيدرالي كخيارللنظام الإداري في ليبيا الجديدة،" أعلنوا فيه أن "نظام الاتحادالفيدرالي يُعد خياراً لإقليم برقة، في إطار دولة ليبية مدنية ودستورية تكون شريعتها الإسلام."

وقررت هذه الشخصيات، في بيان صدرعن المؤتمر، تأسيس "مجلس إقليم برقة الانتقالي "، برئاسة أحمد الزبير السنوسي، مؤكدين تمسكهم بدستور عام ١٩٥١، رافضين كل التعديلات التي صدرت بشأنه منذ تعديل عام ١٩٦٣، كما أعلنوا رفضهم للإعلان الدستوري الصادرعن المجلس الوطني الانتقالي.

في بداية التسعينيات حاولت أمريكا أن تمسك العصا من الوسط فلا هي مع النظام ولا مع جبهة الإنقاذ، وربما أخذت من تجربة إيران الدروس والعبر، فالمعارضة مهما كانت توجهاتها ستصل إلى الحكم حتما، ولهذا لم تندد بانقلاب ١٩٩٢ على الشاذلي بن جديد وتوقيف المسار الانتخابي، وفي الوقت نفسه دعمت عقد سانت إيجيديو مطلع ١٩٩٥ واستضافت أنور هدام رئيس ما يعرف بالبعثة البرلمانية في الخارج والمحكوم عليه بالإعدام في الجزائر، هذا بالرغم من مواقف جبهة الإنقاذ ال ن الجزائر وضعت في خانة هامة للإستراتيجية الأمريكية وخاصة أنها غنية بالنفط، فحسب دراسة أعدتها شركة نفط كويتية من أن الجزائر أصبحت من أكبر الدول العربية تصديرا للغاز (الخبر: ٢٠٠٧/٨/١٩، مما جعل نفط الجزائر بلا منازع على رأس الأجندة الأمريكية، مناوئة لأمريكا في حربها على العراق عام 1991 [١]

٣- **الحرب اللبنانية:** يتميز المجتمع اللبناني بتنوعه الديني والمذهبي والطائفي، إذ فيه ١٨ طائفة ومجموعة دينية معترف بها رسمياً. والشيعة (الجعفرية) يمثلون إحدى هذه الطوائف، إلا أنهم أكثرها نمواً ديمغرافياً

ورغم أنه لم يتم إجراء أي إحصاء سكاني رسمي على مستوى البلد كله منذ العام ١٩٣٢، بسبب حساسية مسألة التكافؤ بين الطوائف، فإن عدداً من المصادر تشير إلى أن الشيعة يمثلون ثلث السكان في لبنان. و أن نسبة السكان الشيعة تبلغ ٢٥–٣٥ في المائة، من إجمالي عدد السكان، الذي يصل إلى نحو أربعة ملايين نسمة، [٢] ولكن تقرير "الملل والنحل والأعراق" لعام ٢٠٠٥، ذكر أن الشيعة يشكلون حوالي ٢٩ في المائة من عدد السكان.

---

[١] أنور مالك ، الحوار المتمدنالعدد: ٢٠٣٤، تحت عنوان: المحور :الارهاب, الحرب والسلام، ٢٠٠٧/٩/١٠ .

[٢] وزارة الخارجية الأمريكية، تقرير "الحرية الدينية في العالم" لعام ٢٠٠٦

انتشر الفقر والجهل بين قبل نشوب الطائفية في لبنان عندما اختلت منظومة توزيع الدخل لصالح رجال الأعمال اللبنانيين في مجال التجارة كوسطاء بين الدول الصناعية الكبرى والدول العربية وتحولت لبنان إلى مستورد ومصدر لسلع لا تنتجها وكانت الدول التي تستورد من لبنان هي المملكة العربية السعودية وسوريا وليبيا، فقد كان العالم العربي يحصل على ٦٠% من صادرات لبنان، وتركز الاقتصادي في يد٦% من السكان، وأصبحت بيروت هي المركز الرئيسي لحركة الأموال، وعقد الصفقات على حساب الإنتاج، وهو ما أسس للحرب الطائفية؛ نتيجة لأن القوى المنتجة في مجالات الزراعة والصناعة والحرف؛ لم تحصل سوى على نسبة تتراوح ما بين ١٥ إلى ٢٠ من دخل البلاد.

تمثل الحروب اللبنانية التي اندلعت في ١٣ إبريل عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٩٠ نوعا من الحروب القاسية وكانت حرب دموية معقدة تعود جذورها للصراعات والتنازلات السياسية في فترة الاستعمار الفرنسي لسوريا ولبنان وعاد هذا الصراع يتفجر مرة أخرى بسبب التغير السكاني في لبنان والصراع الديني الإسلامي المسيحي وتغذية هذا الصراع من قوى خارجية على رأسها إسرائيل التي غزت جنوب لبنان عام ١٩٨٢ وحاصرت بيروت مما أدى إلى خروج القوات الفلسطينية والسورية من لبنان إلا أن انتفاضة ٦ شباط عام ١٩٨٤ أعادت السوريين مرة أخرى إلى لبنان عقب العديد من المعارك الطائفية وانتهت الحرب بتكريس للطائفية في نظام الحكم بين المسيحيين والشيعة والسنة وأسفرت هذه الحرب عن نتائج مروعة حيث بلغ عدد القتلى فيها ١٣٠ ألف لبناني من كافة الطوائف وهو ما يزيد عن خسائر مصر العسكرية في أربع حروب خاضتها مع إسرائيل، في حين بلغ عدد المصابين بإصابات بالغة ٢٠٧ ألف ما بين الإعاقة التامة أو الجزئية علاوة على ١٧ ألف مفقود وتم تهجير ٧٥٠ ألف مواطن داخليا و٤٠٠ ألف إلى الخارج.[1]

---

(١) أحمد عز الدين، عصر انحطاط الإمبريالية، العودة إلى منطق موازين القوة العسكرية، القاهرة، مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٦

*ارتفعت فاتورة الحرب على الصعيد الاقتصادي حيث بلغت خسائر لبنان أثناء فترة الحرب حتى عام ١٩٩٠ حوالي ٢٥ مليار دولار وارتفع حجم المديونية بعد عامين من الحرب بمبلغ ٣ مليارات دولار وأدى ذلك التدهور الاقتصادي إلى تراجع معدلات النمو ، كان لبنان من أفضل الدول في مجال استقطاب السياحة وكانت مقصدا لكل الأثرياء العرب، فنظرا لقرب لبنان من دول النفط وتمتعه بإمكانيات جاذبة للسياحة أدى ذلك إلى انتعاش الاقتصاد به قبل الحرب ولكن النتيجة الحتمية لهذه الحرب الطائفية هو تدهور البلاد،ولقد كان ازدهار الاقتصاد اللبناني يعتمد على قطاع الخدمات بنسبة ٧٠% وهى من أعلى النسب في العالم وكانت السمة البارزة في النظام المصرفياللبناني أن ثلثى هذا النشاط كان بحوزة البنوك الأجنبية واستطاع هذا الاقتصاد جذب الاستثمار الأجنبي بكثافة فمن أصل ٧٧٢ شركة كانت قائمة بالبلاد يوجد ٢٤٨شركة فروعا لشركات أجنبية و١٥٢ شركة مختلطة وكان رأس المال الأجنبي موجود بصورة مباشرة فى ٤٠ شركة [١]

يتضح من العرض السابق أن لبنان استطاعت أن تجذب رأس المال الأجنبي لتشغيل حركة الاقتصاد الوطني لديها والانتصار على مشكلة ندرة الموارد والاعتماد على قطاع الخدمات في التنمية وهو ما ساهم في تطوير البلاد فعلى الرغم من قيام المصارف الأجنبية بتوجيه استثماراتها نحو مجالات الخدمات للحد من الخدمات الإنتاجية والحصول على أعلى وأسرع معدلات للربحية إلا أن الاقتصاد الكلى للبلاد كان في حالة جيدة و تحول لبنان إلى منطقة جذب للعمالة العربية والمصرية علي وجه الخصوص، فقد تم توظيف مبلغ ٣و٩٨٠ مليار ليرة عام ١٩٧٤ في النشاط الخدمي وهو ما يوازى ٥٠ إلى ٦٠ % من الناتج المحلى للبلاد وأصبحت لبنان جاذبة للسياحة وملتقى للعروض الفنية سواء كانت دور للعرض أو مكان للتصوير.

وشهد هذا القطاع انهياراً مريعاً، فالصادرات الصناعية انخفضت بنسبة ٣٥ في المئة

---

(١) الجزيرة نت + والراي، تحت عنوان: الحرب الأهلية اللبنانية... تعدّدت «الصواعق» و«الانفجار» واحد، العدد ١١٦٠٩ /٢٠١١/٤/١٤

عام ١٩٨٣ مقارنة بما كانت عليه العام .1974وفي الفصل الأول من العام ١٩٨٤، بالمقارنة مع الفصل الأول من العام 1983، لوحظ انخفاض النسبة إلى ٦٥ في المئة. يؤكد هذا الأمر أنه جرت تصفية عشرات من المؤسسات الصناعية.

نظرا لهذا الاختلال الحاد في الدخول الاقتصادية وانتشار الفقر والتربص الخارجي اندلعت شرارة الحرب الأهلية لتكون عامل ملازما للطائفية كسبب مباشر لهذه الصراعات،ومن هنا علينا أن نربط بين هذه العوامل وهى تتشابه مع الظروف التي سبقت الثورة المصرية ونتيجة للفساد السياسي وتركز الثروة فى يد عدد من الرأسماليين الاحتكاريين أسهم في رفع معدلات الفقر وبالتالي الجهل وهذا المناخ هو الحافز الأول للأفكار المتشددة والطائفية والتعصب.

أصبح من الضروري على أصحاب العقول في مصر اليقظة الدائمة لأن السبب الحقيقي لتحول الإنسان نحو التعصب هو الفقر والجهل وفقدان الأمل،هنا فقط يتعرض السلام والأمن الاجتماعي للخطر سواء كان ذلك في الصراع الطائفي أو الجريمة بشتى صورها، كما يعد عدم الاستقرارفي لبنان من العوامل التي تضرب الأمن القومي العربي وتفرض نوعاً من الضغوط الشعبية علي القيادة للتداخل لدعم لبنان كبلد عربي شقيق، وأيضاً أدي الوضع الاقتصادي الهش إلي عودة العمالة المصرية من لبنان، بل وصدرت لبنان العمالة اللبنانية إلى المحيط العربي لتسحب من فرص العمل المتاحة أمام فائض القوي البشرية المصرية.

وتظل لبنان في مرمي التقسيم علي الرغم من الآثار المدمرة للحرب الطائفية التي عاشتها سابقا، يود المخطط الغربي تمزيق الدول المحيطة بإسرائيل لظل هي القوة المتحكمة في الشرق الوسط ، ولذلك وضعت خريطة تقسيمها إلى ثمانية كانتونات عرقية ومذهبية ودينية هي دويلة سنية في الشمال عاصمتها طرابلس ودويلة مارونية شمالا عاصمتها جنوبية ودويلة سهل البقاع العلوية عاصمتها بعلبك خاضعة للنفوذ السوري شرق لبنان وبيروت الدولية المدوّلة وكانتون فلسطيني حول صيدا حتى نهر الليطاني تسيطر عليه منظمة التحرير الفلسطينية وكذلك كانتون كتائبي في الجنوب يشمل مسيحيين ونصف

مليون من الشيعة بالإضافة إلى دويلة درزية في أجزاء من الأراضي اللبنانية والسورية والفلسطينية المحتلة وأخيرا كانتون مسيحي تحت النفوذ الإسرائيلي.

٤- **العراق:** تنوع الحالات المقيتة للفتنة الطائفية فى الدول العربية , العراق بعد أن وقع تحت الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، لقد عملت الولايات المتحدة والدول العربية على التكريس لفكرة الطائفية بعد فرض مناطق الحظر الجوى على العراق بهدف خلق صراع سني شيعي كردى يسقط نظام الحكم العراقي , و فشل هذا الطرح أدى إلى قيام الولايات المتحدة بالغزو، ويبدو أن الأمر قد وحد الشعب العراقي ضد المحتل ودول التحالف، اتضح للغزاة أن القضاء على المقاومة يأتي عن طريق إثارة الفتنة الطائفية ونجحت المخابرات البريطانية والأمريكية والإسرائيلية فى ذلك.، ووقعت العراق كدولة ضحية الطائفية الدولية من خلال الصراع النسي الشيعي الذي راق لليمين المسيحي بوصفه تصفية للكيانات الدولية الصاعدة في الشرؤق الوسط في حالتي العراق وإيران جراء النزاع و التصادم العسكري الذي كبد العراق نحو مليون قتيل وخسائر اقتصادية قدرت بنحو ٤٠٠ مليار دولار استقرت كلها في خزائن شركات السلاح الغربية والشركات متعددت الجنسيات وهذا المبلغ لو انفق علي التنمية وقتها لسبقت العراق الولايات المتحدة في شتي المجالات.(١)

تستمر وتيرة ارتفاع الضحايا حتى الآن فالطائفية مازالت حتى عام ٢٠١١ تضرب العراق لتقضى على فرص النمو والبناء، وتتضارب الإحصائيات إلا أنه من المؤكد أن الضحايا ضعف ما ذكر من أرقام لقد كانت التقديرات فى نهاية عام ٢٠١٠ هى مليون قتيل و٢ مليون جريح و٤ مليون لجئ عراقى

وبعد انتهاء الحرب الإيرانية العراقية، وقع العراق منذ عام ١٩٩٠ حتى الأن عام ٢٠١١ ولمدة ٢١ عام بين فكي الحصار والاحتلال والفتنة الطائفية، وأوقعت الحرب

(١) Edward Willett, ,P.4

الطائفية والحصار والغزو الغربي أكثر من ٦٥٥ ألف قتيل علاوة على التهجير الداخلي وقد تجاوز المصابين والمعاقين أضعاف تلك الأرقام علاوة على اللاجئين الذي وصل خارج البلاد إلى ١,٥ مليون وداخل البلاد إلى ١,٢٥ مليون وذلك فى الفترة ما بين مارس ٢٠٠٣ حتى يونيو ٢٠٠٦

وتم تدمير البنية الأساسية ومقدرات الدولة العلمية والاقتصادية وتشير احد تقديرات بمجموعة نادي لندن الى أن حجم الديون الخارجية العراقية تبلغ ١٣١.٨ مليار دولار وتصنفها الى ٣٨.٩ مليار ديون لبلدان باريس و ٦٧.٤ مليار لبلدان خارج نادي باريس و ٢٥ مليار دولار للمؤسسات الخاصة و ٠.٥ مليار دولار متعددة الأطراف في ذات الوقت الذي قدر وزير التخطيط العراقي السابق د. مهدي الحافظ في محاضرة له عقدت في دبي خلال شهر أيلول ٢٠٠٣ جملة التزامات العراق الخارجية بـ (٤٥٠) مليار دولار موزعة على ٣٥٠ مليار دولار تعويضات من جراء حربي الخليج الأولى والثانية و 130مليار دولار الدين الخارجي منها فوائد بقيمة ٤٧ مليار دولار. في وقت قدرت دراسة أخرى حجم الالتزامات الخارجية للعراق بـ (٣٨٣) مليار دولار منها (127)مليار من القروض والفوائد المتراكمة عليها و٥٧ مليار من المدفوعات المستحقة على عقود توريدات و١٩٩ مليار دولار من تعويضات الحرب المستحقة بشكل خاص للكويت وإيران رغم إقدام بعض الدول على شطب ديونها لدي العراق تبقى الأوضاع الراهنة للحرب طائفية حجر عثرة أمام الباحثين لحصر الخسائر الناجمة عن ذلك بسبب حرص الإدارة الأمريكية على التعتيم على تلك الأرقام، حتى تحافظ على صورتها الدولية لأنها هى التى تسببت فى ذلك، وسوف تكشف السنوات القادمة عن دراسات تفصيلية تظهر حجم الدمار فيما بعد.[١]

وللتدليل علي ضلوع الغرب في إشعال الحروب أثناء عام ١٩٨٠ والحرب العراقية الإيرانية مستعرة حيث صرح مستشار الأمن القومي الأمريكي " بريجنسكي بقوله: "أن

[١] د. أيسر ياسين . www.alsabaah.com، ومصادر أخري

المعضلة التي ستعاني منها الولايات المتحدة هي كيف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم علي هامش الخليجية الأولي، التي حدثت بين العراق وإيران لكي تستطيع أمريكا من خلالها تصحيح حدود سايكس بيكو جديدة.

وكان مجلس الشيوخ الأمريكي قد صوت كشرط انسحاب القوات الأمريكية من العراق في ٢٠٠٧/٩/٢٩ على تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات المذكورة أعلاه وطالب مسعود برزاني بعمل استفتاء لتقرير مصير إقليم كردستان العراق واعتبار عاصمته محافظة كركوك الغنية بالنفط محافظة كردية ونال مباركة عراقية وأمريكية في أكتوبر ٢٠١٠ والمعروف أن دستور "بريمر" وحلفائه من العراقيين قد أقر الفيدرالية التي تشمل الدويلات الثلاث على أسس طائفية: شيعية في الجنوب/ سنية في الوسط/ كردية في الشمال، عقب احتلال العراق في مارس–إبريل ٢٠٠٣.

ترى ما هو وجه التشابه مع الوضع الحالي في مصر؟ كان نفس السبب هو حكم الفرد وغياب الديمقراطية وهذا ما يامل المصريون فيه بعد الثورة فخطوات الديقراطية بمصر أن نجحت سوف تتغير الأمور غلي الأفضل ، ويبقي غياب الوعي لدي المتعصبين والجهلاء هو مكمن التخوف ؛ لأن هذا هو المناخ الخصب في تأجيج الصراع الطائفي الذي يخدم العديد من الأهداف الدولية لبعض القوى الاستعمارية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية التي جلبت نحو ٨٠ ألف من المرتزقة داخل العراق من خلال شركات الأمن الدولية , ليصبح هؤلاء المرتزقة راس الحربة في عمليات تدمير البنية الأساسية وتفجير مساجد السنة والشيعة لإشعال فتيل الأزمة لضمان بقاء الوضع المتردي داخل العراق حتى لا تتجه المقاومة والسلاح العراقي تجاه المحتل. فهدف الولايات المتحدة وبريطانيا بقاء العراق في تناحر حتى لا يتفرغ الشعب لمقاومة الاحتلال، وهو نفس الهدف للمخابرات الإسرائيلية التي تقتضى مصالحها ببقاء مصر فى تخلف وضعف، وبالتالي، يعد إزكاء الفتنة الطائفية يصب فى مصالحها , غياب الوعي هو المناخ الملائم لبث روافد متطرفة تغذى نيران الطائفية

ضربت أثار الطائفية في العراق الاقتصاد المصري في العمق حيث كانت العراق توفر

فرص عمل قدرت بوجود ما بين ٥ إلى ٨ ملايين مصري يعملون بالعراق وهو ماكان يسمح بضخ مئات المليارات من الدولارات داخل منظومة الاقتصاد المصري، لقد الضرر غير المباشر على العمالة المصرية داخل مصر أكبر لأن تلك الأموال التي كانت تضخ بواسطة العمالة كانت تحرك السوق الداخلي وتؤدى إلى رفع معدلات التشغيل بنسب عالية، أضف على ذلك عمليات التصدير الصناعيوالزراعي المتنوع للسواق العراقيالذي كان من أكبر المستوردين للصادرات المصرية قبل حرب الخليج الثانية ، وجاءت الحرب الطائفية لتغلق السوق العراقي من جديد أمام فائض العمالة المصرية، وفيما يبدو أن ضرب العراق كان تمهيد لغلق الروافد الاقتصادية من أجل أضعاف مصر تمهيداً لتقسيمها حسب زعم المستعمرين الجدد.

٤ —**سوريا:** يأمل الطائفيون في تقسيم سوريا؛ إلى أقاليم متمايزة عرقيا أو دينيا أو مذهبيا إلى ٤ دويلات، هي دولة علوية شيعية على امتداد الشاطئ، ودولة سنية في منطقة حلب، ودولة سنية حول دمشق، ودولة الدروز في الجولان ولبنان في الأراضي الجنوبية السورية وشرق الأردن والأراضي اللبنانية، ليت النظام السوري يستجيب للعقل ويترك السلطة قبل حدوث الكارثة فالثورة السورية ماضية والنظام يتحدى الشعب صاحب السيادة الحقيقة، تتطلب المرحلة الحكمة حتى لا يتسع الصراع الطائفي داخل سوريا.

ليس من السهل الاستناد إلى إحصائيات دقيقة عن أعداد المجموعات الدينية في سورية، بسبب حساسية السلطة تجاه مثل هذه البيانات، وأن العلويين والإسماعيليين والشيعة يشكلون ما نسبته ١٣ في المائة من عدد سكان سورية، أي قرابة ٢.٢ مليون من إجمالي عدد السكان، الذي يبلغ ١٨ مليون نسمة[١] . أما التقرير الصادر عن مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية بالقاهرة عام ٢٠٠٥، بعنوان "الملل والنحل والأعراق"، فيشير إلى أن الشيعة يمثلون (١) في المائة من عدد السكان، في حين يشكل العلويون من

[١] وزارة الخارجية الأمريكية، تقرير "الحرية الدينية في العالم" لعام ٢٠٠٦

٨ إلى ٩ في المائة. بينما تشير المصادر الشيعية على شبكة الإنترنت إلى أن شيعة سورية يمثلون نحو ٢ في المائة من إجمالي السكان.

من بوابة الطائفية تستعر الحرب الأهلية السورية حيث بدأت شرارتها في مدينة درعا حيث قام الأمن باعتقال خمسة عشر طفلا إثر كتابتهم شعارات تنادي بالحرية على جدار مدرستهم بتاريخ ٢٦ فبراير ٢٠١١ وفي خضم ذلك كانت هناك دعوة للتظاهر على الفيسبوك في صفحة لم يكن أحد يعرف من يقف وراءها استجاب لها مجموعة من الناشطين يوم الثلاثاء ١٥ مارس عام ٢٠١١ وهذه المظاهرة ضمت شخصيات من مناطق مختلفة مثل حمص ودرعا ودمشق وكانت هذه الاحتجاجات ضد الاستبداد والقمع والفساد وكبت الحريات وعلى إثر اعتقال أطفال درعا والإهانة التي تعرض لها أهاليهم بحسب المعارضة السورية واعتماداً علي الطائفية تدور رحي الحرب الطائفية اليوم في سوريا علي اعتبار انها صراع سني شيعي يستقطب كل طرف انصاره لينقسم العالم الإسلامي في مواجهة ذاتية ليدمر نفسه دون عناء غربي، وعلي الصعيد الدولي تمثل الحالة الثورية مواجهة طائفية بين بقايا المعسكر الشرقي بقيادة روسيا والدول الصاعدة وبين الغرب ، ووفرت وحشية بشار الأسد الغطاء الطائفي لهذا الصراع نتيجة القمع الدموي للشعب السوري وسقوط عدة آلاف من القتلي بسبب وحشية نظام بشار السد وتم إنشاءالجيش السوري الحرفي ٢٩ يوليو ٢٠١١ على أنه مجموعة مسلحة تسعىبالأساس إلى حماية المدنيين الذين يتعرضون لعنف النظام، بيد أن عمليات الجيش الحر تزايدت مؤخرا كما ارتفع عددعناصره والأمر يهدد سلامة البلاد مع تزايد التدخلات الدولية لتحقيق هدف التقسيم.

يلبي تشبث الرئيس السوري بشار حافظ الأسد بالسلطة أهداف الغرب، لأن نتيجة هذا العناد سوف تسفر عن الاحتدام التصادم بين الجيش السوري والشعب وقد سبب هذا تدمير مقدرات الجيش العربي السوري كما حدث بليبيا،وهذا الغرض كفيل بتحقيق مخططات التقسيم، ويهدد بجر المنطقة لصراع شيعي يضم لبنان وسوريا وإيران في معسكر ضد السنة في باقي الدول العربية، وسوف يوفر هذا التصادم أن حدث لا قدر

الله عن تحقيق أهداف إسرائيل ويوفر عليها دفع فاتورة مهاجمة المواقع النووية في إيران إذا أقبلت علي الهجوم عليها،لأن هذه المواجهة سوف تضع إسرائيل في مرمي صواريخ حزب الله وربما ينزلق المر لصراع إقليمي يكلفها الكثير حتى وأن كانت الحقائق علي الأرض تشير أن الموقف في صالح التحالف الأمريكي الصهيوني.

وربما موقف روسيا والصين يسير في اتجاه مصلحة البلدين فقط، بغض النظر عن الدماء والدمار، علاوة على عرقلة السياسية الأمريكية في الاستحواذ علي العالم، انطلاقا من قراءات سياسية تتعلق بمصالحة البلدين.

ونتيجة لوقوع الشعب السوري في قبضة الحكم الديكتاتوري أو الطائفي، لا يوجد أي اعتبار لحياة البشر، فكلما زاد التعنت زادت فرص الشحن الطائفي.

وتكمن المشكلة الرئيسية في مثل الحالة السورية؛ أن ممارسة علوم السياسية قد لا تتفق مع الأهداف الطائفية، وربما ترضخ الحكومات العربية للمشاعر الإنسانية للشعوب نتيجة التهاب المشاعر تعاطفا مع الضحايا والقتلى، وسوف يمارس الغرب الدعايات التي يراد بها باطل، للحشد ضد الظالم بهدف الوقيعة وليس الإصلاح.

التباس الموقف، وتأخرت الحلول، نتيجة تراجع دور السياسيين العرب، خاصة في حالة الهياج الثوري، في حين أن هذا الأمر لا يهدف إلي حماية شخص تنطبق عليه كل الصفات المقيتة، ولكن هو حماية أرواح عشرات من الآلاف مرشحة للقتل بدم بارد أو ساخن علي حد السواء، الهدف حماية وطن، بالطبع لا يمكن إغفال أن الاستجابة لأي مبادرة عربية ربما تكون صعبة أو مستحيلة؛ لأن تدخل إيران منظور طائفي، وروسيا والولايات المتحدة وتركيا كقوات احتلال، يعقد الأمور.

نشرة المشهد الالكترونية في ٢٥/ ٣/ ٢٠١٢ نقلا عن صحيفة كراسنايا زفيزدا الروسية، عن قائمة المنشآت النووية الإيرانية التي تعتزم إسرائيل ضربها بدعم خفي من واشنطن؛ التي تزعم أنها تحاول أن تنأى بنفسها عن مخطط ضرب المنشآت الإيرانية، بينما تقوم بتزويد "إسرائيل" في السر والعلن بأحدث التقنيات والمعلومات اللازمة لتنفيذ هذا المخطط.

وذكرت الصحيفة – وهى لسان وزارة الدفاع الروسية – أنه على الرغم من عدم توفر الأدلة حول تطوير إيران برنامجها النووي العسكري، فإن "إسرائيل" وضعت خطتها لضرب أربع منشآت نووية تحت الأرض، ومفاعلين نوويين فوق الأرض؛ يخضعان لحماية المنظومات الصاروخية المضادة من طراز إس–٢٠٠ الروسية، فضلا عن موقعين آخرين يعملان في مجال تطوير أنواع جديدة من الصواريخ الباليستية، وضرب إيران يتطلب تدمير القدرات العسكرية لسوريا وحزب الله؛ لضمان عدم تمكين التحالف السوري الإيراني من توجيه ضربات أنتقامية لإسرائيل؛ وتحتاج عملية ضرب طهران حسب تقديرات المراقبين – استخدام ١٠٠ قاذفة من طراز إف–١٥ آي وإف–١٦– آي وعددًا من طائرات التزود بالوقود جوا، تمتلك "إسرائيل" منها سبع طائرات إلى جانب طائرات الاستطلاع والحرب الإلكترونية، تمتلك منها "إسرائيل" أربع طائرات، فضلا عما تمتلكه من قنابل خارقة للوصول إلى المنشآت الموجودة في باطن الأرض، والوضع الحالي في سوريا قد يوفر الغطاء الكافي لتحقيق هذا الهدف.

يشكل قمع الشعب السوري عاملًا لتتأجيج الغضب لدى السنة في العالم العربي، لأنه قائم على الفكر الطائفي، وليس مجرد حالة هياج شعبي أو ثوري ضد النظام السياسي، وعلي هذا الوتر تلعب القوي المناهضة للعرب؛ حتي تستطيع من خلال الصراع السني الشيعي إلى تصفية القدرات العربية؛ لضمان السيطرة علي المنطقة.

حسب مكتب حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة أن سوريا فقدت منذ مارس ٢٠١١ وحتى مارس ٢٠٢١م، ما لا يقل عن ٣٠٦٨٨٧ مدنيًا، بما يعادل نحو ١.٥ ٪ من عدد السكان قبل الحرب،[١] هذا بخلاف اللاجئين الذين بلغ عددهم قرابة ٥,٦ مليون نسمة، بينما سقط في سوريا في حرب ١٩٦٧ نحو ١٠٠٠ جندي و٣٦٧ أسير، وهذا يعني أن النظام السوري أسقط منذ مارس ٢٠١٢م وحتى عام ٢٠٢٢م، عددًا من الشهداء يبلغ ٣٠٧ أضعاف ما خسرته سوريا عام ١٩٦٧م، وهذه الحقيقة

---

[١] أخبار، الأمم المتحدة تعلن عدد القتلى المدنيين في سوريا منذ ٢٠١١، DW، موقع ألمانيا، ٢٨ يونيه، ٢٠٢٢م

تؤكد أن الفساد السياسي والطائفية، أخطر علي الدول من الحروب مئأت المرات من الخطر الخارجي.

* **وعن الأردن:** في المخطط فينبغي تصفيته ونقل السلطة للفلسطينيين بهدف ابتلاع فلسطين بالكامل وهدم مقوماتها وإبادة شعبها

٦-**اليمن:** أما بخصوص اليمن فيتم إزالة الكيان الدستوري الحالي للدولة اليمنية بشطريها الجنوبي والشمالي واعتبار مجمل أراضيها جزءًا من دويلة الحجاز السابق ذكرها في تقسيم شبه الجزيرة العربية وتعانى اليمن نفس الخطر الطائفي بين السنة والزيديون أو الزيود وهى طائفة شيعة تسبب التوتر داخل اليمن ، الاختلاف المذهبي هو بوابة التوتر داخل العالم الإسلامي وينطبق على اليمن كل ما سبق من سرد للأحداث فسكانها يبلغ حسب إحصائيات عام ٢٠٠٤ نحو ٢٠ مليون نسمة ولا تزيد نسبة الشيعة فيهم عن ٣%) [1] وتشير بعض الإحصائيات الأخيرة أن سكان اليمن وصل في نهاية عام ٢٠١٠ إلى ٢٢ مليون نسمة، ولعل الثورة اليمنية تنجح في دفع الخطر عن البلاد، بعد رحيل على عبد الله صالح، ولكن ظهرت مشكلة جديدة وهي الأشتبكات مع تنظيم القاعدة وتحول الصراع إلي جهة آخري بين الجيش والقاعدة وهذا يمثل مخاطر جمة علي اليمن تجددت علي السطح مع مطلع عام ٢٠١٢.

وبحسب "الموسوعة البريطانية لعام ٢٠٠٤" يتركز الزيود أو الزيديون في مناطق شمال البلاد، مثل صنعاء وصعدة وحجّة وذمار، أما الإسماعليون، والذين يعرفون ب "المكارمة"، فيسكنون مناطق في شمال اليمن مثل حراز، وفي غرب صنعاء مثل مناخة. وللزيدية مساجدهم ومراكزهم العلمية في العاصمة صنعاء، وفي محافظة صعدة شمال غربي البلاد.

ويغلب على المجتمع اليمني التسامح الديني والمذهبي، حيث لم تمارس الدولة اليمنية، منذ إطاحة دولة الأئمة، أي تمييز ضد الشيعة الزيديين. إلا أن تقرير الخارجية الأمريكية

[1] وزارة الخارجية الأمريكية، مرجع سابق

يذكر أن السلطات اليمنية أخذت تفرض قيوداً على ممارسة بعض الشعار الدينية الشيعية، في سبيل الحد من تمدد "الحركة الحوثية (هذه التقارير تهدف أحيانا لبث الفتنة من خلال التحريض وأضافة فقرات ملتهبة تغذي الصراع السني الشيعي) وتقدر بعض الإحصائيات الشيعة باليمن بنحو ٣٠% من عدد السكان، كما يوجد في اليمن شيعة إسماعيلية، يبلغ عددهم نحو بضعة آلاف، وفقاً للتقرير نفسه، وتقدر مصادر أخرى نسبتهم بنحو ٢% من إجمالي السكان.

وبحسب "الموسوعة البريطانية لعام ٢٠٠٤" يتركز الزيود أو الزيديون في مناطق شمال البلاد، مثل صنعاء وصعدة وحجّة وذمار.أما الإسماعليون، والذين يعرفون بـ "المكارمة"، فيسكنون مناطق في شمال اليمن مثل حراز، وفي غرب صنعاء مثل مناخة.وللزيدية مساجدهم ومراكزهم العلمية في العاصمة صنعاء، وفي محافظة صعدة شمال غربي البلاد.

ويغلب على المجتمع اليمني التسامح الديني والمذهبي، حيث لم تمارس الدولة اليمنية، منذ إطاحة دولة الأئمة، أي تمييز ضد الشيعة الزيديين. إلا أن تقرير الخارجية الأمريكية يذكر أن السلطات اليمنية أخذت تفرض قيوداً على ممارسة بعض الشعار الدينية الشيعية، في سبيل الحد من تمدد "الحركة الحوثية، ومازالت اليمن بعد سقوط علي عبد الله صالح تعاني من التوتر الطائفي.

وقد اندلعت حرب طائفية في اليمن بدأت شراتها الأولى في ٢٥ مارس ٢٠١٥، تحت تحالف مكوّن من عدة دول عربية تحت اسم "التحالف العربي"، بقيادة "السعودية"، وقد اسفرت هذه الحرب عن فاة ٢٢٦٢٠٠ حتى عام ٢٠٢١م.

٧- المملكة العربية السعودية: تشمل مخططات التقسيم العنصرية فى إطارها الجديد الدول العربية والإسلامية على أساس طائفي سنى وشيعي في حال غياب المسحيين حتى تكون هناك موجة جديدة من الصراع تصل إلى الصراع العسكري الذي يهدد عودة الصحوة العربية التى حدثت عقب عام ١٩٧٣ مرة أخرى، فبخصوص شبه الجزيرة العربية والخليج فتم وضع خريطة أو تصورات لتقسيمها تعتمد على محو دول الكويت

وقطر والبحرين وسلطنة عمان واليمن والإمارات العربية من علي الخريطة لشطب وجودها الدستوري بحيث تتضمن شبه الجزيرة والخليج ثلاث دويلات فقط ، هي دويلة الإحساء الشيعية وتضم الكويت والإمارات وقطر وعمان والبحرين، ودويلة نجد السنية، ودويلة الحجاز السنية، استطاعت الدول العربية فرض حالة من الارتباك الدولي أصابت الاقتصاد العربي في مقتل وهو ما كان بمثابة الإعلان عن خروج المارد العربي من القمقم.

تعد قضية الخلاف التاريخية بين السنة والشيعة في العالمين العربي والإسلامي من أخطر القضايا التي يمكن أن تؤثر على مصر فهي التحدي الثاني لمصر بعد خطر الفتنة الداخلية بين المسلمين والمسيحيين فمصر السنية لا يمكن أن تكون في معزل عن المحيط العربي في حال تفجر الصراع المسلح نتيجة التدخل الخارجي وخاصة بعد بوادر أزمة البحرين بداية فى فبراير ٢٠١١، وتوالت الأحداث بقيام السعودية بإرسال قوات درع الجزيرة لحفظ الأمن والاستقرار، تتزايد أهمية الخطر نتيجة احتمالات الصراع القائمة والتي يتم تغذيتها بتدخلات خارجية فعلى الرغم من الدعوة للتقريب بين المذاهب وتأسيس لجنة لهذا الغرض منذ نصف قرن إلا أن النتائج لم تثمر حتى الآن، فاجأت مصر العالم بالمستوى القتالي والقدرة على التخطيط والمناورة وهو ما أعاد إلى الأذهان مرة أخرى فترات الازدهار العربي قبل عصر النهضة الصناعية في أوروبا وهو ما يعرض مصالح أوروبا للخطر لأن وجود كيان عربي قوى جنوب البحر المتوسط في وسط العالم هو بداية النهاية للسيطرة الغربية، ومن ثم الحضارة الأوروبية ، لأن التاريخ يؤكد دائما أن صحوة جنوب البحر المتوسط تعنى التدهور في شماله وهو ما كان يحدث، فكان انهيار الإمبراطورية الرومانية عقب الفتوحات الإسلامية فى بداية القرن السابع الميلادي صورة مثالية للأذهان أمام العقل الأوروبي الذي أجاد التخطيط للهيمنة على مقدرات الشرق.

تتمثل خطورة الأمر في إمكانية تفجر نزاع سياسي يتحول إلى صراع طائفي كما حدث في العراق، والتحدي الأكبر أمام الأمة العربية يتمثل في القضاء على بوادر هذا الانقسام لسد الطريق أمام العالم الغربي المتربص بنا ولا يجد منفذ لاستنزاف قدرات الأمة إلا من هذه الزاوية، فإذا كان المسلمين مأمورين بالحوار مع المخالفين من أهل الديانات

الأخرى، فمن باب أولى يجب تفعيل الحوار الداخلي بين أهل القبلة الواحدة من أنصار كلمة لا إله إلا الله.

تقتضى الضرورة مزيداً من البحث بين علماء المذاهب للوصول إلى حل يخدم الإسلام للوصول إلى نقاط اتفاق على أن نترك نقاط الخلاف التي يتعذر حلها كخصوصية لكل مذهب على أمل أن يتم حلها في المستقبل بشرط ألا تكون في أصول العقيدة، تعد خصائص الخلاف السني الشيعي بأنه خلاف فرعى في مجمله ولا يمثل أصلا من أصول الدين كما عبر أبو حامد الغزالي عنه على أنه خلاف سياسي ينحصر في قضية الإمامة وليس خلافا عقائديا، هذا الخلاف أقرب إلى أن يكون كخلاف حول أحداث تاريخية مضت وانتهى أمرها إلا أنها مازالت عقبة أمام المسلمين فيما عدا بعض الفرق الشيعة التي يكون فيها الخروج عن الدين ضد مبادئ الإسلام، ولو سلمنا جدلا أن كل طرف على حق وهذا في حالات التناقض أمر مستحيل ، لأن الصحة تحمل وجهاً واحداً , يتحتم علينا إذن علينا التعايش فى سلام على أن يترك أمر التدين وحرية الاعتقاد كعلاقة بين الفرد وربه طالما أن الطرف المخطئ سوف يظل على عناده وخاصة فى الجانب الشيعي وبعض المتعصبين السنة .

لقد أشار القران الكريم في مواضع عديدة إلى أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار , سوف يتحمل من يتحرك وفقا لقناعات خاطئة مسئولية الاختيار طالما أن كل الأمور مطروحة أمام البشر للتعقل والتدبر في الأمر مكمن الخطورة في الخلاف الطائفي أن الخراب ينتظر الفريقين، من باب فرق تسد سوف ينفذ الغرب نحو استنزاف قدرات العالم الإسلامي وهو ما تسعى إليه الدول الكبرى حتى إذا حان وقت الحصاد يكون قطف الرؤوس بلا ثمن أو خسائر تذكر، إذا كان هناك ما يفرقنا من بضع أسباب فهناك القرآن الكريم والسنة النبوية بما تحويه من مبادئ تعلى قيمة الإنسان يجب أن نتجمع حولها، قدر مصر أن تجد نفسها طرف في صراعات تأتى إليها من خارج حدودها فلن تستطع أن تكون بعيدة عن نصرة الحق العربي والإسلامي في أرجاء الأرض.

وجدت مصر نفسها مدفوعة لدعم العراق في حربه مع إيران ودعم مسلمي البوسنة

ودول أسيا في حروبها الشرعية ضد روسيا، على مدار التاريخ كانت مصر الطرف الذي يحسم الصراع لصالح الأمة الإسلامية ، كما هي التي حطمت صخرة الخطر المغولي والصليبي على يد الجنود المصريين، وبالتالي كان من الواجب على عقلاء الأمة القيام بموقف عملي لا يتسم بالتقليدية يقف ضد الفتن والصراعات ويضمن عدم تدخل إيران لصالح الشيعة في الخليج أو العرب لصالح السنة في إيران على أن تقوم كل دولة باحترام حقوق التيارات المختلفة في المذهب بداخلها فيها طبقا لمبادئ المواطنة.

غلق أبواب الطائفية في المنطقة يحتاج إلى تفاعل سياسي عربي إيراني يقوم على علاقات حسن الجوار وحل كافة القضايا العالقة بين إيران والدول العربية ، ومصر مطالبة بلعب هذا الدور لأنها سوف تتأثر بأي نزاع عسكري قد يحدث في هذه المنطقة فقدرها أن تكون وسط محيط طائفي من الداخل والخارج ولن تستطيع التخلي عن أمتها العربية، تعد دول الخليج العربي الست السعودية والإمارات والكويت والبحرين وقطر وسلطنة عمان من الدول النفطية التي تتميز بوجود طفرة مالية ظهرت مع بداية اكتشاف البترول وبالتالي تمتلك هذه الدولة عدة خصائص متميزة منها الاستقرار المالي وليس الاقتصادي نظرا لوجود وفرة مالية بهذه الدول تسمح بحل المشاكل المادية للمواطنين وبالتالي ليس الفقر من العوامل المؤججة للصراع السياسي.

تختلف هذه الدول عن مصر في الشق المادي فقط ولكن يبقى وجه التشابه نسبياً في قصور الوعي وغياب الثقافة والتأهيل المعرفي، فمصر تسبق كل الدول العربية فى هذه النقطة ولكن البطون الخاوية وغياب الأمل فى تحسن الأوضاع الاقتصادية نتيجة للفساد أدت إلى ثورة ٢٥ يناير وتم تهديد الاستقرار في البلاد ، لقد استطاع المال فى دول الخليج السيطرة على القصور في هذه الجزئية لدى قطاعات عريضة من السكان فالحكومات في هذه الدول تبذل أقصى جهد لتحقيق الاستقرار المالي بل امتد دور دول الخليج وحكومات هذه الدول إلى خارج نطاقها وأصبحت تقدم الدعم والمساعدات لكافة الدول العربية والإسلامية، هذا الدور الأخلاقي جعل السعودية تأتى في المرتبة الثانية على مستوى العالم كدولة مانحة بعد الولايات المتحدة ولكن حدوث أي اضطرابات مالية

سوف تؤسس لتدهور الوضع السياسي وتهديد الاستقرار الحالي.

اقترن الاستقرار في دول الخليج بالوفرة المالية وأصبح الثراء هو أحد الحوافز التي تجعل الشعوب فى تلك المنطقة تميل إلى الاستقرار ولكن هل من الممكن أن تتأثر تلك الشعوب بالأحداث الجارية في الدول المحيطة وخاصة أن عدوى التقليد قد تكون سمة بشرية تميل بالبشر نحو المحاكاة في السلوك، إمكانات التغير في هذه البلدان تحتاج إلى إدارة رشيدة ولعل الأحداث المتعاقبة في المنطقة العربية تسهم في سلوك هذا النهج.

دفعت الأوضاع الراهنة إلى انضمام الأردن والمغرب كدول ملكية إلى مجلس التعاون الخليجي لتنسيق الجهود للمحافظة على الاستقرار ربما تكون الدولتان الأخيرتان مهددتان بحدوث تقلبات نتيجة لتردى الوضع الاقتصادي الداخلي، يمكن الحل الأمثل في الدول الملكية في التحول نحو النظام البرلماني البريطاني هذا سوف يجعل الملكية في الدول العربية نموذج فعال للديمقراطية وسوف يؤسس لنهضة اقتصادية حقيقية لهذه الدول عن طريق حكومات تكنوقراط، عندما تغضب الشعوب تتجه نيران الغضب تجاه السلطة التنفيذية التي هي تمثل في النظام الجمهوري الديمقراطي شخص الرئيس وفى الدول الملكية الديمقراطية الحكومة المنتخبة، ربما يأتي هذا الطرح كخيار لأن الأنظمة الملكية لن تتنازل عن موقعها بسهولة، أذن الحل هو الديمقراطية علي غرار النظام الملكى فى بريطانيا.

تعد الفرصة التاريخية المتاحة لهذه الدول قبل نفاذ النفط هو التحول الديمقراطي، لتكوين ملكية ديمقراطية تكون السلطة العليا فيها مرجعية للحكم والفصل بين الشعب والحكومة في أوقات الخلاف، الاستقرار فى هذه الدول يمكن أن يتعرض للخطر إذا تم العبث بمسألة الطائفية وخاصة أن إيران الشيعية سوف تدعم أي انتفاضة شيعية وربما تتدخل مباشرة في أوقات لاحقة , حائط الصد الحقيقي لهذه الدول هو التحول الديمقراطي وبالتالي سوف تكسب الملكية في هذه الدول الاستقرار وتكون قد مهدت للانطلاقة الكبرى للتنمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية داخل بلدان الخليج قبل نفاذ النفط.

اشتهرت في بعض دول الخليج وجود نوعية من القادة القوميين من أصحاب النظرة الثاقبة وعلى رأسهما الملك فيصل والشيخ زايد بن سلطان هذان الرجلان يمثلان صورة للشهامة العربية والحكمة المفقودة على الساحة السياسية، وكان الدور السعودي على المستوى العربي بالغ التأثير لأن المملكة العربية السعودية تمتلك الخصائص المؤهلة للتطوير فهي قبلة إسلامية للعالم العربي والإسلامي ونجاح هذه الدول يدعم مصر وأمنها القومي نظرا لوحدة المصير التي تجمع مصر بتلك الشعوب الشقيقة.

تقترن المخاوف في هذه الدول بإشعال نيران الطائفية وربما تحاول الدول الغربية في المرحلة القادمة إلى إشعال هذه النيران وتوكل إلى التدمير الذاتي مهمة القضاء على الدول الإسلامية دون إطلاق رصاصة واحدة، من مصلحة الدول الغربية أن تشتعل أزمة أخرى بين دول الخليج وإيران ليجهض كل منهما الأخر على حساب الدم العربي والمسلم بل سوف تتحقق المكاسب الاقتصادية نتيجة لهذا الصراع عن طريق بيع السلاح والمساهمة في إعادة أعمار ما تدمره الحروب لاحقا، تلك الأزمة المرشحة للظهور سوف تطول مصر لأنها لا يمكن أن تنعزل عن عالمها العربي ولن تسمح لإيران أن تنفرد بدول الخليج ومن هنا يكون من الضروري أن يتم حل مشكلة الطائفية، ولا تحل تلك المشكلة إلا عن طريق الديمقراطية الحقيقية .

تمثل المملكة العربية السعودية حجر الثقل داخل مجلس التعاون الخليجي فهي تحتوى على أكبر مجمع بشرى بلغ حسب إحصائيات عام ٢٠١٠ / ٢٧,١٤ مليون نسمة ، وتبلغ القوة العاملة من خارج المملكة ٤٧% ويمثل عدد السكان من خارج المملكة نحو ٣١% من إجمالي السكان ، يوجد الشيعة بالمملكة العربية السعودية المنطقة الشرقية والقطيف والإحساء وأقلية فى المدينة المنورة ومنطقة نجران بالجنوب (تتفاوت التقديرات وبلغ أقصى عدد حسب تقديرات عام ٢٠٠٦ إلى ٧٠٠ ألف شيعى ويغلب عليهم المذهب الإمامى ،[١] وهناك إحصاء آخر يقدر عددهم بمليوني نسمة تقريباً،

[١] وزارة الخارجية الأمريكية، تقرير "الحرية الدينية في العالم" لعام ٢٠٠٦

يمثلون نسبة 15-10في المائة من إجمالي السكان [1] وترجع أصول الشيعة بالسعودية إلى أصول عربية ويعود تواجدهم إلى القرن الثالث الهجري حين أقام القرامطة بهذه المنطقة دولتهم وهم من الإسماعيلية فكانت القطيف تسمى النجف الصغرى نظرا لانتشار الحوزات العلمية بها، لا يتبع الشيعة الأمامية مرجعية واحدة فمنهم من يقلد خامنئى المرشد الأعلى للدولة الإسلامية في إيران ومنهم من يقلد الشيرازي في قم ومنهم من يقلد أية الله تقى فى كربلاء ومنهم من يقلد أية الله مُحَّد حسن فضل فى لبنان وهذا التنوع فى تقليد الحوزات العلمية ينطبق على الشيعة فى كافة دول الخليج.

٨-**الأمارات العربية المتحدة**: تأتى الأمارات العربية المتحدة فى المرتبة الثانية بعد السعودية من حيث الثقل الخليجي، فهى تأسست عام ١٩٧١ على يد مؤسسها الشيخ بن سلطان أمير أبو ظبي وذلك بعد الانسحاب البريطاني منها وذلك باتحاد الإمارات السبع المكون الأساسي لهذه الدولة إلى أن رحل عنها في ٢ نوفمبر عام ٢٠٠٤، وتعد التركيبة السكانية فى الإمارات أحد أهم التحديات التى تواجه هذه الدولة (فحسب إحصائيات عام ٢٠٠٦ بلغ عدد السكان فيها ٤,٥ مليون نسمة يمثل السكان الأصليون فيها نسبة ١٥% منهم و ١٥ % من الشيعة و ٨٥% من إجمالي السكان من العمالة الوافدة.[2]

ارتفع عدد السكان فحسب إحصائيات عام ٢٠١٠ وأصبح ٨,٢٦ مليون نسمة فى بلد تعد أكبر ثانى اقتصاد عربى وهذه التركيبة السكانية التى ارتفعت جاءت لتواكب النمو السريع فى هذه البلد نتيجة إقامة مشاريع عملاقة ومتنوعة ومثل السكان الأصليين فيها ١١,٧٤% ، وينذر الأمر بخطورة بالغة فالعمالة الوافدة هى بلدان خارجية مثل الهند وباكستان والدول العربية وأي خطر طائفي سوف يقترن بانسحاب هذه العمالة من البلاد ، وتبقى مشكلة النسبة الشيعة من السكان الأصليين هي بذرة الطائفية الأولى

[1] تقرير المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات (ICG)في بروكسل عام ٢٠٠٥

[2] وزارة الخارجية الأمريكية، تقرير "الحرية الدينية في العالم" لعام ٢٠٠٦

والشيعة يرتكزون فى إمارة دبى والشارقة وأبو ظبى وانتشار محدود فى باقى الإمارات، ويتميز الأداء السياسي لحكومة الإمارات بالاتزان والاعتدال وأصبحت بوادر النهضة الفعلية بقيام الإمارات العربية ببناء ٤ مفاعلات نووية لإنتاج الكهرباء سوف تنتهي عام ٢٠١٧ وهى أول دعوة عربية تقوم بحجر مقعدا لها فى مصاف الدول النووية، لا شيء يهدد استقرار الإمارات سوى البعد الطائفي وخاصة أنها على بعد أميال من إيران الشيعية.

٩-**سلطنة عمان:** يعد المجتمع العُماني من أكثر المجتمعات العربية تنوعاً لغوياً وإثنياً ودينياً و مذهبياً، ولا يوجد إجماع على نسبة أتباع كل إثنية أو مذهب في عُمان؛ فبينما يعتقد على نحو واسع أن الإباظيين يشكلون أكثر من نصف السكان،[١] وبعض المصادر تقدر عدد أتباع الشيعة الإمامية بنحو ١٠٠ ألف، من إجمالي عدد السكان، الذي يبلغ مليونين و٣٣٠ ألف نسمة، منهم مليون و٨٠٠ مواطن عُماني، حسب إحصاء عام ٢٠٠٣.

ويميل المجتمع العُماني إلى التسامح عامة، والتسامح الديني والمذهبي خاصة، والدولة بشكل عام تحترم مبدأ حرية ممارسة الشعائر الدينية، ويتمتع المجتمع الشيعي بُعمان بحرية كاملة للحفاظ على تمايزه الديني.

وللشيعة مساجدهم ومؤسساتهم الخيرية وإدارة خاصة بالأوقاف الجعفرية، ومسجد الرسول الأعظم، الذي يوجد داخل سور اللواتية في مطرح، والمطل على الساحل، يعد المسجد الرئيسي للشيعة في عُمان، وتستخدمه كل الجماعات الشيعة، ويستقطب الخطباء والعلماء الشيعة من إيران والعراق والبحرين.

١٠-**البحرين:** كشفت الإحصائيات النهائية عام ٢٠١٠، أن تعدد السكان فى دولة البحرين بلغ ١,٢٣٤ مليون نسمة، وينقسم السكان إلى ثلاث مجموعات العرب

[١] جون بيترسون، أبرز الباحثين الغربيين في الشؤون العُمانية، دورية "ميدل إيست جورنال، بعنوان: المجتمع المتنوع في عُمان ٢٠٠٤.

الشيعة وهم ٤٥%، والعرب السنة وهم ٤٥%، والإيرانيين ٨% ثلثهم من السنة، وذلك عام ١٩٩٣، ولكن تغيرت التركيبة السكانية فى عام ١٩٩٩ وكانت نسبة الشيعة هى ٧٠,٥ % من إجمالي السكان. [١] وجاءت نفس النسبة عام ٢٠٠٦ لتؤكد أن الشيعة فى البحرين هم ٧٠% السكان، ويمارس الشيعة أعيادهم دون أى قيود حيث أن دولة البحرين هى الدولة الوحيدة التى تعتبر يوم عاشوراء مظلة وطنية. [٢]

شهدت البحرين خلال شهر فبراير ٢٠١١ مظاهرات حاشدة للشيعة لقد كانت البداية مقلقة ومازالت لقد انتقلت رياح الثورات العربية إلى الخليج ولكن هذه المرة ليس تحت ضغط تردى الأوضاع الاقتصادية ولكن من باب البعد الطائفي ، لقد قامت السعودية بإرسال ١٠٠٠جندى إلى البحرين لمساندة المملكة البحرينية فى السيطرة على الأمور ضمن قوات درع الجزيرة , وهو ما أثار حفيظة إيران الشيعية وبدأ التراشق السياسي لقد لاح في الأفق بوادر صراع طائفي دولي هذه هي الخطورة فلولا الدعم الأمريكي لدول الخليج وتواجد القوات الأمريكية التي تتحرش بإيران لكان لإيران موقف أخر وخاصة فى ظل تمزق العراق.

١١-**الكويت**: تعد الكويت أيضا من الدول المرشحة للصراع الطائفى (فحسب إحصائيات عام ٢٠٠٦ يصل سكان الكويت إلى ٢,٩٠ مليون نسمة منها ٣٠% شيعة أى حوالى ٩٧٣ ألف نسمة ، منهم ١٠٠ ألف شيعي من طائفة البهرة لا يحملون الجنسية الكويتية ويتكون الخليط الشيعي فى الكويت من الشيعة العرب والإيرانيين وبمقارنة عدد المساجد للطرفين، يوجد ألف مسجد للسنة ولا يوجد للشيعة سوى ٢٦ مسجدا و١٤٠ حسينية وينتقد الشيعة بطيء الموافقة على إقامة المساجد، نرى فى هذا العرض أن شيعة الكويت يعانون من نفس الأمر

---

[١] المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات (ICG) مرجع سابق

[٢] وزارة الخارجية الأمريكية، تقرير "الحرية الدينية في العالم" لعام ٢٠٠٦

الذي يشتكى منه المسيحيين في مصر بالنسبة لإقامة الكنائس وتبقى مسألة الصراع الطائفي مرشحة في الكويت أيضا للظهور على السطح نظراً لشعور الشيعة بالتهميش وهذا سوف يجعلهم مقدمة لأى صراع يتفجر عن طريق إيران، يتحتم على الدولة احتوائهم تحت مظلة العدالة وسياسة الوفاق. [١]

12- **قطر:** وتأتى قطر أيضا لتعانى نفس المشكلة فحسب تقديرات عام ٢٠٠٦ (بلغ عدد السكان ٩٠٠ ألف نسمة منهم ٢٠٠ ألف قطري أي أن معدل السكان الأصليين يبلغ ٢٢% والباقي ٧٨% عمالة وافدة من شتى الدول ولكن نسبة الشيعة من السكان الأصليين تصل إلى ١٠%. [٢]

يتضح من العرض السابق أن الملف الشيعي هو حجر العثرة في الاستقرار الداخلي ويرجع اهتمام المؤسسات الدولية وعلى رأسها لجنة الحريات الدينية التابعة لوزارة الخارجية ليؤكد أن الدول الكبرى تحاول الإمساك بخيوط التوتر من خلال دراسة الوضع الطائفي لكي تشعل هذه الفتنة في أي وقت ترى أنه يحقق هدفاً استراتيجياً لديها ، ولذلك تجد أن معظم الدراسات حول المكونات العرقية تأتى من الجهات الرسمية في الإدارة الأمريكية والغربية لتضع المعلومات أمام أجهزتها لكى تكون جاهزة للعمل حين تشاء، وبالتالي لا يوجد مفر أمام الدول العربية قاطبة أن تكون حذرة وتبث روح الديمقراطية فى أوصال شعوبها لضمان إغلاق هذه الملفات المتأججة أمام القوى الاستعمارية الجديدة.

خامسا: الطائفية في المحيط الأسيوي: لا يقتصر الخطر الطائفي على الداخل العربي فحسب، بل تهدد الطائفية العالم العربي من الشرق والشمال الشرقي، وخاصة من إيران وتركيا، كأن قدر العالم العربي أن يحصد نتائج الصراع الطائفي، وأن يزج به من قبل قوي عنصرية في الداخل لهذا المنزلق، أو الاستجابة لتحريض قوي خارجية تسعي لتدمير العرب والمسلمين تدميرا ذاتيا، دون أن تتكبد هذه القوي قطرة دم أو تطلق رصاصة وحدة.

---

[١] وزارة الخارجية الأمريكية، مرجع سابق

[٢] وزارة الخارجية الأمريكية، مرجع سابق.

الحالة الإيرانية: إيران دولة قوية ذات جذور تاريخية في المنطقة منذ ٥٠٠٠ ألاف عام، ولذا يجب التعايش السلمي في ظل الاحترام المتبادل؛ وعلي أسس قانونية تضمن للطرفين حق الجوار حتى لا تكرر تجربة الحرب العراقية الإيرانية مرة أخري دون داع، أو تتفجر كل دول المنطقة على أساس صراع مذهبي لا يسمن ولا يغني من جوع، كما يحدث بالحرب الطائفية الطاحنة، والتي اندلعت منذ عام مارس ٢٠١٢ وحتى ٢٠٢٢ في سوريا ثم اليمن ولبنان، وهذا ينسف فرص التعاون والبناء المشترك لصالح تغذية نزعة التصادم والفناء، ويمكن مناقشة الحالة الإيرانية في ضوء عدة نقاط كالتالي:.

١ – **المساحة**: تبلغ مساحة إيران ١,٦٤٨ مليون كم، منها ١.٦٣٦ مليون كم يابسة، و١٢٠٠٠ كم مياه. ويبلغ طول حدودها البرية ٥٤٤٠ كم. كما يبلغ طول شريطها الساحلي قرابة ٢٤٤٠كم على طول الخليج العربي وخليج عمان، وقرابة ٧٤٠ كم بحر الخزر، هذه المساحة تشير إلى إيران ليست بحاجة إلى التمدد الإقليمي، أو احتلال دول أخرى، فهي دولة ذات مساحة كبيرة.

٢-**تركيبة العرقية والطائفية للسكان:** يتوزع السكان بين عدة جماعات عرقية أهما: الفارسي ٥١%، والأذري ٢٤%، والجيلكي والمازندراني ٨%، العربي ٣%، والكردي ٧%، واللور ٢%، والبلوش ٢%، والترك ٢%، وعناصر اخرى١%، كما تتنوع الأديان والمذاهب وتتوزع بين: الشيعة ٩٠% السنة ١٠%، أما الطوائف اليهودية والنصرانية والبهائية والزرادشتية فهي نسب محدودة.

ورغم أن إيران كانت دولة سنية، إلا أن السنة أصبحوا أقلية، وهذا الأمر أ يرجع إلى عام ١٥٠٠ ميلادية إبان الدولة الصفوية، وتحديدا في عهد الشاه إسماعيل الصفوي الذي أصدر فرمانا بطرد أهل السنة من العاصمة على أن يعيشوا في الأطراف. وحسب احصائيات في عام ٢٠٠٠ تتراوح أعداد المسلمون السنة بين ١٤ إلى ١٩ مليون مسلم، وبما يعادل نسبة تتراوح بين ٢٠ – ٢٨% من الشعب الإيراني. وهم مقسمون إلى ٣ عرقيات رئيسية يتوزعون في إيران كما يلي:

- **العرب السنة:** يتوجدون في منطقة خوزستان الأحواز.
- **بلوتش:** يتواجدون في منطقة بلوستان المجاورة للباكستان، وهي تعتبر كارثة سوداء، حيث تعتبر مركز للمخدرات وتجارة الرقيق الأبيض، فحوالي ٧٠ % من مخدرات العالم تمر عن طريقها.
- **التركمان:** يتواجدون في منطقة شمال خرسان تركمانستان.

ونظرا لان أهل السنة في إيران من الشعوب غير فارسية، فقد عاشوا في ظل النظام الملكي السابق أوضاعا سيئة، فكانوا مواطنين من الدرجة الثانية، أولا بسبب بعدهم عن المدن الكبرى والعاصمة، ثم بسبب اعتقادهم المخالف للفرس الشيعة.[١]

٣- **التمييز السياسي:** يفرق الدستور الإيراني بين السنة والشيعة فهناك نصوص صريحة في ذلك منها المادة التي تنص على أن (المذهب الرسمي للدولة هو المذهب الشيعي الاثني عشري)، وهناك أيضا: (شرط تولي منصب رئيس الجمهورية أن يكون شيعي المذهب)، هو نص يفهم منه امتناع تولي السني في إيران منصب رئيس الدولة.

ليس من المنطق أن تتصادم القومية العربية مع القومية الفارسية، والحل هو التأسيس لفكرة المواطنة، التي تضمن للجميع العيش الكريم وفقا للقانون، وضمان المساواة في الحقوق والوجبات دخل الدولة الوطنية.

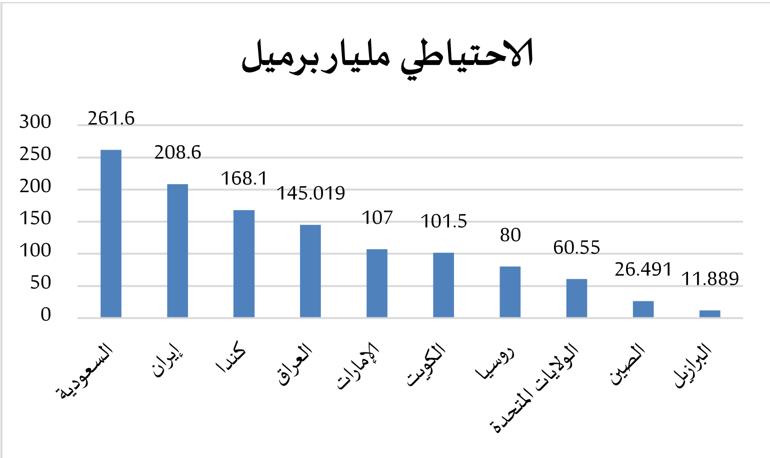
٤- **تبديد القدرات النفطية**: تمثل القدرات النفطية لإيران مع باقي المزايا الاقتصادية في القطاع الزراعي والخدمي، والكتلة البشرية، من العوامل التي تمكن أي بلد في ظروفها من تحقيق النهضة بمفهومها الشامل، ويمكن تناول نقاط القوى وخاصة مجال في الطاقة كما يلي:

---

[١] د همام عبد المعبود، موقع البيئة، تحت عنوان: أهل السنة في إيران الدستور الإيراني يفرق بين الشيعة والسنة في إيران www.albainah.net

أ-الاحتياطيات النفطية: تعد إيران من الدول العظمي من حيث حجم الاحتياطي النفط، بوصفها ثاني أكبر دولة في العالم تمتلك مخزونات مؤكدة في هذا المجال، ويمكن متابعة هذه القدرات كما يلي:

الشكل(١) : إيران والاحتياطي العالم للنفط

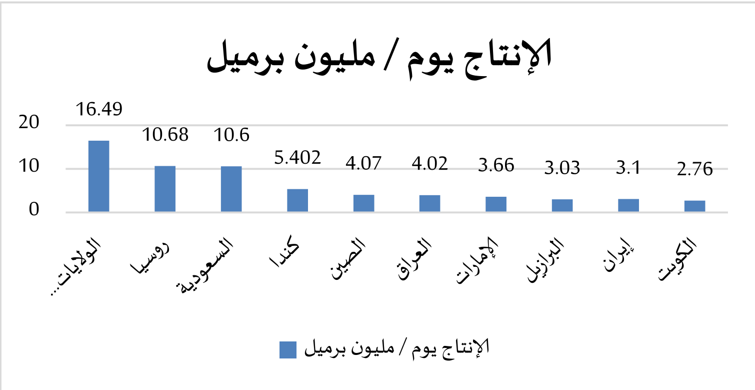


المصدر: استخدام بيانات أحمد شوقي، أكبر ١٠ دول منتجة للنفط حول العالم (تقرير)، موقع الطاقة، واشنطن، ٢٠٢٢/٦/٢٥م

يشير هذا الشكل إلى أن إيران ثاني أكبر دولة في العالم من حيث الاحتياطيات النفطية، فهي تمتلك مخزونات تفوق الاحتياطي الروسي بنحو ٢.٦ مرة، وتزيد عن الولايات المتحدة الأمريكية بنحو ٣.٤ مرة، ونحو ٧.٩ مرة عن الصين، وبالتالي فإن قيامها بالحرب في سوريا واليمن يعرقل قدرتها على تطوير الصناعات الاستخراجية في هذا المجال، ويحقق هدف الغرب في الاستنزاف المزدوج لكل من إيران والدول العربية، حيث ينصب الاهتمام على شراء السلاح وتكديسه للصراع الطائفي، استعداداً للمواجهة المباشرة، وقد جاءت العقوبات الأمريكية عليها كعامل مساعد لعرقلة نموها، وهذا يدفعها إلى بيع النفط بأسعار أقل من السعر العالمي للهروب من آثار العقوبات.

ب-إنتاج النفط: رغم العقوبات المفروضة على قطاع الطاقة، إلا أن إيران من أكبر عشر دول منتجة للنفط، حيث يبلغ إنتاجها اليومي نحو ٣.١ مليون برميل يوميا ويمكن مقارنة هذا القدرة الإنتاجية مع دول العالم كما يلي:

الشكل (٢) مقارنة إيران بأهم عشر دول المنتجة للنفط عام ٢٠٢١م

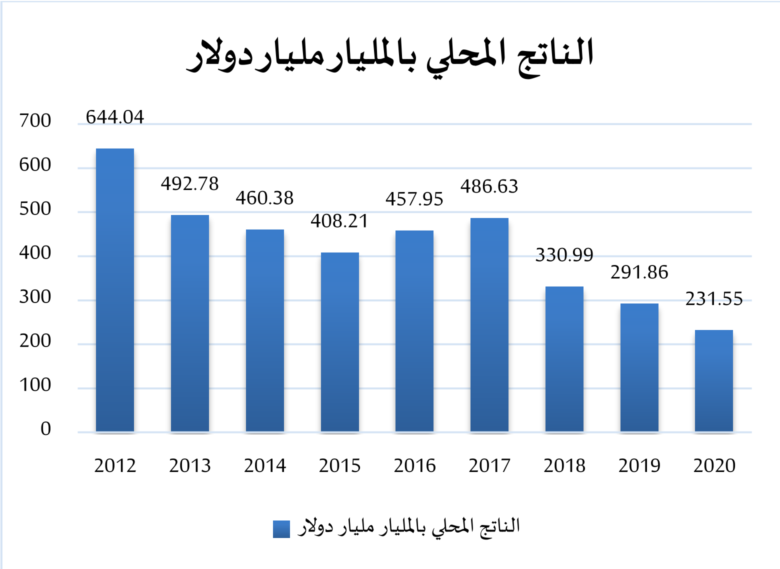


المصدر: استخدام بيانات أحمد شوقي، أكبر ١٠ دول منتجة للنفط حول العالم (تقرير)، موقع الطاقة، واشنطن، ٢٠٢٢/٦/٢٥م

يشير هذا الشكل إلى أن إيران تحقق عائدًا كبيرًا لكونها تاسع دول منتجة للنفط بالعالم، ويمكنها أن تكون ثاني دولة منتجة ومصدرة للطاقة في العالم، ولكنها تبدد هذه القدرة في الحروب الطائفية، وتمويل الحرب في كل من سوريا واليمن.

٥-أثر التدخل الطائفي على الناتج المحلي الإيراني: لقد تورطت إيران في الصراع الطائفي بالدول العربية، وذلك بتقديم الدعم العسكري والاقتصادي للطوائف الشيعية في كل من: لبنان وسوريا واليمن، وأن هذا الدور كان له آثار سلبية على إيران في كافة المجالات، وخاصة من الناحية الاقتصادية، حيث أسفر هذا التدخل عن تدهور الناتج المحلي لإيران، لأن جهود الحكومات الإيرانية منصب على التدخل المباشر وغير المباشر في الصراع الإقليمي، ويمكن متابعة ذلك كما يلي:

الشكل(٣) :الناتج المحلي لإيران بالفترة ٢٠٢٠: ٢٠١٢) بالمليار دولار



المصدر: استخدام بيانات البنك الدولي، إجمالي الناتج المحلي (القيمة الحالية بالدولار الأمريكي)

وبتحليل الأرقام السابقة سوف نجد أن الناتج المحلي في ظل النمو السكاني بإيران قد يتراجع، ويمكن تقسيم هذا التراجع إلى مرحلتين:

أ-التراجع بسبب دعم الحرب الطائفية: وذلك بتمويل الحرب في كل سوريا ولبنان، واليمن، وكان هذا التراجع خلال ست سنوات كبير: حيث تراجع الناتج المحلي من ٦٤٤.٠٤ عام ٢٠١٢ إلى ٣٣٠.٩٩ مليار عام ٢٠١٨م بنحو ٣١٣.٠٥ مليار دولار بمعدل ٤٩% تقريبًا، ويقدر إجمالي هذا التراجع في ست سنوات بنحو ١٢٢٧.٣ مليار دولار، وهذا بسبب تمويل الحرب لأسباب طائفية.

ب – التراجع بسبب العقوبات الأمريكية: لقد انسحبت الولايات المتحدة تنسحب

من الاتفاق النووي المبرم مع إيران عام ٢٠١٥، في يوم ٨ مايو ٢٠١٨،[١] وقد بلغ هذا التراجع في الناتج المحلي بين عامي ٢٠١٩ و٢٠٢٠ عن عام ٢٠١٢ بنحو ٧٦٤.٦٧ مليار دولار، أضف إلى ذلك التراجع في الناتج المحلي بين عامي ٢٠٢١ و٢٠٢٢ والذي لن يقل العامين السابقين وبما بما يقدر ٧٦٤.٦٧ مليار دولار تقريبًا.

يتضح مما سبق أن الناتج المحلي لإيران في الفترة بين عامي ٢٠١٢: ٢٠٢٢م قد فقد نحو ٢.٧٥٦ تريليون دولار تقريبًا، وكل ذلك بسبب العناد الطائفي، هذا بخلاف الآلاف من الجنود والمصابين، وما يترتب على ذلك من خسائر مستقبلية تتمثل في التعويضات لأسر الضحايا والمعاشات وتكاليف العلاج.

وبالتالي نجد إن إيران منذ عام ٢٠١٢ تتحرك نحو الخلف، حيث تم تحويل عائد النفط إلى دعم الحرب من وجهة نظر طائفية، باستيراد الأسلحة، أو مستلزمات صناعة التجميع العسكرية من خامات أولية، أو نصف مصنعة، على حساب فكرة التنمية الاقتصادية الشاملة، وكل هذا سوف يؤدي بالضرورة إلى نمو حجم المعاناة على الصعيد الاجتماعي، وسوف تطال إجراءات التقشف المواطن الشيعي نفسه بداخل إيران.

ج- **الديون الخارجية:** يبلغ الدين الإيراني قصير نحو ٢.٨ مليار دولار، والدين طويل الأجل نحو ١.٣١ مليار دولار،[٢] وهذا يرجع للطفرة النفطية التي تتمتع بها إيران بإجمالي ٤.١١ مليار دولار.

٦-**تكاليف التدخل الاقتصادي في الحروب الطائفية**: تمثل التكاليف التي دفعتها إيران لتمويل الحروب الطائفية عاملا جوهريًا في استمرار الحروب، وعاملا في تصدع

---

[١] موقع روسيا اليوم، ترامب يعلن انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي مع إيران، ٨/٥/٢٠١٨م.

[٢] موقع البنك الدولي، أرصدة الدين الخارجي، قصير الأجل، أرصدة الدين الخارجي، طويل الأجل

الاقتصادي الإيراني ذاته، وقد أشار أحد التقارير إلى هذه التكاليف كما يلي:[١]

- يقدر الدعم المالي المقدم للنظام السوري بنحو **١٥** مليار دولار سنويا، لتغطية تكلفة الحرب.
- تقدر الأموال ال الإيرانية التي تم إنفاقها في اليمن منذ عام **٢٠٠٩** بنحو **٨** مليار من الدولارات حتى نهاية **٢٠١٧**م.
- يقدر الدعم النقدي السنوي المقدم إلى «حزب الله» اللبناني بنحو **٣٠٠** مليون دولار.

يتطلب الوصول إلى المبالغ الحقيقة التي دفعتها إيران لدعم الصراع الطائفي مقارنة هذه البيانات مع أكثر من مصدر، لأنها لا تفصح عن الأرقام الحقيقة، وخاصة دعم حزب الله واليمن، ويمكن إعادة حساب هذه المبالغ حسب البيانات التالية:

أ-دعم سوريا: حسب البيانات السابقة، فإن مجموع ما حصلت عليه سوريا من إيران خلال عشر سنوات يقدر ينحو **١٥٠** مليار دولار

ب-دعم حزب الله: وفقًا للبيانات أعلاه فإن حصول حزب الله على مبلغ **٣٠٠** مليون دولار سنويا بما يوازي **٣** مليارات خلال عشر سنوات من **٢٠١٢: ٢٠٢٢**م، ولكن هذا المبلغ لا يعبر عن الحقيقة؛ لأن عدد قوات العسكرية لحزب الله تقدر بخمسة آلاف جندي، راتب كل فرد يتراوح ما بين **٥٠٠: ١٢٠٠** .كما أن عدد الصواريخ التي يمتلكها حزب الله ارتفعت من **٢٠: ٣٠** ألف صاروخ في حرب يوليو **٢٠٠٦**، أما اليوم فهي تتحدث عن **١٠٠** و**١٥٠** ألف صاروخ.[٢]

يتضح من البيانات السابقة أن متوسط التكلفة الشهرية للجندي تبلغ نحو **٨٥٠**

---

(١) المحرر السياسي، بالأرقام... خسائر فادحة لنظام إيران في سوريا واليمن تدخلات طهران وأذرعها في شؤون المنطقة و آفاق المواجهة، موقع المجلة، لندن، ٩/٣/٢٠١٨م

(٢) تقرير حصاد الأسبوع، مكتسبات «حزب الله» من حرب سوريا تُعادل خسائره، موقع الشرق الأوسط، العدد [١٤٦٥٥]، ١٢/١/٢٠١٩م

دولار، وبتكلفة سنوية ١٠٢٠٠ دولار، وهذا يعني أن أجور الجنود بحزب الله تمثل ٥.١ مليار دولار سنويا، وبالتالي التكلفة الإجمالية لهؤلاء الجنود تصل إلى ٥١ مليار دولار خلال عشر سنوات، وغالبًا كان معظم هذه المرتبات تمويل إيراني.

بالنسبة للأسلحة فقد ارتفع متوسط ما يملكه الحزب من صواريخ ٢٥ ألف عام ٢٠٠٦ إلى نحو ١٢٥ ألف عام ٢٠٢٢م، وبزيادة قدرها مائة ألف صاروخ، إذن ما تكلفة اقتناء مائة ألف صاروخ متنوعة، ونظر لصعوبة تقدير ثمن هذه الصواريخ.

يتضح من هذا العرض أن الحد الأدنى لدعم حزب الله من أجور ودعم معلن هو ٥٤ مليار دولار، وهو ثلث الدعم المقدم لسوريا في نفس الفترة

ج-الدعم العسكري لليمن: تشير البيانات إلى أن الدعم الإيراني لليمن من عام ٢٠٠٩ حتى عام ٢٠١٧ يقدر بنحو ٨ مليار دولار.

ماهي تكليف الحرب الدعم المقدم لليمن من عام ٢٠١٨ وحتى عام ٢٠٢٢م خلال ٤ سنوات؟ من أين يتم دفع ثمن الأسلحة التي تستخدم في الحرب؟ ومن اين يتم تدبير المرتبات التي تدفع لجماعة الحوثي العسكرية، والتي تقدر عدد المقاتلين فيها بنحو ٣٠٠ ألف مقاتل؟ والتي ربما لا تقل عن ٨ مليارات أخرى.

يتضح مما سبق أن إيران قد مولت جماعة الحوثي بنحو ١٦ مليار دولار في هذه الفترة، وهذا عبئ إضافي على إيران.

د-دعم حماس: يأتي دعم حركة حماس بقطاع غزة في إطار حروب الوكالة، أو كرد على ما تقوم به إسرائيل ضد إيران، وتقدر المعونة التي تقدمها طهران لحماس بما يقرب من ٢٥٠ إلى ٥٠٠ مليون دولار،[١] بمتوسط ٣٢٥ مليون دولار سنويًا وهذا يعني أن إيران قدمت لحركة حماس نحو ٣.٢٥ مليار دولار خلال عشر سنوات.

---

[١] طارق فهمي، ما مصادر تمويل "حماس" وكيف تتعامل مع المأزق الراهن إقليميا ودوليا؟، موقع أندبندنت العربية، ٤ /٤/ ٢٠٢٠م.

الجدول(١) : إجمالي خسائر إيران بالمليار دولار بالفترة ٢٠١٢ : ٢٠٢٢

البيان	النفقات العسكرية خارج إيران				الديون وتراجع الناتج المحلي		المجموع
	سوريا	حزب الله	اليمن	حماس	الديون الخارجية	تراجع الناتج	
بالمليار دولار	١٥٠	٥٤	١٦	٣.٢٥	٤.١١	٢٧٥٦	٢٩٨٣.٣٦

يشير الجدول أعلاه أن إيران قد خسرت كبيرة، تقدر بقرابة ٣ تريليون دولار بسبب حربها ذات الطابع الطائفي في كل من سوريا واليمن ودعم حزب الله، ودعم حزب الله، ولو أن إيران أنفقت ما تم ضخه من أموال في القتال الطائفي، علاوة على تنمية الناتج المحلي، لتمكنت من الوصول إلى قائمة أفضل ٢٠ اقتصاد في العالم.

وهذا يعني أن إيران قدمت لكل من سوريا واليمن وحزب الله نحو ١٦٩ مليار دولا خلال عشر سنوات تقريبًا حتى عام ٢٠٢٢م، وذلك على حساب الاقتصاد الإيراني.

ثانيًا: أثر التدخل الإيراني على الدول محل الصراع: رغم ما تكبده الاقتصاد الإيراني من خسائر على الصعيد المحلي، إلا أن هذا التدخل لم يسفر عن تحقيق الأمن والرفاهية للشيعة في كل سوريا واليمن ولبنان، ويمكن متابعة ذلك كما يلي:

١-الخسائر البشرية للحرب الطائفية بسوريا واليمن: لقد أسفر التدخل الإيراني في كل من سوريا واليمن عن زيادة الخسائر البشرية وزيادة أمد الحرب، فضلا عن أن هذا التدخل لم ينقذ الشيعة من القتل ويمكن ملاحظة ذلك في كل من:[١]

أ- الخسائر البشرية في سوريا: تتنوع هذا الخسائر، بين المدنيين والعسكرين، فعلى الصعيد البشري حسب مكتب حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة أن سوريا

(١) تقرير الشرق الأوسط، عشر سنوات من النزاع السوري بالأرقام: مئات آلاف القتلى وخسائر مأساوية، موقع فرانس٢٤، ١٥/ ٣/ ٢٠٢١م.

فقدت منذ مارس ٢٠١١ وحتى مارس ٢٠٢١م، ما لا يقل عن ٣٠٦٨٨٧ مدنيًا، بما يعادل نحو ١.٥ % ة من عدد السكان قبل الحرب،[١] وهؤلاء الضحايا من المدنيين من الشيعة والسنة على حد السواء، هذا بخلاف العسكريين، والمعتقلين.

ب - **اختلال التركيبة السكانية:** تغيرت حياة ٢٠ مليون سوري بسبب الحرب، حيث يعيش أكثر من ١١ مليون منهم يعيشون في مناطق تحت سيطرة القوات الحكومية، ونحو ٢,٥ مليون شخص تقريباً يعيشون في مناطق سيطرة الإدارة الذاتية الكردية.

ج-**تحول السورين إلى لاجئين:** نزوح قرابة ٥,٦ مليون نسمة فروا خارج سوريا كلاجئين خارج الحدود.

د- **تدهور التعليم وانتشار الجوع**: بوجود ٢,٤ مليون طفل سوري خارج النظام التعليمي، ونحو ١٣,٤ مليون شخص سوري بحاجة إلى مساعدات إنسانية حتى عام ٢٠٢٠م.

٢ -**الخسائر الاقتصادية في سوريا:** تمثل الخسائر الاقتصادية في سوريا نتيجة موازية للخسائر في الأرواح والنزوح الجماعي، حيث تقوم آلة الحرب بتدمير كل مظاهر الحياة المادية، ويمكن تتبع هذه الخسائر بشكل مختصر كما يلي:

أ – **تدهور البنية التحتية:** بلغت الخسائر الاقتصادية بسوريا في الفترة بين عامي ٢٠١٢: ٢٠٢٠ نحو ٤٤٢ مليار دولار، علاوة على انهيار البنية التحتية، حيث تم تدمير ٧٠% من محطات الكهرباء وخطوط إمداد الوقود، حتى عام ٢٠١٩

ب- **انهيار قطاع الخدمات:** تدمير ثلث المدارس أو تحويلها إلى ثكنات عسكرية،

---

(١) أخبار، الأمم المتحدة تعلن عدد القتلى المدنيين في سوريا منذ ٢٠١١، DW، موقع ألمانيا، ٢٨ يونيه، ٢٠٢٢م

علاوة على فرار نحو ٧٠% من العاملين في مجال الرعاية الصحية، وتصدع أكثر من ٥٠% من المرافق الصحية حتى عام ٢٠٢٠م.

ج-**تدمير الصناعة:** تم تدمير المناطق الصناعية، وبما يقدر بنحو ١٣٣ ألف منشأة صناعية وحرفية، منها ٦٦ ألفاً في حلب فقط، علاوة على سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على ٩٠% من المناطق المنتجة للنفط بسوريا بلا وجه حق،[١]

د -**تراجع الناتج المحلي الإجمالي لسوريا:** تراجع الناتج المحلي الإجمالي لسوريا من ٧٣.٦٢ مليار دولار عام ٢٠١١م إلى نحو ٢١.٤٥ مليار دولار عام ٢٠١٨م،[٢] وبقيمة تراجع ٥٢.١٩ مليار دولار وبمعدل ٧١%، وهذا الانهيار في الناتج المحلي ساهمت إيران في تعويض جزء منه.

ر – **الدين الخارجي:** بلغ الدين الخارجي قصير الأجل نحو ١٢.٨٠ مليار دولار، والدين طويل الأجل نحو ٣.٧٥ مليار دولار.[٣]

س-**انهيار القطاع العقاري والزراعي:** لقد خلفت الحرب الأهلية ذات البعد الطائفي عن تدهور القطاع العقاري وتدميره، ومن الصعب رصد قيمة هذا الدمار بدقة، علاوة على ما لحق بالقطاع الزراعي من دمار، وبعد كانت سوريا تتمتع بالاكتفاء الذاتي، أصبحت ضمن الدول التي تتلقى المعونات الغذائية عبر المؤسسات الدولية المناحة. إذن إيران لم تنقذ الشيعة في سوريا بهذا التدخل الطائفي

٣-**الخسائر باليمن**: تتنوع الخسائر التي منيت بها اليمن بسبب الحرب ذات البعد الطائفي، والتي بدأت شرارتها الأولى في ٢٥ مارس ٢٠١٥، وذلك عبر تحالف

---

(١) ليليان معروف، الحرب اليمنيّة والحرب السوريّة.. قواسم مشتركة، موقع الميادين، بيروت، ٢٠ / ١/ ٢٠٢١م

(٢) موقع البنك الدولي، إجمالي الناتج المحلي (القيمة الحالية بالدولارالأمريكي)

(٣) موقع البنك الدولي، أرصدة الدين الخارجي، قصيرالأجل، أرصدة الدين الخارجي، طويل الأجل

مكوّن من عدة دول عربية تحت اسم "التحالف العربي" في اليمن بقيادة "السعودية"، وقد اسفرت هذه الحرب عما يلي:

أ-**القتلى بسبب الحرب:** يقدر عدد القتلى في اليمن بسبب الحرب الطائفية في نهاية عام ٢٠٢١، بنحو ٣٧٧ ألف وفاة، منها ما يقرب من ٦٠ % وبما يعادل حالة وفاة ٢٢٦٢٠٠، لأسباب غير مباشرة، مثل عدم الحصول على الغذاء والمياه والرعاية الصحية، خاصة الأطفال الصغار المعرضين لمشاكل سوء التغذية، وتمثل الوفيات المباشرة نحو ٤٠% من الضحايا، بما يعادل ١٥٠٨٠٠ قتيل.[١]

ب -**الجوع وسوء التغذية:** تشير أرقام الأمم المتحدة إلى أن ١٦ مليون شخص في اليمن يعانون من انعدام الأمن الغذائي و٣ ملايين يعانون من سوء تغذية حاد حتى عام ٢٠١٩ فقط.[٢]

ج-**الخسائر الاقتصادية**: ارتفع الدين الخارجي طويل الأجل إلى ٦.٢٥ مليار دولار عام ٢٠٢٠م، والدين قصر الأجل ٤٦٠ مليون دولار تقريبًا.[٣] تراجع الناتج المحلي لليمن من ٤٢.٤٤ عام ٢٠١٥ إلى نحو ١٨.٢٤ مليار عام ٢٠٢٠م، وبما يوازي تراجع قدره ٥٧% بالنسبة لعام ٢٠١٥م.

٣ – **خسائر حزب الله:** تقدر الخسائر في الأرواح بين صفوق مقاتلي حزب الله نحو ٢٠٠٠ مقاتل، وهذا يعادل ٤٠% من عدد القوة العسكرية الضاربة للحزب.

ثالثًا: **إيران وضبط النفس مع أعداءها**: المثير للدهشة أن إيران تتحلي بضبط النفس

---

[١] أخبار، الأمم المتحدة تقدّر بلوغ عدد القتلى بسبب حرب اليمن ٣٧٧ ألفا بنهاية العام، موقع DW، ألمانيا، ٢٣/ ١١م ٢٠٢١م

[٢] سياسة و اقتصاد، حرب اليمن استهداف الجسور يفاقم عدد الضحايا ومعاناة المدنيين، موقع DW، ألمانيا، ١٠/٣١/ ٢٠٢٠م.

[٣] موقع البنك الدولي، أرصدة الدين الخارجي، قصير الأجل، أرصدة الدين الخارجي، طويل الأجل.

مع اعداءها الحقيقيين، دون ممارسة هذا الضبط مع الدول العربية المجاورة، التي تنتمي معها لنفس الدين، وهذا الاندفاع نحو المواجهة العسكرية في الإقليم العربي، يجعلها مع من يقومون بتزكية هذا الصراع من الجانب العربي، أداة هدم للأمة لصالح الغير، ورغم أن ضبط النفس لا يعاب على إيران من وجهة النظر السياسية، ولكنه يعاب عليها عدم تطبيق هذا المبدأ مع الدول الإسلامية التي تجاورها، ويمكن متابعة ذلك كأمثلة كما يلي:

أ-**ضبط النفس مع إسرائيل في سوريا:** رغم أن إسرائيل قد شنت ٤٠٠ هجوم على إيران في المنطقة أغلبيتها في سوريا، وأدت هذه الهجمات إلى مقتل ٣٠٠ شخص بينهم قادة عسكريون إقليميون منذ ٢٠١٧ وحتى عام ٢٠٢٢م.[١] إلا أنها ضبطت نفسها مع هذه العدوان.

ب-الهجوم **مجمع نطنز**: وعلى الرغم من إعلان صحيفة «جيروزاليم بوست» الإسرائيلية، إن الحادث الذي وقع في مجمع نطنز النووي الإيراني في ١٠ إبريل ٢٠٢١م، ناجم عن هجوم إلكتروني قد يكون من جانب إسرائيل، وأفادت الصحيفة الإسرائيلية بأن الواقعة الجديدة في نطنز لم تكن حادثا عاديا، بل هي أخطر بكثير مما تقوله إيران.[٢]

ج- **قتل العالم النووي الإيراني:** أيضًا ضبط إيران نفسها بعد عملية اغتيال العالم الإيراني محسن فخري زاده، أبو البرنامج النووي الإيراني، على يد "الموساد" الإسرائيلي، في سبتمبر ٢٠٢١م، وتمت العملية باستخدام "روبوت قاتل"، تحكم فيه قناص ماهر عن بعد.

---

(١) ٤٠٠ ضربة نفذتها إسرائيل ضد إيران.. خاطفة قادة عسكريين، موقع العربية، السعودية، ١١/٤/٢٠٢٢م

(٢) سيد خميس، نتنياهو يعلق على حادث موقع نطنز النووي في إيران، موقع جريدة الوطن، القاهرة، ١١/٤/٢٠٢١م

د- ضبط النفس مع مقتل سليماني: بعد قيام الولايات المتحدة بقتل قاسم سليماني القائد السابق لفيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، بغارة أمريكية بطائرة مسيرة في محيط مطار بغداد الدولي في ٣ يناير عام ٢٠٢٠، قد ذكرت الخارجية الإيرانية: "جريمة اغتيال الشهيد سليماني نُفذت بأمر مباشر من رئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، وإيران ستلاحق قضائيا الآمرين ومرتكبي هذه الجريمة"، وفقا لما نقلته وكالة الأنباء الإيرانية (إرنا).[١]

وأيضًا لا يمكن إهمال أن إيران تقوم بالرد على إسرائيل بطريقة غير مباشرة عبر كل من حزب الله في لبنان، ودعم حركة بقطاع غزة، ويأتي ردها الخافت على الولايات المتحدة بدعم المقاومة العراقية، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه أين ضبط النفس مع دول الجوار؟

هذا العرض المختصر يشير إلى أن إيران لم تنقذ الشيعة من القتل، أو الهجرة، أو الجوع، بل ساهمت في زيادة عدد الدول التي تحتل الأراضي السورية إلى خمس دول هي: إسرائيل، الولايات المتحدة، روسيا، وتركيا، وإيران، وتدهور حال الشيعة باليمن، أما حزب الله فقد خسر ٤٠% من قواته العسكرية.

لقد خسرت الجميع فرص النمو والتطور بسبب ما أنفق في تمويل هذه الحروب، وللمرة الثانية بعد الحرب العراقية الإيرانية يشترك العرب وإيران في تبديد الموارد خلال أربع عقود، نصفها كانت في الحرب والدمار، وهذا الأمر يتطلب مراجعة السياسات من أجل التعايش السلمي في إطار حق المواطنة للجميع.

الحالة التركية: تركيا دولة ذات موقع استراتيجي هام وان الجزء الأكبر من مساحتها يحده جنوب غرب أسيا، وتبلغ مساحة تركيا نحو ٧٨٠ ألف كيلو متر مربع ويمثل

---

(١) إيران: ٣ دول بالمنطقة متورطة في مقتل قاسم سليماني.. وسنقاضي الآمرين ومرتكبي الجريمة، موقع العربية CN،دبي، ٢٩/ ١٢/ ٢٠٢١م

الأتراك مابين ٧٠% إلي ٨٠% من السكان مقابل ٢٠% إلي ٣٠ % للأكراد ونسب ضئيلة من العرب بعض الأقليات الأخرى.

وقد شكّلت القضية الكردية صداعاً مزمناً للحكومات التركية المتعاقبة منذ تأسيس الجمهورية التركية سنة ١٩٢٣ وحتى الآن مازالت هذا الصراع هو الشوكة الحادة في ظهر الحكومات التركية، وهناك أطرافا متعددة تغذي هذا الصراع لأسباب سياسية فالمعضلة الكردية تهدد بتقسيم أربع دول العراق وإيران وتركيا وسوريا، وظهور كيان جديد هو الدولة الكردية، ومن ثم هناك قمع تبرره كل دولة من وجهة نظرها في أنها تحافظ علي وحدة أراضيها، وأن كان الأكراد سنة فأن النزعة العرقية تغلبت علي النزعة الدينية ومازالت المشكلة الكردية قائمة وتحاج إلي حلول بعيدا عن التدخلات الدولية التي تجد ضالته في تمزيق العالم العربي والإسلامي عبر قضية الأكراد

وتعد المعضلة الكبرى أن تكون تركيا السنية بديلا للعراق في مواجهة إيران الشيعية، فقد ارتفع منسوب الاحتمالات لتكون تركيا هي المرشح الأقوى لمقابلة إيران فكرا ونفوذا واستقطابا للعالم العربي.

تركيا وإيران: في مواجهة غير مباشرة وما يفرقهما أكثر مما يجمعهما، فعلى الرغم من عدائهما للأكراد، إلا أن الدولتان علي حافة الصراع السني الشيعي، وكلاهما يريد أن يحشد ما أمكن له من الأنصار من العالم العربي، وهذا ما يفسر في جانب كبير منه عودة تركيا للاقتراب من العرب، وإيران من سوريا.

تأجيج هذا الصراع الطائفي هو الخطر بعينه، فالبديل المنطقي هو زيادة فرص التعايش السلمي بين السنة والشيعة، فالاعتدال هو طوق النجاة لأن نزيف الطائفية لن يتوقف متى تم استدعائه.

بعد الطائفية المذهبية بين السنة والشيعية يمكن أن تشتعل الطائفية الدينية بين المسلمين والمسحيين بدول المنطقة، وبعدها ستنفجر الطائفية العرقية في كل قطر فالأكراد والعرب في إيران وتركيا سيسعون للانفصال.

وسينشأ صراع داخل الطائفة الشيعية نفسها، بين الشيعة العرب والشيعة الفرس، والشيعية اليزيدية والأثني عشرية وهكذا سيكون حال كل الطوائف، وسيسعى كل عرق للانفصال ليسير علي نفس المنوال.

ويعد مؤتمر هرتسليا: الذي يُعقد سنويا في المركز المتعدد المجالات في المدينة، الواقعة إلى الشمال من تل أبيب، أحد أهم المنابر في رسم وتوجيه السياسات المستقبلية للدولة العبرية، إذ يُشارك في أعماله أقطاب تل أبيب من المستويين السياسي والأمني، بالإضافة إلى الخبراء الإسرائيليين والمتخصصين في الصراع بالشرق الأوسط من جميع أصقاع العالم، وقد أصدر المؤتمر تقريرا يشمل خلاصة ما توصل إليه خلال المناقشات الطويلة، التي ترسم الخطوط العريضة للحكومة الإسرائيلية ففي إبريل أوصي مؤتمر هيرتزيليا: "أنه من الضروري تكريس الصراع السني – الشيعي من خلال السعي إلى تشكيل محور سني من دول المنطقة يقوم أساساً على دول الخليج ومصر وتركيا والأردن في مقابل محور الشر الذي تقوده إيران باعتباره محوراً للشيعة" [١]

لقد أعلن المؤتمر الإسرائيلي صراحة ما يلي: "بينما تتزايد الاحتمالات لتقسيم سوريا وتتحول هذه الاحتمالات إلى حقيقة، فإن الدول الكبرى الغربية وشركاءها الإقليميين وخاصة تركيا والأردن وإسرائيل، ينسقون فيما بينهم لمنع فقد السيطرة على الأسلحة السورية المتطورة. ومن الممكن أن تلزم ظروف معينة على أرض الواقع القيام بخطوات عسكرية دولية هناك"

أن مؤتمر هيرتزيليا بهذه الطريقة أنما وجه اللوم إلى إسرائيل لأنها لم تقم بدور فاعل في إثارة الصراع السني – الشيعي لمصلحتها، هكذا يكون المؤتمر الاستراتيجي في هيرتزيليا الإسرائيلية قد رسم خريطة الشرق الأوسط كما ينبغي أن تعمل إسرائيل على رسمها.

---

[١] أخبار مصر، ٢٠١٣/٤/١٧، نقلا عن البديل: تحت عنوان: تأجيج الصراع السني الشيعي – وصية "هرتزليا" للكيان الصهيوني

ويقع بعض الدعاة من السنة والشيعة في غفلة من التبصر تحت تأثيرات المخطط الصهيوني حين يستدعي كل طرف ضرورة التصدي للآخر، وترد إيران ـ لكونها ذات أغلبية شيعية واضحة بحملة ضارية لتشييع البلدان ذات الأغلبية السنية.

ويصل هذا الهجوم الدعائي ـ الذي يهدد بالتحول سريعاً إلى مواجهة مسلحة إلى نقطة متقدمة في الصراع، وبرز ذلك بوضوح في المشكلة السورية عندما أصبح المعسكر السني في مواجهة الشيعي ليتم تدمير المنطقة تدميرا ذاتيا لصالح الغرب.

هذا العبث يجب أن يتوقف من الطرفين فلا يوجد طائل من وراء هذا الصراعات الحمقاء سوي أن تدمر الدول الإسلامية نفسها بأيديها وتحقق ما فشلت فيه القوي الاستعمارية على مدار التاريخ.

ربما لايمثل البعد الشيعي في مصر أهمية تذكر، وليس من السهل معرفة العدد الدقيق للشيعة في مصر، إلا أن هناك تقرير تذكر أن المسلمين الشيعة أقل من١٥% من إجمالي عدد السكان.[1] ويدين الشيعة في مصر بالمذهب الجعفري (الإثنى عشري)، وشيخ الأزهر محمود شلتوت، قد أصدر فتوى في العام ١٩٥٩ تجيز التعبد بالمذهب الجعفري (الإمامي) كسائر مذاهب أهل السنة. وقد أكد شيخ الأزهر الحالي الدكتور محمد سيد طنطاوي استمرار العمل بالفتوى في يناير ١٩٩٧، فالمذهب الجعفري غير معترف به رسمياً، فلكي يتم الاعتراف رسمياً بجماعة دينية يجب أن يتم التقدم بطلب لإدارة الشؤون الدينية بوزارة الداخلية.

ويهدف عرض الملف الطائفي بالدول العربية المحيطة بمصر للتذكير بأن مصر ما زالت معرضة لتلك الأخطار، وأن مصر سيصعب عليها التعامل مع كيانات صغيرة اقتصاديا أوسياسيا؛ فإضعاف الدول العربية يعد تقطيع للجذور المصرية في محيطها الأقليمي لإسقاطها ، وهذا ما يجب أن يدفعنا كعرب ومصريين للتكاتف من أجل إجهاض تلك المؤامرة، أضف إلى ذلك أن مصر تأثرت سلبا بكل الأحداث الطائفية

[1] وزارة الخارجية الأمريكية، مرجع سابق

بالمنطقة، لأن الخطر الطائفي لايهدد مصر من الداخل فحسب بل تقع مصر في مرمى الصراع الطائفي المحيط بها ومصالحها تتعرض لبالغ الخطر نتيجة تلك الأحداث على كافة المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية

يظهر من العرض السابق مدى توافر المناخ الطائفى الذى يمكن الغرب من اللعب عليه، ربما يكون النفط عامل أساسي فى أرجاء تحريك هذا الملف في دول الخليج لضمان الأستقرار النسبي فى إمدات الطاقة، فالمنطقة تمثل خزان الوقود الحيوي للغرب وتأجيل فتح هذا الملف مسالة وقت وعندم تطلب مصلحة الغرب ذلك سيفتح ، وربما يكون فتح هذا الملف محل التحضير لإجهاض النهضة النووية فى إيران ودولة الأمارات العربية المتحدة، الغرب حذر من تمكين العرب من إمتلاك التكنولوجيا النووية، ولكن فتح هذا الجرح يهدد مصر وربما يدفع بها فى صراع عسكري مباشر مع إيران، كما أنه يهدد بحرمان البلاد من تحويلات العمالة نتيجة لتردى الأوضاع الاقتصادية في الحرب نتيجة لعودة العمالة وعرقلة خطط التنمية بهذه الدول.

سادساً: مصر والصراع الطائفي فى البوسنة والهرسك: وأن كانت هناك العديد من الدول الإسلامية المهددة بالصراع الطائفي مثل إيران حيث يتكون السكان فيها من سنة وشعية وإشعال الطائفية بها يدمرها من الداخل ذاتيا ولعل هناك محاولات غربية تسعي لذلك، وأيضا روسيا يمكن ان تسعي قوي دولية لتغذية الصراع فيها لضرب العلام الإسلامي مع روسيا والخلاص من الطرفين، وقد مصر ان تتأثر شمالا وجنوباً وشرقا نظراً لمحورية دورها وتعدد أنتمائتها ، فالبسنه والهرسك هي دولة مسلمة ولابد أن يكون دور مصر عبر هذه البوابة فى مرمى التأثير والتأثر، لم تنعزل مصر عن قضايا الأمة الإسلامية في شمال روسيا وفى أفغانستان قدر تلك الدولة أن تكون متشعبة فى التواجد على الصعيد الدولي مرغمة أو مختارة ، ومطالبة ببذل دورا يتأرجح صعوداً وهبوطاً وفقاً لإمكاناتها المتاحة، وفي جميع الأحوال سوف تؤدى دورها.

الطائفية في البوسنة: عقب تفكك الاتحاد اليوغسلافي تم الإعلان سيادة البوسنة والهرسك عام ١٩٩١ ثم أعقبها استقلال عن يوغوسلافيا عقب استفتاء فبراير ومارس عام ١٩٩٢ وقد قاطعته غالبية عظمى من الصرب وكانت نسبة المشاركة ٦٣,٤ % وقد صوب لصالح الاستقلال ٩٩,٧ % من الناخبين وعقب إعلان الاستقلال تصاعدت حدة التوتر إثر قيام حوادث عسكرية متفرقة واندلعت حرب مفتوحة فى سراييفو فى ٦ إبريل عام ١٩٩٢.[1]

* **بداية المؤمراة:** دارت دوائر المؤامرة في الخفاء اعتمادا على الطائفية ضد هذه الدولة الوليدة قبل الاستقلال، وذلك من خلال مباحثات سرية في أوائل مارس ١٩٩١ بين فرانيو تودجمان وسلوبودان ميلوسيفيتش لتقسيم البوسنة بين الصرب والكروات في اتفاق أطلق عليه اتفاق كارادورديفو وسعى بموجب هذا الاتفاق الصرب لاحتلال المناطق ذات الأغلبية الصربية شرق وغرب البوسنة بينما سعى الكروات إلى ضم وتأمين الأجزاء التي تضم الكروات ، وهاجمت القوات الصربية التجمعات المدنية لغير الصرب في شرق البوسنة وبعد بسط السيطرة على القرى والبلاد البوسنية قامت الميلشيات العسكرية الصربية والسكان الصربيين بحملة إبادة جماعية تم فيها تدمير وإحراق المنازل والممتلكات وتم القبض على أهالي البوسنة والاعتداء الوحشي بالضرب والقتل وجراء تلك العملية تم تهجير ما يقرب من ٢,٢ مليون بوسني تفرقوا فى إنحاء العالم واستقبلت مصر عدة الألف مهم ولم تكن مصر فى معزل عن الحدث كما ذكرت من قبل، تحت شعار الطائفية اللعينة كان يتم القبض علي المواطنين ويتم فصل الرجال عن النساء في معسكرات اعتقال أما النساء فتم توزيعهم على مراكز اعتقال متعددة فى ظروف قاسية وغير صحية وتعرضن لأسوأ المعاملات بما فيها الاعتداءات الجنسية المتكررة ، كان يأتي الجنود ورجال الشرطة إلى معسكرات الاعتقال ويختارون من النساء ما يشاءون لاغتصابهن.

---

[1] The Referendum on Independence in BosniaHerzegovina: February 29March 1, 1992". Commission on Security and Cooperation in Europe. 1992. p. 19. Retrieved 28 December 2009

اتجهت أنظار الكروات صوب نوفى ترافينيك وغورنى فاكوف عام ١٩٩٢ حيث محاولات جيش الدفاع الكرواتي لزيادة قواته فى المناطق الكرواتية مع المطالبة بإلغاء كل المؤسسات البوسنية داخل هذه المناطق فطرد المسلمين البوسنيين وبدأ الهجوم فى ١٩ يونيو ١٩٩٢ بتدمير مدرسة ابتدائية ومركز للبريد وتم التوجه نحو غورنا فاكو فى اليوم التالي مباشرة فى ٢٠ يونيو , وقد قتل أحد القادة الكروات المعتدلين، هكذا عندما تنشب الحروب الأهلية دائما ما يتعرض المعتدلين إلى نفس المصير نتيجة التعصب، ولكن الهجوم تم إحباطه عقب ذلك هاجمت قوة كرواتية تجمعا للبوشناق في بروز ور في عملية تطهير عرقي.

وقعت مساحة كبيرة من أراضى البوسنة تحت أيدي القوات الصربية حيث سيطرت على ٧٠% من مساحة الدولة واستمرت عمليات التطهير العرقي وهو ما أدى إلى مقتل ٢٠٠ ألف بوسني مسلم خلال هذه الحرب الأهلية [١] أي ضعف شهداء مصر في حروبها الأربعة مع إسرائيل. ولكن بعض المصادر تشير إلي القتلي نحو ١٠٢٦٢٢ تم ذبح ٨٠٠ منهم بطريقة وحشية، وكانت هذه الحرب على الأرض الأوروبية شاهد عيان حقيقي على التعصب المسيحي في ظل ادعاءات حقوق الإنسان، ولكن تهم التعصب دائما لا يمكن أن تنسب إلى الدين ولكن هى الطبيعة العدوانية داخل النفس البشرية.

ترى هل تقنع هذه المجازر المتعصبين في مصر بضرورة اليقظة والتصدي للنزعة العدوانية داخل النفس البشرية، واشارت بعض المصادر أن ضحايا الحرب الأهلية الأمريكية ما بين عامي ١٨٦١ – ١٨٦٥ نحو ٦٥٠ ألف قتيل وكان هذا هو الدافع الحقيقي للتحول نحو الديمقراطية لمنع تكرار تلك الخسائر البشرية , هذه الحقائق هي صورة حية لكل إنسان داخل هذا العالم لكي ينتصر على النزعة العدوانية بداخله متى وجدت ، يجب علينا كمصريين ومسيحيين وعرب أن نبدأ من حيث انتهت إليه التجربة الإنسانية، لا يعقل أن نتعظ ونعود إلى العقل بعد إزهاق مئات الألف من الأرواح، أمامنا صور بغيضة لا نتمنى لها أن تحدث في مصرنا الحبيبة، وبأذن الله نتمنى أن تقع ولن

---

[1] *The Geography of Genocide*", Allan D. Cooper, p. 178, University Press of America, 2008, ISBN 076184097

تحدث، خصوصية هذا الشعب في التسامح والتعايش سوف تنتصر في النهاية.

سابعًا : الآثار الاقتصادية والاجتماعية للحروب الطائفية: تقترن الآثار الاقتصادية السلبية بالحروب الأهلية ولا يمكن تجاهل تلك الآثار، وهذا ما نخشاه على مصر وأي دولة عربية أو افريقية، فهذا الفخ نتائجه باهظة للغاية منها:

١-**الأثر الاقتصادي:** ينثل الآثر الاقتصادي للصراعات الطائفية أحد أخطر النتائج، لأنه يبدد المواردإما لشراء السلاح، أو بالقضاء على المقومات المادية للحياة لدى الاهر، ومن هذا الآثار ما يلي:

*‏**انخفاض التراكم:** تؤدي فترات الصراع إلى انخفاض التراكم الرأسمالي للدولة وتهدد رأس المال الخاص والأجنبي وتتسبب في الأحجام عن الاستثمار المباشر في الدول محل الصراع وبالتالي يكون الأثر الحتمي هو تراجع نمو الاستثمارات الكلية وذلك نتيجة للقيود الصارمة التي تفرضها ظروف الحرب على الموازنات العامة للدول محل النزاع، فهناك تلازم بين الصراع والفقر.

*‏**انخفاض المستوى الكلى للاستثمار**: ويرتفع معدل انخفاض المستوى الكلى للاستثمار نتيجة الاستثمارات داخل نطاق المشروعات الصغيرة على حساب المشروعات الرأسمالية وتجد أن أنشطة القطاع غير الرسمي تزداد في حالات الصراع والحروب الأهلية والإنفاق العام يرتفع بمعدل أعلي من الإيرادات، وهذا يؤدى إلى تفاقم حجم العجز بالموازنة العامة للدولة وعادة ما يتم تمويل هذا العجز عن طريق الاقتراض الداخلي والخارجي.

*‏**التضخم وارتفاع الأسعار:** تؤدي زيادة المعروض من البنكنوت إلى التضخم وارتفاع الأسعار نتيجة انخفاض سعر العملة التى تكون معدلات انهيارها أكثر حدة فى فترات الحروب الأهلية كما هو الحال فى العراق والسودان والجزائر ولبنان خلال تلك الحروب وفي مصر عقب ثورة ٢٥ يناير وأن كان التأثر طفيف حتى منتصف ٢٠١٣.

***زيادة النفقات العسكرية:** يتجه الأنفاق داخل الموازنة العامة لخدمة التوسع في الإنفاق العسكري المباشر والمتمثل فى شراء الأسلحة وغير المباشر فى علاج ورعاية مصابي العمليات العسكرية وما يرتبط بها من تعويضات ومعاشات، وهذا يؤثر بالسلب على النواحي الاجتماعية في مجالات التعليم والصحة وغيرها.

* **تدنى دخل العام للأفرد:** ينخفض فى فترات الحروب الأهلية نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالي بمعدلات متفاوته سنوياً مع تدني دخل الفرد وانهيار معدل الادخار المحلى سواء بدافع الحفاظ على مستويات الاستهلاك أو نتيجة لظروف عدم التأكد وتذبذب قيم الأصول وزيادة الإنفاق الجاري مما يؤدى إلي التوسع في الاقتراض الخارجي وقبول المعونات الخارجية والسير في مضمار التبعية وفقدان الهوية ، الحروب الأهلية يتم تسديد فواتيرها على حساب ميزانية التنمية المخصصة للأجيال القادمة..

* **تراكم المديونيات الخارجية:** تزايد الإنفاق العسكري عادة ما يقترن بالدين الخارجي وهو ما يؤدى إلى تراكم المديونية وانهيار برامج التكيف الهيكلي للاقتصاد الوطني، ناهيك عن تتراجع الصادرات نتيجة انخفاض الإنتاج على مستوى الاقتصاد الكلى وبصفة جزئية يتحول المنتج نحو السوق المحلى بهدف تلبية حاجة السوق وفى المقابل تنمو عمليات الاستيراد وفى ظل تراجع التصدير وتخصيص الموارد للإنفاق العسكري أو الداخلي ويحدث انخفاض في احتياطي النقد الأجنبي وهو نفس ما حدث أثناء ثورة ٢٥ يناير نتيجة الفراغ الأمني وهروب راس المال انخفض في الاحتياطي من النقد الأجنبي بعد ٢٥ يناير البنك المركزي المصري، إن انخفاض الاحتياطي النقدي بنحو ٢١ مليار دولار خلال عامي ٢٠١٠-٢٠١١/ ٢٠١١-٢٠١٢ م (١) وانخفض معدل النمو إلى ٢% بدلا من المتوقع الذي قدر بـ ٧% مع بوادر النزاع الطائفي في مايو عقب أحداث إمبابة هبط معدل النمو إلى صفر في المائة.

تزامن مع الثورة المصرية نوعا من الاضطرابات بسبب انتشار ظاهرة البلطجة والفراغ

---

(١) محيط شبكة الإعلام العربية ، ٢٠١٣/١/٣٠

الأمني الذي حدث أي كانت الأسباب وقدرت خسائر الاقتصاد المصري بـ ٧٠ مليار جنيه من ٢٥ يناير حتى أول مايو ٢٠١١.

وتلك الخسائر هي لا تساوى شيئا يذكر بجوار خسائر الحرب الأهلية التي نتمنى ألا تحدث وأن يتم التصدي لمروجي الفتنة بكل حزم مع حل عملي لبذور وأسباب تلك الاحتقانات بمصر، من الضروري أن تولى الحكومات اهتماما أكبر بالاستقرار الاجتماعي والسياسي للحد من تفاقم الأوضاع الاقتصادية نتيجة للصراعات الأهلية

٢-**الآثار الاجتماعية للحروب الأهلية:** تتنوع الاثار الاجتماعية للحروب الأهلية التي تقوم على أسس طائفية، ومن هذه الآثار مايلي:

* **زيادة الأمراض النفسية:** تتمثل تلك الآثار في الأمراض النفسية نتيجة للتعرض للاعتداء الجنسي أو مشاهدة مناظر القتل والدماء البشرية تسيل دون أدنى حرمة للإنسان الذي كرمه الله واستخلفه في الأرض، كما أن حالات التعذيب والتعرض للإيذاء البدني تترك أثار نفسية لا يمكن محوها ويقترن ما سبق بالعديد من حالات الاكتئاب.

***أنهيار الأخلاق:** تؤدى الحرب الأهلية إلى تردى العامل الأخلاقي داخل لشارع والمحيط الخارجي للفرد وترتفع نسب الطلاق والعنوسة، وخير شاهد على ذلك أنه بعد الغزو الأمريكي للعراق حسب بعض ارتفعت معدلات الطلاق منذ عام ٢٠٠٣ حتى عام ٢٠٠٧ إلى الضعفين؛ وارتفعت معدلات الطلاق بالعراق من ٢٠٦٤٩ حالة إلى ٤١٥٣٦ عام ٢٠٠٧.

* **أرتفاع معدلات الطلاق:** فمن المصاعب الأخرى أن الزوجة قد تكون مضطرة إلى البقاء والمكوث مع زوجها في نفس منطقة الصراع , بل إن الزوج قد يظل داخل منزله ولا يخرج إلى عمله وهو ما قد يؤدى إلى مزيدا من التوتر فخروجه إلى العمل يعرض حياته للخطر والأسرة تحتاج إلى مستلزمات المعيشة فينشأ نوعا أخر من التوتر داخل الأسر في مناطق الصراعات الأهلية , لقد ارتفعت معدلات الطلاق

بين الأزواج العراقيين وخاصة من شريحة الشباب صغار السن الذين أرغموا على الزواج من قبل أسرهم للتخفيف من العبء الاقتصادي عليهم وكانت النتيجة عدم التوافق لأن الزوج يكون غير ملائم في مناحي عديدة وأحيانا يقوم الأزواج بإرسال هؤلاء الفتيات للعمل.

انتشرت التفرقة بين الأزواج في العراق لأسباب طائفية لأن النساء تحت ضغط الأهل يطلبون الطلاق نتيجة اختلاف المذهب علاوة على ذلك تؤدى عمليات التوتر إلى إهمال الزوج حقوق المعاشرة الجنسية وتكون تلك الحالات سببا في الطلاق لدى البعض، وتتزايد في الحالة العراقية معدلات طلب الخلع نتيجة لتلك العوامل وهو ما قد يؤثر على الحقوق المالية للزوجة ويعرض الأبناء لفقدان الدفء الأسرى وكانت الكارثة الأكبر هو ارتفاع نسب الطلاق في الجواز الحديث بالعراق إلى ما بين ٥٠ و ٦٠% من الزيجات الجديدة وبالتالي تتصاعد ظاهرة التفكك الأسرى، لقد أدت الطائفية في العراق إلى تشريد ٣ مليون عراقي داخل بلادهم و ٤ مليون خارج العراق وتحولت بغداد إلى جزر مقسم بين سنة وشيعة وأكراد وتركماني ومسيحي , يسعى المختصون إلى إقناع الشباب بالزواج الأمر عادة ما ينتهي بفك الزواج والطلاق.

*__زيادة معدلات الهجرة الداخلية:__ وعبر دخول قوات الردع العربية لنزع السلاح. غير أن الرئيس سركيس ربط بين نزع سلاح «الجبهة اللبنانية» ونزع سلاح الفصائل الفلسطينية. ومع تنامي قدرات «منظمة التحرير «بالتحالف مع دمشق إثر اتفاق «كامب ديفيد» العام ١٩٧٨، وفي لبنان كان من أخطر النتائج التي ترتبت على الحرب الأهلية اجتماعيا عمليات التهجير والفرز الديني والمناطقي. فخلال ما سمي «حرب السنتين» (١٩٧٥ –١٩٧٦) نزح نحو 589680شخصاً من ١٨٩ بلدة وقرية مسيحية وإسلامية، أي ما يعادل ٢١.٨ في المئة من مجموع السكان. وفي العام ١٩٧٧ وبعد اغتيال كمال جنبلاط، هُجر ٢٠ ألف مسيحي من قرى الشوف، وبين ١٩٧٧ و١٩٧٨ نزح نحو ٧٥ ألف شخص من جنوب لبنان بسبب الغارات الإسرائيلية، وإثر قصف الجيش السوري لبيروت الشرقية العام ١٩٧٨ نزح

نحو ٢٥٠ ألف شخص، أما الاجتياح الإسرائيلي العام ١٩٨٢ فأدى الى نزوح ٤٠٠ ألف شخص، وتسبب انسحاب الجيش الإسرائيلي (١٩٨٣ –١٩٨٤) من جزء من الأراضي اللبنانية باندلاع «حرب الجبل» التي شردت ٣١٤١٦٨ شخصاً. كما أدت تداعياتها إلى تهجير أكثر من ١٥٠ ألف شخص من بيروت الغربية والضاحية الجنوبية، ونحو ٤٠ ألف شخص من منطقة الشّحّار الغربي. عمليات التهجير طاولت بين ١٩٧٥ و١٩٨٧ ثلثَي سكان لبنان، وقد اضطر عشرات الآلاف منهم إلى النزوح غير مرة من أمكنة وجودهم. وبلغ عدد ضحايا الحرب من العام ١٩٧٥ حتى ١٩٩٢/٣/٩ نحو ١٤٤ الفاً و٢٤٠ قتيلاً إضافة إلى ٧٩١ الفاً و٦٠٥ جرحى و٧١ الفاً و٥١٤ مفقوداً. [1]

***انتشار الجريمة وعليات الخطف:** وخلفت الحرب الطائفية في البوسنة العديد من الأمراض والمشاكل النفسية نتيجة لحوادث العنف والاغتصاب والقتل بل فقدت العديد من النساء أزواجهن وترملن في سن مبكر وفقد الأطفال الأب والأم وهو ما حول العديد منهم إلى العيش داخل ملاجئ وأسفرت الحروب الأهلية فى لبنان والسودان والجزائر عن نفس النتائج السابقة ، عادة ما تقترن فترات الصراع في الحروب الأهلية بانتشار حوادث الاختطاف للنساء والأطفال وطلب الفدية وقد شهدت مصر في أعقاب الانفلات الأمني الذي أعقب ثورة ٢٥ يناير حوادث من نفس الدرجة وأشهرها اختطاف ابنة عفت السادات وطلب فدية ٥ قدرها مليون جنيه ربما الأمور الأمنية كانت في مصر تحت السيطرة نسبياً واستطاعت الدولة من خلال أجهزتها الأمنية من ضبط الجناة وتحرير الرهينة , هذا تحقق لأن الدولة مازالت قائمة ولكن في ظل الفتنة الطائفية سوف يصعب تتبع تلك الحالات.

***استغلال الأطفال في الحروب**: شهدت أفريقيا صورا أخرى متكررة على المستوى

---

[1] المصدر: الراي، تحت عنوان: الحرب الأهلية اللبنانية... تعدّدت «الصواعق» و«الانفجار» واحد، العدد ١١٦٠٩ /٢٠١١/٤/١٤

الاجتماعي حيث تم إرغام ٣٠٠٠ طفل على الاشتراك فى الحروب الأهلية من بينهم ٥٠٠ طفلة وفى موزمبيق تم تجنيد ٨٠٠٠ طفل وفى سيراليون تم اختطاف ١٠٠٠٠ طفل وإجبارهم على الاشتراك في الحروب الأهلية.[١] وتتزايد عمليات إشراك الأطفال في الحروب الأهلية حيث تم إجبار ٢٥٠ ألف طفل تحت سن ١٨ سنة فى أفريقيا وأسيا على الاشتراك فى الحروب الأهلية في ١٦ نزاعا مسلحا في مختلف أنحاء العالم وشهدت سيراليون قيام المتمردين باختطاف ما بين ٤٥٠٠ إلى ١٠ ألاف طفل تحت سن السادسة وتم تجنيدهم خلال الحرب الأهلية التي استمرت ثماني سنوات، ويكون تعاطي المخدرات خاصة الأمفيتامين والكوكايين جزءاً عاديا من التدريبات العسكرية التي يتلقاها الأطفال المقاتلين ويتم تسليحهم بالمدافع الرشاشة ويشاركون فى عمليات القتل والمذابح وقد ارتفع عدد الدول التي تستخدم الأطفال عام ٢٠٠٣ إلى ٤١ دولة .[٢] وتشير التقديرات إلى أن الأطفال الذين يجبرون على حمل السلاح تحت سن ١٥ تصل أعدادهم إلى ٥٠ ألف في مينامار وتأتى رواندا في المرتبة الثانية حيث قدر عدد الأطفال ٢٠ ألف وبر وندى ١٠ ألاف وكولومبيا ٩ ألاف وأوغندا ٨ ألاف والكونجو ٦ ألاف وسيراليون ٥ ألاف طفل . [٣] وكان يتم اختطاف الأطفال وهم في سن صغيرة بعضهم لا يكون قد تجاوز الخامسة من عمره ويتم نقلهم إلى معسكرات يتدربون فيها على حمل السلاح وتنفيذ مهام قتالية.

* **انتشار ظاهرة الأدمان:** لقد أصبحت الحروب الأهلية مدرسة لتعليم الإجرام والإدمان والقتل والاغتصاب أن أسوء شيء أنتجته الحروب الأهلية ضد البشرية في تربية مالا يقل عن ٢٥٠ ألف طفل على السلوك الإجرامي ليكونوا في الغد القريب أباطرة الجريمة الدولية , فبدلا من أن يتعلم الطفل مبادئ العلوم والأخلاق ويتعلم

---

[١] جريدة واشنطن بوست ، ٢٠٠٣/١/١٩

[٢] تقرير منظمة انقذو الأطفال، وهى منظمة بريطانية معنية بشؤون الأطفال

[٣] جريدة واشنطن بوست ، ٢٠٠٣/١/١٩

فنون القتل والإجرام بالتزامن مع إدمان المخدرات ، إن المستقبل القريب ينتظر نوعية من المجرمين تربو على الدماء والعنف ولن تجدي معهم أي إصلاحات، يتصف هؤلاء المذنبون القادمون بأنهم ضحايا الإجرام والطائفة فأسوأ ما تنتجه الطائفية هو تربية جيل جديد على ثقافة الدم والقتل وإهدار حرمة النفس البشرية ، فلم يقتصر دور تلك الصراعات الأهلية على التشريد والتعذيب والقتل وحرمان الأطفال من ذويهم بل امتدت دور هؤلاء القتلة إلى ضخ قنابل بشرية ترعرعت دون ذنب في أحضان الجريمة.

خلفت الحروب الأهلية أمراضا نفسية متعددة سوف يصعب على المصابين بها من الخروج من دائرة الآثار السلبية لها طوال حياتهم بل سوف تمتد تلك الآثار إلى كل المحيطين بهم سوف ينشر هؤلاء المصابون ثقافة محبطة تقف حجر عثرة أمام التسامح والإخاء وسوف تظل تذكر الأجيال الجديدة بالدماء وربما تزرع لديهم مخزون تراكمي فى العقل الباطن يميل إلى نزعة الانتقام مما يعنى أن الأجيال القادمة سوف تعانى من أثار المد الغوغائي للتطرف والعصبية، ألا يتفق معي كل ذي عقل أو ضمير حي أو خلق أو دين أن التأسيس لثقافة الطائفية هو الخطر الداهم الذي يهدد الاستقرار في أنحاء الكرة الأرضية , هل ينتظر المصريين لكي تروى تلك الفظائع على أرض الوطن أم يتخذوا العبرة من أخطاء الآخرين.

و هذا العرض يبرز الصورة أمام العيان حتى يتحرك المجتمع بأثره للتصدي لخطر هذه الفتنة التي لا تفيد الدين بأي شيء بل هي ضد حرية الاعتقاد والإيمان وتنافى مع مبادئ الشريعة الإسلامية وكل الأديان السماوية ، ينبغي على المصريين أن يقفوا يد واحدة ضد هذا الخطر الداهم فلا يوجد فى مصر مدخلا للتخريب سوى هذا الأمر ومن هنا كان الواجب الوطني يحتم ضرورة تحكيم صوت العقل لأن ما سنرفضه باختيارنا سوف تدفعنا الأحداث المريرة إلى قبوله عنوة ولكن بعد فوات الأوان.

الفصل الخامس

وسائل الغرب وإسرائيل لتدمير مصر وسبل الرد

أولا : التجسس والمنظمات الأهلية والاغتيالات: تتنوع وسائل إسرائيل والدول الغربية فتارة يتم استخدام التجسس المباشر وتارة يتم تمرير الأفكار الهدامة عبر منظمات المجتمع المدني من خلال المال وتارة اللجوء إلي سياسية الاغتيالات المتنوعة أو التدخل العسكري في النهاية وسوف يتم عرض ذلك بإيجاز شديد.

١-**أعمال التجسس على مصر**: دائما ما كان هناك تعاون غربي ضد مصر لحد أجهزة المخابرات الصهيونية ويدل علي ذلك ما ذكره تقرير إسرائيلى من أن طائرات تجسس أمريكية حلقت فوق مصر وإسرائيل وعدد من الدول العربية منذ الخمسينيات حتى حرب ١٩٧٣ و استخدمت هذه الطائرات أثناء العدوان الثلاثى على القاهرة وخلال حرب أكتوبر على ارتفاع ٧٠ ألف قدم [١] وبالطبع كانت الجبهة المصرية في كل الحروب مكشوفة للإسرائيلين عبر الأمريكان ولم تكن النتائج المحققة في الصراع العربي الإسرائيلي دليل تفوق وانما هي ثمرة تعاون تام ووثيق علي أعلي مستوي ، وقدرت بعض المصادر أن عمليات التجسس الإسرائيلية علي مصر والتي ضبطت بعد كامب ديفد بنحو ٧٣ عملية حتى يوليو ٢٠١١، ومن قضايا التجسس في عام ١٩٨٥ ألقت أجهزة الأمن المصرية القبض على شبكة تجسس تتألف من ٩ أفراد ينتمون إلي الموساد الإسرائيلي، وضبطت المجموعة ومعهم

---

[١] بو ابة اليوم السابع نقلا عن صحيفة هاآرتس، ٢٠١٢/٨/١٣

خرائط وصورا لأماكن سيادية وكذلك بعض الأفلام التي قاموا بتصويرها، عام ١٩٨٦، تم ضبط شبكة تجسس أخري ضمت عددا من العاملين في المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة إلي جانب سيدة أمريكية تعمل في هيئة المعونة الأمريكية، وكان بحوزتهم كمية من الأفلام والصور ومحطة إرسال واستقبال ومعمل تحميض، وتبين أن هذه الصور تم التقاطها لوحدات عسكرية أثناء الليل باستخدام أشعة الليزر، وفي عام ١٩٩٢، سقطت شبكة آل مصراتي التي ضمت ٤ جواسيس هم: صبحي مصراتي وولداه ماجد وفائقة بجانب جاسوس آخر يدعي "ديفيد أوفتيس"، وقد اعترفت فائقة بأنه تم تدريبها علي جمع المعلومات عن الأهداف العسكرية والاستراتيجية والشخصيات العامة في مصر. [١]

* **الجاسوس بشار أبو زيد:** ونشر اليوم السابع بتاريخ ٢٠١١/٦/١ نص تحقيقات نيابة أمن الدولة مع بشار أبو زيد، الأردني الجنسية، المتهم بالتجسس على مصر لصالح الموساد الإسرائيلي في القضية رقم ١٤٦ لسنة ٢٠١١ والمعروفة إعلامياً "جاسوس الاتصالات"، والاشتراك مع ضابطين إسرائيليين هاربين لمد المخابرات الإسرائيلية بمعلومات وتقارير هامة عن بعض الشخصيات المصرية من خلال التصنت على مكالماتهم محادثاتهم عبر الإنترنت، وذلك بقصد الإضرار بالمصالح القومية للبلاد ، و ذكر أن ضابط الموساد الإسرائيلي الهارب موشيه إيفور، الذي تعرف عليه عبر الإنترنت، كان يطلب منه دائما الترويج للدكتور مُحَمَّد البر ادعى، رئيس الوكالة الدولية للطاقة الذرية السابق، والمرشح لرئاسة الجمهورية الانتخابات المقبلة، وعندما استفسر منه عن كيفية الترويج له، أكد أن ذلك يكون عن طريق الحديث مع المقربين والأصدقاء عن البر ادعى وتحسين صورته، وأنه شخصية تستطيع النهوض بمصر والتقدم بها للأمام، يدل هذا الاعتراف على مدى الاختراق والرغبة في الإضرار بالأمن المصري وأن إسرائيل تعمل بكل قوة على تدمير مصر، وهو ما

---

[١] . رفعت سيد أحمد، أسرار التطبيع الاقتصادي بين الكيان الصهيوني والحكومة المصرية، مركز يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة، ٢٠١٠

يلقي بظلال من الشك على مدى محاولات اختراق الثورة المصرية، لقد طلب ضابط المخابرات الإسرائيلية من المتهم مهام متنوعة تضر بمصر منها أن يكون الوكيل الأوحد في مصر لبيع منتجات الكرياتين المستخدم في فرد الشعر، وأنهم قادرون على تصنيعه في إسرائيل وتصديره لمصر لبيع بسعر أقل من المنتج الأصلي وتزوير أوراق المنتج ليدون عليه "صنع في تركيا" بلد المنتج الأصلي وأعطاه روابط بمواقع مدون عليها التركيبات، فاكتشف المتهم أن بعض المواد المكونة للمنتج تتسبب في الإصابة بمرض السرطان، وعندما واجه الضابط بهذه الحقيقة، رد عليه، قائلاً: "إيه يعنى؟!، وطلب منه البحث عن أشهر أسماء مصففي الشعر".

* **البيولوجية ضد مصر:** تمثل هذه الواقعة نوعاً من الحرب البيولوجية ضد مصر ، وهو ما يتناقض مع معاهدة السلام، لقد قامت إسرائيل بموجب هذا الاعتراف بممارسة عملاً من أعمال العدوان المباشر، لم يقتصر الأمر على التخابر وجمع المعلومات، بل تحول إلي فعل يجرمه القانون الدولي وقت الحروب، تحاول هذه الدولة الشيطانية تدمير مصر بكل الطرق، وفى تطور لأعمال التجسس والتخابر وعد الإسرائيليين الجاسوس بأن يكون الوكيل الوحيد في مصر لتوريد "فيش الكهربائية " مقابل ضمان سلامة المنتج لمدة ٥سنوات، وهو ما دفعه للسؤال عن سبب مدة الضمان الطويلة، فأجابه الضابط الإسرائيلي بأن المنتج سيعطل بعد فترة قصيرة ونستردها من المشتريين و نستبدلها بأخرى، ليكتشف أن هذه المنتجات تستطيع تسجيل ما يجرى داخل الغرف و أنها مخصصة للتجسس، الأمر الذي رفضه المتهم.

* **التجسس الاقتصادي:** كشف الاعتراف مدى التطور في أجهزة التجسس المستخدمة لجمع معلومات متنوعة، منها ما يكون مباشرا وصالح للاستخدام والتحليل في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والأمنية والطائفية ، وقد تستخدم المعلومات المسجلة في تجنيد عملاء جدد من خلال معرفة ظروف شخصية أو حرجة تساعد في التجنيد، أو معرفة أسرار شخصيات هامة تخص الحياة الشخصية لبعض المسئولين قد تستغل في تجنيدهم تحت التهديد بفضح أمرهم بما

يتم تسيجله من معلومات قد تكون جنائية أو فضائح جنسية، حصل المتهم على ٢٨ ألف دولار مرسلة إليه بسبع حوالات من دول إسرائيل والكويت والأردن عن طريق البنك العربي الأفريقي فرع الأردن واتهمته النيابة بطلب وأخذ مبالغ مالية من الموساد الإسرائيلي مقابل التجسس على مكالمات المصريين بقصد الإضرار بالمصالح القومية للبلاد، استغل المتهم خبرته في البرمجيات والأقمار الصناعية، وامتهن حرفة تمرير المكالمات الدولية، حيث إنه حاصل عدة إجازات في مجال البرمجيات من جامعات الأردنية.

واستغل الضابط الإسرائيلي الشيكات التي اشتراها من أحد رجال الأعمال في الأردن وضغط عليه بسببها وطلب منه إمداده بصور لمنفذ العوجة على الحدود المصرية الإسرائيلية ورصد أسباب انفجار خط الغاز الطبيعي الممتد إلى إسرائيل والأردن في محطة الشقلاء، وصور للدبابات والجيش المصري أثناء نزوله إلى الشارع عقب اندلاع ثورة الغضب على نظام مبارك السابق، لقد تعرف المتهم على الضابط الإسرائيلي "موشيه " عن طريق الإنترنت في الأردن وتقابل مع شقيقه الأصغر وحاول جمع معلومات عنه وأي أوراق يمكنه من خلالها الضغط على المتهم وإجباره على العمل في الموساد ، فعرف من شقيقه أنه يعاني من مشاكل مالية وأنه حرر العديد من الشيكات دون رصيد وصدرت ضده أحكام، فقام الضابط بشراء تلك الشيكات واتصل به وأخبره بأنه يمتلك الشيكات التي تدينه، وبعد مرور فترة طلب المتهم المحادثات الهاتفية التى كان يمررها المتهم وبسبب الضغط الذي كان عليه أرسل إليه تلك المحادثات مقابل مبالغ مالية.

وبفحص جهاز الحاسب الآلي الذي ضبط بحوزة المتهم وجد أنه يحتوى على بعض المحادثات بين عدد من الأشخاص المصريين المتواجدين خارج مصر وآخرين بالداخل، والتي تتحدث عن الأوضاع السياسية والاجتماعية عن مصر، كما عثر بالجهاز على برامج تمرير المكالمات الدولية مثل برنامج "سكاى بى" وأخرى مشفرة، والمتهم سبق تورطه في قضايا تمرير مكالمات بالمخالفة لقانون الجهاز القومي للاتصالات، وتستمر إسرائيل في مهمة واحدة ومحددة، تتلخص في تدمير مصر وتفتيتها، هذا يستوجب العمل بنفس

المنطق وعلى كافة الأصعدة، الجريمة الماثلة ليست الوحيدة بل هناك العشرات من القضايا، ينبغي التعامل بالمثل معها، وبأسلوب يواكب مراعاة المتغيرات الدولية وفقاً لمنهج سياسي مدروس

*الجاسوس آيلان تشايم جرابيل": ونشر في اليوم السابع فى ٢٠١١/٧/١٤ أن "آيلان تشايم جرابيل" المتهم بالتجسس، وحضر التحقيقات معه وزير مفوض من السفارة الإسرائيلية ومندوب من السفارة الأمريكية، ومترجمة عن الإنجليزية والعبرية، كان دخوله البلاد بجواز سفر الأمريكي وبتأشيرة باعتباره مراسلاً صحفياً لإحدى الجرائد الأجنبية، وباعتباره سائحاً أمريكياً مرة أخرى، وهذا يؤكد مدى التعاون بين القوى الغربية مع إسرائيل لضرب العمق المصري ، وقام المتهم بالتقاط الصور في ميدان التحرير وفى مناطق مختلفة على فترات زمنية متباعدة،، ونسبت النيابة للمتهم، قيامه بإحداث وقيعة بين فئات المجتمع المصري (الأقباط والمسلمين)، وأنه استغل حالة الانفلات الأمني التي أعقبت الثورة، وساهم في تأجيج الفتنة الطائفية، كما حدث فى قرية صول بحلوان، واشتباكات إمبابة، بل وأنتقل منطقة ماسبيرو وشهد اعتصام الأقباط المحتجين على الأوضاع هناك، بالإضافة إلى تشجيع المواطنين على الخروج على أحكام الشريعة القانونية والتصعيد ضد القوات المسلحة.

دخل البلاد قبل قيام الثورة بيومين، وأنه ظل في القاهرة حتى يومي ٢، ٣ فبراير وحدوث الاعتداءات على المتظاهرين والمعروفة إعلامياً بموقعة "الجمل"، خوفاً من عودة النظام من جديد، فغادر البلاد عبر سيناء ومنها إلى فلسطين وتل أبيب، وعاد مرة أخرى قبل ١١ فبراير عندما أقيل الرئيس السابق وبعض المسئولين، و المتهم وضع تصور كامل عبر خرائط وكاميرات وشبكات رصد ومجموعات عمل لتفجير خط الغاز المصري لإسرائيل بمنطقة العريش، لوضع مصر فى موقف محرج أمام الرأي العام الدولي، وإلزامها بدفع تعويضات كبيرة من جراء ذلك، هذا يؤكد طلوع قوي غربية مع إسرائيل فى ركوب الثورة لتفتيت مصر.

* **موقف السفارة الأمريكية**: وبكل بجاحة أعلنت السفارة الأمريكية في بيان لها تحت عنوان "القبض على مواطن أمريكي في مصر" أن إيلان تشيم جرابل، الذى تم احتجازه فى ١٢ يونيو ٢٠١١ بواسطة السلطات المصرية –باعتباره جاسوسا إسرائيليا– هو مواطن أمريكي، وبينت السفارة أن أحد المسئولين القنصليين قام بزيارة جرابل يوم ١٣ يونيو بمقر النيابة في القاهرة الجديدة، نشرت صحيفة "هاآرتس" تحقيقا مطولا عن جرابيل في محاولة للتضليل والتجمل إمام الرأي العام العالمي بأكاذيب، أنه مجرد شاب إسرائيلي يحب المغامرات، وأنه لا يعمل في الموساد كما تقول بعض الصحف ووسائل الإعلام، يذكر أن نيابة أمن الدولة العليا، قررت حبس الضابط المتهم ١٥ يوما على ذمة التحقيقات بتهمة التجسس والإضرار بالأمن القومي للبلاد ، إلا أنه تم المقايضة عليه وتسليمه لإسرائيل مقابل إطلاق صراح ٢٥ مسجون مصري، في إسرائيل، في صفقة أبرمت نهاية شهر أكتوبر عام ٢٠١١، مازالت بعض بنودها غير معلنة.

* **الأنترنت وضرب الاستقرار:** وتحول إسرائيل من خلال مواقع علي شبكة النترنت ضرب الأستقرار والتآثير علي الرأي العام وفقا لمخططاتها من خلال تكنولوجيا التشفيرالرياضي التي تمتلكها وتمكنهامن إخفاءصفحات معينة علي موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك"، وإظهاربعض الصفحات المرغوبة لديها في منطقه أخري والعكس، ويمكن لإسرائيل بهذه التقنية أن تشيع الخلاف والفرقة بكل سهولة، فمايراه المستخدم علي صفحته على "فيسبوك" قد يكون وهما كبيرا وقد لايراه آخرون، وقد يكون غير حقيقي، ويتم التجسس علي البريد الإلكتروني للإفراد،حيث أن المعلومات والاتصالات الرقمية يتم تخزينها في الكمبيوتر ونقلهاعبر الإنترنت بكتابة سلسلة طويلة من الأرقام خاناتها تتكون من واحد وصفرفقط لاغير،ولتأمين هذه السلسلة من الأرقام يدمج بها سلسة أرقام أخري لتختفي السلسلة الأصلية مثل الخطابات البنكية، والمشروعات التجارية، والأوامر العسكرية ، لامفرمن استخدام علم التشفير الرياضي لتأمين الأمن القومي

واستخدام الخبرة الإيرانية والروسية والصينية في تأمين الاتصالات لعدم إشاعة الفوضى من خلال موقع التواصل الاجتماعي

٢- **دور بعض الجمعيات الأهلية في التجسس:** تغير أسلوب المخابرات الأمريكية وتحول للعمل في العلن تحت مسميات تحمل اسم المنظمات الحقوقية ومنها المعهد الجمهوري والديمقراطي، ومنظمات حقوق الإنسان والطفل والمرأة، وذلك بهدف اختراق أمن الدول، وتحقيق الأهداف الأمريكية غير المعلنة، والقذرة ضد الدول محل الاستهداف،وممارسة الولايات المتحدة ذلك مع الإتحاد السوفيتي السابق حتي تم تفكيكه بالدبلوماسية الناعمة، وحتي نفهم مدي خطورة هذه المنظمات علينا أن نستعرض في عجالة دورها في تخريب دول العالم وفقا لما يناسب المصالح الأمريكية

* **المعهد الجمهوري:** وحول هذا الدور أشار سيد علي في جريدة الأهرام في عددها الصادر في ٢/١٠/٢٠١١إلي أن المعهد الجمهوري التابع للحزب الجمهوري قام بدور هام في زعزعة الاستقرار في الإتحاد السوفيتي السابق والصين وكوبا وإيران وكوبا وإيران والعراق وفتنام ونيكاراجوا، وذلك بتأجيج الصراع ودعم الحركات المعرضة بهدف تغير الأنظمة بتلك الدول بما يتفق مع سياستها،عن طريق تمويل من الصناديق الموجودة بالكونجرس بقصد تدعيم المصالح الأمريكية حول العالم.

* **حالة هايتي:** وتشهد الأحداث الدولية علي مدي الجرم السياسي لهذا المعهد فقد مول وحرض في هايتي عام ٢٠٠٤ عمليات لتقويض السلطة ضد الرئيس جان برتران في فبراير من نفس العام وهو ما دفعه لترك البلاد وتم الانقلاب الذي جاء برينيه بريفال أحد صنائع أمريكا، ويعتمد المعهد علي فصائل صغيرة لتحدث بلبلة وفوضي تعطي شرعية شكلية ومزيفة للتدخل لحماية حقوق الإنسان، واستغلت الولايات المتحدة بعثة الأمم المتحدة لذات الغرض ومررت مبلغ ٣ ملايين دولار للانقلابيين حتي تحقق الهدف.

* **حالة فنزولا:** وحدث ذلك في فنزويلا عام ٢٠٠٢ وسرب نفس المعهد ملايين

الدولارات لتحقيق هذا الغرض، وكانت الفضيحة هي إصدار بيان من رئيس المعهد في فنزويلا بيانا صحفيا يشيد فيه بإزاحة شافيز بعد أن ظنا أن دولارته والعملاء قد نجحوا في ذلك، وعلي غرار هذا النحو جاءت التصريحات الأمريكية التي واكبت أحداث مجلس الوزراء وسيل التصريحات التي كانت تتلاحق عقب كل أزمة في مصر منذ أحداث كنيسة صول ومرورا بماسبيرو، وأحداث شارع مُحَّد محمود كانت هناك تصريحات تهديد ووعيد في حطة منسقة بين أجهزة المخابرات الغربية لخلق رأي عام دولي يشيع التحريض وتشجيع عملائها في مصر من الاستمرار، بهدف خلق صدام مسلح بين الجيش والشعب لتصفية مصر .

* **حالة هندراس:** تتزايد مهمة المعهد القذرة كلما رفضت الدول السير في فلك الإجرام الأمريكي، فمثلا في هندوراس عندما رفض رئيسها زيلا الموافقة علي جعل بلاده قاعدة انطلاق للهجوم علي فنزولا، قام المعهد بتحريك ودعم العسكريين، ورصد هذا المعهد ٤٩ مليون دولار للحملات التضليل ضد الرئيس زيلايا وحكومته، وفي إطار تبادل الأدوار القذرة قام المعهد الديمقراطي في نيكاراجوا بتمويل منظمات المجتمع المدني لزعزعة استقرار الحكومة الساندينية، في انتخابات ١٩٩٠، وحدث ذلك بالتدخل بالمال لدعم مرشحة الرئاسة فيونيتاشامورو ومنحها ٣ ملايين دولار لإزاحة دنيال أورتيجا.

* **حالة بولندا:** وكانت بولندا مسرحا لعمليات الاختراق منذ ثمانينيات القرن الماضي القرن الماضي وذلك عندما بدأت نقابة تضامن في مشوارها من أجل الحرية ضد النموذج البيروقراطي السوفيتي, ومن بولندا بدأت الحرب بالوكالة ضد الشيوعية, وتدفقت الأموال علي الانتفاضة عن طريق المخابرات الأمريكية والصندوق الوطني للديمقراطية والاتحاد الأمريكي للعمل وتوافر المنظمات الصناعية وعلي الهامش تم منح منظمات المجتمع المفتوح أيامها في بولندا ثلاثة ملايين دولار سنويا كانت تذهب مباشرة للمنشقين وظل العمل بين هذه المنظمات ووزارة الخارجية الأمريكية مستمرا أكثر وكانت بروفة فعالة ومؤثرة للثورات الملونة في أوروبا الشرقية في جورجيا

٢٠٠٣وفي أوكرانيا عام 2004وذهب التمويل لدعم الاحتجاجات الشبابية وكان التمويل من الصندوق الوطني للديمقراطية وبين الحرية وانفق جورج سورس وجماعة الشوروسيين٢٤ مليون دولار في جورجيا بينما وفرت نفس المؤسسة التدريب في أوكرانيا وبالفعل نجحتالثورات في الدولتين، وبعدها توالت عمليات التدخل في باقي بلدان العالم.

* **حالة صربيا :** وفي صربيا عام تم الإطاحة بالرئيس ميلوسيفيتش في أكتوبر عام ٢٠٠٠ عن طريق المعهد الجمهوري، ولعب السفير الأمريكي ريتشارد ماليز دورا خطيرا في بلجراد في تدريب مخائيل ساكاشفيلي لإسقاط أدور رشيفارنادزة، والمعهد الديمقراطي وقف وراء أحداث روسيا البيضاء وغيرها ،وهذا يتشابه تماما مع دور السفير الأمريكي بالقاهرة، فهم يحولون السفارات لأوكار تجسس، والمنظمات الحقوقية إلي تجنيد عملاء بأسم الديمقراطية وفي العرق قامت المنظماتالأمريكية بدفع ٨٠ مليون دولار للتأثير علي نتائج الانتخابات.

* **المعهد الديمقراطي الوطني**: هو الذراع الدولية للحزب الديمقراطي في أمريكا، ويحصل على تمويله من اليهود وعدد من الشخصيات غير المعلن عنها، أن رئيس المعهد "كينيث وولاك" هو المدير التشريعى السابق لمنظمة "أيباك" لجنة الشئون السياسية الأمريكية الإسرائيلية، وهي اللوبي الأمريكي القوي الموالي لإسرائيل.

هذا عرض مختصر جدا يؤكد أن ما يحدث علي الساحة المصرية هو في جزء منه يأتي بتدخل المخابرات الغربية والموساد لإجهاض الثورة المصرية، لقد كان أملهم حدوث فوضي وتصفية الجيش في صراع علي السلطة وخاب مسعاهم من كل الجوانب، وبعد الثورة كانت حجم الأموال التي دخلت البلاد بصورة غير قانونية هي ٤٠ مليون دولار وكانت تهدف لتدمير البلاد أو دعم عملائها ، وحول خطورة هذا الدور علينا أن نستشهد بقول "رون بول" القيادي البارز في الحزب الجمهوري الأمريكي في قوله: أن البرنامج الأمريكي للمساعدات يأخذ الأموال من فقراء الولايات المتحدة إلى أثرياء

الدول الخارجية، وذلك من أجل توجيه الحياة السياسية الداخلية لتلك الدول لصالحنا من خلف الكواليس.

أن الدعم الأمريكي لمنظمات المجتمع المدني ينصب فى الإستراتيجية الأمريكية المعلنة بعد غزو العراق، وهى العراق هدف تكتيكي، والسعودية هدف استراتيجي، ومصر الجائزة الكبرى،لقد أصبح جهاز المخابرات الأمريكية هو الضلع الأهم فى مثلث دعم منظمات المجتمع المدني الموجودة فى مصر الآن من خلال هذه المنظمات ولا يبحث عن عملاء، ولكن يصنعهم من خلال إغراقهم بالمال والحوالات

بالفعل تشير بعض الأبحاث أن هناك مخططًا لالتهام مصر أمنيًا فى عام ٢٠١٥، وذلك وفقا لدراسة نشرها باحث كندى،وبعد نجاح الثورة المصرية، يتم بصفة دائمة من قبل عملاء محاولات لاستدراج القوات المسلحة في اشتباكات مع الأفراد من خلال بعض أعضاء هذه المنظمات الذين يقومون بإثارة الجنود وأفراد الأمن حتى يفقدوا سيطرتهم ويضطرون إلى الاشتباك مع المتظاهرين ويتم تصوير هذه المشاهد ثم ترسل إلى الإعلام للتحريض علي القوات الأمنية فالمقصود هو الجيش والشعب.

* **مراجعة سبل عمل الجمعيات الأهلية**: أصبحت بعض الجمعيات الأهلية وسيلة للاختراق وضرب الأمن القومي وعليه يجب مراجعة هذا الأمر، بحيث لا تكون هناك أي صله لأي جمعية بأي جهة مانحة من الخارج، تقتضي الضرورة بأن تكون هناك جمعيه حقوقية وحدة فقط تختص بحقوق الإنسان، علي أن تكون تابعة لمجلس الشعب مباشرة،لكي تكون هناك حيادية في العمل الحقوقي، وعلى الدولة أو الحكومات أن تصنف الجمعيات الأهلية في المجتمع المدني بحيث يكون لكل جمعية هدف واحد فقط وفقا لسياسات التخصص، سواء كانت الجمعية لخدمة الأيتام أو الخدمات الصحية أو الإعانة للفقراء أو الخدمات الدينية أو التعليمة وخدمة الطلاب..ألخ.

* **التعامل مع الحكومة المصرية:** علي أن تقوم وزارة التعاون الدولي بالاتصال بالجهات المانحة وتوزع المساعدة بين الجمعيات طبقا للتخصص أو رغبة الجهة المانحة في

مساعدة نشاط معين وعلى وزارة التعاون الدولي أن تنسق مع الجهات المانحة، أن تتلقى الدولة الأموال ويعاد توزيعها وذلك لمنع فتح ثغرات تضرب الأمن القومي في مقتل، تستخدم الجمعيات الأهلية لتحقيق أغراض سياسية لدول أخري

لا توجد أي دولة في العالم تدفع المال بدون هدف، فمهما كانت ودرجة ثراء تلك الدولة فأنها لن تخلو من طبقات تعاني من الفقر والتهميش، بل أن الواقع الاقتصادي داخل تلك البلدان المانحة في منتهي السوء وشاهدنا الأزمة العالمية التي عصفت بالولايات المتحدة عام ٢٠٠٨، وأزمة منطقة اليورو في اليونان ، وأسبانيا وإيطاليا في أوروبا ، عام ٢٠١١ ، أن الأموال التي تنفق له أهداف متنوعة علي الأمد القصير أو المتوسط أو الطويل وتتنوع الأهداف، بداية من دعم تيار معين للوصول إلى السلطة، أو تدمير وضع قائم لصالح الدول الغريبة، أن التصدي للمنظمات المشكوك فيها يستحق الثناء وهنا لنفسنا بصدد الدفاع عن المجلس العسكري فهو له أخطائه وإيجابيته، ولكننا ندافع عن قرار يصب في مصلحة الوطن،

وسوف تحاول القوى المغرضة فتح ثغرات أخرى ومن هنا لن يكون إمامهم سوى إعادة تصدير دور الجاسوسية بالمعني القديم، وهذا يستدعي يقظة الجهات المختصة، تمكن المميزة من جراء هذا الاقتراح في منع اللبس والخلط وحفاظا على الأمن القومي، لقد سعت هذه الدول لإشعال حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران بهدف إجهاض التنمية بتلك الدول لمنعها من دخول عصر النهضة مستغلة حالة المراهقة السياسية في العالم العربي، وأشعلت وحرب الخليج الثانية لتدمير القومي الصاعدة في العراق، والآن يتم التحضير للفتنة والحرب الإقليمية بين دول الخليج وإيران بهدف منع التنمية وامتصاص فائض الثروة النفطية، في شراء السلاح الأمريكي والأوروبي.

* **التضليل عبر الإعلام**: أصبح من وسائل الغرب بث المعلومات المغلوطة والمزيفة التي بهدف نشر الفتنة لخلق اضطرابات داخلية عن طريق الانترنت والإعلام التقليدي، ومن هنا يجب وضع خرائط أخلاقية حاكمة للإعلام من خلال جهاز يحدد الرسالة

الإعلامية لكل قناة أو صحيفة، ويجب أن يكون هناك عدة ثوابت قومية تضمن تحقيق الصالح العام، منها عن طريق تفعيل المجلس الأعلى للإعلام تضم عضويته أساتذة الإعلام والتربية وعلم النفس وخبراء السياسة والأمن ورجال الدين والمثقفين لوضع خريطة عمل ومحاذير تضبط العمل الإعلامي وفقا لمنهج علمي لإعلاء قيم الأخلاق والفضيلة والعلم والإنتاج والتفوق، وتكون التبعية لهذا الكيان المقترح لمجلس الشعب، حتي نغلق أبواب يمكن أن يستغلها المغرضين لضرب الوطن.

ويستثني من ذلك دور الإعلام في كشف الفساد والنهب للمال العام وعرقلة مبدأ سيادة القانون، فأخطر مسلك هو توغل دول أو أجهزة عبر عملاء أو أصحاب مصلح أو فوضويين إلى الاستثمار في مجال الإعلام ، ببساطة الأنشطة الثقافية الحقيقة غير مربحة، وقد يكون الهدف الرئيسي إنتاج رأي عام نحو توجه معين بالضرورة قد لا يتفق مع مصلحة مصر، ومن ثم اصبحت عملية مراجعة الإعلام هو بداية العبور إلى أفاق المستقبل وسوف تسهم الرسالة الإعلامية الحقيقة في إجهاض المواقع الالكترونية التي تبث رسائل تحريضية من أجل تدمير البلاد

لا يجب علي السياسيين في مرحلة ما بعد الثورة أن يثقوا في الغرب ثقة مطلقة، فهم رغم توقيع أتفاق كامب ديفيد، ظلوا يحرضون الشيوعيين وبعض التيارات الإسلامية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ضد السادات من أجل تقويض أي فرص للنهضة، وقد كان الغرب يدرك أن الاتفاقية عمل تكتيكي ولذ كان من الضروري تزكية بوادر الفتنة لمنع مصر من التنمية الحقيقة.

تشير الأحداث التي مرت بها مصر بعد نجاح الثورة أن هناك تخطيط محكم تقف ورائه عقول مخابراتية أو أمنية بالتحالف مع قوي في الداخل لها مصلحة في إجهاض الثورة، سوف تكشف الأيام من هو الطرف الثالث، ومن هم أصحاب المصلحة في خيانة مصر وتدمير الثورة

نشر في جريدة الأسبوع يوم ٢٠١٢/١/٢ أن المتعاملين مع السفارة الأمريكية هم

٦٢ اسمًا، لناشطين من مختلف الاتجاهات بينهم مدعون ومغامرون ومنتفعون.. وقد أسهم التمويل المشبوه بدعم وفير جعلهم يتجرؤون علي الحقيقة.. ويغالبون الوطنيون الحقيقيون ويتطاولون عليهم.. فيصدرون الصحف.. ويؤسسون الأحزاب.. ويحتلون المقاعد الأولي في المشهد السياسي والاجتماعي.. ويخوضون انتخابات مجلس الشعب الأخيرة، وتشير الوثائق إلي أن السفيرة الأمريكية السابقة في مصر 'مارجريت سكوبي' حرصت علي سرية اللقاءات والأسماء التي أمدت السفارة بمعلومات وقراءات لمستقبل مصر السياسي.

ونقلت بوابة الوفد الإلكترونية عن وكالة أنباء أمريكا "إن أرابيك" يوم الثلاثاء ٢٠١٢/١/٣ أن هناك وثائق سرية سربها موقع" ويكيليكس "الشهير عن قيام السفارة الأمريكية بتمويل بعض النشطاء المصريين سرًا خلال السنوات الأخيرة كما كشفت برقيات دبلوماسية مسربة عن المزيد من أسماء شخصيات عامة وحقوقية مصرية ممن ترددوا على السفارة الأمريكية في فترة حكم الرئيس المصري السابق حسني مبارك،وقد تلقى عدد من المنظمات الأهلية والحقوقية دعما مباشرا – بعضه بدون تصريح الحكومة المصرية – من هيئة المعونة الأمريكية كما تبين حرص السفارة الأمريكية على عقد لقاءات بعضها غير معلن مع شخصيات عامة مصرية ونشطاء وآخرين ساعين للتمويل وآخرين بغرض الاطلاع على الأوضاع الداخلية.

وربما تكون هذه التسريبات في جزء منها مزورة للزج بشخصيات وطنية مع بعض المشبوهين للنيل منهم ، وتقويض الثورة ، فمن الخطأ الحكم علي وطنية فصيل أو أشخاص نتيجة بعض تقارير صحفية ، فالمنطق يقول أن ليس كل من دخل السفارة الأمريكية عميل، وأيضا لا يمكن أن نغفل أنه يمكن تجنيد عملاء سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من المتعاملين مع السفارة، ومن خلال بعض الأسماء المنشورة عبر بوابة الوفد الإلكترونية، سيتأكد للمتابع أن صناعة أبواقاً تحقق الإستراتجيات الأمريكية والإسرائيلية يتم عبر الصحف والفضائيات الخاصة.

والمثير للدهشة لماذا تتصل بعض الشخصيات بالسفارة الأمريكية في الأمور السياسية دون أن تكون ذات صفة؟ ألم يعلموا أنها دمرت العراق وتستنزف أموال العرب وتسعي لابتزاز أموال النفط وتقف ضد حقوق الدولة الفلسطينية؟ وتستهدف تدمير

مصر، ما هو مبرر تعامل هؤلاء كأفراد مع السفارة الأمريكية؟ هم ليسوا سياسيين يمثلون أحزاباً تناور أو طالبي فرص عمل أو علاج أو منح علمية في أمريكا، ربما ربما يملك البعض مبررات ذلك التواصل، ولكن هناك أيضا من هم محل شبهات.

وعقب الإنفجار الثوري في ٢٥ يناير ٢٠١١ بعض السياسين إلي فريقين الأول يطالب بسرعة انتقال السلطة في غضون ٦ أشهر والأخر يطالب بالانتظار لمدة عامين حتي لا يحصد فصيل معين مقاعد المجلس، وربما تسلل بعض العملاء في الفرقيين لتفعيل الفوضى ففي حالة الخيار الأول يقوم الفريق الأخر ببث الفتنة،وفي حالة تحقق مطلب الفريق الثاني، يقوم الأول بالاعتراض في منظومة لتبادل الأدوار، وهكذا كانوا يخططون وللأسف أنقسم شرفاء الشعب عن حسن نية بين الفريقين ، مؤيدين ومنظرين.

٣- **اغتيال العلماء من منظور طائفي:** لم تتوقف العصابات الصهيونية والغرية عن ملاحقة العلماء المصريين في الخارج لكونه عربا ومسلمين، حيث كان يتم تصفيتهم جسديا لحرمان مصر والعرب من العقول المبدعة فخطورة العلماء في نظر الغرب والصهاينة هي قدرتهم علي علاج المشاكل الاقتصادية والتأسيس لتحقيق النهضة العلمية بمصر والعالم العربي، فالطائفية لا تنمو إلا في المجتمعات المتخلفة التي تغط في غيهلب الجهل، والدليل علي ذلك النزاع الطائفي يزداد طرديا بزيادة التخلف في قرية الكشح بمصر كان من ضمن اسباب الصراع الطائفي في جزء منه هو أرتفاع نسبة الأمية التي قدرت بنحو ٥٠% من السكان [١] والحقيقة أن التخلف بجانب التعصب يشعل الصراع الطائفي ولذا تحرص القوي المعادية علي تقويض فرص النهضة العلمية في مصر والبلدان العربية لضمان السيطرة علي مقدراتها ومن ثم سوف نستعرض صورة من النماذج الإجرامية لاغتيال العلماء المصريين.

* **إغتيال د. يحي المشد عالم الذرة:** ودفع هذا العالم المصري حياته ثمنا للمعرفة وقد نشرت بوابة الوفد في أول يوليو ٢٠١٢ نبأ يوضح أسباب مقتل عالم الذرة المصري يحيي المشد في الـ١٣ يونيه عام ١٩٨٠م، فى حجرته بفندق الميريديان بباريس،

[١] مجلة المصور، العدد ٣٨٦٣، ١٩٩٨/١٠/٢٣ .

وكانت التحقيقات التي قامت به الشرطة الفرنسية وقتها، قد قيدت الحادث ضد مجهول ، وهذا الحادث دليلا علي توطؤ فرنسا والولايات المتحدة ضد مصر، فلا يعقل أن يتم ذلك الحادث علي الأرض الفرنسية دون علمها وخاصة أن فرنسا هي التي أقامت مفاعل ديمونة الإسرائيلي الذي خطط له عام ١٩٥٨ بمساعدة فرنسية، وبدء بالعمل بين ١٩٦٢ و ١٩٦٤، بالنقب لضمان تفوق إسرائيل علي العرب، وبكل وقاحة اعترفت الولايات المتحدة بقيام الموساد الإسرائيلي باغتيال العالم المصري ، وذلك من خلال الفيلم الوثائقي الأمريكي "Raid on the Reactor" الذي عرض على القناة الوثائقية الأمريكية "ديسكفري " في أوائل عام ٢٠١٢.

ويوضح الفيلم أن الموساد استطاع اختراق مفوضية الطاقة الذرية الفرنسية، واستطاع تحديد شخصية يحيى المشد الذي يعمل لصالح صدام حسين في باريس، وبعد أن فشلت المخابرات الإسرائيلية في تجنيده، قرروا القضاء عليه وضرب المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١، وهذا يتتطلب ضرورة فتح هذا الملف من جديد قانونيا أمام المحاكم الدولية لفضح هؤلاء المجرمين باستمرار ، يحمل الفيلم تأكيدا للتحليلات والشكوك السابقة التي تتهم الموساد والمخابرات الأمريكية والغربية بجرائم تصفية العلماء المصريين.

* **تسميم د. مصطفى مشرفة:** عثر علي د. مصطفى مشرفة العالم المصري في ١٦ يناير عام ١٩٥٠، متوفى بطريقة بدائية للغاية بالسم، و كان أول مصري يشارك في أبحاث الفضاء, بل والأهم من ذلك كان أحد تلاميذ العالم ألبرت أينشتاين, ومن أهم مساعديه في الوصول لنظرية النسبية, وأطلق على د. مشرفة لقب "أينشتاين العرب", وباتت ظروف وفاة د. مشرفة المفاجئة غامضة للغاية, وكانت كل الظروف المحيطة به تشير إلى أنه مات مقتولاً إما على يد مندوب عن الملك فاروق, أو على يد الصهيونية العالمية, ولكل منهما سببه.

قد يكون للنظام الملكي المصري في ذلك الوقت دور في قتله, خاصة إذا علمنا أن

د. مشرفة قام بتشكيل جماعة تحت اسم "شباب مصر", كانت تضم عدداً كبيراً من المثقفين والعلماء والطلاب, وكانت تهدف لإقصاء نظام فاروق الملكي وإعلان مصر جمهورية عربية مستقلة. وذاع أمر هذه الجماعة السرية ووصلت أخبارها إلى القصر الملكي، مما يعطي للقصر مبرراً للتخلص من د. مصطفى، ولكن الصهيونية العالمية هي المتهم الأول فهي ضد العلماء والنوابغ.

* **د. سميرة موسي** : وما زال حادث مقتلها في أمريكا محاطاً بالغموض، فبعد أن استجابت الدكتورة سميرة إلى دعوة للسفر إلى أمريكا ، في عام **١٩٥١**، تمكنت بنجاح من إجراء بعض البحوث في معامل جامعة سان لويس، بولاية ميسوري الأمريكية، وبعدها تلقت عروضاً لكي تبقى في أمريكا لكنها رفضتها من اجل العودة لمصر، لتطبيق نتائج الأبحاث ، وقبل عودتها بأيام استجابت لدعوة لزيارة معامل نووية في ضواحي كاليفورنيا في **١٥** أغسطس **١٩٥١** وظهرت سيارة نقل فجأة وهي في طريقها إلي كاليفورنيا، لتصطدم بسيارتها بقوة وتلقي بها في وادي عميق، وقفز سائق السيارة واختفى إلى الأبد, وأوضحت التحريات أنه كان يحمل اسماً مستعاراً, ونفت إدارة المفاعل قيامها بإرسال أحد لاصطحابها، وهو ما يؤكد قيام المخابرات بتصفيتها لحرمان مصر منها.

* **العالم سمير نجيب :** هو عالم ذرة تخرج من كلية العلوم بجامعة القاهرة في سن مبكرة، وتابع أبحاثه العلمية في الذرة، ولكفاءته العلمية المميزة تم ترشيحه للسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة، وعمل تحت إشراف أساتذة الطبيعة النووية، والفيزياء وسنه وقتها لم يتجاوز الثالثة والثلاثين عام , وأظهر نبوغاً مميزاً وعبقرية كبيرة خلال بحثه الذي أعده في أواسط الستينات –خلال بعثته إلى أمريكا، لدرجة أنه فرغ من إعداد رسالته قبل الموعد المحدد بعام كامل.

وتصادف أن أعلنت جامعة "ديترويت" الأمريكية عن مسابقة للحصول على وظيفة أستاذ مساعد بها في علم الطبيعة، وتقدم لهذه المسابقة أكثر من مائتي عالم ذرة من مختلف

الجنسيات، وفاز بها الدكتور سمير نجيب, وحصل على وظيفة أستاذ مساعد بالجامعة، وبدأ أبحاثه الدراسية التي حازت على إعجاب الكثير من الأمريكيين، وأثارت قلق الصهاينة والمجموعات الموالية للصهيونية في أمريكا، وكالعادة بدأت تنهال على الدكتور العروض المادية لتطوير أبحاثه، ولكنه خاصة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ شعر أن بلده ووطنه في حاجه إليه، وصمم العالم على العودة إلى مصر وحجز مقعداً على الطائرة المتجهة إلى القاهرة يوم ١٩٦٧/٨/١٣ ، وبعد أن قرر د. سمير العودة طلبت منه جهات أمريكية كثيرة عدم السفر, محاولة بكل الطرق والإغراءات من أثناءه عن المغادرة دون جدوي، وفي الليلة المحددة لعودته إلى مصر، وفي الطريق العام فوجئ بسيارة نقل ضخمة، تتبعه، وفي لحظة مأساوية تعمد سائقها قتله واصطدم به، و تحطمت سيارته ولقي مصرعه على الفور, وقُيّد الحادث كالعادة ضد مجهول.

* **العالم د. نبيل القليني :** قصة هذا العالم غاية في الغرابة، فقد اختفى منذ عام ١٩٧٥، وحتى الآن، كان هذا العالم قد أوفدته كلية العلوم في جامعة القاهرة إلى تشيكوسلوفاكيا للقيام بعمل المزيد من الأبحاث والدراسات في الذرة،وقد كشفت الأبحاث العلمية الذرية التي قام بها عن عبقرية علمية كبيرة تحدثت عنها جميع الصحف التشيكية،ثم حصل على الدكتوراه في الذرة من جامعة براغ،وفي صباح يوم الاثنين الموافق ١٩٧٥/١/٢٧ دق جرس الهاتف في الشقة التي كان يقيم فيها الكتور القليني، وبعد المكالمة خرج الدكتور، ولم يعد، وعندما انقطعت اتصالات الدكتور مع كلية العلوم بجامعة القاهرة، أرسلت الكلية إلى الجامعة التشيكية تستفسر عن مصيره، ولم ترد الجامعة التشيكية، وبعد عدة رسائل، ذكرت السلطات التشيكية أن العالم الدكتور القليني خرج من بيته بعد مكالمة هاتفية ولم يعد.

* سعيد السيد بدير: قتل العالم المصري سعيد السيد بدير نجل الفنان المصري الراحل سيد بدير وكان قد تخرج في الكلية الفنية العسكرية وعين ضابطا في القوات المسلحة المصرية حتى وصل إلى رتبة مقدم وأحيل إلى التقاعد برتبة عقيد بناء على طلبه بعد أن حصل على درجة الدكتوراه من إنجلترا ثم عمل في أبحاث الأقمار الصناعية في

جامعة ليزيزع الألمانية الغربية وتعاقد معها لأجراء أبحاثه طوال عامين وهناك توصل المهندس الشاب إلى نتائج مذهلة وقد نشرت أبحاثه في جميع دول العالم حتى أتفق معه باحثان أمريكيين في أكتوبر عام ١٩٨٨م لأجراء أبحاث معهما عقب انتهاء تعاقده مع الجامعة الألمانية وهنا اغتاظ باحثوا الجامعة الألمانية وبدءوا بالتحرش به ومضايقته حتى يلغي فكرة التعاقد مع الأمريكيين وذكرت زوجته إنها وزوجها وابناهما كانوا يكتشفون أثناء وجودهم في ألمانيا عبث في أثاث مسكنهم وسرقة كتب زوجها، ونتيجة لشعورهم بالقلق قررت الأسرة العودة إلى مصر.

على أن يعود الزوج إلى ألمانيا لاستكمال فترة تعاقده ثم عاد إلى القاهرة في ٨ يونيو عام ١٩٨٨م وقرر السفر إلى أحد أشقائه في الإسكندرية لاستكمال أبحاثه فيها حيث عثر عليه جثه هامدة وأكدت زوجته أن إحدى الجهات المخابراتية وراء اغتيال زوجها وتؤكد المعلومات أن العالم سعيد بدير توصل من خلال أبحاثه إلى نتائج متقدمة جعلته يحتل المرتبة الثالثة على مستوى ١٣ عالما فقط في حقل تخصصه النادر في الهندسة التكنولوجية الخاصة بالصواريخ

* **الدكتور جمال حمدان محترقاً:** وفاة د. جمال حمدان تطرح تساؤلات واحتمالات كثيرة، لقد عثر على جثته والنصف الأسفل منها محروقاً، واعتقد الجميع أن د. حمدان مات متأثراً بالحروق، ولكن د. يوسف الجندي مفتش الصحة بالجيزة أثبت في تقريره أن الفقيد لم يمت مختنقاً بالغاز، كما أن الحروق ليست سبباً في وفاته، لأنها لم تصل لدرجة أحداث الوفاة. ثبت في التحقيقات أن د. حمدان أرسل بواب العمارة قبل الحادث بساعة ليحضر له بعض الأطعمة ليقوم هو بتجهيزها، فالبواب المسئول عن حراسة العمارة لم يكن موجوداً في موقعه عند وقوع الحادث، مما يسهل مهمة دخول، وخروج أي شخص غريب، واكتشف المقربون من د. حمدان اختفاء مسودات بعض الكتب التي كان بصدد الانتهاء من تأليفها، وعلى رأسها كتابه "اليهودية والصهيونية", فلم تصل النار التي اندلعت في الشقة لكتبه وأوراقه, مما يعني اختفاء هذه المسودات بفعل فاعل.

* **د. سلوي حبيب مذبوحة:** بعد ثلاثين دراسة رصدتها في التدخل الإسرائيلي في أفريقا من خلال عملها كأستاذ بمعهد الدراسات الأفريقية، ويري البعض أن كتابها الأخير الذي كان بصدد النشر تحت عنوان " التغلغل الصهيوني في أفريقيا " ربما يكون سبب تصفيتها، علي غرار تصفية جمال حمدان كمفكر حارب بقلمه العدوانية لدي الصهاينة.

* **إسقاط الطائرة المصرية:** في ٣١ أكتوبر ١٩٩٩ قتل ٢١٧ شخصا في تحطم بوينج بي٧٦٧-٣٠٠ تابعة لشركة مصر للطيران رقم الرحلة ٩٩٠، قبالة ساحل ماساتشوستس الأميركي بعد نحو ساعة من إقلاعها، ولم ينج في الحادث أي من الركاب ويتكون طاقمها من أحمد الحبشي و جميل البطوطي ، وعادل أنور ، و رؤف مجي الدين ، وذكر تقرير لهيئة السلامة الأمريكية أن مساعد الطيار جميل البطوطي تعمد إسقاط الطائرة والانتحار بسبب جملة قالها وهي: " توكلت على الله " وهي جملة لا يقولها منتحر، وانما يقولها إنسان يقوم بعمل صعب لا يتم الا بمعونة الله. وهناك تقارير أخري تؤكد وجود شبهة جنائية حول الحادث، لقد كانت الطائرة مستهدفة، نظرا لوجود وفد عسكري علي متنها، وكان قد أنهي دورة تدريبية في الولايات المتحدة، وهو مؤلف من ٣٣ شخصا وكان علي متن الطائرة ثلاثة من خبراء الذرة، وسبعة من خبراء النفط .

* العلماء العراقيين: وشهدت العراق أكبر مذبحة للعلماء في الألفية الثالثة و أن جهاز الموساد، تمكن بالاشتراك القوات الأمريكية في العراق من قتل ٣٥٠ عالما نوويا عراقيا وأكثر من ٢٠٠ أستاذ جامعي في المعارف العلمية المختلفة و أن وحات الموساد والكوماندوز الإسرائيلية، كانتا تعملان داخل الأراضي العراقية منذ بداية غزو العراق وان اكثر من ألف عالم عراقي مستهدفون وأن هذا أحد أهم اسباب ة الانفجارات بالعراق ، وكان التورط الأمريكي بإمداد أجهزة الموساد بأسماء العلماء وعناوينهم ، بعد أن تم حصرهم من قبل مفتشي الأمم المتحدة وقدر عددهم ٣٥٠٠ عالم منهم ٥٠٠ ممتاز ، لقد أصرت الولايات المتحدة، علي أن يتضمن قرار مجلس الأمن ١٤٤١ الذي صدر

عام ٢٠٠٢ علي فقرة تجبر العراق علي السماح للمفتشين باستجواب العلماء في أي مكان ولو خارج العراق.[١]

* **اغتيال العلماء العرب :** ونموذج لذلك العالم حسن كامل الصباح فهو من لبنان وتصل عدد اختراعاته من أجهزة وآلات في مجالات الهندسة الكهربائية والتلفزة وهندسة الطيران والطاقة إلى أكثر من ١٧٦ اختراعًا، سجلت تلك الآختراعات في ١٣ دولة منها: الولايات المتحدة الأمريكية، وبلجيكا، وكندا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وأستراليا، والهند واليابان، وأسبانيا، واتحاد دول أفريقيا الجنوبية، وكان قد بدأ اختراعاته عام ١٩٢٧ بجهاز ضبط الضغط الذي يعين مقدار القوة الكهربائية اللازمة لتشغيل مختلف الآلات، وفي عام ١٩٢٨ اخترع جهازًا للتلفزة يستخدم تأثير انعكاس الإلكترونيات من فيلم مشع رقيق في أنبوب الأشعة المهبطية الكاثودية، وهو جهاز إلكتروني يمكن من سماع الصوت في الراديو والتليفزيون ورؤية صاحبه في آن واحد، كما اخترع جهازًا لنقل الصورة عام ١٩٣٠، ويستخدم اليوم في التصوير الكهروضوئي، وهو ما ترتكز عليه السينما الحديثة .[٢]

وفي العام نفسه اخترع جهازًا لتحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية مستمرة، وهو عبارة عن بطارية ثانوية يتولد بها حمل كهربائي بمجرد تعرضها لأشعة الشمس، وإذا وُضع عدد منها يغطي مساحة ميل مربع في الصحراء؛ فإن القوة الكهربائية التي يمكن استصدارها من الشمس عندئذ تكون ٢٠٠ مليون كيلو وات، وكان قد شرع قبيل وفاته في تصميم محرك طائرة إضافي يسمح بالطيران في الطبقات العليا من الجو، وهو شبيه بتوربينات الطائرة النفاثة .

وقد حدثت الوفاة المفاجئة مساء يوم الأحد ٣١ مارس ١٩٣٥ وكان حسن كامل

---

[١] زكريا شاهين، جريدة العرب صحيفة اللندنية، ٢٠٠٧/١٢/٣١

[٢] الكاتب السعودي فهد عامر الاحمدي، الكاتب عصام بغدادي، ومقال الكاتب اشرف شعبان، ومجلة فواصل السعودية ومصادر أ

الصباح عائدًا إلى منزله فسقطت سيارته في منخفض عميق ونقل إلى المستشفى، ولكنه فارق الحياة وعجز الأطباء عن تحديد سبب الوفاة خاصة وأن الصباح وجد على مقعد السيارة دون أن يصاب بأية جروح مما يرجح وجود شبهة جنائية، وحمل جثمان العالم اللبناني والمخترع البارع حسن كامل الصباح في باخرة من نيويورك إلى لبنان، وشيع إلى مثواه الأخير في مسقط رأسه ببلدة النبطية بجنوب لبنان، ومن العلماء العرب الذين تم تصفيتهم كل من: ود.نبيل فليفل الفلسطيني، و د.رمال حسن لبنانية، والعاملة عبير عياش لبنانية، ود. سامية عبد الرحيم سعودية، وقد كانت عمليات التصفية كانت منهجا غربيا بالتعاون مع الموساد لضمان بقاء الدول العربية في مرحلة الضعف والخمول، أن جرائم قتل العلماء العرب صناعة دولية شاركت فيها الدول الغربية عن عمد أو بالتواطؤ أو بتسهيل المهمة للموساد.[١]

٤- **منع مصر والعرب من النهضة النووية:** دائما هناك ترصد بمصر لمنعها من إنجاز مشروعها النووي لأسباب أيديولوجية وطمان بقائها في قاع التخلف، وكانت أن أول لجنه للطاقه الذريه أنشأت بعد ٣ سنوات فقط من التخلص من الملكيه عام ١٩٥٢.وفي يوليو ١٩٥٦ ابرمت مصر اتفاقا ثنائيا مع الاتحاد السوفيتى و عقد فى العام نفسه أول مفاعل نووى بحثى، وفي يوليو١٩٦٧ أنشأت مؤسسه الطاقه الذريه، ثم أصبحت مصر عضوا مؤسسا بالوكاله الدوليه للطاقه الذريه وحصلت على معمل للنظائر المشعه من الدنمارك ، و فى عام ١٩٦١ بدأ تشغيل المفاعل النووى البحثى الاول,و بعد ٧ سنوات فقط اعلن عام ١٩٦٤ عن مناقصه لإنشاء محطه نوويه بقدره ١٥٠ ميجاوات لتوليد الكهرباء و تحليه مياه البحر(٢٠٠٠٠ متر مكعب يومياً) وتوقف المشروع بسبب العدوان الصهيوني الغربي على مصر عام ١٩٦٧ م، ونجح المخطط الصهيوني في فترة حكم مبارك بوقف البرنامج النووى المصرى بإسلوب منافق و مخادع مع قتل الفكرة عمليا وتتفريغها من

---

[١] الكاتب السعودي فهد عامر الاحمدي، ا عصام بغدادي، ومقال اشرف شعبان، ومجلة فواصل السعودية، ومصادر أخري

مضمونه، و كانت البدايه بنقل تبعيه هيئه الطاقه الذريه من رئيس الجمهوريه الى مجلس الوزراء، ثم الى وزير الكهرباء!. ورغم عرقلة بناء مفاعل الضبعة المصري إلا أن الدراسات تشير إلي انه سيكون الأحدث علي مستوي العالم ومزودة بآخر تقنيات التكنولوجيا العالمية من مفاعلات الجيل الثالث التي لديها القدرة علي مقاومة زلازل بقوة تزيد علي ٨ درجات علي مقياس رختر و تساوي عجلة تسارع زلزالي تساوي ٠.٣ يقع تحت المفاعل مباشر و هو يحقق بذلك أقصي درجات الأمان الذي يمكن أخذها في الاعتبار في حال بنائه .[١] وربما يكون جزء من عدم استقرار الأوضاع بمصر بعد ثورة **٢٥** يناير هو عرقلة هذا المشروع من خلال بث الفتنة الطائفية من خلال عملاء أو التاسيس لصراع بين التيارات الإسلامية والجيش لا قدر الله.

* **حجب المعلومات النووية عن العرب**: وفي هذا المضمون يشير فهد الأحمدي قرأت تصريحا لمسئول في الخارجية البريطانية يقول فيه أن سلطات بلاده تراجع الإجراءات المتعلقة بدراسة الطلبة الأجانب للمواد الحساسة في الجامعات البريطانية، والمقصود بذلك الهندسة النووية، وتكنولوجيا الصواريخ،والدفع النفاث، والتقنيات الكيميائية، والجرثومية الذي يمكن أن تستفيد منها الدول الخطيرة ، وهذا التصريح (الذي ورد في صحيفة الشرق الأوسط / صـ١١) وهو يأتي كجزء من الحصار العلمي والتقني الموجة ضد إيران، والدول العربية المهمة في المنطقة، وهذا لا يختلف في هدفه النهائي عن القانون الذي أقره مجلس النواب الأمريكي عام ٢٠٠٢، بخصوص حظر أو تشديد الرقابة على بعض التخصصات التي يدرسها طلاب سبع دول أجنبية وأربع دول عربية.

ويعد هذا القانون تأصيلا للمهام المناطة بـ (لجنة المتابعة الأكاديمية) التي تم انشائها بعد تفجيرات نيويورك لمنع طلاب بعض الدول من دراسة التخصصات الدقيقة مثل

---

[١] إسراء شوقي ، بوابة الشعب، تحت عنوان: الملف النووى المصرى بين المؤامرات و التعطيل ، السبت, ١٤ يوليو٢٠١٢

تكنولوجيا الصواريخ، والفيزياء الذرية، وانظمة التوجية، واشعة الليزر، والسبائك المتقدمة، وتهدف الدول الغربية منع قيام النهضة في العلوم والتقنيات المتقدمة، داخل العالم العربي

وكانت واشنطن قد تطوعت (بعد تفكك الاتحاد السوفييتي في أوائل التسعينات) بدفع رواتب علماء الذرة الروس خوفا من هجرتهم إلى الدول العربية؛ كما حرصت على شراء التقنيات الروسية المنسية أو المجمدة خوفا من تسربها الى دول المنطقة.[١]

* **التخابر النووي علي مصر:** وقد استطاعت اجهزة الأمن المصرية التأكد من الترصد بمصر من قبل إسرائيل والغرب حين تم القبض علي مُحَمَّد سيد صابر بتهمة التخابرعلي البرنامج النووي المصري منذ عام ٢٠٠٤، فالتقريران اللذان حصل عليهما المتهم مُحَمَّد صابر من هيئة الطاقة الذربة غاية في الخطورة، والأهمية حيث إن المكان الذي توجد به الملفات السرية لا يدخله إلا رئيس الهيئة ومدير إدارة الأمان النووي ومدير إدارة التشغيل أو بتفويض كتابي صريح من الأول.

وأدلى باعترافات خطيرة كشف فيها عن سؤال الجواسيس الصهاينة له عن قدرة جسم السد العالي على تحمل ضربة نووية، وعن طبيعة المشاريع النووية المصرية، وقال صابر في التحقيقات إن عميلي الموساد اللذين توليا عملية تجنيده وتشغيله طلبا منه معلومات حول بنية السد العالي ومدى قدرته علي تحمل ضربة نووية تكتيكية.. إلى جانب التحري حول وجود أي أبعاد إستراتيجية لمشروع توشكي تجعله يساهم في تقليل خسائر توجيه ضربة مدمرة للسد العالي بصاروخ نووي.

وقد أراد الموساد زرعه في هيئة المواد النووية بالتحديد للتعرف على إمكانات مصر وقدراتها في هذا الشأن ومدى قدرتها على تخصيب اليورانيوم، وذكر أن عميلي الموساد رفضا طلبه بقطع إجازته والعودة للعمل في هيئة الطاقة الذرية وقالا له نريدك في هيئة المواد النووية أما هيئة الطاقة الذرية فلنا فيها أصدقاء يساعدوننا ولا نريد فيها عملاء جددا ، أعترف المتهم أنه قام بتصميم برنامجين لوزارة الداخلية السعودية الأول لإحصاء

---

[١] فهد عامرالأحمدي ، ف جريدة الرياض ، السعودية ، ٢٠٠٧/١/٢٩

الجرائم الجنائية والإرهابية والثاني لتحليل معلومات وزارة الداخلية السعودية وأنه سلم عميلي الموساد نسختين من البرنامجين تتضمنان معلومات عن الوزارة السعودية وقد يكون الجاسوس المذكور من أخطر الجواسيس الذين ظهروا في الفترة الأخيرة، دربه عملاء الموساد في هونج كونج.[1]

* **عرقلة محاولات بناء مفاعل الضبعة:** وكان الرئيس المصري حسني مبارك قد أعلن في اكتوبر من عام ٢٠٠٧ أن مصر ستشرع في بناء عدة محطات نووية لتوليد الطاقة الكهربائية لمواجهة نضوب موارد البلاد من الغاز الطبيعي والبترول، لتوفير نحو ١٠ بالمائة من احتياجات مصر من الطاقة الكهربائية، وتوجهت مصر عام ٢٠٠٨ نحو التعاون النووي مع روسيا، بعد تعثر الأتفاق مع دول مثل فرنسا والولايات المتحدة وأجري وزير الكهرباء والطاقة المصري حسن يونس مباحثات في العاصمة الروسية موسكو للاطلاع على التكنولوجيا النووية هناك في اطار تنفيذ البرنامج النووي المصري ووقعت مصر في ١٨ يونيو٢٠٠٩ للعام الماضي عقد الخدمات الاستشارية لمشروع أول محطاتها النووية بين وزارة الكهرباء المصرية وشركة وورلي بارسونز الاسترالية. وتبلغ تكاليف العقد الاستشاري حوالي ٩٠٠ مليون جنيه مصري ويمتد العقد لمدة عشر سنوات.[2]

* **تزامن الأحداث الطائفية مع المشروع النووي:** ليس من قبيل الصدفة أن يفتح الملف الطائفي في مصر عام ١٩٦٤ وعندما تمكن الزعيم الراحل عبد الناصر من إغلاقه، ليمنع سقوط الدولة فتم شن حرب١٩٦٧ لإجهاض المشروع النووي المصري، وتم ربط قرار وقف إطلاق النار بوقف العمل في برنامج الصواريخ المصري آنذاك ، عندما فتح السادات هذا الملف من جديد وبدأ في اتخاذ خطوات للبدء في مشروع الضبعة النووي اشتعل ملف الطائفية من جديد عام ١٩٨٠، وعندما فشلت

---

[1] وكالة فلسطين اليوم، ٢٠٠٩/٦/٢١ ، ومصادر آخري

[2] القدس العربي، تحت عنوان: وزير الكهرباء المصري في روسيا اليوم الاربعاء لبحث إنشاء محطات نووية، ١١/٩ /٢٠١٠.

مخططات الفتنة، تم اغتيال السادات بطريقة مازالت غامضة علي الرغم من تحديد أداة الجريمة البشرية، ولم يعلن أو يكشف عن دور المخابرات الخارجية في هذا الملف، فمن الأرجح أنه تم تجنيد قتلة السادات بطرق غير مباشرة، ودون علمهم فكانوا مجرد أدوات في يد الغرب والموساد .

عندما فتح ملف الطاقة النووية من جديد، وتحت الضغط الشعبي، ارتفعت الحوادث الطائفية بمصر، ولم تفلح حادثة تفجير كنسية نجع حماد أو القدسيين في إشعال الطائفية لإسقاط مصر عامي ٢٠٠٩ وعام ٢٠١٠، ووالافت للنظر أنه بعد زيارة وزير الكهرباء المصري حسن يونس إلي روسيا لمتابعة إنشاء محطات نووية في ٩/ ١١/ ٢٠١٠م[١] بعدها بشهرين ونصف قامت الثورة المصرية ، وتفجرت ثورة ٢٥ يناير ألا يكون ذلك مؤشرا علي اختراق مصر لمنعها من النهضة وقد ساعدهم في ذلك حالة السخط نظر لتردي الوضاع الاقتصادية وتزوير الانتخابات النيابية عام ٢٠١٠ بمصر وعقب نجاح الثورة وعدم تصادم الجيش مع الثوار تم فتح ملف الطائفية من جديد بداية بحادث كنيسة صول في أطفيح في مارس ٢٠١١ أثناء فترة الفراغ الأمني بعد الثورة لدفع البلاد نحو حرب أهلية .

* **قتل مدير شركة سمينس بمصر:** وكانت المحاولة الأخيرة لإنتاج الفتنة هي قتل د. هاني لوقا، المدير الإداري والمالي لفرع شركة "سيمنس" الألمانية للصناعات الإلكترونية في مصر مصرعه في جريمة غامضة في فيراير ٢٠١٢ ، تورطت فيها الأردنية سناء الصبان وزوجها الفلسطيني علاء أسعد عبد المحسن ٢٣ سنة طالب الصيدلة، فقد استدرجا الضحية إلى منزلهم بمدينة ٦ أكتوبر وقتلاه، وقطعا ذراعه، وساقه، وأحرقا الجثة، وألقيا بها في صحراء أكتوبر، وتركا سيارته التحقيقات أن المتهمين طلبا من الضحية، مالًا لمرورهما بضائقة مالية، الذي رفض الاستجابة لهما، إلا أن المتهمين استدرجا الضحية إلى أكتوبر، وارتكبا الجريمة، وتخلصا من الجثة بعد

---

[١] القدس العربي، مرجع سابق

حرقها كما تبين ان المتهمة حاولت استخدام بطاقة الـ (فيزة كارد) الخاصة بالمجني عليه ولكنها فشلت في سحب أموال من حساب الضحية الشخصي.

توحي بعض التفسيرات لتلك الجريمة أن هناك تخطيط يفوق النزعة الإجرامية، بل هو عمل يتصف بخصائص مخابراتية، الطريقة التي تم بها التعارف داخل احد الفنادق المصرية تدل علي ذلك، فكيف لأحد يمر بضائقة مالية يرتاد الفنادق، جنسية القاتلة وزوجها من النوعيات التي اعتادت الموساد تجنيديهم للعمل داخل البلدان العربية أن طريقة التعرف علي د.هاني لوقا خطط لها جيدا.

* **للجريمة ستحقق رسالتين**: الأولي تصب في إشعال الملف الطائفي، والثانية رسالة ترهيب لشركة سمنس الألمانية للتوقف عن العمل في مصر شركة سمنس تعمل في مصر منذ أكثر من ١١٠ أعوام ، وحققت الشركو الأم خلال العام المالي٢٠١٠ نجاحا ماليا بلغت مبيعاته بنحو ٣ , ٢٦٤ مليون يورو، ويعمل لدى الشركة بمصر نحو ٥١٥ موظفًا من أكفأ العناصر المتخصصة في مجال القوي والتحكم.[١]

* **شركة سمينس:** وتعد سمينس من الشركات التي تقوم بمشروعات نوعية متقدمة في مجالات الطاقة الكهربائية والشمسية والنووية والصناعية والصحية، وذلك بما تملكه من برمجيات ذات استخدام مزدوج، لمحرك الشعب تقنيات التشغيل الآلي ، ومجموعة كاملة من الجهد المنخفض نوع اختبار لوحات التوزيع الرئيسية، ومراكز التحكم في المحركات، و عقد لتوريد قطع الغيار لأنظمة الإشارات ، وأن استثمارات الشركة فى مصرخلال عام ٢٠١٢ بلغت نحو ٣٠٠ مليون يورو، ويعد ذلك حجم أعمال جيداً، مقارنة بالناتج المحلى لمصر، مشيراً إلى أنه معدل استثمارات الشركة فى عام ٢٠١١ نفسه، فيما بلغ حجم أعمال «سيمنس» على مستوى العالم نحو ٧٨ مليار يورو بزيادة بنسبة ٧ %، عن العام السابق، أن الشركة تستهدف زيادة

---

[١] الاقتصادية، الرياض، تحت عنوان: مقتل المدير المالي لـ «سيمنس» في مصر، العدد 6694 الأربعاء ١٦ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ الموافق ٠٨ فبراير٢٠١٢

أعمالها خلال عام ٢٠١٣ بنسبة تصل لنحو ٦ %، و الشركة تنافس على مشروعين لطاقة الرياح بقدرة ٣٧٠ ميجاوات بجبل الزيت، أحدهما مشروع لطاقة الرياح بنظام الـB.O.O ، [١] وفي قطاع الطاقة منحت شركة سيمنز أربعة عقود للهواء معزول المفاتيح (AIS) المشاريع الجاهزة. وتقع ثلاثة منها في العوينات لتوفير إمدادات موثوقة من نقل الكهرباء المصرية، وتعد هذه المشاريع ذات أولوية وطنية عالية، لأنها سوف تربط العوينات مع شبكة الكهرباء وطنية موحدة من أجل تسهيل استصلاح ما يقرب من ٢٢ ألف فدان، وهذا سوف يساعد في تنفيذ مشاريع جديدة والصناعية والزراعية في المستقبل.

وترجع شهرة سمنيس إلي تميزها في بناء المفاعلات النووية ومشروعات الطاقة و كان مشروع بناء محطة بوشهر قد بدأ مع شركة «سيمنس» الألمانية قبل الثورة الإسلامية في العام ١٩٧٩، ثم توقف العمل بعيد اندلاع الحرب الإيرانية العراقية في العام ١٩٨٠م وفازت روسيا بعقد الأشغال في ١٩٩٤، على أن ينجز العمل فيه في ١٩٩٩ م [٢] لقد أعلنت سمنس التوقف عن بناء المحطات النووية قبل مقتل د.هاني لوقا بفترة وجيزة، ويبدو أن هناك ضغوط دولية مورست لذلك، ولكن الخبرات المدنية نتيجة العمل في محطات الطاقة، والبرمجيات الحديثة يمكن أن تسهم في إدارة المحطات النووية، كما أن المشاريع التي تقوم بها الشركة ذات تقنيات عالية،ومن الوارد أن تكون عملية القتل نوعا من ترهيب الشركة لإثنائها عن المشاركة في المشروع النووي المصري، وقتل العلماء المصريين والعرب وقضايا التجسس كلها توحي بدور مشترك لمحاربة النهضة وإسقاط أي نظام يحاول تحقيق النهضة والنمو لمصر، مهما كان ولائه للغرب، وستكشف الأيام القادمة عن حقائق تؤكد هذا المعني، وفي حالة فشل الوسائل التقليدية سيتم تفعيل الخيار العسكري ضد مصر كما حدث في نموذج إسقاط العراق، تحت أي مزاعم .

---

[١] مصر مباشر، تحت عنوان: 300مليون يورو استثمارات «سيمنس» ٢٠١٣ م، في ١٨ / ٢/ ٢٠١٢/

[٢] صحيفة الوسط البحرينية العدد ٢٨٩٩ السبت ١٤ أغسطس ٢٠١٠م الموافق ٠٤ رمضان ١٤٣١هـ

٥- **الحرب الشاملة ضد مصر:** تستمر الحرب التي تشنها الصهيونية على مصر، بطرق أعنف من الحروب العسكرية فعلى الرغم من اتفاقية كامب ديفيد، التي أنهت الحرب، مازالت إسرائيل تحارب مصر بالجنس و الهرويين، والدولارات المزيفة، فإسرائيل ترسل دولارات مزيفة، وسائحين من نوع خاص، لنشر الأيدز،، وأمراض أخرى سرية وخطيرو، وتجمع المخابرات الإسرائيلية المعلومات عن أمراض المجتمع المصري، لاستثمارها وتوظيفها، وعن العيوب التي تنتشر فيه، لتقوم بتنميتها، وتوسيع دائرتها، مما يؤدي إلى تفكك الشعب العربي المصري.

* **حرب المخدرات ضد مصر:** تعمدت إسرائيل نشر المخدرات في صفوف الجماهير على مختلف انتماءاتهم الطبقية، ومن المعروف لدى القارئ ما يفعل سلاح المخدرات، في تدمير الشعب والدولة معاً، وقد استخدمته بريطانيا في حربها مع الصين في القرن التاسع عشر، وأطلق المؤرخون على تلك الحرب اسم (حرب الأفيون)، وكان نتيجتها انتصار بريطانيا على الصين.

وتستخدم إسرائيل هذا الأسلوب ضد الشعب المصري مباشرة قبل و بعد اتفاقية كامب ديفيد، وللدلالة على تلك الحرب، فقد بلغ عدد قضايا المخدرات (٤٥٢٠) قضية تهريب مخدرات، التي ضبطتها وزارة الداخلية المصرية ما بين أعوام ١٩٧٩ إلى ١٩٨٩، وكلها مهربة من الكيان الصهيوني إلى مصر، وتبين من التحقيقات التي جرت مع المهربين، أن المخابرات الإسرائيلية جندت عدداً من بدو سيناء، من أجل نقل كميات كبيرة من المخدرات إلى مصر، وقد وصل أحد زعماء مافيا التهريب إلى أصبح عضويا في البرلمان المصري، لينفذ إلى مؤسسة التشريع، ويخدم الأهداف الصهيونية. فقد انتخب (عايد سليمان) عضواً في مجلس الشعب المصري، وهو من كبار زعماء مافيا تهريب المخدرات المشهورين في سيناء..

فقد كتبت صحيفة /صنداي تايمز/ الأسبوعية في النصف الأول من شهر أكتوبر عام ١٩٩٦، بأن ضباطاً إسرائيليين باعوا مخدرات (حشيش الكيف) لمئات الآلاف من

الجنود المصريين، طيلة /٢٠/عاماً، وقد تم نقل تلك الكميات الكبيرة من المخدرات، ضمن إطار خطة وضعتها قيادة الجيش الصهيوني، أطلق عليها /لاهاف/ أي الحشيش. والهدف منها إضعاف القدرة القتالية للجيش المصري. وذكرت إنها كانت تباع ما بين سيناء والقاهرة، وقد حاول عدد من القادة العسكريين المصريين السابقين، تكذيب رواية الصنداي تايمز، ومنهم الفريق الأول مُحَّد فوزي، والفريق أمين هنيدي، واعتبراها نوعاً من الدعاية الكاذبة للموساد ضد الجيش المصري.[١]

* **نشر الإيدز بمصر:** أرسل الموساد مجموعة من الداعرات اليهوديات المصابات بمرض الأيدز إلى مصر وخلال وجودهن في القاهرة أو غيرها، كن يقدمن أجسادهن، لأي طالب لذة من الشباب المصري،و يستخدمن الإغراء الجسدي، لجذب الشباب المصري، حتى يمارسوا معهن الجنس. مما أثار من تلك التصرفات ريبة وشك بعض الأجهزة الأمنية المصرية، فقامت بالتحري والمراقبة، ثم ألقت القبض عليهن، بعد أن تبين لها أن في الأمر سراً، وأثناء التحقيق معهن، وإجراء الكشف الطبي، والفحص المخبري، تبين أنهن مصابات بمرض الأيدز، وأثناء التحقيق اعترفن أنهن مكلفات بمهمة من جهاز الموساد الصهيوني، والمهمة هي نشر هذا المرض الخطير بين الشباب المصري. [٢]

* **تدير الزراعة المصرية:** ففي عام ١٩٨٩ اكتشف أحد خبراء الزراعة في مديرية الزراعة بالإسماعيلية، أسباب انخفاض إنتاج الأراضي الزراعية من الخضراوات والفواكه منذ خمس سنوات على التوالي، حين اكتشف أنها تعود إلى استيراد بعض بذور الخضار والفواكه، وبعض أجهزة الري من إسرائيل، وظهر لهذا الخبير بعد إجراء العديد من الفحوصات والتجارب على البذور الإسرائيلية، بأنها تحتوي على فيروسات دقيقة، تنمو وتتكاثر بعد اختلاطها بالماء. وأن هذه الفيروسات تعمل بعد هذا، على

---

[١] قدوري زبيرسلطان ، أتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٢

[٢] قدوري زبيرسلطان ، مرجع سابق

تخريب التربة الزراعية، من خلال القضاء على خصوبتها، وإتلاف المواد العضوية وغيرها، إضافة إلى تدمير التربة الزراعية، فقد أثبتت التجارب على الخضار، التي تنتجها تلك البذور، بأنها تؤدي إلى الإضرار بصحة مستهلكها، أما عن الأسمدة الصهيونية فإنها أيدز آخر، فقد استوردت مصر من إسرائيل كميات من الأسمدة الزراعية، إلا أنها أحالت التربة الزراعية، التي غذيت بها إلى أرض بور أشبه بالصحراء. وزيادة في الإجرام الصهيوني بحق العرب المصريين، أثبتت الفحوص التي أجريت على مستخدمي هذه الأسمدة، أنها تعرضهم للإصابة بالسرطان، ومن الأسلحة الصهيونية، التي استعملت ضد الزراعة المصرية، ما عرف بأيدز النخيل، أو مرض /الفارو/. وهذا المرض يقضي على شجرة النخيل تماماً، وقد تعرض عدد كبير من أشجار النخيل في مصر، لهذا المرض الخطير. وبعد البحث والتقصي من قبل وحدات المكافحة الزراعية المصرية، تبين أن أسباب إصابة النخيل بهذا المرض في منطقة العريش، ناتج عن وصول أسراب من النحل الحامل للمرض من الكيان الصهيوني.[1]

* **دعم الأرهاب في مصر**: تطور الأمر نحو تغذية الأرهاب، فعقب حادث الأقصر الأثيم عام ١٩٩٧، تم تشكيل لجنة فنية أمنية على أعلى مستوى من عدة أجهزة، للتحقيق فيما حدث في ساحة معبد الملكة حتشبسوت بالبر الغربي، وقد توصلت هذه اللجنة في اجتماعاتها المشتركة لعدة نقاط جديدة، ظهرت في العملية الشرسة البشعة لأول مرة، أهمها يشير إلى حصول مرتكبي الحادث، على فرقة كوماندوز قتالية متطورة للقتل نفسه، وهي الفرقة التي اتضح أنها، لا تعطى سوى لرجال القوات الخاصة والكوماندوز في جيوش دول معدودة بالعالم، أولها جيش الولايات المتحدة الأمريكية، ومنها إسرائيل التي تدرب عليها المرتزقة والمتمردون في عدد من الدول الأفريقية، بالإضافة إلى عملائها في الدول العربية وفي أوائل شهر إبريل عام ١٩٩٩ استطاعت الأجهزة الأمنية المصرية، أن تصادر كميات كبيرة من الأسلحة

(١) قدوري زبيرسلطان ، مرجع سابق

الإسرائيلية، وخاصة مدافع /عوزي/، التي أرسلتها إسرائيل إلى الجماعات الإرهابية. وقد تم ضبط هذه الأسلحة في جزيرة بوسط النيل بمحافظة سوهاج.

ومن الأدلة علي تغلغل الموساد بين تلك الجماعات الإرهابية، التي تلبس لبوس الإسلام، هو بريء منها، فقد كتبت جريدة /افيننج ستاندارد/ البريطانية عن العلاقة السرية بين الموساد والجماعات الإرهابية، بأن عشرين ضابطاً من الموساد الصهيوني، شاركوا في المؤتمر، الذي أقامته تلك الجماعات الإرهابية في لندن في شهر أغسطس ١٩٩٤، والذي حضره ما يقارب من ١٢ ألف من اتباع تلك الجماعات في الوطن العربي والعالم الإسلامي، وكان الضباط الصهاينة يرتدون اللباس الإسلامي، ويطلقون اللحى من أجل التخفي، وإبعاد الشبهة عنهم. وقد أقامت المخابرات الأمريكية التي هي الأخرى، وضالعة من قدميها إلى رأسها في تلك المسألة، حواراً بين الموساد الصهيوني، وبين قادة تلك الجماعات الإرهابية. من حيث التعاون المشترك، والتخطيط، والتمويل، إلى جانب المخابرات المركزية الأمريكية، ودعم الموساد الإرهاب في مصر، من خلال تقديم كافة المساعدات لها بما فيها الأسلحة، فقد تم في عام ١٩٩٤، إلقاء القبض على مجموعتين صهيونيتين، الأولى في أغسطس، حين تم ضبط الضابط الصهيوني (إسحق ديموند)، وهو يحاول نقل أسلحة تفجيرية إلى داخل مصر. والثانية في شهر نوفمبر من نفس العام على شبكة برئاسة جنرال سابق، كان يعمل في الجيش الصهيوني يدعى (بول مزراحي)، وهي تقوم بنقل الأسلحة إلى الجماعات الإرهابية، التي تدعي الإسلام في صعيد مصر.[١]

* **ضرب السياحة المصرية :** ومن الخطط الصهيونية لضرب السياحة، إقامة مشاريع سياحية بديلة عن المنشآت السياحية المصرية وخاصة الموجودة على البحر الأحمر، فالكيان الصهيوني يعد مشروعاً سياحياً قرب منطقة طابا، تحت عنوان (الريفيرا) الإسرائيلية، تم إعداده من قبل عالمين صهيونيين هما شيلفا وتسيملس مع عشرين عالماً، وتحديداً في إيلات، والهدف منه، شن حرب سياحية على مصر في تلك

---

[١] قدوري زبيرسلطان ، مرجع سابق

المنطقة، و مشروع الريفيرا الصهيونية المقرر إقامتها في إيلات، وتحت إشراف وزارة الداخلية الصهيونية، يشابه من حيث الشكل الريفيرا الفرنسية، ويقول الخبير الهندسي الصهيوني /جارتنر/ عن المشروع السياحي الصهيوني: (لا يوجد خيار آخر لإيلات. ولو أرادت الضرب في العمق سياحياً ومنافسة مصر لمدة مائة عام قادمة، فعليها البدء في المشروع فوراً.

* **تدمير الزرعات العربية:** وفي بداية عام ٢٠٠٠ اشتكت السلطات السعودية من إتلاف ما يزيد على /٣٥/ ألف شجرة نخيل، بسبب هذا المرض على حدودها الشمالية، والقريبة من الأراضي المحتلة، وكانت الأردن قد أصيبت زراعتها هي الأخرى بالمرض، بسبب فيروسات الأيدز الصهيوني. فقد أعلنت وزارة الزراعة الأردنية في ٢٦–٨ –١٩٩٨، بأنها اكتشفت فيروسات في مجموعة من بذور المحاصيل الزراعية، التي قدمت هدية إلى الأردن من إحدى الشركات الهولندية متعددة الجنسيات، والتي يمتلكها إسرائيلي. [١]

ثانيا: **مواجهة إسرائيل والدول العنصرية**: تتطلب المصلحة العليا لمصر والعالم العربي العمل علي مواجهة المخططات الدولية لتمزيق مصر العالم العربي دون التصادم أسوة بسياسية فنزولا في فترة حكم هوجو شافيز، وذلك من خلال وضع عدة استراتجيات منها:

١- **تفتيت إسرائيل تمهيدا لإزالتها:** تعد خير وسيلة للدفاع هي الهجوم، وبالتالي يجب مواجهة إسرائيل بنفس المنطق والعمل تقوية عوامل التفكك بداخلها، وهى قائمة نظراً لتنوع المجتمع الإسرائيلي، وبالتالي يجب العمل علي تقسيم إسرائيل إلي عدة دول من خلال دعم كل أشكال الخلاف الديني والعلماني والعرقيات المكونة للدولة من كافة الجوانب، مع دعم إغراق المجتمع الإسرائيلي في مستنقع المخدرات والإدمان، وذلك تمهيدا للقضاء على خطر هذا العدو القذر الذي لا عهد ولا أمان

[١] قدوري زبيرسلطان ، مرجع سابق

له، فهو لم يحترم السلام ولا يكترث بالاعتدال العربي ويضع عينه على مصر بهدف تدميرها داخليا وإلحاق بالغ الضرر بها، وقد ثبت ذلك من خلال ضبط العديد من شبكات التجسس الإسرائيلية في الفترات الماضية على الرغم من اتفاقات السلام المبرمة معه ، وهذا يستدعى تغير قواعد المواجهة طبقاً للظروف الراهنة.

ينبغي على جهاز المخابرات المصري دعم هذا التوجه للرد على العبث بمصير البلاد، كما يجب دراسة الملفات التي تزعزع الاستقرار في الدول التي تحاول الإضرار بمصر، وتفعيل وتجديد وخلق أسباباً للنزاع بداخل تلك الدول عن طريق الفيس بوك وبنفس الأسلوب المتبع مع مصر أو تجنيد عملاء لهذا الهدف أو دعم الأقلية، وهذا يتحقق من خلال طرح هدف التقسيم أو أثارت الفوضى عبر المطالب المشروعة للأقليات بشعوب تلك الدول، وسوف تسفر تلك الجهود عن النتائج المرجوة.

* **تشجيع اليهود الروس والمهاجرون علي التمرد**: أن عدد غير اليهود من بين المهاجرين السوفييت يصل إلى نحو ٥٠% وعدد منهم من أعداء اليهود إنما هاجروا لتحسين مستوى المعيشة، فضلا عن ذلك فإن المسيري واستنادا إلى الأرقام يشير إلى تزايد أعداد المندمجين من اليهود في مجتمعاتهم لدرجة تصل إلى حد أن النازحين الجدد من اليهود إلى مجتمعات غربية لا يقيمون روابط مع الجاليات اليهودية ويحاولون إنكار أنهم يهود وهو ما يقوض من شرعية الحركة الصهيونية .[١] وذلك ببث برامج وتجنيد بعض المهاجرون الروس لذات الغرض

يعاني المهاجرون الجدد من التمييز في الرواتب والضمانات الاجتماعية، حيث تتبع المؤسسات الإسرائيلية سياسة التمييز ضدهم، فيما يتعلق بالرواتب والضمانات الاجتماعية، حيث تقوم الكثير من المؤسسات المشغلة للروس بطردهم، بادعاء الإساءة إليها، وهناك مؤسسات ترفض استيعابهم أصلا، و أقام القادمون الروس، خلال محاولتهم

---

[١] د. عب د الوهاب المسيري خادع وهو يداعب أماني قر ائه ، مؤسسة دار المعارف القاهرة ٢٠٠٢

للاندماج في المجتمع الإسرائيلي، أحزابا خاصة بهم، وتحديدا نتان شيرانسكي، الذي أقام حزب " يسرائيل بعلياه– إسرائيل المهاجرة "، و افيغدور ليبرمان حيث شكل حزب " يسرائيل بيتينو" وتحول اليوم إلى الحزب الثالث في إسرائيل، إلى جانب تأييد المهاجرين الروس لأحزاب فاعلة في الساحة السياسية الإسرائيلية، مثل "الليكود" و»كاديما" و"والعمل".

يمكن أن تكون الفئة الرئيسية لتفتيت إسرائيل هم المهاجرين الروس ، وهذا ما يجب العمل نحو تغذيته، حيث يشكل الروس(١٨ . ١٩%) من مجمل المواطنين في إسرائيل، ويرجع الفضل للقادمين الروس بضخ ظواهر وآفات جديدة داخل المجتمع الإسرائيلي، سوف تدمره ، كالجريمة المنظمة والدعارة والإدمان على الكحول وغيرها، هذا بالإضافة إلى دخول عصابات المافيا وانتشار ظاهرة رشاوى و شراء الأحزاب الفاعلة في الحلبة السياسية الإسرائيلية، إذ يتبين لنا أن معظم المهاجرين عادوا إلى إسرائيل ليس من منطلق قناعتهم بالفكر القومي، بل من اجل الهروب من الواقع الاقتصادي الصعب والسيئ في الدول التي قدموا منها، وهذا يسهل اختراق هذه الشريحة الكبرى من قبل أجهزة المخابرات بهدف تعميق هوة الخلاف في إسرائيل كخطوة تمهيدية لتفكيكها ، مع تنمية الشعور بالظلم لديهم باطراد عبر المواقع الإلكترونية والإعلام، المهاجرين الجدد موزعين في أنحاء إسرائيل، وتحديدا في المدن المتوسطة كالكاريوت(شمال حيفا) واشكلون ونتسيرت عيليت وغيرها، و أن مدينتي حيفا واشدود استوعبت عدد كبير من المهاجرين، وان هناك مدن يشكل الروس فيها ٢٥ بالمائة كمدينة ايلات واشدود، حيفا ٢٠ بالمائة، بئر السبع ١٥ بالمائة، تل أبيب ١٨ بالمائة، بات يام ١٥ بالمائة بينما في القدس لا يتعدى عددهم ٣ بالمائة، هذا التنوع والانتشار يتيح لنا شريحة كبرى يمكن شرائها بالمال فهي تغطى معظم إسرائيل تقريباً .

* **استغلال التناقضات في تعريف اليهودي:** هذه القضية مدخلا هاما لتقويض المجتمع اليهودي من هو اليهودي ؟ تلك القضية الحساسة يعاني منها المهاجرين الجدد، فتعريف اليهودي وفق الشريعة اليهودية "الهالاخاه "، إذ أن الحديث يدور عن

حوالي ٣٣ بالمائة من المهاجرين الجدد إنهم ليسوا يهودا وفق الشريعة اليهودية، والتي تشكل مشكلة بالنسبة لهم في قضية الزواج وقضية الدفن، والقضية الأساسية اليوم التي تشكل مشكلة بالنسبة للمهاجرين قضية اعتناق اليهودية، إذ أن غالبية اليهود المهاجرين يعرفون وفق الأب وليس حسب الشريعة اليهودية "الهالاخاه" وقانون الهجرة الإسرائيلي للعام ١٩٥١ تعريف اليهود حسب إلام تتيح هذه المسألة مدخلاً جيداً نحو تحقيق الهدف، فقط تنتظر أشارة البدء، نحن أمام مجتمع متفكك وليس لديه مقومات البقاء، ويرجع تفوقه في الحروب التي يخوضها مع العرب باستثناء حرب ١٩٧٣ إلي الدعم الغربي غير المحدود وليس ضعف أوجبن المقاتل العربي، لقد كانت إسرائيل تمثل رأس الحربة لتحقيق مصالح الغرب في تدمير هذه المنطقة من العالم، هي مجرد مرحلة ضمن سلسلة الصراع الذي يقوده اليمين المتعصب في الغرب، وسقوطها مجرد مسألة وقت أما بعوامل التدمير الذاتي الداخلية الذي يؤجل ظهورها حالة الحرب الدائمة مع المحيط العربي، فبمجرد سقوط الرأسمالية الغربية وصعود القوي الجديدة التي سوف تحل محل القوى الحالية، سوف تتغير قواعد الصراع من جديد لصالح الطرف العربي، ربما لن ننتظر كثيراً، ولكن علينا تفعيل هذه الخطة لأنها تحقق الآماً نفسية كنوع من الحروب المعنوية، وسوف تأتي بثمارها لأن التعصب يرفض دائما كل نداءات العقل وسوف يقودهم إلي التناحر .

* **بث الفتنة بين الطوائف اليهودية :** إن الفئات الرئيسية التي تشكل السكان تتألف من اليهود الغربيين .(من أوروبا وأمريكا). وتعود أصول غالبيتهم إلى اليهود الاشكناز وهذه الفئة عانت الاضطهاد والتمييز في أوروبا، وقد بني روادها الأوائل الأسس الفكرية التي قامت عليها الحركة الصهيونية، كما أنها تسيطر سياسيا وعسكريا واقتصاديا بالرغم من أنها لا تشكل أغلبية السكان يأتي بعد اليهود الغربيين، اليهود الشرقيون، وهؤلاء قوامهم يهود فلسطين من جهة، واليهود الذين هاجروا إلى فلسطين من آسيا وأفريقيا من جهة أخرى ثم يأتي .(يهود الصابرا). ويشكلون بداية، كل اليهود الذين ولدوا فى فلسطين، على المكانة الأرفع ثم نجيء إلى . العرب .

الفلسطينيين المقيمين فى إسرائيل ويشكلون الفئة الرابعة من حيث العدد، ويمثل هؤلاء ما تبقى من أصحاب اليهود الأصليين بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ بجانب هذه الفئات الرئيسية الأربع يتعايش فى المجتمع الإسرائيلي جماعات أخرى تعد من الزاوية الدينية فرقا دينية، وتتضاءل أعداد هذه الجماعات بشكل لا يجعل لها دورا يذكر فى الحياة السياسية. [١] ، وتوجد بذور الاختلاف داخل المجتمع الإسرائيلي فهناك من الفرق الدينية المتناحرة فيه نحو ١٧ فرقة و بالتالي تعد تغذية أسباب الخلاف مدخلاً هاماً نحو تحقيق الأهداف المرحلية،فبعد طرح الضفة الغربية و غزة من أرض فلسطين يبقي ٧٨% تحت سيطرة اليهود.

* **إشعال الصراعات الحزبية:** توجد في إسرائيل أحزاب متعددة كما هو معروف، والأحزاب الرئيسة هي إما علمانية أو متدينة، والصراع بينها محتدما منذ سنين، ونادرا مايماثله صراع آخر في طبيعته وشدته، وكل منها يحاول أن يكسب مقاعد أكثر في الكنيست لكي يحقق أهدافه، وكانت الأحزاب الدينية اقل مما هي عليه اليوم، ولكنها كثرت في السنين الأخيرة وازداد عددها، بسبب زيادة المتدينين المتشددين،ووجود هذه الأحزاب هو أحد أهم تجليات الصراع العلماني الديني ومظاهره، وقد أصبحت الأحزاب الدينية لازمة لكل حكومة إسرائيلية، حيث تكون جزءا من الائتلاف فيها، وقد بدأ هذا الوضع منذ عقود وهو مستمر حتى يومنا هذا، كل هذا التنوع يخدم هدفاً واحد يجب السعي نحو تحقيقه في الصراع غير العسكري، ويسهل مهمة تدمير إسرائيل

* **استغلال التناقض بين العلمانية واليهودية**: يبدو أن الأمور تسير وفقاً لما نريد لقد ظهرت بالفعل دعوات لتقسيم إسرائيل بين دولة دينية دولة علمانية، لقد طالب الحاخام يسرائيل ايتنكر في صحيفة "يديعوت أحرونوت" في (يونيو) ١٩٩٧م عنه أنه قال مخاطباً العلمانيين: "إننا من غير الممكن أن نقبل عقيدتكم كما أن مُثلنا

---

[١] عبد الفتاح محمد ماضي. الدين والسياسة في إسرائيل. مكتبة مدبولى. ١٩٩٩

المقدسة ليست مثلكم وأولوياتنا مناقضة لأولوياتكم وأهدافنا في الحياة مختلفة تماماً عن أهدافكم، لذلك فبدل الصراع والمعارك يكون من الأفضل لنا أن ننفصل عن بعضنا ويذهب كل منا في طريقه"، ودعوة الانفصال هذه لا ينادي بها المتدينون وحدهم، بل إن بعض العلمانيين أيضاً يؤيدونها ويرون فيها حلاً لتفادي كارثة، وقد كتب هؤلاء عن هذا الموضوع مقالات مطولة وكان يسرائيل كصوفر قد قال في مقال له في صحيفة هآرص عام ١٩٩٦م"أن لا مناص من أن ينفصل العلمانيون عن المتدينين.. وإن أي إنسان له عيون في رأسه يرى الوجه الحقيقي لدولة إسرائيل بين نهر الأردن والبحر المتوسط إذ ستكون هناك ثلاثة كيانات دولة إسرائيل ودولة فلسطينية ودولة لليهود المتدينين ومن ثم يعد طرح تلك القضية علي السطح دوريا من أكثر الأمور التي تنسف وحدة المجتمع الإسرائيلي.

* **تشجيع اليهود على الهجرة من إسرائيل:** وفي عام ٢٠٠٠ م أعلن مجموعة من جامعة حيفا عن إنشاء جمعية باسم" الصهيونية الحقيقية" وقالت الدكتورة ميكال أورن أنها هي وعدد من زملائها في الجامعات وبعض أصحاب الاختصاصات قد سئموا الحياة في إسرائيل حيث أصبح اليهود الحريديم، خاصة شاس يسيطرون أكثر فأكثر سياسيا وثقافيا لذلك قررنا أن ننشئ دولة إسرائيلية علمانية خاصة بنا وقد يكون ذلك في جزيرة اصطناعية في البحر"

تتوافر عوامل انهيار الدولة الشيطانية، فهذه العوامل قائمة في الأساس وتحتاج إلي أسلوب جديد في المناورة والتعامل من قبل متخصصين في علم النفس والاجتماع والأديان وخبراء اللغة العبرية ، وذلك من خلال بث مواقع إلكترونية تحمل وتغذي أفكار كل طائفة أو فريق، الدولة تدفع مئات الملاين في دعم الأعمال التي يديرها جهاز الأمن القومي، فبعد أن ثبت تصميم الجانب الإسرائيلي على ضرب العمق المصري، أصبح من الضروري الرد بنفس الطريقة وسوف تنجح تلك الفكرة نحو تفكيك إسرائيل من خلال تزكية عوامل الانقسام الداخلي والحث علي الهجرة.

* **استغلال النزعة الإجرامية في مخططات التدمير:** يتصاعد حجم الجريمة في إسرائيل والانهيار الأخلاقي يصب في صالح الهدف لتسهيل مهمة التفتيت لحماية الأمن القومي المصري وإبطال مؤامرات الإضرار بمصر ، أن الجريمة في إسرائيل باتت تشكل تهديداً استراتيجياً بعدما أصبح المجتمع الإسرائيلي مجتمعاً متوحشاً، ولم يقتصر الأمر على الفلسطينيين وحدهم، فطبيعة الأمور تقول أن مجتمع الجريمة ضد الآخرين، لا يستطيع أن يعيش من دونها حتى مع نفسه، معلومات أجهزة الشرطة تقول أن الإسرائيليين يمارسون ٨ جرائم اغتصاب يوميا، وحسب إحصائيات عام ٢٠٠٨ فقد ارتفعت جرائم المخدرات بنسبة ٢٠ في المائة، وأنه في العام ٢٠٠٨ أفادت الشرطة بوجود ٤١٩.٨٣٧ حدث جريمة أحداث، كما سجل ارتفاع في عدد إحداث العنف بين جدران المدارس – ٣.٥٨٢ حدث مقابلا ٣.٢٢٩ في العام ٢٠٠٧، وكان عدد ملفات تجارة واستيراد مخدرات في العام،٢٠٠٨ هو ٤.٥٣٢ مقابل ٣.٢٧٨ في العام ٢٠٠٧، أن أبرز أنواع الجريمة في إسرائيل هو المرتبط بممارسة العنف.. فجرائم العنف العائلي تصاعدت من نحو ١٦٠٠ جريمة عام ١٩٩٧م، إلى نحو ٤٠٠٠ جريمة عام ٢٠٠٠، ومن ثم الى أكثر من ٧٠٠٠ آلاف جريمة عام ٢٠٠٩.[1] ومن ثم يسهل تجنيد مثل تلك النوعية.

* **متابعة ملفات الفساد للضغط علي السياسين:** أما عن الفساد، فقد خلص تقرير البنك الدولي إلى أن نسبة الفساد في المؤسسات الرسمية فاقت النسبة المقبولة في الدول المتقدمة، ففي إسرائيل وصلت النسبة إلى ٨.٨٠% بينما في الدول الغربية لا تزيد عن ٤.٩١% مما وضع إسرائيل في أسفل سلم الدول الغربية وعلى رأس قائمة الدول الأكثر فساداً في مجموعة الدول المتقدمة،والواقع أن الفساد السياسي في إسرائيل أصبح منظما ويدور حول ٣ أنواع من الفساد: الامتيازات الحكومية، الرشوة، والتعيينات السياسية، وهو منتشر بدءا من رئيس الحكومة ومرورا بالوزراء

[1] شبكة الذاكرة الفلسطينية، ٢٠١٠/٨/٢٠، نقلا عن ديعوت أحرونوت، ٢٠١٠/٧/٩ .

وأعضاء الكنيست والموظفين الكبار، وهذا يستوجب تفعيل فكرة التجسس الاقتصادي والوصول إلي جرائم الفساد قبل أجهزة الأمن الإسرائيلية كورقة ضغط تصب في مصلحة مصر.

تقضى المصلحة العليا للوطن السير في هذا الاتجاه، لقد كانت إسرائيل دوما تحاول النيل من مصر بشتى الطرق وخاصة غير الأخلاقية، فقد كانت وراء العديد من الصفقات الغذائية الفاسدة والمواد المسرطنة داخل السوق المصري بهدف تدمير صحة المصريين، في ذات الوقت التي تتابع الموقف السياسي والعسكري لمصر بالمزيد من الخطط الجاهزة للتطبيق، كما أن الشكوك المؤكدة تتجه نحوها في إشعال نيران الفتنة الطائفية داخل البلاد من خلال العملاء والمواقع الإلكترونية.

* **تسليح المقاومة الفلسطينية:** وتمثل فكرة تسليح المقاومة الفلسطينية وتشيجيع حرب العصابات أحد أهم البدائل الحالية، وهذ الطرح يمكن أن يسقط الحكومة، والدولة الإسرائلية أذا تزامن مع ثورة شعبية شاملة أسوة بثورات الربيع العربي، وهي فكرة كفيلة علي الأقل بشل دولة إسرائيل، وقف الهجرة إليها وتشجيع الهجرات العكسية من الدولة الصهيونية؛ بحيث يعود اليهود إلي بلدانهم الأصلية التي جاءوا منها سواء من الغرب أو الشرق، وهذ يسهم في عودة أبناء الشعب الفلسطيني إلي وطنهم المغتصب .

* **نشر الإسلام بين اليهود:** ويكمن الحل الموازي هو تكثيف عمليات اختراق المجتمع الإسرائيلي لزيادة عدد المتحولين عن الديانة اليهودية، يوجد في إسرائيل ما يقري من عشرون سيدة تتحولن إلي الإسلام سنويا ، هذا منحي أخر لتقويض يهودية هذا الدولة وهذا مسلك آخر في الصراع يجب طرقه بقوة.

* **استغلال الكوادرالعربية للشوشرة اللإلكترونية:** يمتلك العرب الكوادر المتخصصة في مجال الكمبيوتر بكفاءة، لقد نجح بعض الشباب العربي من السعودية في الدخول علي المواقع الإسرائيلية وأعترف الإسرائيليون بذلك، وتم اقتحام شركة البطاقات

الائتمانية، وأن أرقام ١٤ ألف بطاقة نشرت على الإنترنت ٢٠١٢/١/٣، كما تم نشر أرقام ١١ ألف بطاقة، علاوة علي ما نشر حول اقتحام مواقع عسكرية، لقد سربت معلومات عن أكثر من ٤٠٠ ألف إسرائيلي تقريباً، والأهم أن المسئولين اليهود اعترفوا أنه من الصعب العثور على القراصنة الذين يقفون وراء هذه الهجمات، إذا كانوا يتخذون الاحتياطات اللازمة، وهذ أهم ما الموضوع لأنه يتيح النجاح لفكرة بث المعلومات التي تزيد من حالات التفتت والانقسام هناك.[١] وهذا يسهم في تكوين فرق إلكترونية تبث أخبار تضرب وحدة المجتمع الإسرائيلي.

* **التمهيد للتقسيم :** بتشجيع قيام الدولة الدينية في القدس الغربية لتكون هي بداية التفكيك والدول العلمانية في تل أبيب، و دولة النقب، ودولة مسلمة في شمال إسرائيل مع تشجيع قيام دويلة في إيلات مع إعادة المطالبة بحق مصر التاريخي فيها حيث كانت تسمى في السابق قرية أم الرشراش ، يمكن تعديل أو تطوير الفكرة، قد يدعى واهم أن هذا الكلام خيال، ومع هذا فأن التاريخ يشهد أن فكرة إسرائيل ذاتها عندما طرحت في أواخر عهد الدولة العثمانية كانت توصف بأنها خيال وضرب من الجنون، وبعد عشرات العقود أصبحت حقيقة، والأمر بالنسبة لنا أسهل لأننا أصحاب حق من جهة، والأمر الأخر هو أن الدول الغربية التي تراعى إسرائيل تقترب من مرحلة الشيخوخة والدليل على ذلك الأزمة الاقتصادية العالمية بالولايات المتحدة في سبتمبر ٢٠٠٨وأرتفاع حجم الدين الداخلي والخارجي للدول الغربية إلى عشرات التريليونات وأزمة اليونان عام ٢٠١١ وغيرها، حتى لو حدثت مواجهات على الأمد القريب وانتهت لصالح مخططات الغرب وإسرائيل ، ولكن فى المدى المتوسط الوضع الدوليفي صالحنا.

في ذات الوقت علي أجهزة الأمن القومي المصري أن تشرف علي بث مواقع إلكترونية لتشجيع بودر الفتنة والتشرذم تستهدف أي دولة تعمل علي الإضرار بمصر،

---

[١] روزاليوسف اليومية يوم ٢٠ /٢٠١٢/١ ومصادرآخري

وسوف نجد أن عوامل الاختلاف والفرقة لدي الدول الغربية أعمق وأكثر استجابة مما نتصور، بنفس السلاح يجب أن نتصدى للأعداء، فلسنا دعاة فتنة أو دمار ولكن هو دفاع مشروع عن النفس.

* **وجود دولة إسرائيل مؤقت:** في جميع الأحوال وجود وضع مؤقت مقترن بأمرين الأول وهو افتراضي وضعه المستعمر الغربي ويحدد عمر إسرائيل بمدي قدرته علي القضاء علي الإسلام في هذه المنطقة ، لو حدث ذلك ولن يحدث بأذن الله سوف يقوم الغرب نفسه بتدمير و تفكيك إسرائيل الأمر الثاني و هو قدرة الدول العربية علي إزالة إسرائيل وهذا الخيار مقترن بضرورة قيام هذه الدول بالحصول علي تقنية عسكرية وعلمية واقتصادية تكون بمثابة رادعاً قوياً يمنع أي دولة من التدخل و هذا يأتي عن طريق أحياء الديمقراطية داخل العالم العربي وإقصاء قوي التطرف التي يمكن أن تتسبب في وضع العالم العربي في صراعات غير متكافئة مع قوى الشر في العالم دون تكافئ في ميزان القوى.

يؤكد التاريخ أن إسرائيل حتما سوف تمضي إلى زوال إما بأيدينا أو بأيدي الغرب ولكن زوالها بأيدي غيرنا يعني أيضا نهاية العالم العربي، يوجد بمصر عشرات الآلاف من الطلاب الذين درسوا اللغة العبرية في كليات الآداب ويمكن أن يكون هؤلاء بعد تدريبهم الطليعة الأولى للمواقع الالكترونية، التي تحقق ذلك الغرض من خلال تخطط مخابراتي متخصص، وأدعو أساتذة الجامعات من علماء السياسة والاجتماع وعلم النفس وخبراء الأديان والمفكرين بوضع تصور شامل لمخطط يحقق الهدف المنشود، وحتي لو بدأ ذلك من خلال جمعيات أهلية.

ليس اليهود بهذا الحجم من القوة والتأثير داخل العالم ولكن دورهم في أثارة العالم ضد المسلمين يخدم أهداف اليمين المسيحي المتطرف ودورهم في الاقتصاد داخل الغرب يخدم اقتصاديات تلك الدول لان الأموال في جميع الأحوال تعمل وتنتج داخل تلك البلدان وتخدم عمليات البناء والتشغيل الداخلي للمجموع الكلي للسكان هناك، سوف

تنتهي دولة إسرائيل في القريب العاجل وبأيدينا على الأرجح وهذا يدعونا لعدم اليأس أو تعجل النتائج، لن تضار القضية الفلسطينية إذا علقت لعقد آخر أو أكثر في النهاية سوف يتم تحرير كامل التراب العربي الوقت يمر لصالحنا، بشرط إقصاء طبقة الفاسدين والعملاء والمراهقين السياسيين والسفهاء المتعصبين من سدة الحكم في العالم العربي ليحل بدلا منهم العقلاء والعلماء وأصحاب الفكر، لقد استطاعت عدة دول رغم الظروف الاقتصادية والتعتيم التكنولوجي من اقتحام أعقد المشاكل العلمية وحلها منها العراق وتم تصفية مشروعه العلمي بالاحتلال واقتربت إيران من الهدف ونجحت باكستان في دخول النادي النووي، لو حكم العراق بنظام ديمقراطي لسبق تلك الدولتين فى ذلك وكان من الممكن تجنب التصادم المبكر، مصر تمتلك قاعدة من العقود القادرة على خلق توازن نوعى في ميزان القوى متى أتيحت لها الفرصة

ظهرت عقب الثورة المصرية مشاكل اقتصادية كبرى في إسرائيل، هناك أزمات اجتماعية واقتصادية طاحنة تضرب الدولة العبرية، و تنوعت تلك المشاكل الطاحنة ما بين تهديد الإسرائيليين في معظم المدن الإسرائيلية بتنظيم مسيرات واعتصام مليوني للخلاص من أزمة ارتفاع أسعار الشقق السكنية في إسرائيل، بينما يواصل الأطباء إضرابهم عن العمل لرفع أجورهم مرورا بارتفاع أزمة الوقود وإضراب الأخصائيين الاجتماعيين وتهديدات للحكومة من مربي الأبقار ومنتجي الألبان لحل أزمة منتجات الحليب أذن هناك كم من المشاكل،وهو ما يصعب حله ، ويمكن العزف على تلك الأوتار كما يفعلون معنا تمهيد للتفتيت ثم التحرير طالما لم يلتزموا بالسلام.

* **مشروعية حق الرد:** لم تكن الدعوة لإزالة إسرائيل نوعا من الشطط فهذا هو منطق اليمن المتطرف والصهيونية العالمية في مواجهة مصر فعلي سبيل المثال نشرت هيام سليمان في بوابة الوفد الإلكترونية في ٢٠١٢/٩/١٩ أن الحاخام الصهيوني شموئيل شموئيلى رئيس حركة "حماة اسرائيل " اليهودية المتطرفة يكرس عمله السياسي لتجميع اليهود في كل دول العالم للعمل على هدف واحد ووحيد وهو تدمير مصر دولة وحضارة وشعبا، وذلك منذ بداية السبعينيات حيث أنشأ موقعا الكترونيًا تحت

اسم "حاباد انفو" للتواصل مع كل يهود العالم، حيث يدعوهم الى الوحدة والتواصل مع يهود إسرائيل ودفع التبرعات، ويعمل داخل إسرائيل على إقناع كل طوائف اليهود نساء ورجالاً وأطفالا من أجل هذا الهدف الذي يراه من وجهة نظره عملاً يرضى الرب، ودعا شموئيل الجيش الإسرائيلي إلى القيام بعمل عسكري على الفور فى سيناء .

وستبقي دعوة إزالة إسرائيل كابوس يؤرق اليمين المتطرف هناك، ومدخل هام في إطار الحرب النفسية كإستراتيجية طويلة المدي إلي أن يتحقق الهدف علي أرض الواقع، ودون أن يكون هناك تعجل للزمن أو ضغطًا علي السياسين أو تخونهم أيا كانت الأسباب ،وأن كانت الأخفاقات المتتالية قاسية؛ فعجلة دورن موازين القوة مهما تأخرت هي في صالحنا؛ فهذه الأمة رغم مخططات التقسيم القائمة، والقادمة ستعود للتلاحم التلقائي من جديد، ورغما عنهم مع دورات التاريخ.

* **مفهوم إزالة إسرائيل:** ويقصد بالإزالة محو القدرات العسكرية، وتفكيك الدولة الصهيونية، والقضاء علي أحلام الغزو، وأوهام السطرة علي مقدرات الأمة العربية ، دون أن يكون ذلك مقترنًا بإيذاء للمدنيين أيمانا بوحدة الأصل الأنساني، وأحتراما لحرمة النفس البشرية، وذلك حسب القيم العربية المستمدة من روح الإسلام الحنيف، فقضيتنا هي عودة الأرض المغتصبة وفقا لمعايير العدالة لنبرهن للعالم أن مشروع التحرير القومي يمر عبر بوابة الأخلاق ، وحقوق الإنسان، والتي تصر القوي العالمية الكبري علي طمسها في نظام عنصري يحكم هذا العالم من فوق منبر الأمم المتحدة،هذا مع التأكيد أنه لا عداء لليهودية كدين مع اتباعها، ولكن الصراع مع للصهيونية، والأستعمار، والمغتصبين حتي يعم العدل والسلام في الشرق الأوسط.

٢ – **تفعيل دبلوماسية التعويضات:** ويجب علي الصعيد الدبلوماسي أن تقوم الخارجية المصرية بإعادة تفعيل ملف التعويضات عن خسائر مصر جراء غزو سيناء لقد

أشارت بعض التقديرات الدولية أن خسائر مصر المالية المباشرة وغير المباشرة جراء حروبها الأربع مع مصر ربما تصل ألف مليار دولار ولا يجب هنا التوقف عند الدلالة الإحصائية للرقم فهو قد يتأرجح صعودا وهبوطا حسب التقديرات ودون تناغم، لأن طرق الرصد والتقدير قد تختلف من اقتصادي لآخر ، وسوف نري فيما بعد ذلك، تكمن القضية في الأساسية في كشف إسرائيل وفضح ممارستها الاستعمارية المدعومة بالتحريض الغربي من قبل بعض الحكومات .

نشرت جريدة الفجر في عددها الصادر ٢٠١٢/١/٨، أن هيئة الأمم المتحدة نقلت إلي الإدارة الأمريكية تقريرا عن مطالبات مصرية تجاه إسرائيل بواقع ٥٠٠ مليار دولار تعويضات عن تعطيل كل سبل الحياة والتقدم في شبه جزيرة سيناء التي تمثل ٦% من مساحة مصر وكذلك مدن السويس والإسماعيلية وبورسعيد والدلتا خلال فترات عدوان الحروب الإسرائيلية علي مصر لاتخاذ قرار سياسي دولي من الكشف عن التقرير أم إبقائه طي المباحثات السرية.

وذكر التقرير الصادر . في ٧٥٠ صفحة من الحجم الكبير ومرفق به ١٩٠ خريطة جغرافية بيانية للأراضي المصرية التي تناولها التقرير، أن حكم الرئيس المخلوع حسني مبارك تقاعس بالقصد عن مطالبة إسرائيل بتفعيل المادة الثامنة من معاهدة السلام الموقعة بين مصر وإسرائيل في مارس ١٩٧٩ والتي ذكرت: "يتفق الطرفان علي إنشاء لجنة مطالبات للتسوية المتبادلة لجميع المتطلبات المالية" وأن الإدارة المصرية الحالية تطالب بتفعيلها علي الفور، حسبما قالت صحيفة روزا اليوسف، وسواء كان هذا المطلب تم بالفعل أم لا، المهم هو تفعيل هذا الطرح من جديد وباستمرار.

لقد دمرت إسرائيل الشعاب المرجانية المصرية ونقلت ٤٠ % من الحياة البحرية بطريقة إعادة الزراعة حول شواطئها كما استغلت كل منتجات البترول المستخرجة من سيناء لخدمة عجلة الحرب والصناعة والاقتصاد الإسرائيلي عن الفترة ذاتها،و سرقت ربع ثروة سيناء من الصخور الثمينة والرخام في عمليات تعدين ونقل عملاقة غير مسبوقة وأخلت منجمين للذهب في سيناء وأفرغتهما من محتواهما بالكامل،وقامت قوات الجيش

الإسرائيلي بنهب كل فروع البنوك المصرية التي كانت موجودة في قطاع غزة قبل يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ومنها البنك الأهلي المصري فرع غزة وبنك الزراعة، أضف إلي ذلكقياها بسرقة كل محتويات متاحف سيناء المصرية وعدد من القطع نقلتها من متاحف مدن القناة كما نقبت واستخرجت سرا آلاف القطع الأثرية من سيناء وتركت المواقع الأثرية حطاما وهو البند الذي سينقل للبحث فيه بواسطة منظمة اليونسكو الدولية حال الموافقة علي طرح التقرير للنقاش، علاوة علي ملايين الأطنان من الرمال الصالحة للاستخدام الصناعي والتجاري خاصة في الصناعات الزجاجية وباعت علي مدي أعوام الاحتلال صخوراً وأحجاراً صناعية من سيناء بما يعادل ٤٩ مليار دولار بسعر اليوم، علاوة علي الاستغلال السياحي لمناطق شرم الشيخ وسواحل سيناء.

قامت إسرائيل بتجفيف ٣٠ % من آبار المياه العذبة في سيناء حتي تحدث تغييراً في الديموجرافية السكنية حول المياه، واستغلت أعوام الحرب والاحتلال وأنشأت شبكات عميقة من أنابيب المياه الجوفية التي مازالت مدفونة حتي الآن في سيناء، ولا تزال تشكل بالنسبة لإسرائيل ٣٠ % من مصادر المياه التي تحصل عليها بلا مقابل بسبب البنية الجغرافية لسيناء التي تنحدر ناحية إسرائيل بشكل طبيعي، كما أنها أقامت مراكز لتجميع المياه تحت الأرض علي الحدود المصرية، وقامت بالاستغلال الزراعي للأراضي المصرية، كما أجرت معظم بحوثها الخطرة علي الزراعة في الأراضي الصحراوية في سيناء، وهذا قد يفسر سبب التلكؤ المصري في عهد مبارك نحو أعمار سيناء، واستكمال المشروعات الزراعية بها، مما قد يشي بأن الأمر كان بمثابة تواطأ أو عمالة لتمكين اليهود من سرقة المياه علي حساب الوطن.

هناك بعض التقارير تشير إلي أن إسرائيل قامت بقتل ٢٥٠ ألف مصري مدني وعسكري خلال حروبها علي مصر مجتمعة، ولكن هذا الأمر يجب أن يكون محل مراجعة، وأن تعلن الجهات الرسمية الحقيقة لأنه من الصعب الاعتماد فيه علي تقارير مسربة، لأن الرقم المعلن لضحايا مصر هو ١٠٠ ألف شهيد مصري وبغض النظر عن دقة ما نشر فالأمر كله استرشاديا لعرض مخالفات قانونية وأعمالا إجرامية مارستها إسرائيل ضد المصريين والعرب.

أحدثت إسرائيل إصابات بحوالي مليون مواطن آخر من سكان سيناء ومدن القناة والدلتا ومن خاضوا الحروب المصرية، ومنهم الأسري الذين تم قتلتهم خلال الحروب بدم بارد في عدة مذابح لعدد ما يقرب من ١٥ ألف مصري مدني وعسكري، هذا نوعا من جرائم الحرب التي لا تسقط بالتقادم ، أضف إلي ذلك أن إسرائيل لغمت ٢% من مساحة شبه جزيرة سيناء وأن تلك الألغام لاتزال مزروعة ولم تسلم إسرائيل خرائطها حتي اليوم مع أن معاهدة السلام بين البلدين نصت علي ذلك فورا ومع العلم أن هناك العشرات قضوا حياتهم بسبب الألغام في سيناء، وهذا يؤكد سوء النية.

يعد قصف القوات الجوية الإسرائيلية لطائرة الخطوط الجوية الليبية البوينج ٧٢٧ التي كانت تقوم بالرحلة رقم ١١٤ بين القاهرة وطرابلس بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٧٣، من الجرائم التي تعكس أنتهاك قوانين الطيران المدني، بعد أن قامت الرادارات الإسرائيلية بالتشويش في ذلك اليوم علي أجهزة الطيران المصرية المدنية بينما كانت هناك عاصفة رملية مما تسبب في جنوح الطائرة للمجال الجوي فوق سيناء ، حيث قصفتها طائرة إسرائيلية مقاتلة من نوع إف ٤ فانتوم وقتل علي متنها ١١٣ مدنياً كان بينهم المذيعة المصرية الشهيرة سلوي حجازي ووزير الخارجية الليبي،صالح بويصير، وهي جريمة لاتقل عن حادثة لوكربي الشهيرة ،علما بأن طاقم الطائرة الليبية كان فرنسيا بموجب اتفاقية خاصة بين ليبيا وفرنسا وقائدها يدعي "جاك بورجييه" ولم ينجوا من طاقمها سوي مساعد الطيار ليبي الجنسية مع أربعة ركاب آخرين، وفي هذا الصدد يوجد توثيق لأمر قصف الطائرة الليبية موقع من رئيس الأركان الإسرائيلي وقتها "دافيد بن إليعازر" كما توجد شهادة بذلك من هيئة الطيران المدني الفيدرالية الدولية مما يساند الطلب المصري.[١]

تتطلب المصلحة الوطنية ملاحقة إسرائيل قضائيا وهذا دور مشروع للدبلوماسية المصرية، للحصول علي تعويضات، وهناك حالات مثل دولية، فألمانيا دفعت تعويضات لليهود نتيجة لما تعرض له اليهود من قبل النازيين عقب الحرب العالمية الثانية، كما أن ألمانيا دفعت تعويضات في تفاقية لوكسمبورغبين إسرائيل وجمهورية ألمانيا الاتحادية,تم

---

[١] ونشر هذا المضمون في محيط شبكة الإعلام العربي ٥، ٢٠١٣/١/٦ ، وبعض الجرائد الأخري ، ولكن يبقي الأمر محل تدقيق وأن كانت الفكرة صائبة من حيث المبدا

التوقيع عليها في سبتمبر ١٩٥٢والتزمت ألمانيا فيها بدفع تعويضات لليهود الناجين من الهولوكوستولدولة إسرائيل باعتبارها الدولة التي ترث حقوق الضحايا اليهود والتي تعتني بتأهيل أغلبية الناجين اليهود، في إطار هذه الاتفاقية دفعت جمهورية ألمانيا الاتحادية لدولة إسرائيل ما يقدر بـ ٣ مليارات مارك ألمانيغربي في غضون ١٢ عاما ما بين عام ١٩٥٣و١٩٦٥، كذلك التزمت حكومة ألمانية بدفع معاش شهري لكل يهودي أينما كان، إذا أثبت تعرضه لمطاردة الحكم النازيفي أوروبامنذ ١٩٣٣وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

وحينما وقعت الاتفاقية كانت الجمهورية الاتحادية مكونة من محافظات ألمانيا الغربيةفقط، ولذلك نصت الاتفاقية على دفع ثلثين من مبلغ التعويضات، بينما ألقيت مسؤولية دفع الثلث الباقي على الجمهورية الألمانية الديمقراطية، أي ألمانيا الشرقية .ولم يتم دفع باقي المبلغ إلا بعد إعادة توحيد ألمانيافي ١٩٩١.

ألزمت الأمم المتحدة العراق بدفع تعويضات للكويت بسبب الأضرار التي سببها عدوان صدام حسين علي الكويت عام ١٩٩٠ ويذكر أنه فرض علي العراق دفع ٥% من عائداته النفطية لصندوق التعويضات الدولي الخاص بالأضرار التي أحدثها خلال غزوه للدولة الخليجية الغنية بالنفط عام ١٩٩١، وهو ما قدر بمبلغ ٥١ مليار دولار، وليبيا دفعت تعويضات قيمتها ٢.٧ مليار دولار من البنك الوطني الليبي إلى حساب في بنك التسويات الدولية ومقره سويسرا، بسبب حادث لوكربي الذي وقع عام ١٩٨٨ لطائرة أمريكية فوق بلدة لوكربي الاسكتلندية، وذلك بمبلغ عشرة ملايين دولار لكل أسرة من اسر الضحايا.

دور الخارجية المصرية الآن بشأن هذه الملفات يتلخص في كشف هذه الحقائق من جديد أمام الرأي العام العالمي عبر الطرق الدبلوماسية، وإعادة طرح القضية علي الأمم المتحدة فقط دون مجلس الأمن حتي نتجنب الفيتو الأمريكي، وذلك للوصول لمحكمة العدل الدولية حيث أن إسرائيل مارست جرائم حرب بقتل الأسري المصريين وإسقاط الطائرة الليبية، وعمليات سطو مسلح علي ثروات سيناء، ولم تطبق البند الثامن في معاهدة السلام فيما يتعلق بالبنود المالية.

يمثل الحصار الإلكتروني والديموجرافي والدبلوماسي والقانوني والإعلامي أحد أهم الأوراق المتاحة حاليا للتمهيد لتفتيت إسرائيل، فمع تغير خريطة العالم في العقود القادمة، وبشائر تراجع الدور الغربي نتيجة لما تعانيه دوله من مشاكل اقتصادية وأزمة متلاحقة، سوف تكون المعادلات الدولة القائمة في صالح استعادة كافة الحقوق العربية المغتصبة، فما تماطل فيه إسرائيل اليوم سوف تتمني مستقبلا أن تقدم أضعافه من أجل بقائها علي الخريطة.

٣- **مواجهة الدول العنصرية:** توجد علي الصعيد الدولي بعض الدول التي تحيك الشر لمصر والعرب علي رأس هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا هي من طلائع الدول التي تقف ضد الحق العربي وتستهدف مصر بأعمال عدائية كبري في الخفاء والباطن علي الرغم من تقديرنا كعرب للضارة الغربية ورغبتنا الحقيقة في العيش بسلام مع كل الدول، ولكن استمرار تلك الدول في استهداف مصر يلزمنا حق الرد والدفاع عن النفس نقل الصراع الطائفي والعرقي داخل هذه الدول من خلال الدبلوماسية الناعمة وجمعيات حقوق الإنسان، وبنفس الطريقة التي يتبعونها في هدم دول الشرق الأوسط، علي أن تكون البداية ببث المواقع الإلكترونية وتقارير لبعض الجمعيات الأهلية التي تؤسس لذات الغرض، وذلك بعيد عن الحكومات ولو ظاهريا ، حتي لانضع حكوماتنا في حرج مع دول لاقبل لنا بها، يجب تقسيم الأدوار في هذا الصدد، فهم مشكورين قدموا لنا تلك الوصفة المجربة ، وسوف نستعرض بعض النماذج والصراعات الداخلية بتلك الدول لكي يبدأ العمل تحت عنواين براقة وذات صبغة إنسانية كما يفعلون، لينتقل الإداء من حالة التخبط والأرتباك إلي مرحالة الضرب تحت الحزام، بالطبع لن يصلح لتلك المهام العشوائين والمسطحين، بل يحتاج الأمر لنوعية من البشر تجيد الدبلوماسية الشعبية وقوة البيان والقدرة علي المناورة ومن هذه الدول:

* **الولايات المتحدة الأمريكية:** لقد أشار محمد جمال عرفة إن الأمريكان أخذوا يتحدثون كثيراً منذ سنة ١٩٦٠م عن سلطة خامسة قوية لدرجة أن السلطات الأربع

الأخرى: الكونجرس والقضاء والصحافة والرئاسة تنحني أمامها، وكان البعض يعتقد أن المقصود بهذه القوة الخامسة هي الجيش الأمريكي، علاوة علي سلطة سادسة هي التي يمارسها محترفي إجرام يعملون في خدمة الصناعيين والسياسيين من غير الشرفاء، ويقول مؤرخون آخرون: إن تاريخ الولايات المتحدة منذ نشأتها حتى الآن يقوم على القتل والجرائم والشر منذ احتلال أرض الهنود الحمر وإبادتهم، وحتى التحرك للاستعمار الخارجي والسيطرة على ثروات أمم أخرى.

وقد عبر بول نيتش رئيس جهاز التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية عام ١٩٥٠م عن هذا، بقوله: " تمتلك الولايات المتحدة قوة كونية، لهذا سيكون من الضروري أن نحدد لنا عدواً كونياً، وعلينا أن نضفي على هذا العدو كل صفات الشيطان، بحيث يصبح كل تدخل أو عدوان للولايات المتحدة مبرراً مسبقاً، وكأنه عمل دفاعي تجاه خطر يشمل الأرض كلها، وترتب على هذا بالطبع أن جنود أمريكا أصبحوا يستشعرون نوعاً من الحصانة أو الحماية التي تمنع مساءلتهم عما يفعلون ولو قتلوا ولو نهبوا وكثرت جرائم الحرب الأمريكية في العالم حتى فاقت الـ ١٠٠ جريمة كما أحصاها بعض المؤرخين في القرن العشرين ، ولذلك رفضت الولايات المتحدة الانضمام إلى معاهدات دولية تحاكم من ينتهكون حقوق الإنسان أو يرتكبون جرائم حرب؛ لأن معنى هذا ببساطة أن تقدم بيدها جنودها وقادتها إلى هذه المحاكم.

وسبق أن نجح الأمريكان – عبر التهديد – في منع محاكمة وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد خلال وجوده في العاصمة البلجيكية بروكسل لحضور اجتماعات الناتو في يونية ٢٠٠٣ م بناء على القانون البلجيكي الذي يسمح بمحاكمة مجرمي الحروب فوق أراضي بلجيكا، عندما هددوا بالامتناع عن الدعم المالي لبناء المقر الجديد لحلف شمال الأطلسي في بلجيكا ما لم يتم سحب التهديد القضائي الذي يتعرض له بعض المسؤولين الأمريكيين الحاليين والسابقين بعدما تقدم عراقيون عبر محام بلجيكي بدعاوى قضائية في بلجيكا ضد الجنرال تومى فرانكس قائد القوات الأمريكية في حرب العراق، وطالبوا بتقديمه إلى المحاكمة بتهم ارتكاب جرائم حرب في العراق،بل أجبرت بلجيكا فيما بعد علي تعديل قانون محاكمة مجرمي الحرب علي أراضيها لاحقاً بضغوط أمريكية.

وقد تضمنت قوائم المسؤولين الأمريكيين قبل غزو العراق الذين وجهت إليهم

أصابع الاتهام بارتكاب جرائم حرب تومي فرانكس قائد القوات الأمريكية في العراق، والرئيس الأمريكي جورج بوش الأب، ونائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني، ووزير الخارجية كولين باول، والجنرال الأمريكي المتقاعد شوارسكوف، وعدد آخر من المسؤولين العسكريين الأمريكيين السابقين والحاليين، وتلك بعض نماذج الجرائم الأمريكية في العالم :

- – قاموا بإبادة ملايين الهنود الحمر، ويصل عددهم في بعض الإحصائيات إلى أكثر من مائة مليون، وهم السكان الأصليون لأمريكا، وبعدها أصدرت قرارًا بتقديم مكافأة مقدارها **٤٠** جنيهًا، مقابل كل فروة مسلوخة من رأس هندي أحمر، و **٤٠** جنيهًا مقابل أسر كل واحد منهم، وبعد خمسة عشر عامًا، ارتفعت المكافأة إلى **١٠٠** جنيه، و **٥٠** جنيه مقابل فروة رأس إمرأه أو فروة رأس طفل، هذه هي الحضارة الأمريكية ، وأصدرت بعد ذلك قانونًا بإزاحة الهنود من أماكنهم إلى غربي الولايات المتحدة؛ وذلك لإعطاء أراضيهم للمهاجرين وهُجّر إلى المناطق الجديدة أكثر من **٧٠.٠٠٠** ألف هندي، فمات كثير منهم في الطريق الشاق الطويل، وعرفت هذه الرحلة تاريخيًا: برحلة الدموع، وفي عام **١٧٦٣**م أمر قائد أمريكي برمي بطانيات كانت تستخدم في مصحات علاج الجدري إلى الهنود الحمر؛ بهدف نشر المرض بينهم، مما أدى إلى انتشار الوباء الذي نتج عنه موت الملايين، ونتج عن ذلك شبه فناء للسكان الأصليين في القارة الأمريكية. إنها حرب جرثومية بكل ما في الكلمة من معنى، فكانت هذه الحادثة هي أول وأكبر استخدام لأسلحة الدمار الشامل ضد الهنود الحمر،وجاءات شهادة القسيس لاسكازاسكأحد الشهود العيان: " لقد تم قتلهم با أبشع الطرق لقد ذهب نتيجة ذلك الإرهاب المنظم أكثر من مائتان مليون إنسان أو أكثر أو اقل لا احد يمكن إن يعطى رقما دقيق "[1]
- – في مايو **١٩٤٥**م: قصف الطيران الأمريكي مدينة (درسدن) الألمانية رغم أن

---

[1] يزن احمد ، الحوار المتمدن،العدد: ٢٩٧٧ ، تحت عنوان :الارهاب, الحرب والسلام، ١٦/ ٤/ ٢٠١٠

الزحف الروسي كان قد تجاوزها ولم تعد لهذا السبب تشكل هدفاً عسكرياً، وقد أدى القصف إلى قتل ١٥٠ ألف شخص مدني، كما تخرب ٦٠% من أبنيتها .

- – أوائل ديسمبر سنة ١٩٤٣م: البحرية الألمانية تغرق الباخرة الأمريكية (S/S John Harvey)في عرض البحر، وتبين أنها كانت محملة بمائة وخمسين طناً من غاز الخردل، فهلك من جراء انتشار هذا الغاز في جو المنطقة ومياهها خمسة وسبعون بحاراً، إضافة إلى خمسة وأربعين طناً من الأسماك طفت على وجه المياه .

- أغسطس ١٩٤٥م: أمر الرئيس الأمريكي (ترومان) بإلقاء قنبلة ذرية على مدينة هيروشيما اليابانية التي أودت بحياة (٧٨١٥٠) شخصاً، إضافة لعشرات المشوهين .

- أغسطس ١٩٤٥م: أمر الرئيس الأمريكي (ترومان) بإلقاء القنبلة الذرية الثانية على مدينة (ناكازاكي) اليابانية فحصدت (٧٣٨٨٤) قتيلاً، و(٦٠.٠٠٠) جريح مع إبادة كاملة لكل حيوان وحشرة ونبات .

- – عام ١٩٤٩م الولايات المتحدة تشعل حرباً أهلية في اليونان ذهب ضحيتها ١٥٤ ألف شخص، وأودع حوالي ٤٠ ألف إنسان في السجون، و٦ آلاف أعدموا بموجب أحكام عسكرية، وقد اعترف السفير الأمريكي ا في اليونان (ماكويغ) بأن جميع الأعمال التكنيكية والتأديبية الكبيرة التي قامت بها الحكومة العسكرية في اليونان في المدة ما بين عام ١٩٤٧ . ١٩٤٩م كانت مصدّقة ومهيأة من واشنطن مباشرة.

- – عام ١٩٦٤م: قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالأعمال العدوانية المسلحة ضد لاوس بهدف دعم الحكومة الموالية لها. شارك في هذا العدوان ٥٠ ألف جندي وضابط من الجيش الأمريكي و١٥٠٠ طائرة، و ٤٠ سفينة حربية، واستخدمت أمريكا أيضاً السلاح الكيماوي بصورة كبيرة.

- – عام ١٩٦٩م: قتل كولبي كبير ممثلي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في فيتنام شخصياً، وفق برنامج فينيكس أي التصفية الجسدية نحو ١٨٠٠ شخص شهرياً في

فيتنام الجنوبية، وبلغ مجموع ما قتله ٤٠ ألف شخص، وتسببت حرب فيتنام في مقتل ١٦٠ ألف شخص، وتعذيب وتشويه ٧٠٠ ألف شخص، واغتصاب ٣١ ألف امرأة، ونُزعت أحشاء ٣٠٠٠ شخص وهم أحياء، وأحرق ٤٠٠٠ حتى الموت، وهوجمت ٤٦ قرية بالمواد الكيماوية السامة.(١)

ويستمر بعد ذلك بعض متعصبون الأمريكان في نشر التعصب ضد الإسلام وأن اليمين المتطرف يقف وراء تصاعد ظاهرة التخويف من الإسلام في بلادنا، من خلال خبراء التضليل الذين يواصلون العمل ليلا ونهارا لموافاة الملايين من الأمريكيين بمعلومات خاطئة عن الإسلام من خلال متعصبين ناشطين وفعالين وشركاء إعلاميين وتنظيم عميق الجذور. إن هذا النشر للكراهية والتضليل يبدأ في المقام الأول بخمسة أشخاص رئيسين ومنظماتهم التي تتلقى التمويل من مجموعة من مؤسسات كبيرة.

وهناك تكويل علي اساس طائفي وقد جمع المتطرفين أكثر من (٤٠) مليون دولار أمريكي أتت من سبع مؤسسات خلال (١٠) أعوام لخبراء التضليل والمؤسسات التي تمول خبراء التضليل: صندوق كبار المانحين، مؤسسة ريتشارد ميلون سكيف؛ مؤسسة ليند وهاري برادلي؛ مؤسسة نيوتن وبيكر روشيل، الوقف الخيري لنيوتن وروشيل بيكر، مؤسسة روسل بيري، صندوق الملاذ الخيري، وصندوق ويليام روزنوولد العائلي، مؤسسة فيربروك.(٢)

و هنالك خمسة خبراء يختلقون وقائع ومواد كاذبة يستغلها السياسيون والزعماء وجماعات القواعد الشعبية ووسائل الإعلام، هم: فرانك غافني Frank Gaffney بمركز السياسات الأمنية، ديفيد يروشالمي David Yerushalmi بجمعية الأمريكيين من أجل الوجود القومي، دانيال بايبس ب Daniel Pipes منتدى الشرق الأوسط، روبرت سبنسر

---

(١) محمد جمال عرفة، موقع المسلم ، ١٤٢٥/٣/٢٩ ، من b حتي h،

http://www.almoslim.net

٤ لي فانغ،سكوت كيز، فيض شاكر، لي فانغ ، سكوت كيز، فيض شاك ، واخرين ، (الإسلام الإسلاموفوبيا) جذور شبكة التخويف من الإسلام في الولايات المتحدة أغسطس ٢٠١١

www.americanprogress.org

Robert Spencer صاحب منظمة 'جهاد ووتش' و'منع أسلمة أمريكا، ستيفن إيمرسون Steven Emerson صاحب مشروع التحقيق في الإرهاب.

ويجوب هؤلاء الخبراء أرجاء الولايات المتحدة ويعملون لدى المجالس التشريعية أو يشهدون زوراً أمامها في مختلف الولايات طمعاً في أن يتم فرض حظر على تهديد ليس له وجود أصلاً؛ يتمثل في تطبيق الشريعة في أمريكا زاعمين أن الغالبية العظمى من المساجد في الولايات المتحدة إما تؤوي الإرهابيين الإسلاميين أو تتعاطف معهم، وتتمدد الحركة على نحو واسع ومؤثر في أكثر من (٢٣) ولاية، على شكل مجموعات يسيطر عليها الخوف من الإسلام، وتجسدها بريجيت غبرائيل في منظمتها Act For America!.

* **التصدي للجرائم الأمريكية**: ومن الشطط أن يتصور احد أنه بمقدور دولة علي مستوي العالم مواجهة الولايات المتحدة وأن كانت الحقائق تؤكد ان انهيارها يمكن سوف ياتي من الداخل أو التصادم مع دولة نووية وربما يكون الخيار النووي مرفوض من أي أنسان عاقل نظرا لأنه يمحي البشر، وأن كانت الحكومة الأمريكية قد تسلحت بهذا الخيار الشيطاني في مواجهة العالم وأرهاب الدول فالولايات المتحدة الأمريكية بها مشاكل طائفية تهدد تماسكها ، فحسب الإحصاءات الرسمية الأمريكية يوجد بها عدد من الحركات الانفصالية؛ فالهنود الحمر السكان الأصليون للجزء الشمالي من القارة الأمريكية، والذين يطالبون بالاستقلال وتأسيس دولتهم المستقلة، هم ممثلو القبيلة الهندية (لاكوتا) التي تشكل أغلبية سكانية في عدة ولايات أمريكية تزيد مساحتها عن ضعفي مساحة فرنسا، هي ولايات، نبراسكا، داكوتا الجنوبية، داكوتا الشمالية، مونتانا وفايومينغ، وقد أعلن هنود لاكوتا في ٢٠٠٨ عن رفضهم من طرف واحد كل الاتفاقيات الموقعة مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، وأعلن زعيم الانفصاليين راسسيل ميللز أن قبيلته والقبائل الأخرى التي تعيش في الولايات المذكورة أعلاه لا تعترف بالاتفاقيات الثلاث والثلاثين التي وقعها أسلافه منذ مئة وخمسين عاماً وقد جند ميللز خيرة الحقوقيين الأمريكيين الذين أثبتوا أن حكومة الولايات المتحدة تخرق دائماً شروط الاتفاقيات،

وأن ذلك يعطي الحق لاعتبار أن هذه الوثائق قد فقدت قيمتها.وحسب الدراسات الرسمية الأمريكية، هناك الكثير من البؤر الانفصالية في أمريكا كما يلي: [١]

- ولاية تكساس التي تتمتع بخصوصية قانونية تشرع لغتين رسميتين في الولاية، عدا الانكليزية اللغة الرسمية للبلد هناك الاسبانية لغة رسمية أيضاً، وللولاية ذاكرة تاريخية جيدة مع أيام الحرية البيضاء فبعد ستة أشهر من الحرب مع المكسيك من أجل الاستقلال، أعلنت جمهورية تكساس، التي حافظت على سيادتها من عام ١٨٣٦ حتى عام ١٨٤٥ ونتيجة الوضع المالي الصعب والنزاعات العسكرية مع المكسيك انضمت تكساس إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لكن تكساس الآن هي الولاية الثانية في الولايات المتحدة من حيث المساحة، ومن حيث وضعها الاقتصادي، فإذا ما أصبحت هذه الولاية مستقلة فإن جيرانها سيضطرون للتعامل معها بجدية تامة.

- كاليفورنيا أكثر ولاية تدفع ضرائب، وهذا ما يولد طبقة من الحانقين علي الإتحاد، ويشكلون القاعدة المناسبة والخصبة لنشطاء حزب كاليفورنيا الانفصالي، الذين وضعوا هدفاً لهم هو تأسيس دولة جديدة هي جمهورية كاليفورنيا، والمفارقة أن أحد أهم أنصار الاستقلال هو حاكم الولاية أرنولد شفارتسينيغير وهو حاكم الولاية الوحيد في أمريكا، الذي يوقع معاهدة دولية، مع بريطانيا ممثلة برئيس وزرائها السابق طوني بلير، تاريخ الولايات المتحدة لا يعرف مثل هذا الحدث وسوف يأتي بعده آخرين لديهم نزعة استقلالية ومثل هؤلاء هم من سيحققون الهدف.

- مدينة نيويورك:قدم عضو مجلس المدينة بيتر فالوني عام ٢٠٠٦ اقتراحاً لتأسيس مدينة نيويورك الحرة، للتذكير فقد كانت نيويورك مدينة حرة أواسط القرن التاسع عشر، على أعتاب الحرب الأهلية ويعتبر الأب الروحي لحركة نيويورك الانفصالية

---

[١] تقريرد. فريد حاتم الشحف ، جريدة الثورة تصدرعن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، ٢٠٠٩/٨/٦.

محافظ المدينة فيرناندو بود، وقد أيد مبادرة فالوني نصف أعضاء مجلس المدينة تقريباً، لم يتخذ قراراً بهذا الشأن، لكن هناك نصف أعضاء مجلس مدينة نيويورك كانوا يريدون الانفصال ويمكن أن تلقي هذه الدعوة أغلبية مع الوقت .

وكما صرح المفكر الأمريكي ستيفين كوهين فإن الإدارة الأمريكية، ولفترة طويلة لم تكن تريد الكشف عن هذا التقرير إلا أنها اضطرت لنشره عام ٢٠٠٨، إن الولايات تعتبر الأكثر تعرضاً للانفجار لكن نيويورك ليست الوحيدة، التي تتركز فيها الحركات الانفصالية،حيث تعمل في ولاية مين حركة (الحرية لمين) والمؤثرة داخل الولاية من بين أنصارها نائب حاكم الولاية، يسانده حوالي ٢٠٪ من السكان الآن، وفي ولاية نيو-غيمبشير تناقش بشكل جدي احتمالات تأسيس جمهورية نيوغيمبشير والمباردة تأتي من الأعلى كذلك، من نائب حاكم الولاية وفي ولاية فيرمونت التي ذاقت طعم الاستقلال من عام ١٧٧٧حتى عام ١٧٩١، يختار الانفصاليون أحد الاسمين لولايتهم: إما جمهورية فيرمونت الثانية،، وإما جمهورية الجبال الخضر.

المكسيك لا تخفي دعمها للمجموعات الانفصالية الأمريكية – اللاتينية الكثيرة، التي تعمل في المناطق الواقعة غرب نهر المسيسيبي، ومستعدة للعمل جبهة واحدة من أجل تأسيس المكسيك الجديدة، التي ستشمل على الأقل مساحة أربع ولايات أمريكية، وستخلق مشكلات لولايات أخرى مجاورة، إضافة إلى ولاية ميتشيغان، التي تقسمها بحيرة مسماة بهذا الاسم، حيث إن أغلبية الجزء الشمالي هم فنلنديو الأصل، ويعتبرون أنفسهم جزءاً من فنلندة (يشكل الفنلنديون ٧٠٪ من السكان) ويعلنون من فترة إلى أخرى انفصالهم عن الولاية مشكلين حكماً ذاتياً. [١]

* **بريطانيا:** تواجه بريطانيا أزمات طائفية داخلية قابلة للتجديد ، ويعتبر الدين أساس الصراع، حيث يبلغ تعداد سكان أيرلندا الشمالية أقل من مليونين، وأكثر من ٥٠% ينتمون إلى التوجه البروتستانتي، ومن ثم يأملون في البقاء على انتمائهم

[١] تقريرد. فريد حاتم الشحف ، مرجع سابق

للمملكة البريطانية المتحدة، بينما تشكل البقية الباقية (أقل من ٥٠%) الكاثوليك الرومانيين الذين يأملون بدورهم في الالتحاق بالأغلبية الكاثوليكية (٣.٥ ملايين) الموجودة في جمهورية أيرلندا بالجنوب. وقد كان التاريخ البريطاني يلعب دوره في إذكاء الفتن بين البروتستانت والكاثوليك في الجزيرة الأيرلندية و إذا كانت قد وقعت في االعاشر من إبريل ١٩٩٨ اتفاقية سلام مع أحزاب ايرلندا الشمالية لإنهاء ثلاثين عاما من الصراعات الأهلية فى المنطقة و تحقيق التجانس السلمى ولكن هناك أحزاب ترفض السلام وتسعي للإنفصال وخاصة حزب شن فن (SF) وهو حزب كاثوليكى قومي يناضل من أجل الاستقلال عن بريطانيا و الانضمام إلى جمهورية ايرلندا، وقد استخدم الحزب العنف كثيرا فى سنوات الصراع الماضية، وكان محلا للانتقاد من جراء ذلك ، وكذلك حزب جمهورية ايرلندا ومثلها التاوسيخ آهرن،ومنذ تأسيسها وهى تطالب بباقى أراضيها فى الشمال كجزء لا يتجزأ من جزيرة ايرلندا. وبالتالى بإنهاء علاقة الوحدة بين ايرلندا الشمالية وبريطانيا. و حزب أولستر الاتحادى (U.U.P) و هو حزب الاغلبية البروتستانتيه فى الشمال وينادي ببقاء الوضع السياسى على ما هو عليه، أى إبقاء ايرلندا الشمالية كجزء من بريطانيا، مع وضع حد للعنف و التصادمات الدامية.[١]

وتمثل قضية الصراع مع الأرجنتين من أحد اهم متطلبات الشعب الأرجنتيني نحو استعادة أرضه وجزر المالوين المحتلة من قبل بريطانيا عام ١٨٣٣ وهي المعروفة بجزر الفوكلاند، فلا يمكن أن تتحتل بريطانيا جزر تبعد عنها ١٤ ألف كليو متر وتدعي ملكيتها، يجب بث الروح الوطنية من جديد وخاصة أن الأرجنتين قامت بمحاولات لإستعادت حقوقها عام ١٩٨٢ في حري استمرت ٧٤ يوما، كانت كل القوي الغربية تدعم بريطانيا علي حساب الحق الأرجنتيني وهوماسوف يساعد علي تجيش دول أمريكا الاتينية خلف الحق ضد الغرب ومن ثم تقع بريطانيا تحت مرمي الطائفية وتقف في خندق الصراعات الدولية.

---

[١] عزو محمد عبد القادر ناجي ، الحوار المتمدن، دراسات و ابحاث في التاريخ والتراث واللغات ، العدد: ٢١٩٦ – ٢٠٠٨/٢/١٩.

* **فرنسا:** تاريخ فرنسا الدموي حافل بالجرائم ضد الإنسانية ففي الثورة الجزائرية ما بين 1954 م ضد الاحتلال الفرنسي المجرم، ونتج عن تلك الثورة استشهاد ٩٦٠ ألف جزائري حسب المؤرخين (١.٥ مليون حسب الحكومة الجزائرية [١] وفرنسا دولة تمارس سياسية عنصرية وتدعم الطائفية ويكفي انها دعمت الهوتو في رواند لقتل ٨٠٠ ألف توتسي علاوة علي المذابح .

وتظهر في فرنسا مشكلة بلاد الباسك أو بلاد البشكنش هو إقليم ضخم يمتد عبر جبال البيرينييه الغربية على الحدود ما بين فرنسا وإسبانيا تصل وإقليم بلاد الباسك يتحدث باللغة الباسكية Euskadi يقع بشقيه في شمال شرق اسبانيا وجنوب غرب فرنسا، يبلغ تعداد سكان شقه الاسباني نحو مليونين و١٢٣ الفا وتبلغ مساحته٧٢٣٤ كيلومترا، فيما يبلغ تعداد شقه الفرنسي نحو ٢٥٠ الف نسمة. واقليم الباسك هو احد الاقاليم السبعة عشرالتي تتمتع بالحكم الذاتي في اسبانيا بينها اثنتين من مدن الحكم الذاتي في شمال افريقيا هما سبته ومليلية المطلتين على مضيق جبل طارق وتعتبرهما المغرب جزءا من آراضيها .وعاصمة اقليم الباسك هي فيتوريا– غاستيز، وينقسم الاقليم الى ثلاث مقاطعات هي آلافا،وغيبوثكو وبيسكاي، ويمتد الإقليم حتى شاطئ خليج البسكاي، وتعتبر المنطقة بشكل عام منطقة تاريخية يقطنها شعب الباسك وهي تعد أصعب الغات بالعالم وهناك من يطالب بالانفصال عن إسبانيا وفرنسا، ومن أشهر المنظمات الانفصالية، الموصوفة بالإرهابية من طرف الجهات الرسمية، منظمة إيتا الانفصالية، من أهم مدن الإقليم مدينة بلباو وسان سباستيان وبامبلونا، ويعاني القوميين الباسك من سياسات التهميش والإضطهاد مثل الحزب الشيوعي للأراضي الباسكية وحزب العمل القومي الباسكي وهذه هي نقطة البداية للمواقع القترحة لبث سياسات الفتنة داخل الدول التي تحيك الشر للعرب. [٢]

---

[١] موقع ثقافة أنلاين ، http: www.thaqafaonline.com

[٢] فوزي توركر،منظمة وطن الباسك والحرية إيتا،موقع تركمان شاني، ١٧ مايو٢٠١٣ ، www.turkmensani.net

* **ألمانيا :** يمكن تذكير الألمان بمدينة دانتسيغ التي اقتطعت من ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية وضمت إلى بولندا وأصبحت تدعى حينئذ بـ "جدانسيك"، وذلك للإنتقام من موقف بولندا المناهض للحقوق العربية ومجرد نشوب نزاع بين المانيا وبولندا سيقسم القارة الأوروبية إلي معسكرين، ويمكن توجيه مواقع تستهدف النازين الجدد في ألمانيا، فهذه حركة متطرفة عنصرية سياسية ايديولوجية توصف بالنازية وتسمى أيضا بالفاشية الجديدة التي نشطت مؤخرا في الدول التي ينتمي غالبية سكانها من البشرة البيضاء في العالم وخاصة في أوروبا وتعرف هذه الحركة انها تتبع أهداف ومبادئ الحركة النازية تحت قيادة أدولف هتلر، وهذه الحركة سوف تحاول الضغط لإستعادة مدينة دانتسيغ وسوف تكون أول طلقة تفتت أوروبا

تعد تلك مجرد أمثلة فقد وهناك المزيد من بؤر الأختلاف داخل تلك الدول وسوف تسفر البحوث عن المزيد من النقاط التي سوف تؤجج الصراع داخل تلك البلدان وهذا لاياتي من باب التدخل في شؤن الغير ولكن لدرء الخطر في إطار حق الرد، فتلك البلدان هي التي عبرت عشرات الميال لغزو بلادنا وهدم ثقافتنا وتزكية الصراع في ذات الوقت الذي تمتد فيه أيدينا نحوهم بالسلام لتعزيز مبدأ الأخوة الفنسانية ولكن هيهات ان يستجيب المتعصبون والمتطرفون لنداء العقل وقيم العدالة التي نتمني بصدق ان تسود هذا العالم.

وعلي الساحة الدولية لاتزال روسيا تريد الأنتقام من الجروح العميقة التي تسببت فيها الولايات المتحدة لهما من خلال التخطيط لتقسيم الأتحاد السوفيتي السابق ومحاولات تفتيت روسيا نفسها إلي عدة دويلات بدعم الحركات الأنفصالية بداخلها، والصين تعاني من التدخل المريكي في أقليم التيبت ومحاولات منع عود هنج كنج الي الوطن الأم، ومن ثم ربما تعمل هذه الدول عن إحياء المشاكل الطائفية للدول الغربية لدرء الأخطار عن نفسها في إطار حق الرد علي محاولات تفتيتها.

***إفشال المخططات الطائفية للغرب**: السبيل الوحيد لدرء أخطار الطائفية في مصر والعالم العربي هو التمسك بمنهجية التعايش علي اسس عادلة في إطار الوحدة الوطنية ودولة القانون، وحاربة الفكر المتطرف بكل قوة تارة بالفكر وتارة بالقوة مع المتعصب العنيد، كذلك نشر الوعي بخطورة العلميات الأرهابية ضد الغربيين في الخارج فتلك العمليات علاوة علي همجيتها تضر بالصورة العامة للمسلمين وتعطي المتعصبين حجج تأليب الحكومات الغربية علينا دون داع.

ثالثا : الحل في الثورة الثالثة : أننا كعرب نمد أيدينا بأغصان الزيتون ، ولكننا نجدهم يطعنون ظهورنا بالخناجر ويدمرونا بلادنا في العراق وكل البلاد العربية والإسلامية، ليت السلام يسود العالم، ولكن بعض الأشرار مصممون علي دمار كوكب الأرض ومن ثم يحتاج العالم غلي ثورة جديدة لإنقاذ البشرية.

* **الثورة الصناعية :** نمح نموذج التورة الصناعة عام ١٧٧٦ العالم أملا في التطور ، وأتاحت الصناعة كما هائلا من المنتجات الصناعية، ولكن مع بالغ السي مثلث الآلة العسكرية حجما من المخرجات الصناعية يمكنه تدمير العالم عشرات المرات، وبدلا من أن تؤدي الثورة الصناعية إلي رفاهية البشر أسفرت عن نمو موجات استعمارية غربية قادتها أوروبا ليتم سلب، ونهب مقدرات الشعوب، ولحسن الحظ سقطت الدول الاستعمارية علي حافتي الحرب العالمية الأولي، و الثانية لتتحرر الدول من الاستعمار العسكري، ولكن الفكر الاستغلالي حول الغزو الاستعماري إلي صور اقتصادي أطاحت بمقدرات الدول النامية ليبقي التسلط كابوسا جاثما علي صدور الشعوب النامية.

* **ثورة الاتصالات:** وجاءت هذه الثورة في مطلع القرن الواحد والعشرين لتؤكد السيطرة العلمية والتكنولوجية الهائلة في كل مجالات الحياة بما حول العالم إلي قرية صغيرة، ورغم النمو الكبير مازال العالم يرضخ تحت سيطرة الدول التي تمتلك العلم والمال، ومازالت الأمور تتحرك وفقا لشريعة الغاب أذن ما هو الحل؟

* **الثورة الأخلاقية والقانونية:** يحتاج العالم إلي ثورة ثالثة أخري لكن ينعم بالاستقرار، وتتجلي صورة تلك الثورة المرتقبة في العدالة، ومبدأ سيادة القانون علي المستوي الدولي، فالثورة القانونية التي يجب الدعوة إليها هي التي سوف تقضي علي الحروب، والطائفية العنصرية، والتطرف؛ لأن تلك الحروب، والنزعات الأقليمة هي صناعة المتعصبين في كل الدول، ولن يقتنع اليمن المتطرف في الغرب وفي أرجاء أخري من العالم بأهمية تلك الثورة القانونية إلا بعد أن تزهق مئات الملايين من الأرواح نتيجة الحرب المباشرة أو جرأ الحروب الاقتصادية، نتيجة التصميم علي إفقار الدول الصغرى بهدف السطو علي مقدراتها.

أن الثورة القانونية أو العدالة حلماً بعيد المنال في ظل الظروف والأفكار الراهنة؛ ولكنها هي الخلاص الوحيد للبشر علي ظهر هذا الكوكب فالنظام العنصري المتبع في مجلس الأمن الدولي يلبي مصالح الدول التي تمتلك حق النقض (الفيتو) ومن هنا تحولت تلك المؤسسة الدولية في عملها إلي صورة من صور العصابات المتطورة التي تحكم العالم في أحيان كثير وقعاً لشريعة الغاب.

لقد ابتكرت الدول الغربية محكمة جرائم الحرب الدولية تحت شعارات حقوق الإنسان، وهي في الحقيقة شعارات كاذبة، و يقصد بها أن تفقد الدول السيادة الوطنية علي أرضها فمن السهل أن يتم تمويل مجموعات مسلحة لقلب نظام الحكم، وعندما تتصدي لها الدول تصبح أنظمتها الحاكمة معرضة لتهمة جرائم الحرب، ويمكن للدول المغرضة الدفع بفوضويين عبر الإعلام لضرب الاستقرار، وعندما يتم مواجهة الموجات العشوائية بالعنف تتعرض الحكومات لنفس التهمة، و هو ما يعني أن الصراع الاستعماري وجد منفذ أقوي يمكنه من تحطيم الاستقرار داخل الشعوب من أجل ضمان السيطرة الاقتصادية، ومن عجائب الأمور أن الدول التي رفضت التصديق علي ميثاق محكمة جرائم الحرب الدولية مثل الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تحيل الدول التي تختلف مع سياستها لهذه المحكمة عبر بوابة الأمم المتحدة التي تعمل وفقا لقانون الغاب.

أن الثورة التي يمكن أن تغير العالم وتقضي على أمراض التطرف، وأوهام السيطرة، والاستغلال هي تحول النظام العالمي نحو مبدأ سيادة القانون والعدالة لتحكم العالم النظم القانونية، وفقا لنظرية قانونية جديدة من خلال محكمة العدل الدولية بعد إصلاحها لتكون رمزا للعدالة.

لم تكن دعوة التصدي لإسرائيل لأزالتها من الوجود كفر استراتيجي إلا في إطار حق الرد علي التصرفات العنصرية المغتصبة، ويأسا من غياب العدالة علي ظهور الأرض نتيجة؛ تعمد وإصرار الدول الكبرى استنزاف ونهب العالم من خلف الترسانات النووية، وهل سيكون حتميا أن تراق شالات من الدماء؛ لكي يتم ردع اليمن المتطرف في العالم؛ لكي يتحرك نحو العدالة مع مولد الثورة الثالثة، أو الرابعة، أو الخامسة، أو أيا كان رقمها، الجميع بحاجة إلى السلام؟

ما هي قيمة العلوم الإنسانية أن لم تؤثر في سلوك البشر؛ وتنزع كل بؤر الشر والعدوان، ومن هنا نجد أنفسنا في الشرق الأوسط مرغمين على التصدي للمتطرفين بأساليبهم؛ حتى تحقق الثورة المرتقبة، لينعم البشر جميعا فوق هذا الكوكب بالعدالة وحرية العقيدة.

مؤلف الكتاب

د. صلاح شعير

مواليد المنوفية ١٩٦٦ ، حاصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد.

عضو الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع.

عضو اتحاد كتاب مصر.

صدرت له عدة مؤلفات منها في المجال الاقتصادي: الاقتصاد السياحي بالوطن العربي، بناء الاقتصاد العربي، التخطيط الاستراتيجي بالصين ومستقبل الصراع الاقتصادي العالمي، حروب الذكاء الاصطناعي القادمة واحتمالات فناء البشر، النهوض الاقتصادي، وتنمية المدن المصرية الجديدة، التنمية الصناعية في المدن الجديدة وأسباب تعثر التجربة المصرية.

وفي المجال السياسي والاجتماعي: الطائفية والتقسيم – أخطار الصراع الطائفي بمصر والعالم العربي، عبقرية النكتة المصرية.

علاوة على بعض الأبحاث العلمية المحكمة، ونشر أكثر من ٤٠٠ مقال ودراسات بالصحف الورقية والإلكترونية حتى تاريخه، كما أن أصدر وترأس جريدة جماهير أكتوبر عامي ٢٠٠٩/ ٢٠١٠م.

من أعماله الأدبية: رو ايات العنيدة والذئاب، الظمأ والحنين، أحلام الملائكة، كفر الهوى رواية   يسطرون، رحيق النساء، عبيد وأقلام، توتة محبوب رواية.

وفي المسرح: صدر له وطن للبيع، عالم ستات، لصوص الرحمة، أغصان العسل والصبار، القلب الجريح، بأمر نفسه، ليلة عاصفة مونوا دراما، الساحرة والحكيم مسرح إذاعي، عين الشمس.

وفي أدب الطفل: صدرله مسرحيات: حرامي الفيل، وعد الحر -حرامي الفيل، المفتري ندمان، تفاح وشطة، مملكة الأسود، جزيرة الأرانب-تفاح وشطة. **وفي قصص الطفل: أخلاق** الفرسان، النعامة والأسد، القط والصياد.

وفي النقد الأدبي والسيناريو صدرله: أدب الطفل وقيم البناء، روايات نشأت المصري، الفيلم الوثائقي المقاتل الأسمر، الفيلم السينمائي لسان ونص.

وقد حصل على بعض الجو ائز منها: جائزة أفضل مقال عربي عن المرأة بالإقليم العربي– مركز الكوثر – تونس ٢٠١٥م، جائزة القصة القصيرة -وزارة القوي العاملة المصرية عام ٢٠١٦م٢٠١٩، المركز الأول بجائزة إحسان عبد القدوس للرواية عام ٢٠٢٠م، جائزة اتحاد كتاب مصر أدب الطفل (مسرح الطفل) ٢٠٢١م.

الفهرس